

التَّيَّارَةُ وَالْأَحْسَانُ

فِي
عُلُومِ الْقُرْآنِ

لِلْإِبْنِ عَقِيلَةَ الْمَكِّيِّ

الجزء السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّوْبَةُ وَالْإِحْسَانُ

عَمَلٌ وَالْقُرْبَانُ

إصدارات سنة ٢٠٠٦ م
مركز البحوث والدراسات
هاتف: (٥٠٥٠٥٥٠) فاكس: (٥٠٥٠٥٥٢)
E-mail: research@sharjah.ac.ae



الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

جامعة الشارقة
ص.ب: ٢٧٢٧٢، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: (+٩٧١-٦-٥٥٨٥٠٠٠) فاكس: (+٩٧١-٦-٥٥٨٥٠٩٩)
Web site: <http://www.sharjah.ac.ae>

النوع الرابع عشر بعد المائة

علم أحوال المسند
وأحوال متعلقات الفعل



النوع الرابع عشر بعد المائة

علم أحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل

ولم يذكر هذا النوع الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - .

فصل :

في أحوال المسند^(١)، وهو الخبر^(٢).

أما تركه وحذفه فلما تقدم في أحوال المسند إليه^(٣)، من كونه واضحاً، وصون الكلام عن الزيادة، وإيثار الاختصار^(٤)، إلى غير ذلك من الفوائد^(٥).
ومن أمثلة حذف الخبر كما جزم به الزمخشري في «الكشاف»^(٦)، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالصَّٰبِرِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٢]^(٧).

وأما قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، فيحتمل حذف المبتدأ،

(١) أي: الأمور العارضة له من حيث أنه مسند، والتي بها يطابق الكلام مقتضى الحال.

قال بهاء الدين السبكي: وأحواله على ما ذكر خمسة عشر: الترك، والذكر، والإفراد وكونه فعلاً، أو اسماً، أو مقيداً بمعمون: أو شرط، أو غير مقيد بهذا أو بذاك، وكونه نكرة، وكونه مخصصاً بالإضافة أو الوصف، أو غير مخصص، وكونه معرفة، وكونه جملة، وتأخره، وتقدمه.

عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٢/٢ - ٣.

(٢) وأيضاً: المسند في المحكوم به، وهو المحمول فعلاً كان أو اسماً. المرجع السابق.

(٣) انظر: النوع الثالث عشر بعد المائة.

(٤) في الأصل: الاختصاص وما أثبتته هو المناسب للمقام.

(٥) انظر: التلخيص وشروحه: ٢/٢ وما بعدها، الإيضاح: ١٦٩ وما بعدها.

(٦) انظر: الكشاف: ١٤٦/١.

(٧) قال الزمخشري في محل «من آمن» من الإعراب:

ويكون التقدير: فأمرني صبر جميل، ويحتمل حذف الخبر، والتقدير: فصبر جميل أجمل^(١).

ومما يحتمل الأمرين^(٢) قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ نَلُّكُمُ انتَهُوا﴾ [النساء: ١٧١]^(٣).

وأما ذكر المسند: فلكونه الأصل، ولكونه أوضح وأبين، أو للتبرك والتعظيم، إلى غير ذلك^(٤).

ثم إن المسند: تارة يكون اسماً، وتارة يكون جملة فعلية، لأجل تقييده^(٥) بأحد الأزمنة الثلاثة، مثل: زيد قام - للماضي، وزيد يقوم، وزيد انطلق، مع إفادة التجدد^(٦). قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِرِجْمِ وَيَسُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

وإذا كان الخبر اسماً أفاد عدم التقييد والتجديد، لكن الاستمرار والثبوت والدوام^(٧)، كقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩].

وأما تنكير الخبر: فلإرادة عدم الحصر، كقولك: زيد كاتب، أو للتفخيم

الرفع: إن جعلته مبتدأ خبره: «فلهم أجرهم». والنصب: إن جعلته بدلاً من اسم أن والمعطوف عليه. فخير أن في الوجه الأول: الجملة كما هي: وفي الثاني: «فلهم أجرهم». والفاء لتضمن «من» معنى الشرط. المرجع السابق.

(١) انظر ذلك في: التلخيص وشروحه: ١٠/٢ - ١١، الإيضاح: ١٧٢.

(٢) أي: حذف المسند، أو المسند إليه.

(٣) قال القزويني بعد أن ذكر الآية وأنها تحتمل الوجهين: قيل التقدير: ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة. ورد بأنه تقرير لثبوت آلهة؛ لأن النفي إنما يكون للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ. ثم قال: والوجه أن ثلاثة صفة مبتدأ محذوف. والتقدير ولا تقولوا لنا - أو في الوجود - آلهة ثلاثة، أو ثلاثة آلهة. ثم حذف الخبر كما حذف من «لا إله إلا الله» إلى أن قال: ويجوز أن يقدر ولا تقولوا: الله والمسيح وأمه ثلاثة، أي: لا تعبدوهما، كما تعبدون لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةً﴾ [المائدة: ٧٣]. إلى آخر كلامه. الإيضاح: ١٧٢ - ١٧٣.

(٤) انظر: مفتاح العلوم: ٩٩، الإيضاح: ١٧٥.

(٥) في الأصل وفي (ح): «تقيده» وما أثبتته أنسب للسياق.

(٦) انظر: التلخيص وشروحه: ١٩/٢ - ٣٠.

(٧) انظر: المرجع السابق.

نحو: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].
وأما تخصيصه بالإضافة أو الوصف نحو: زيد رجل عالم، فلإفادة معان يقتضيها حال الكلام^(١).

وأما تعريف الخبر فعالباً يكون لإفادة الحصر والاختصاص - ولو ادعاء -
نحو: زيد الأسير، وعمرو الشجاع^(٢).
وأما تأخيره - أي الخبر - فلكونه هو الأصل، فإن المبتدأ مقدم والخبر مؤخر.

وأما تقديمه: فلاظهار الاهتمام به، والتخصيص وحصره في المسند إليه،
[١٥٥/ب/ح] إلى غير ذلك، كقول الله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصفات: ٤٧] أي: بخلاف/
خمور الدنيا^(٣).

وقد يكون التقديم للإشارة من أول الأمر إلى أنه خبر لا صفة، كقول
حسان في مدح النبي ﷺ:

له همم لا منتهى لكبيرها همته الصغرى أجل من الدهر^(٤)
ويكون التقديم للتفاوت والتشويق كقول القائل:

(١) انظر: التلخيص وشروحه: ٩١/٢ - ٩٣، الإيضاح: ١٨٨.
(٢) انظر: أيضاً: التلخيص وشروحه: ٩٩/٢، الإيضاح: ١٩٠.
(٣) انظر: تفسير البغوي: ٢٧/٤، الإيضاح: ١٩٣، التلخيص وشروحه: ١١٠/٢ -
١١١.

(٤) البيت من الطويل، من قصيدة يمدح بها النبي ﷺ. وذكر بعضهم أنه لبكر بن النطاح
في أبي دلف العجلي، ونقل بعضهم أن أعرابياً دخل على أمير فمدحه به ضمن قصيدة له.
و«الهمم» واحدها همة، بالكسر والفتح، وهي ما هم به من أمر ليفعل. والشاهد فيه:
تقديم المسند، وهو «له» للتنبية من أول وهلة على أنه خبر لـ «همم» لانعت له، إذ لو تأخر
لتوهم أنه نعت له لا خبر. انظر: شروح التلخيص: ١١٤/٢ - ١١٥، معاهد التنصيص:
٢٠٨/١ - ٢٠٩.

وقائله: هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن،
أو أبو الوليد، شاعر رسول الله ﷺ، وهو جاهلي إسلامي متقدم، عاش ستين سنة في
الجاهلية، ومثلها في الإسلام. إلا أنه لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً، لأنه كان جباناً. مات
في خلافة معاوية سنة (٥٥٤هـ) وله عشرون ومائة سنة.

الشعر والشعراء: ٣٠٥/١، طبقات فحول الشعراء: ٢١٥ - ٢٢٠، معاهد
التنصيص: ٢٠٩/١ - ٢١٤، خزانة الأدب: ٢٢٧/١ - ٢٢٨.

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر^(١)
ويكون التقديم لكون الخبر أهم عند المتكلم، كقولك: عليه السلام.

فصل في أحوال المفعول:

اعلم أن الكلام في أحوال المسند إليه، وهو المبتدأ، والفاعل، من ذكره، وحذفه، وتقديمه، وتأخيرته، ووصفه وتأكيده، والعطف عليه، والإبدال منه، ونكت ذلك وفوائده^(٢)، ثم الكلام على أحوال المسند - وهو الخبر - وكونه اسم، أو جملة فعلية، وتقديمه وتأخيرته، ووصفه، وما في ذلك من الفوائد، قد تقدم في أول هذا النوع، وفي النوع الذي سبقه.

وهذا الفصل يذكر فيه المفعول مع ملاحظة الفعل، فإن الفعل على قسمين: قاصر، وهو الذي لا يحتاج إلى مفعول، كقولك: قام زيد، ويقوم زيد، فإنه لا يفتقر إلى مفعول. ومتعد، وهو الذي يحتاج إلى مفعول.

وبعض الأفعال تحتاج إلى مفعول واحد، وهو أكثرها، وبعضها تحتاج إلى / مفعولين، وبعضها يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل^(٣). ثم إن المفعول قد يكون [٣٥٠/ب/هـ] مذكوراً وهو الأكثر، وقد يكون محذوفاً. ثم هو في حالة الحذف إما أن يكون ملاحظاً. أو متناسياً عنه غير ملاحظ، كقول الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، فمفعول يعلمون: محذوف متناسي، للإشارة إلى تعميم العلم، وعدم التحكم بنوع من الأنواع، وتقديره: هل يستوي الذين يعلمون العلم. ومن حذف المفعول قول الله تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وذلك لدلالة السياق على الحذف، والتقدير: فلو شاء الله هدايتكم لهداكم^(٤). ومن حذف المفعول للاختصار والتعميم قول الله تبارك

(١) البيت لمحمد بن وهيب الحميري، من قصيدة من البسيط يمدح بها أبو إسحاق، وهو الخليفة العباسي محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد. والشاهد فيه: تقديم المسند وهو: «ثلاثة» للتشويق إلى ذكر المسند إليه، وهو «شمس الضحى» وما عطف عليه. انظر: التلخيص وشرحه: ١١٦/٢، المفتاح: ١٠٥، الإيضاح: ١٩٣، والشاعر تقدمت ترجمته.

(٢) في الأصل وفي (ح): وفوائد وما أثبتته أنسب للسياق.

(٣) انظر ذلك في: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١٤٥/٢، ١٤٨.

(٤) انظر: مغني البيت: ٨٢٨، الإيضاح: ١٩٨.

وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٣٥]^(١). ومن حذفه للاختصار فقط، قول الله تعالى وتقدس: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَّذِيْبٌ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ وَوَجَدَ يَسْقُونَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]^(٢) فحذف مفعول «يسقون» أي: مواشيهم، و«تذودان» أي: أغنامهما.

ومن حذف المفعول قول الله جل شأنه: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ - ٣] أي: ما قلاك، وقيل: حذف المفعول لرعاية الفاصلة^(٣).

وعندي^(٤): إنما حذف لثلا يواجهه بخطاب القلا وهو: البعاد والهجران، وهذه نكتة معنوية، ومراعاة الفاصلة نكتة لفظية.

وقد يحذف المفعول لاستهجان ذكره، كقول عائشة - رضي الله تعالى عنها -: ما رأيت منه ولا رأى مني، أي: من العورة^(٥).

وقد يحذف لظهوره ووضوحه وتعيينه عند السامع، كقول الله تبارك وتعالى: ﴿يُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢]، أي: لينذر الذين كفروا^(٦).

(١) انظر ذلك كله في: (التلخيص وشروحه: ١٢٢/٢ - ١٢٣، ١٣٠ - ١٣١، ١٤٠، الإيضاح: ٢٠١، البرهان: ١٧٥/٣ - ١٧٧، وانظر: معترك الأقران: ٣٠٩/١ - ٣١٠، الإتقان: ١٧٣/٣).

(٢) انظر: مفتاح العلوم: ١١٠. قال القزويني: والأولى أن يجعل لإثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق. الإيضاح: ٢٠٢، وانظر: ١٩٥ أيضاً.

وقال الزمخشري عند تفسيره للآية: فإن قلت: لم ترك المفعول غير مذكور في قوله: «يسقون»، و«تذودان» و«لانسقي»، قلت: لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الزياد وهم على السقي، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم، وسقيهم إبل مثلاً، وكذلك قولهما: لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي. الكشاف: ٤٠١/٣.

(٣) انظر ذلك في: المفتاح: ١١٠، التلخيص وشروحه: ١٤٠/٢ - ١٤٤، الإيضاح: ٢٠١.

(٤) أي: المؤلف ابن عقيلة.

(٥) لم أجد هذا الأثر فيما أطلعت عليه في مظانه من كتب السنة. وقد ذكره السكاكي والقزويني في المفتاح: ١١٠، الإيضاح: ٢٠١، التلخيص: ١٣٢.

(٦) انظر: تفسير أبي السعود: ٣٠٢/٥ - ٣٠٣.

وأما تقديمه - أي المفعول - على الفعل، فلمعان منها:

[رد] (١) الخطأ (٢) في التعيين، كقولك: زيداً عرفت، لمن اعتقد أنك عرفت إنساناً وأنه غير زيد. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِيَّتِي قَارَهُنَّوْنَ﴾ [البقرة: ٤٠] لا غيري (٣).

وقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي قَاعْبُدُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٦] (٤).
ومن هذه الأوجه: التخصيص أيضاً. وإذا قدم المفعول على الفعل، فغالباً يكون المقصود التخصيص (٥)، فلهذا يقال في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]: أي نخص ذاتك بالعبادة لا غيرك (٦). وفي قول الله تبارك وتعالى شأنه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٥٨] لا إلى غيره (٧). وكذا تقديم المفعول على الفاعل لغرض من هذه الأغراض (٨)، كقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ [طه: ٦٧] للاهتمام بشأن الخيفة، والانتزاع في النفس فقدم على الفاعل (٩). وكذلك تقديم ما يتعدى إلى مفعولين، مثل تقديم المفعول الأول على الثاني لنكته، كقول الله تعالى شأنه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] فـ ﴿شُرَكَاءَ﴾، و﴿الْجِنَّ﴾، مفعولين

(١) ليست في الأصل، وأثبتها من (ح).

(٢) في الأصل وفي (ح): «الخطاب» وما أثبتته هو الصواب الذي يقتضيه السياق.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود: ٩٥/١.

(٤) انظر: أيضاً: تفسير أبي السعود: ٤٥/٧.

(٥) وهذا هو الذي عليه المحققون من علماء البيان، وخالف بعضهم في ذلك، وقالوا:

بل يلزم. انظر: تفصيل ذلك في: الفلك الدائر: ٢٢٨ وما بعدها، المثل السائر: ٢٤٠/٢، البرهان: ٢٣٧/٣ - ٢٣٨.

(٦) انظر: تفسير أبي السعود: ٧١/١، البرهان: ٢٣٦/٣. وقال ابن الأثير: إنما قدم

- أي المفعول - في هذا الموضع لمكان نظم الكلام... المثل السائر: ٢٤١/٢.

(٧) انظر: تفسير أبي السعود: ١٠٥/٢، البرهان: ٢٣٦/٣ - ٢٣٧.

(٨) أي: التي ذكرت في تقديم المفعول على الفعل مثل: التخصيص والاهتمام بذكره،

والعناية به، ولمراعاة الفواصل. انظر: الإيضاح: ٢٠٧.

(٩) وأيضاً: لمشكلة الكلام، ورعاية الفواصل. انظر ذلك في: التلخيص وشروحه:

١٦٤/٢، البرهان: ٢٣٤/٣، تفسير أبي السعود: ٦٧/٦. ولمزيد من التفصيل انظر ما سبق

كله في مفتاح العلوم: ١١١ - ١١٢، التلخيص وشروحه: ١٤٥/٢ - ١٤٧، ١٥٢ - ١٥٤،

الإيضاح: ٢٠٤ - ٢٠٧، البرهان: ٢٣٣/٣ وما بعدها.

لَجَعَلُوا ﴿فَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مِنْهَا: ﴿الْحَيْنَ﴾، وَالثَّانِي: «الشركاء»^(١). لِلإِشَارَةِ إِلَى
اهتمامهم ورغبتهم في الشرك^(٢). // .

[٣٥٠/هـ]
[١٥٥/ح]

(١) هذا قول. انظر: تفسير أبي السعود: ١٦٧/٣، وقال بعد ذلك: «قدم ثانيهما على الأول لاستعظام أن يتخذ الله سبحانه شريك ما، كائنا ما كان، و«الله» متعلق بـ «شركاء» قدم عليه للنكته المذكورة. المرجع السابق. وقيل: التقدير: هما الله شركاء الجن، و«الجن» بدل من «شركاء» مفسر له. انظر: معاني القرآن، للفراء: ٣٤٨/١.

(٢) انظر: البرهان: ٢٣٥/٣ - ٢٣٦، ٢٦٧ - ٢٦٨.

النوع الخامس عشر بعد المائة

علم حصره واختصاصه



النوع الخامس عشر بعد المائة

علم حصره واختصاصه^(١)

أما الحصر، ويقال له: القصر^(٢) فهو: تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص^(٣).

ويقال أيضاً: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه^(٤). وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة^(٥)، وقصر الصفة^(٥) على الموصوف: وكل منهما إما حقيقي وإما مجازي^(٦).

(١) هذا النوع في الإتيان هو النوع الخامس والخمسون. وقد نقله المؤلف منه نقلاً كاملاً، ولم يشر إلى ذلك. وكذلك هو في معترك الأقران: الوجه الثاني عشر من وجوه إعجازه.

(٢) كذا قال السبكي في عروس الأفراح انظر ذلك ضمن شروح التلخيص: ١٦٦/٢.

(٣) كذا قال التفتازاني في المختصر على التلخيص. وقال المغربي في مواهب الفتاح: وأما في الاصطلاح فهو: تخصيص شيء بشيء - أي تخصيص موصوف بصفة، أو صفة بموصوف بطريق من الطرق الأربعة، من النفي والاستثناء وغير ذلك. وقال السبكي في عروس الأفراح: وهو تخصيص أمر بآخر بإحدى الطرق الأربع - كذا قالوه - وهي أكثر من أربع.

انظر ذلك كله في: شروح التلخيص: ١٦٦/٢، وفي الإتيان: ١٤٩/٣، معترك الأقران: ١٨١/١.

(٤) انظر: عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ١٦٦/٢، كما سبق.

والإتيان، معترك الأقران الأجزاء والصفحات نفسها.

هذا تعريف الحصر - أو القصر في الاصطلاح.

أما تعريفه لغة. فقيل: الحبس. وبابه نصر. وقيل: عدم المجاوزة إلى الغير، فهو من قصر الشيء على كذا - لم يجاوز به إلى غيره. مختار الصحاح - قصر - .

(٥) المراد بالصفة في الموضعين: الصفة المعنوية، لا النعت، الذي يتكلم عليه

النحويون. انظر: التلخيص وشروحه: ١٦٩/٢.

(٦) انظر: المرجع السابق: ١٦٦/٢ - ١٦٨، الإتيان: ١٤٩/٣، معترك الأقران: ١/١

١٨١

فمثال قصر الموصوف على الصفة حقيقياً نحو: ما زيد إلا كاتب، أي لا صفة له غيرها وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية، وعلى عدم تعذرها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها^(١)؛ ولذا لم يقع في التنزيل.

ومثاله مجازياً قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، أي: أنه مقصور على الرسالة لا يتعدها إلى التبري من الموت الذي استعظموه، الذي هو من شأن الإله^(٢).

وأما مثال قصر الصفة على الموصوف حقيقياً، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

ومثاله مجازياً، قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً...﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥]. كما قال الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - فيما نقل عنه من أسباب النزول: أن الكفار لما كانوا يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، وكانوا يحرمون كثيراً من المباحات، وكانت سجيتهم تخالف وضع الشرع، ونزلت الآية مسبوقة بذكر شبهتهم في البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي^(٣)؛ وكان الغرض إبانة كذبهم؛ فكأنه قال: لا حرام إلا ما أحللتموه والغرض الرد عليهم والمضادة، لا الحصر الحقيقي^(٤).

وينقسم الحصر^(٥) باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام: قصر أفراد^(٦)، وقصر

(١) انظر: التلخيص وشروحه: ١٧١/٢ - ١٧٣، الإتيان: ١٤٩/٣، معترك الأقران: ١٨١/١، الإيضاح: ٢١٣.

(٢) انظر: مفتاح العلوم: ١٣٩، الإيضاح: ٢١٩، التلخيص وشروحه: ٢١٥/٢ - ٢١٦، الإتيان: ١٤٩/٣، معترك الأقران: ١٨١/١.

(٣) انظر: تفصيل القول في بيان هذه الأوضاع المذكورة في الآية في تفسير الطبري: ١١٦/١ - ١٣٤، البغوي: ٧٠/٢ - ٧١، ابن كثير: ١١٠/٢ - ١١٢، زاد المسير: ٤٣٦ - ٤٤٠.

(٤) الإتيان: ١٤٩/٣، معترك الأقران: ١٨١/١ - ١٨٢. وانظر: أحكام القرآن، للشافعي: ١٠٠/٢ - ١٠٢، الأم: ٢٦٤/٢، ٢٦٧.

(٥) ويسمى القصر.

(٦) سمي بذلك لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف، أو بين الموصوف

قلب^(١)، وقصر تعيين^(٢).

فالأول: يخاطب به من يعتقد الشركة، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١] خوطب به من يعتقد اشتراك الله والأصنام في الألوهية.

والثاني: يخاطب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] خوطب به نمرود^(٣)، الذي اعتقد أنه المحيي المميت دون الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣]، خوطب به من اعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء دونهم^(٤).

والثالث: يخاطب به من تساوى عنده الأمران، فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه، ولا لواحد بعينه بإحدى الصفتين بعينها^(٥).

فمثل^(٦) قوله تعالى - حاكياً عن أهل أنطاكية^(٧) - إذ كذبوا رسل عيسى ﷺ: ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا نَكَذِبُونَ﴾ [يس: ١٥] فإنهم كانوا مترددين في

= وغيره، في الإتصاف بالصفة. عند من يعتقد ذلك. الإيضاح: ٢١٤. وانظر: التلخيص وشروحه: ١٧٩/٢.

(١) لقلبه حكم السامع أو المخاطب.

(٢) لتعيينه ما هو غير معين عند المخاطب.

(٣) نمرود: جبار كان بابل، وهو: نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح. وقيل: أنه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٥ - ٤٣١، تفسير ابن كثير: ٣٢٠/١. وانظر: نفحات الأقران في مبهمات القرآن، للسيوطي: ٢١ - ٢٢.

وقال السهيلي: هو النمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح، وان ملكاً على السواد، وكان ملكه للضحاك الطاغية الذي دام ملكه ألف عام... التعريف والأعلام: ٣٠ - ٣١.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٥١/١.

(٥) انظر: الأقسام الثلاثة في: التلخيص وشروحه: ١٧٨/٢ وما بعدها، الإيضاح: ٢١٤ - ٢١٥. وكذلك انظر: الإقتان: ١٤٩/٣ - ١٥٠، معترك الأقران: ١٨٢/١.

(٦) فمثل: من نسخة (ح).

(٧) أنطاكية: بالفتح ثم السكون والياء مخففة: مدينة هي قسبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد وأمهاتها. موصوفة بالنزاهة والحسن، وطيب الهواء وعذوبة الماء. وكثرة الفواكه. وتقع في الشمال الغربي من سوريا. ولا تزال تسمى باسمها القديم. انظر: معجم البلدان: ٢٦٦/١ - ٢٧٠، مراصد الإطلاع: ١٢٤/١ - ١٢٥.

أن الرسل صادقين أو كاذبين، ثم قصرهم على الكذب قصر تعيين^(١).

فصل:

طرق الحصر^(٢) كثيرة:

أحدها: النفي والاستثناء^(٣)، سواء كان النفي «بلا» أو «ما» أو غيرهما، والاستثناء بإلا، أو غير، نحو: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الصفات: ٣٥، محمد: ١٩]، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [المائدة: ١١٧].

ووجه إفادته الحصر: أن الاستثناء المفرغ لا بد أن يتوجه النفي فيه إلى مقدر هو مستثنى منه؛ لأن الاستثناء إخراج، فيحتاج إلى مخرج منه، والمراد التقدير المعنوي لا الصناعي، ولا بد أن يكون عاماً؛ لأن الإخراج لا يكون إلا من عام، ولا بد أن يكون مناسباً للمستثنى في جنسه؛ مثل: ما قام إلا زيد، أي أحد؛ وما أكلت إلا تمرأ؛ أي مأكولاً. ولا بد أن يوافقه في صفته؛ أي إعرابه، وحينئذ يجب القصر إذا أوجب شيء منه بـ«إلا» ضرورة تبقي ما عداه على صورة الانتفاء.

وأصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطب جاهلاً بالحكم؛ وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فإنه خطاب للصحابة وهم لم يكونوا/ [٥/٣٥١] يجهلون رسالة النبي ﷺ؛ لأنه نزل استعظامهم له عن الموت منزلة من يجهل رسالته، لأن كل رسول لا بد من موته؛ فمن استبعد موته فكأنه استبعد رسالته^(٤).

الثاني: «إنما». الجمهور على أنها للحصر، فقيل: بالمنطوق، وقيل: بالمفهوم^(٥).

(١) انظر: الإيضاح: ٢١٥.

(٢) طرق الحصر: هي أسباب اللفظية التي تفيده.

(٣) انظر: مفتاح العلوم: ١٣٩، التلخيص وشروحه: ١٩١/١، الإيضاح: ٢١٥.

(٤) انظر: ما سبق في: التلخيص وشروحه: ٢١٥/٢ وما بعدها، الإتيقان: ١٥٠/٣ -

١٥١، معترك الأقران: ١٨٢/١ - ١٨٣.

انظر كذلك حول الآية: تفسير أبي السعود: ٩٢/٢.

(٥) انظر: عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ١٩١/٢.

وأنكر قوم إفادتها إياه، منهم: أبو حيان^(١). واستدل ما أثبتوه بأمور:
 منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣] بالنصب؛ فإن
 معناه: ما حرم عليكم إلا الميتة^(٢)؛ لأنه المطابق في المعنى لقراءة الرفع^(٣)؛
 فإنها للقصر، فكذا قراءة النصب، والأصل استواء معنى القراءتين.
 قال في التلخيص: ومنها «إنما» كقولك في قصره إفراداً: إنما زيد كاتب،
 وقلباً: إنما زيد قائم، وفي قصرهما: إنما قائم زيد؛ لتضمنه معنى «ما»
 و«إلا»؛ لقول المسفرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة:
 ١٧٣، النحل: ١١٥] بالنصب، معناه: ما حرم عليكم إلا الميتة وهو المطابق
 لقراءة الرفع^(٤).

قال شارحه السعد^(٥) في مطوله: وتقرير هذا، أن القراءة المشهورة: نصب

(١) حيث قال في البحر: ٦١/١، ٣٤٤/٦: «إنما» في ألفاظ المتأخرين من النحويين
 وبعض أهل الأصول أنها للحصر، وكونها مركبة من «ما» النافية، دخل عليها «أن» التي
 للإثبات فأفادت الحصر قول ريك فاسد صادر عن غير عارف بالنحو.

ثم قال: والذي نذهب إليه أنها لا تدل على الحصر بالوضع، كما أن الحصر لا يفهم
 من أخواتها التي كفت بـ «ما»، فلا فرق بين لعل زيداً قائم، ولعل ما زيد قائم، فكذلك:
 إن زيداً قائم، وإنما زيد قائم، وإذا فهم حصر فإنما يفهم من سياق الكلام، لأن «إنما»
 دلت عليه...

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣١٧/٣ - ٣١٨، تفسير البغوي: ١٤٠/١.

(٣) أي: رفع كلمة: «الميتة»، ويكون تأويل الكلام حينئذ، أن الذي حرم الله عليكم من
 المطاعم الميتة والدم ولحم الخنزير، لا غير ذلك...
 قال الطبري: وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ ذلك كذلك، على هذا التأويل والعربية
 وجه مفهوم لإتفاق الحجة من القراء على خلافة.

وقال أيضاً: ولو قرئ في حرم بضم الحاء من حرم لكان في الميتة وجهان من الرفع.
 أحدهما: من أن الفاعل غير مسمى، وإنما حرف واحد.

(٤) التلخيص: ١٤٠ - ١٤١.

(٥) هو: مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين التفتازاني، العلامة الشافعي، كان
 أصولياً، مفسراً، متكلماً محدثاً، نحويّاً أديباً، من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد
 بتفتازان من بلاد خراسان، ثم رحل إلى سرخس، ثم إلى سمرقند، فجلس فيها للتدريس،
 فأقبل عليه الطلاب والعلماء، كان في لسانه لكمة. له مصنفات كثيرة في مختلف الفنون
 منها: التلويح على التنقيح في الأصول، شرح مقاصد الطالبين في أصول الدين، المطول،
 والمختصر على تلخيص المفتاح وغيرها. ولد (٧١٢هـ)، (ت ٧٩١هـ).

الميتة؛ وحرّم مبنياً للفاعل، وقرئ برفع المبتدأ؛ وحرّم مبنياً للفاعل، وقرئ برفعها، وحرّم مبنياً للمفعول كذا في تفسير الكواشي^(١). فعلى قراءة نصب «الميتة»، وحرّم مبنياً للفاعل «ما» في «إنما» كافة قطعاً؛ إذ لو كانت موصولة لبقى «إن» بلا خبر، والموصول بلا عائد، بل لم يبق للكلام معنى أصلاً، فإذا فسروا قراءة النصب بما حرّم عليكم إلا الميتة، ثبت أن «إنما» متضمن معنى «ما» و«إلا»، وطابقت هذه القراءة قراءة/ الرفع؛ لأن «ما» فيها موصولة، [ح/١٥٦] والعائد محذوف، والميتة خبر «إن» تقديره: إن الذي حرّمه الله عليكم الميتة، وهذا يفيد القصر - كما مر في تعريف المسند - أن نحو: المنطلق زيد، أو زيد المنطلق، يفيد حصر الانطلاق على زيد.

فإن قلت: هل^(٢) جعلت «ما» في الرفع كافة مثله في قراءة النصب؟.

قلت^(٣): أمّا على قراءة «حرّم» مبنياً للفاعل، - وهو المذكور في المفتاح^(٤) - والمقصود ههنا فظاهر أنها ليست بكافة؛ لأن «حرّم» مسند^(٥) إلى ضمير «الله»، فلا وجه لرفع «الميتة» إلا على تأويل: إنما حرّم الله شيئاً هو الميتة، ومع

= الدر الكامنة: ١١٢/٦ - ١١٣، بغية الوعاة: ٢٨٥/٢، البدر الطالع: ٣٠٢/٢. والمطول هو أحد شروح تلخيص المفتاح للقرظيني وهو مطبوع مستقل. وقد اختصره السعد. وطبع هذا المختصر مع التلخيص وشروح أخرى باسم: شروح التلخيص. (١) هو: أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع الشيباني العلامة موفق الدين أبو العباس الموصلي الكواشي الشافعي المفسر. برع في القراءات والتفسير، والفضائل. قرأ على والده، وأخذ عن السخاوي وغيره. أخذ عنه القراءات ابن خروف الموصلي، وتقي الدين المقصاتي. من مصنفاته: التفسير الكبير، والصغير وغيرها. ولد بكراشة (٥٩١هـ)، (ت ٦٨٠هـ).

طبقات الشافعية الكبرى: ١٨/٥، تذكرة الحفاظ: ١٤٦٥/٤، غاية النهاية: ١٥١/١، طبقات المفسرين: ١٠٠/١ - ١٠١.

وانظر: كلام الكواشي حول هذه الآية في: تفسيره المسمى: تلخيص تبصرة المتذكر: ٥٣٩/٢ رسالة ماجستير - تحقيق محمد العيدي - كلية أصول الدين بالرياض. (٢) كذا في الأصل وفي (ح) والأولى أن يقال: «هلا» كما في المطول: ٢١٢، لأنه أنسب للسياق.

(٣) أي: التفازاني.

(٤) أي: مفتاح العلوم: ١٤٠.

(٥) في الأصل وفي (ح): «مسند» وصوبته من المطول: ٢١٢.

ظهور هذا الوجه الصحيح؛ وهو أن يجعل «ما» موصولة، والعائد محذوف، و«الميتة» خبر «إن»، والتقدير: إن الذي حرم عليكم الميتة، لا مجال^(١) لارتكاب هذا التأويل^(٢).

وأما على قراءة: «حرم» مبنياً للمفعول فيحتمل أن تكون «ما» كافة، وأن تكون موصولة. وتقول النحاة: «إنما» للإثبات^(٣).

نقل أبو علي^(٤) عن الزجاج: أنه اختار أن تكون «ما» كافة، و«حرم» مسند إلى «الميتة»^(٥).

لكننا نقول^(٦): جعلها موصولة اسم «إن» و«الميتة» خبرها أولى، لتبقى «إن» عاملة على ما هو الأصل. انتهى^(٧).

ومنها: أن «إن» للإثبات و«ما» للنفي، فلا بد أن يحصل القصر، للجمع بين النفي والإثبات. لكن تعقب بأن «ما» زائدة كافة، لا نافية^(٨).
ومنها: أن «إن» للتأكيد و«ما» كذلك، فاجتمع تأكيدان، فأفادا الحصر.

(١) في الأصل وفي (ح): «لا محالة» والصواب ما أثبت. انظر: المطول: ٢١٢.

(٢) المطول، للفتازاني: ٢١٢.

(٣) المطول: ٢١٢، وانظر: تفسير الطبري: ٣/٣١٨، البحر المحيط: ١/٤٨٦.

(٤) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، أبو علي الفارسي النحوي، الإمام، العلامة. قرأ النحو على أبي إسحاق الزجاج، وابن السراج، ومبرمان. قال كثير من تلامذته أنه أعلم من المبرد. طوف بلاد الشام وصحب عضد الدولة، فعظمة ولحق بسيف الدولة فأكرمه. أخذ عنه النحو خلق كثير، كابن جنبي، وأبي الحسن الربيعي، وغيرهم. كان متهماً بالاعتزال. له مصنفات كثيرة منها: التذكرة والحجة في القراءات والإيضاح في النحو والتكملة في التصريف. ولد (٢٩٠هـ) (ت ٣٧٧هـ).

أبناء الرواة: ١/٣٠٨ - ٣٠٩، البلغة: ٨٠ - ٨١، بغية الوعاة: ١/٤٩٦ - ٤٩٧.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١/٢٤٣ حيث قال الزجاج: ... والذي اختاره أن يكون «ما» تمنع «أن» من العمل، ويكون المعنى: ما حرم عليكم إلا الميتة، والدم، ولحم الخنزير؛ لأن «إنما» تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها لما سواه...

انظر: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٢٨، حيث نقل كلام الزجاج هذا ونسبه له في الشيرازيات.

(٦) القائل هنا هو سعد الدين الفتازاني.

(٧) أي: انتهى منقولاً بنصه من المطول، للفتازاني: ٢١٢.

(٨) انظر: تفصيل ذلك في عروس الأفراح ضمن، شروح التلخيص: ٢/١٩٢ - ١٩٤.

وانظر: الإتيان: ٣/١٥١، معترك الأقران: ١/١٨٣ - ١٨٤.

قاله السكاكي^(١). وتعقب بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لأفاده نحو^(٢): إن زيداً لقاتم. وأجيب بأن مراده لا يجتمع حرفاً تأكيد متواليان إلا للحصر^(٣).

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٣]، ﴿قَالَ إِنَّمَا يَا أَيُّكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [هود: ٣٣]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فإنه إنما تحصل مطابقة الجواب إذا كانت «إنما» للحصر ليكون معناها: لا آتيكم به إنما يأتاكم به الله، ولا أعلمها إنما يعلمها الله. وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤١) ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الشورى: ٤١، ٤٢]، ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢، ٩٣]، ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجَبْتِنَهَا قُلْ إِنَّمَا أُنْتَبِئُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢) [النحل: ٨٢]. ولا يستقيم المعنى في هذه الآيات ونحوها إلا بالحصر^(٤). وأحسن ما تستعمل «إنما» في موضع التعريض، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩، الزمر: ٩]^(٥).

(١) انظر: مفتاح العلوم: ١٤٠ ومما قاله: ... وترى أئمة النحو يقولون: «إنما» تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها ونفياً لما سواه، ويذكرون لذلك وجهاً لطيفاً بسند إلى علي بن عيسى الربعي، وأنه كان من أكبر أئمة النحو ببغداد وهو أن كلمة «أن» لما كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها «ما» المؤكدة لا النافية - على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو - ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر، لأن قصر الصفة على الموصوف وبالعكس، ليس إلا تأكيداً للحكم على تأكيد...
(٢) من نسخة (ح).

(٣) الذي تعقبه ورد عليه هو بهاء الدين السبكي في كتابه: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ١٩٣/٢. وانظر: الإقتان: ١٥١/٣، معترك الأقران: ٢٨٤/١.
(٤) انظر ذلك أيضاً في: عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ١٩٣/٢ - ١٩٤، الإقتان: ١٥١/٣ - ١٥٢، معترك الأقران: ٢٨٤/١.

(٥) قال عبد القاهر الجرجاني في كلامه على «إنما»: في باب القصر والاختصاص، قال: ثم اعلم أنك إذا استقرت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، نحو ما يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ (٢٥) [النازعات: ٤٥]... إلى آخر كلامه في ذلك. دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٥٤.

الثالث: «أنما» بالفتح، عدما من طرق الحصر: الزمخشري، والبيضاوي،/ فقالا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]: أنما لقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم، نحو: إنما زيد قائم، إنما يقوم زيد، وقد اجتمع الأمران في هذه الآية، لأن إنما يوحى إلي مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد، وإنما إلهكم بمنزلة إنما زيد قائم.

وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى الرسول ﷺ مقصور على استئثار الله جل شأنه بالوحدانية^(١).

وصرح التنوخي^(٢) في الأقصى القريب بكونها للحصر، فقال: كلما وجب «إنما» بالكسر للحصر، أوجب أن «أنما» بالفتح للحصر؛ لأنها فرع عنها، وما ثبت للأصل ثبت للفرع، ما لم يثبت مانع منه، والأصل عدمه^(٣). ورد أبو حيان على الزمخشري ما زعمه بأنه يلزم انحصار الوحي في الوحدانية^(٤). وأجيب بأنه حصر مجازي باعتبار.....

= وانظر: التخليص وشروحه: ٢٢٣/٢، الإيضاح: ٢٢١ - ٢٢٢، الإتيقان: ١٥٢/٣، معترك الأقران: ١٨٤/١.

(١) وهو نص كلام الزمخشري في الكشاف: ١٣٩/٣. وانظر: تفسير البيضاوي ضمن كتاب: مجموعة التفاسير: ٢٨٤/٤، حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ...﴾ [الأنبياء: ١٠٨] أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد، وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد، فالأولى لقصر الحكم على الشيء، والثانية على العكس.

(٢) هو: محمد بن محمد بن عمرو، أبو عبد الله، زين الدين التنوخي. أديب دمشقي، استقر في بغداد، له كتب منها: «الأقصى القريب في علم البيان» ويسمى: أقصى القرب في صناعة الأدب، (ت٧٤٨هـ) هدية العارفين: ١٥٤/٢.

(٣) لم أهدت إلى قول التنوخي هذا في كتابه: «الأقصى القريب»، أثناء بحثي عنه فيه، ومما يجدر التنبيه عليه أن في الكتاب سقط من: ٢٥ - ٣١ فربما كان الكلام الذي نسبه إليه المصنف في هذا القسم الساقط. فانظر نص كلامه في الإتيقان: ١٥٢/٣، معترك الأقران: ١٨٥/١.

(٤) حيث قال - بعدما ذكر كلام الزمخشري الأنف الذكر - : ... وأما ذكره في «إنما» أنها لقصر ما ذكر، فهو مبني على أن «إنما» للحصر، وقد قررنا أنها لا تكون للحصر... ثم يقول: ... وأما جعله «أنما» المفتوحة الهمزة مثل مكسورتها يدل على القصر، فلا نعلم =

المقام^(١).

الرابع: العطف «بلا»، أو «بل»، ذكره أهل البيان، ولم يحكوا فيه خلافاً. بل هذا النوع من أنواع الحصر أول ما بدئ به في «تلخيص المفتاح»^(٢).

ونازع فيه الشيخ بهاء الدين في «عروس الأفراح» فقال: أي قصر في العطف بلا، إنما فيه نفي وإثبات، فقولك: زيد شاعر لا كاتب، لا تعرض فيه لنفي صفة ثالثة، والقصر إنما يكون بنفي [جميع]^(٣) الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازاً؛ وليس هو خاصاً بنفي الصفة التي يعتقدها المخاطب. وأما العطف بـ«بل»، فأبعد منه، لأنه لا يستمر فيها النفي والإثبات^(٤).

الخامس: تقديم المعمول، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٤]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، وخالف فيه قوم، وسيأتي بسط الكلام فيه قريباً^(٥).

السادس: ضمير الفصل، نحو قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَكِيلُ﴾ [الشورى: ٩] أي: لا غيره، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿إِنِّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]. ومما ذكر أنه للحصر البيانوني في بحث المسند إليه^(٦)، واستدل له السهيلي

= الخلاف إلا في «إنما» بالكسر، وأما بالفتح فحرف مصدري ينسبك منه - مع ما بعدها - مصدر، فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة.

إلى أن قال: ولو كانت «إنما» دالة على الحصر لزم أن يقال أنه لم يوح إليه شيء إلا التوحيد، وذلك لا يصح الحصر فيه، إذ قد أوحى له أشياء غير التوحيد... تفسير البحر المحيط: ٣٤٤/٦.

(١) انظر ذلك في: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢٠١/٢ - ٢٠٣.

(٢) انظر: التلخيص: ١٣٩ حيث قال القزويني فيه: وللقصر طرق منها: العطف، كقولك في قصره أفراداً: زيد شاعر لا كاتب، أو ما زيد كاتباً بل شاعر، وقلباً: زيد قائم لا قاعد، وما زيد قاعد بل قائم، وفي قصرها: زيد شاعر لا عمرو، أو ما عمره شاعر بل زيد.

(٣) مثبت من (ح).

(٤) انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ١٨٧/٢.

(٥) انظر: فيما سيأتي: ١٣٥٤ وما بعدها.

(٦) انظر ذلك في الكشف: ٤٦/١ حيث قال الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: «هم» فصل، وفائدته: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، =

بأنه أتى به في كل موضع ادعى فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله، ولم يؤت به حيث لم يدع، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣] إلى آخر الآيات.

فلم يؤت به في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ﴾ [النجم: ٤٥]، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ﴾ [النجم: ٤٧]، ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]؛ لأن ذلك لم يدع لغير الله، وأتى به في الباقي لادعائه لغيره^(١).

قال في «عروس الأفراح»: وقد استنبطت دلالة على الحصر من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]؛ لأنه لو لم يكن للحصر لما حسن؛ لأن الله تعالى لم يزل رقيباً عليهم؛ وإنما الذي حصل بتوفيته أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى^(٢). ومن قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]^(٣)، فإنه ذكر الحد لتبيين عدم الاستواء، وذلك لا يحسن إلا بأن يكون الضمير للاختصاص^(٤).

= والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره.

وانظر: التلخيص: ٧٣ وفيه قال القزويني: وأما فصله أي: المسند إليه، فلتخصيصه بالمسند. وانظر: الإيضاح: ١٣٥، شروح التلخيص: ٣٨٥/١ - ٣٨٦، والمفتاح: ٩١.
(١) لم أجد كلام السهيلي هذا فيما لدي من كتبه، فانظر كلامه هذا بنصه في: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٨٦/١ وفي الإتيان: ١٥٣/٣، معترك الأقران: ١/١٨٦.

هذا وذكر السبكي في العروس أيضاً أن التوخي ذكر نحو ما قاله السهيلي في ذلك، غير أنه جعل الضمير للتأكيد ولم يذكر الحصر. وقد اعترض عليهما السبكي بقوله: وفيما قاله نظر، ثم بين ذلك، إلى أن قال: ... ثم ما قاله ليس بصحيح، لأن هذا الضمير لم يصح إعرابه فصلاً، لأن الفصل لا يقع قبل خبر هو فعل ماض. عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٨٦/١ - ٣٨٧.

(٢) قال أبو السعود عند تفسيره لآية المائدة السابقة: «كنت أنت» أي: لا غيرك، ف«أنت» ضمير فصل أو تأكيد. تفسيره: ١٠١/٣.

(٣) قال أبو السعود أيضاً: «ولعل تقديم أصحاب النار في الذكر للإيدان من أول الأمر بأن المقصور الذي ينبنى عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابلتهم...». تفسيره: ٢٣٣/٨.

(٤) انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٨٧/١.

السابع: تقديم المسند إليه على «ما» قال الشيخ عبد القاهر: قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي^(١) . / . والحاصل على رأيه^(٢) أن له [١٥٧ب/ح] أحوالاً:

أحدها: أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتاً؛ فيأتي للتخصيص؛ نحو أنا قمت، وأنا سعيت في حاجتك؛ فإن قصد به الأفراد أكد بنحو: وحدي؛ أو قصر القلب، أكد بنحو: لا غيري^(٣) . ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ فَرِحُونَ﴾ [النحل: ٣٦]، فإن ما قبله من قوله: ﴿أَتُمِدُّونَ بِمَالِ﴾ [النمل: ٣٦] ولفظ «بل» مشعر بالإضراب يقضي بأن المراد: «بل أنتم» لا غيركم، فإنه المقصود نفي فرحه هو بالهدية لا إثبات الفرح لهم بهديتهم. قاله في: «عروس الأفراح»^(٤).

قال^(٥): وكذا قوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]، أي لا يعلمهم إلا نحن^(٦).

وقد يأتي للتقوية والتأكيد دون التخصيص^(٧).

قال الشيخ بهاء الدين: ولا يتميز ذلك إلا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام^(٨).

ثانيها: أن يكون المسند منفيًا، نحو: أنت لا تكذب، فإنه أبلغ في نفي

(١) انظر: دلائل الإعجاز: ١٢٤ - ١٢٦ وقد حكى قول عبد القاهر هذا القزويني في: «الإيضاح: ٣٧، التلخيص: ٧٥، والسيوطي في الإتيان: ١٥٣/٣، معترك الأقران: ١/ ١٨٧.

(٢) أي: رأى عبد القاهر الجرجاني.

(٣) قال القزويني: يأتي - أي تقديم المسند إليه على المسند - للتخصيص، رداً على من زعم انفراد غيره به، أو مشاركته فيه، نحو: أنا سعيت في حاجتك. ويؤكد على الأول بنحو: لا غيري، وعلى الثاني بنحو: وحدي. التلخيص: ٧٦.

(٤) انظر ذلك في: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٩٥/١ - ٣٩٦.

(٥) أي: بهاء الدين السبكي.

(٦) انظر: المرجع السابق: ٣٩٧/١.

(٧) انظر: التلخيص وشرح السعد، ضمن شروح التلخيص: ٤٠٠/١.

(٨) انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٩٨/١ - ٣٩٩.

الكذب من: لا تكذب، ومن: لا تكذب أنت^(١). وقد يفيد التخصيص، ومنه: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦]^(٢).

٣٥٢/ب/هـ ثالثها: أن يكون المسند إليه نكرة مثبتاً،/ نحو: رجل جاءني، فيفيد التخصيص: إما بالجنس، أي: لا امرأة، أو الوحدة، أي: لا رجلان^(٣). رابعها: أن يلي المسند إليه حرف النفي فيفیده^(٤)، نحو: ما أنا قلت هذا، أي: لم أقله مع أن غيري قاله^(٥).

ومنه: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، أي: العزيز علينا رهطك، لا أنت، ولذا قال: ﴿أَرْهَطِحَ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [هود: ٩٢]. هذا حاصل رأي الشيخ عبد القاهر^(٦). ووافق السكاكي، وزاد شروطاً وتفصيل ليست واضحة في الاختصاص^(٧). وإن اقتضى الحال وكان مفهوم الكلام الاختصاص، فالمقصود أن الحصر والاختصاص مستفاد من جوهر اللفظ، وما ذكره بعيد عن ذلك، ورجعنا^(٨) إلى الأشياء المفيدة للحصر. الثامن: تقديم المسند. ذكر ابن الأثير^(٩) وابن النفيس^(١٠) وغيرهما أن

(١) انظر: التلخيص وشروحه: ٤٠١/١ - ٤٠٣. وانظر: عروس الأفراح: ٣٩٩/١. وانظر: الإيضاح: ١٤٢.

(٢) انظر هذا أيضاً في عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٩٩/١.

(٣) انظر: التلخيص: ٧٩ - ٨٠ حيث قال القزويني: وإن بني الفعل على منكر أفاد تخصيص الجنس، أو الواحد به، نحو: رجل جاءني، أي: لا امرأة، أو لا رجلان. وانظر كذلك: الإيضاح: ١٤٣، شروح التلخيص: ٤٠٣/١ - ٤٠٤. (٤) أي: التخصيص.

(٥) انظر: دلائل الإعجاز: ١٢٤، الإيضاح: ١٣٧.

(٦) الإتقان: ١٤٤/٣ - ١٤٥، معترك الأقران: ١٨٧/١ - ١٨٨. وانظر: دلائل الإعجاز: ١٢٤ وما بعدها.

(٧) انظر: مفتاح العلوم: ١٤٠ - ١٤٥. وانظر: مناقشة ذلك بالتفصيل في: الإيضاح:

١٣٨ - ١٤٧ وفي التلخيص وشروحه: ٤٠٥/١ وما بعدها.

(٨) كذا في الأصل وفي (ح) والأولى أن يقال: ومرجعنا.

(٩) انظر: المثل السائر: ٢/٢٤٠.

(١٠) وهو: علي بن أبي الحزم القرشي، علاء الدين، المعروف بابن النفيس، الطبيب المصري، كان فقيهاً على مذهب الشافعي، وله معرفة بالأصول، برع في الطب حتى صار أعلم أهل عصره به، وصنف فيه عدة مصنفات منها: «الشامل»، «الموجز»، «شرح =

تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص^(١). ورده صاحب «الفلك الدائر»^(٢)؛ بأنه لم يقل به أحد^(٣). وهو ممنوع، فقد صرح السكاكي وغيره؛ بأن تقديم ما رتبته التأخير يفيد^(٤). ومثله بنحو تميمي أنا^(٥). وإفادة الاختصاص من تقديم المسند واضحة ظاهرة.

التاسع: ذكر المسند إليه، ذكر السكاكي أنه قد يذكر ليفيد التخصيص^(٦).

= الكليات»، «طريق الفصاحة»، (ت ٦٨٧هـ) وقيل: (٦٨٩هـ). طبقات الشافعية للسبكي: ٥/ ١٢٩، شذرات الذهب: ٤٠١/٥ - ٤٠٢، كشف الظنون: ١٠٢٤، ١١١٤.

(١) انظر: الجامع الكبير لابن الأثير: ١٠٩ وفيه قال: وأما تقديم خبر المبتدأ عليه فإنه لا يعتمد إليه إلا لضرب من الاختصاص، كقولك: زيد قائم، قائم زيد. وانظر: التلخيص وشروحه: ١٠٩/٢ - ١١٠، الإيضاح: ١٩٣ - ١٩٤، ٢١٧.

وأما كلام ابن النفيس فانظره في الإتيان: ١٥٥/٣، معترك الأقران: ١٨٨/١، لأنني لم أجده.

(٢) هو: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين المدائني، المعتزلي، الشيعي، الفقيه الشاعر، بارع في علم الكلام على مذهب المعتزلة، أديب جيد في الشر والشعر، خدم في الدواوين السلطانية، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي الذي أدخله داره أثناء هجوم هولاءكو على بغداد فلم يقتل هو وأخوه أحمد. ثم وكل إليهما الإشراف على خزائن الكتب ببغداد. من مؤلفاته: «شرح نهج البلاغة»، «الفلك الدائر» وغيرهما. ولد (٥٨٦هـ)، (ت ٦٥٦هـ).

فوات الوفيات: ٢٤٨/١، البداية والنهاية: ١٩٩/٣، وفيات الأعيان: ٣٩١/٥ - ٣٩٢، ترجمة عارضة.

(٣) انظر ذلك في: الفلك الدائر: ١٣٢ - ١٣٣ حيث أورد كلام ابن الأثير ثم رد عليه بقوله: إنا لا نعرف ذاهبا ذهب إلى أن قولنا؛ قائم زيد يقتضي اختصاص زيد بالقيام دون غيره من الناس. وقال أيضاً: فأما تقديم خبر المبتدأ عليه مع بقائه على التنكير فإنه لا يعرف ذاهب ذهب إلى أنه يقتضي الاختصاص...».

(٤) أي: يفيد الاختصاص.

(٥) قال السكاكي في معرض كلامه عن الحالات التي تقتضي تقديم المسند: ... أو أن يكون المراد تخصيصه بالمسند إليه، كقوله تعالى: ﴿لَا دِينَكَ وَلَا دِينَ الْكَاثِرِينَ﴾ [الكافرون: ٦] وقولك لمن يقول: زيد أما قائم وإما قاعد، فردده بين القيام والقعود من غير أن يخصه بأحدهما قائم هو، وقولهم: تميمي أنا، وارد على هذا. مفتاح العلوم: ١٠٥.

وانظر كذلك: التلخيص وشروحه: ١٠٩/٢ - ١١٠، ٢٠٢، الإيضاح للقرظيني: ١٩٣ - ١٩٤، الإيضاح شرح المفصل: ١٩٠/١ - ١٩١.

(٦) انظر ذلك في: مفتاح العلوم: ٨٥ حيث قال: وأما لكون الخبر عام بالنسبة إلى كل

وتعقبه صاحب «الإيضاح»^(١). وصرح الزمخشري: بأنه أفاد الاختصاص في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ في سورة (الرعد) [٢٦]، وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]^(٢) وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]^(٣).

ويحتمل أنه^(٥) أراد أن تقديمه^(٦) أفاده^(٧)، فيكون من أمثلة السابع^(٨).

أقول^(٩): هو في غاية السقوط، إذ الأصل في الكلام أن يكون المبتدأ مقدم، والآخر مؤخر، فيلزم عليه أن كل من أسند شيئاً إلى شيء أنه أراد الاختصاص، وأن المسند مخصوص بالمسند إليه دون غيره.

فإن قيل^(١٠): إن ذلك يكون في بعض المواضع، قلنا: إن كان الاختصاص فهم من خارج فلا بأس، وليس هو المقصود؛ إنما القصد أن التركيب هو الذي أفهم هذا المراد والواقع أنه ليس كذلك.

العاشر: تعريف الجزأين، ذكر الإمام فخر الدين في «نهاية الإيجاز» أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة، نحو المنطلق زيد^(١١). ومنه في القرآن فيما ذكر

= مسند إليه، والمراد تخصيصه بمعين، كقولك: زيد جاء، وعمرو ذهب، وخالد في الدار...

(١) انظر: الإيضاح: ١١٢ وفيه قال القزويني، بعد أن ذكر كلام السكاكي السابق: وفيه نظر؛ لأنه إن قامت قرينة تدل عليه أن حذف، فعموم الخبر وإرادة تخصيصه بمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره، وإلا فيكون ذكره واجباً.

(٢) انظر: الكشف: ٥٢٧/٢.

(٣) انظر: المرجع السابق: ١٢٣/٤.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٥٢٢/٣.

(٥) أي: الزمخشري.

(٦) أي: تقديم المسند إليه.

(٧) أي: أفاد الاختصاص في الآيات الثلاث التي مثل بها.

(٨) أي: الطريق السابع من طريق القصر أو الحصر. انظر: ١٣٤٨ فيما سبق من هذا

النوع.

(٩) أي: المؤلف ابن عقيلة.

(١٠) في الأصل وفي (ح): «قلنا» وما أثبتته أولى بالسياق.

(١١) انظر: نهاية الإيجاز: ١٦٠.

الزملكاني^(١) في «أسرار التنزيل»: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]، قال^(٢): إنه يفيد الحصر، كما في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي «الحمد لله» لا غيره^(٣).
الحادي عشر: نحو جاء زيد نفسه، نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر^(٤).

الثاني عشر: إن زيداً لقائم، نقله المذكور أيضاً^(٥).
الثالث عشر: نحو «قائم» في جواب زيد إما قائم أو قاعد. ذكره الطيبي في شرح «التبيان»^(٦).

الرابع عشر: قلب بعض حروف الكلمة؛ فإنه يفيد الحصر على ما نقله في الكشف في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]، قال^(٧): القلب للاختصاص بالنسبة إلى لفظ «الطاغوت»، لأن وزنه على قول «فعلوت» من الطغيان، كملكوت ورحموت، قلب بتقديم اللام على العين، فوزنه «فعلوت» ففيه مبالغات التسمية بالمصدر، والبناء بناء مبالغة، والقلب وهو للاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان^(٨).

(١) هو: محمد بن علي بن عبد الواحد، الأنصاري، كمال الدين المعروف بابن الزملكاني، الدمشقي الشافعي، انتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره. سمع من جماعة كثيرين منهم: صفي الدين الهندي، وبدر الدين بن مالك. ولي القضاء في حلب ثم طلب للقضاء في مصر فانتقل إليها. من مصنفاته: «التعليقات على المنهاج للنووي»، «الطلاق والزياره» رد فيه على ابن تيمية. وغير ذلك ولد (٦٦٧هـ)، (ت ٧٢٧هـ).
طبقات الشافعية للسبكي: ٢٥١/٥ - ٢٥٩، البداية والنهاية: ١٣١/١٤، الدرر الكامنة: ٣٢٨/٥ - ٣٣١.

(٢) أي: الزملكاني.

(٣) لم أجد كتاب «أسرار التنزيل».

وانظر كلام الزملكاني بنصه في: معترك الأقران: ١٨٨/١، الإتيان: ١٥٥/٣.

(٤)(٥) انظر ذلك في: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ١٩٩/٢.

(٦) لم أقف عليه وقد حكاه عنه البهاء السبكي في عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢٠٠/٢ حيث قال: ومنه نحو قولك: «قائم» في جواب: زيد إما قائم أو قاعد. وكذلك ذكره السيوطي بنصه في الإتيان: ١٥٥/٣، معترك الأقران: ١٨٩/١.

(٧) أي: الزمخشري.

(٨) انظر: الكشف: ١٢٠/٤ ونص كلامه: «الطاغوت» فعلوت، من الطغيان، كالملكوت والرحموت، إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام على العين، أطلقت على الشيطان، أو =

تنبيه (١):

كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً^(٢)؛ ولهذا قيل في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] معناه: نخصك بالعبادة والاستعانة^(٣). وفي قوله: ﴿لِإِلَهِ اللَّهِ تُخَشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨] معناه: إليه لا إلى غيره. وفي قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: ١٤٣]،

= الشياطين لكونها مصدرًا، وفيها مبالغات: وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان. وأن البناء بناء مبالغة؛ فإن الرحموت: الرحمة الواسعة، والملكوت: الملك المبسوط، والقلب: وهو للاختصاص، إذ لا تطلق على غير الشيطان.

ثم يقول: والمراد بها هاهنا: الجمع، وقرئ: «الطواغيت» أ.هـ.

وقال ابن المنير في «الانتصاف» وفي تسمية الشيطان طاغوتاً وجوهاً ثلاثة من المبالغة: أحدها: تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان.

الثاني: بناؤه على «فعلوت» وهي صيغة مبالغة كالرحموت. وهي الرحمة الواسعة، والملكوت وشبهه.

الثالث: تقديم لأمه على عينه ليفيد اختصاص الشيطان بهذه التسمية.

الكشاف: ٣/٣٤٢ - ٣٤٣.

(١) هذا التنبيه نقله المؤلف بنصه كاملاً من الإتيان: ٣/١٥٦ وما بعدها، معترك الأقران: ١/١٨٩ وما بعدها.

(٢) قال السكاكي: والتخصيص لازم للتقديم، ولذلك تسمع أئمة علم المعاني في معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقولون: نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة منك لا نستعين أحداً سواك...».

المفتاح: ١١٢.

وقال القزويني: والتخصيص لازم للتقديم غالباً، ولهذا يقال في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ معناه: نخصك بالعبادة والاستعانة. التلخيص: ١٣٤، الإيضاح: ٢٠٥. وانظر: شروح التلخيص: ٢/١٥٠ - ١٥٣. وقال الزركشي في «البرهان»: ... والذي عليه محققوا البيانين أن ذلك غالب، لا لازم، بدليل قوله تعالى: ﴿كَلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٨٤]. [٢٣٧/٣].

وانظر ذلك في: المثل السائر: ٢/٢٣٩ - ٢٤٠، عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢/١٥٠ - ١٥١.

(٣) قال ابن كثير: وقدم المفعول وهو «إياك» وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين...». تفسير ابن كثير: ١/٢٧.

أخرت^(١) الصلة في الشهادة الأولى، وقدمت في الثانية؛ لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم؛ وفي الثاني إثبات اختصاصهم بشهادة النبي ﷺ.

وخالف في ذلك ابن الحاجب؛ فقال في «شرح المفصل»: الاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم، واستدل على ذلك بقوله/ تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] ثم قال^(٢): ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ [الزمر: ٦٦]. ورد هذا الاستدلال بأن «مخلصاً له الدين» أغنى عن إرادة الحصر في الآية الأولى،/ ولو لم يكن، فما المانع من ذكر المحصور في محل بغير صيغة^(٣) الحصر، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال: ﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]؛ بل قوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ [الزمر: ٦٦] من أقوى أدلة الاختصاص؛ فإن قبلها ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. فلو لم يكن للاختصاص وكان معناها «اعبد الله» لما حصل الإضراب الذي هو معنى «بل»^(٤).

واعترض أبو حيان على مدعي الاختصاص بنحو قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ عِبْدَ آيَّتِهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]^(٥).

وأجيب: بأنه لما كان من أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله، كان أمرهم بالشرك كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة^(٦).

ورد صاحب الفلك الدائر الاختصاص بقوله تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا

(١) انظر ذلك في: مفتاح العلوم للسكاكي: ١١٢، التلخيص وشروحه: ١٥٠/٢ - ١٥٣، الإيضاح للقزويني: ٢٠٥ - ٢٠٧، عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢/ ١٥١. وانظر: «الكشاف» للزمخشري حيث قال فيه: «فإن قلت: لم أخرت صلة الشهادة أولاً وقدمت آخراً، قلت: لأن الغرض الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول ﷺ، شهيداً عليهم: ٩٩/١.

(٢) انظر: الإيضاح شرح المفصل: ٤٧/١.

(٣) في الأصل وفي (ح): «صفة» وما أثبتته أنسب للسياق.

(٤) انظر: عروس الأفراح، ضمن شرح التلخيص: ١٥٢٢ - ١٥٣ للبهاء السبكي، حيث أورد كلام ابن الحاجب ورد عليه بما ذكره المؤلف.

(٥) انظر إعتراضه في البحر المحيط: ٤٣٨/٧ - ٤٣٩.

(٦) انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ١٥٢/٢ حيث رد عليه البهاء

السبكي بعد أن أورد إعتراضه.

هَدَيْتَنَا مِنْ قَبْلُ ﴿ [الأنعام: ٨٤]، وهو أقوى ما رُدَّ به (١).

وأجيب: بأنه لا يدعي فيه اللزوم بل الغلبة، وقد يخرج الشيء عن الغالب (٢).

قال الشيخ بهاء الدين: وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿أَعْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا فَتْرَكُونُ ﴿٤٢﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١]، فإن التقديم في الأول قطعاً ليس للاختصاص، وفي «إياه» قطعاً للاختصاص (٣).

وقال والده الشيخ تقي الدين في كتاب: «الافتقار في الفرق بين الحصر والاختصاص»: اشتهر كلام الناس في أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول: إنما يفيد الاهتمام. وقد قال سيبويه في كتابه: وهم يقدمون ما هم به أعنى.

والبيان على إفادته الاختصاص، ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر، وليس كذلك، وإنما الاختصاص شيء، والحصر شيء آخر، والفضلاء لم يذكروا في ذلك لفظة الحصر؛ وإنما عبروا بالاختصاص؛ والفرق بينهما: أن الحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور، والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه، وبيان ذلك: أن الاختصاص افتعال من الخصوص، والخصوص مركب من شيئين: أحدهما: [عام] (٤) مشترك بين شيئين.

(١) انظر: الفلك الدائر: ٢٢٨ - ٢٣٠ ومما قال فيه: وبدل على فساد هذا الكلام قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْتَنَا وَنُوحًا هَدَيْتَنَا مِنْ قَبْلُ...﴾، فإن ذلك لا يدل على اختصاص إسحاق ويعقوب الهداية، لأنه قد هدى غيره ممن كان في زمانه. ثم قال حول الاستدلال بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ اللَّهُ فَاَعْبُدْ﴾ [الزمر: ٦٦] على الاختصاص.

أقول: إن الاختصاص ما استفيد في هذه الآية من مجرد تقديم المفعول بل من القرينة.

(٢) قال ذلك بهاء الدين السبكي في: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢/ ١٥٣. وانظر: البرهان: ٢٣٧/٣ - ٢٣٨ حيث قال الزركشي فيه: ... والذي عليه محققو البيانين أن ذلك غالب لا لازم، وأنت إذا علمت أنهم ذكروا في ذلك قيد الغلبة سهل الأمر...».

(٣) انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ١٥٤/٢.

(٤) ليست في الأصل وفي (ح) وصوته من مصادره. انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ١٥٤/٢، الإتقان: ١٥٧/٣، معترك الأقران: ١٩١/١.

والثاني: معنى منضم إليه يفصله عن غيره، كضرب زيد، فإنه أخص من مطلق الضرب، فإذا قلت: ضربت زيدا، أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص، فصار ذلك الضرب المخبر به خاصاً لما انضم إليه منك ومن زيد.

وهذه المعاني الثلاثة - أعني مطلق الضرب، وكونه واقعاً منك، وكونه واقعاً على زيد - قد يكون قصد المتكلم بها ثلاثتها على السواء. وقد يترجح قصده لبعضها على بعض، ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه، فإن الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به، وأنه هو الأرجح في غرض المتكلم؛ فإذا قلت: زيدا ضربت؛ علم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود.

ولا شك أن كل مركب من خاص وعام له جهتان، فقد يقصد من جهة عمومه، وقد يقصد من جهة خصوصه، والثاني هو الاختصاص، وأنه هو الأهم عند المتكلم، وهو الذي قصد إفادة السامع من غير تعرض ولا قصد لغيره بإثبات ولا نفي، ففي الحصر معنى زائد عليه، وهو نفي ما عدا المذكور. وإنما جاء هذا في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، للعلم بأن قائله لا يعبدون غير الله تعالى؛ ولذا لم يطرد في بقية الآيات، فإن قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، لو جعل في معنى: ما يبغون إلا غير دين الله، وهمزة الإنكار داخله عليه، لزم أن يكون المنكر الحصر، لا مجرد بغيتهم غير دين الله، وليس المراد. وكذلك: ﴿إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصفات: ٨٦]، المنكر إرادتهم ألهاً دون الله من غير حصر^(١).

وقد قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]: في تقديم «الآخرة» وبناء «يوقنون» على «هم» تعريض بأهل الكتاب وما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة، على خلاف حقيقته، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك^(٢).

وهذا الذي قاله الزمخشري في غاية/ الحسن^(٣)، وقد اعترض عليه بعضهم [٢٥٣ب/هـ]

(١) انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ١٥٥/٢ - ١٥٧.

(٢) الكشف: ٤٢/١.

(٣) هذا تعليق بهاء الدين السبكي على كلام الزمخشري. انظر: عروس الأفراح ضمن

شرح التلخيص: ١٥٧/٢.

فقال: تقديم «الآخرة» أفاد أن إيقانهم مقصور على أنه إيقان بالآخرة لا غيرها^(١)، وهذا الاعتراض من قائله مبني على ما فهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر، وليس كذلك^(٢)؛ ثم قال المعترض: وتقديم «هم» أفاد أن هذا القصر مختص بهم، فيكون إيقان غيرهم بالآخرة إيماناً بغيرها حيث قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ﴾ [البقرة: ٨٠]. وهذا منه أيضاً استمرار على ما في ذهنه من الحصر، أي أن المسلمين لا يوقنون إلا بالآخرة، وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها.

[وهذا]^(٣) فهم عجيب ألجأه [إليه]^(٤) فهمه الحصر، وهو ممنوع. وعلى تقدير تسليمه فالحصر على ثلاثة أقسام:

أحدها: «بما» و«إلا»، كقولك: ما قام إلا زيد، صريح في نفي القيام عن غير زيد، ويقتضي إثبات القيام لزيد، قيل: بالمنطوق، وقيل: بالمفهوم وهو الصحيح، لكنه أقوى المفاهيم؛ لأن «إلا» موضوعة للاستثناء، وهو الإخراج، بدلالتها على الإخراج بالمنطوق لا بالمفهوم، ولكن الإخراج من عدم القيام ليس هو غير القيام، بل قد يستلزمه، فلذلك رجحنا أنه بالمفهوم، والتبس على بعض الناس لذلك فقال: إنه بالمنطوق.

والثاني: الحصر بـ«إنما» وهو قريب من الأول فيما نحن فيه، وإن كان جانب الإثبات فيه أظهر، فكأنه يفيد إثبات قيام زيد، إذا قلت: إنما قام زيد، بالمنطوق، ونفيه عن غيره بالمفهوم.

الثالث: الحصر الذي/ قد يفيد التقديم؛ وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين الأولين، بل هو في قوة جملتين:

إحدهما: ما صدر به الحكم نفياً كان وإثباتاً، وهو المنطوق، والأخرى: ما فهم من التقديم، والحصر يقتضي نفي المنطوق فقط، دون ما دل عليه من المفهوم - لأن المفهوم^(٥) - لا مفهوم له؛ فإذا قلت: أنا لا أكرم إلا إياك، أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره، ولا يلزم أنك لا تكرمه، وقد قال تعالى:

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣)(٤) مثبتان من (ح).

(٥) من (ح).

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣]، أفاد أن العفيف قد ينكح غير الزانية، وهو ساكت عن نكاحه الزانية، فقال ﷺ بعده: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣] بيانياً لما سكت عنه في الأولى. فلو قال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، أفاد بمنطوقه إيقانهم بها، ومفهومه عند من يزعم أنهم لا يوقنون بغيرها.

وليس ذلك مقصوداً بالذات، والمقصود بالذات قوة إيقانهم بالآخرة حتى صار غيرها عندهم كالدحوض، فهو حصر مجازي، وهو دون قولنا: يوقنون بالآخرة لا بغيرها، فاضبط هذا وإياك أن تجعل تقديره: لا يوقنون إلا بالآخرة.

إذا عرفت هذا فتقديم «هم» أفاد أن غيرهم ليس كذلك؛ فلو جعلنا التقدير: لا يوقنون إلا بالآخرة، كان المقصود المهم النفي، فيتسلط المفهوم عليه، فيكون المعنى إفادة أن غيرهم يوقن بغيرها؛ كما زعم المعترض، ويطرح أفهام أنه لا يوقن بالآخرة. ولا شك أن هذا ليس بمراد، بل المراد إفهام أن غيرهم لا يوقن بالآخرة؛ فلذلك حافظنا على أن الغرض الأعظم إثبات الإيقان بالآخرة، ليتسلط المفهوم عليه، وأن المفهوم لا يتسلط على الحصر، لأن الحصر لم يدع عليه بجملة واحدة، مثل «ما» و«إلا» ومثل «إنما»، وإنما دل عليه بمفهوم مستفاد من منطوق، وليس أحدهما متقيداً بالآخر؛ حتى نقول: إن المفهوم أفاد نفي الإيقان المحصور، بل أفاد [نفي]^(١) الإيقان مطلقاً عن غيرهم؛ وعلى هذا كله على تقدير تسليم الحصر، ونحن نمنع ذلك، ونقول: إنه اختصاص، وأن بينهما فرقاً. انتهى كلام السبكي^(٢).

(١) ساقطة من الأصل، وأثبتها من (ح).

(٢) انظر: كلام السبكي كاملاً في عروس الأفراح، ضمن شرح التلخيص: ١٥٤/٢ - ١٥٩. وانظره كذلك، وانظر هذا النوع كاملاً بنصه في: معترك الأقران: ١٨١/١ - ١٩٤، الإيقان: ١٤٩/٣ - ١٦٠.

النوع السادس عشر بعد المائة

علم خبره وإنشائه



النوع السادس عشر بعد المائة

علم خبره وإنشائه^(١)

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - اعلم أن الحدائق^(٢) من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما، وأنه ليس له قسم ثالث^(٣). وادعى قوم أن أقسام الكلام عشرة: نداء ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام^(٤).
وقيل: تسعة، بإسقاط الاستفهام لدخوله في المسألة.
وقيل: ثمانية، بإسقاط التشفع/ لدخوله فيها.
[وقيل]^(٥): سبعة بإسقاط الشك لأنه من قسم الخبر^(٦).

[١٣٥٣/هـ]

(١) ذكره السيوطي في الإتقان في النوع السابع والخمسين بعنوان: في الخبر والإنشاء. انظر: ٢٢٥/٣.

وذكره أيضاً في معترك الأقران في إعجاز القرآن حيث قال: الوجه الثامن والعشرون من وجوه إعجازه احتواءه على الخبر والإنشاء. انظر: ٤٢٠/١. وأشار إلى ذلك الزركشي في البرهان في النوع الخامس والأربعون، بعنوان: في أقسام الكلام. انظر: ٣١٦/٢.
(٢) في الأصل وفي (ح): «الخلاف» وما أثبتته أنسب للسياق.

(٣) الإتقان: ٢٢٥/٣، معترك الأقران: ٤٢٠/١. وانظر: المفتاح: ٧٨ حيث قال السكاكي فيه: ... والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيثان: الخبر، والطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة، التمني، الأمر، النداء، الاستفهام، النهي وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل.

وانظر أيضاً: التلخيص: ٣٨، شروح التلخيص: ١٦٣/١، الإيضاح: ٨٥.

(٤) البرهان: ٣١٦/٢، الإتقان: ٢٢٥/٣، معترك الأقران: ٤٢٠/١.

وكذلك انظر: الصاحبي: ٢٨٩ - ٢٩١ حيث ذكر ابن فارس أن معاني الكلام عند بعض أهل العلم عشرة: هي خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب وعرض، وتحضيض، وتمن، وتعجب. ثم عرف الخبر بعد ذلك، ومثل لكل واحد من المعاني العشرة المذكورة.
(٥) ما بين المعقوفتين مثبت من (ح).

(٦) انظر هذه الأقوال بنصها في: البرهان: ٣١٦/٢، الإتقان: ٢٢٥/٣.

وقال الأخفش^(١): هي ستة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ونداء، وتمن^(٢).

وقال بعضهم: خمسة: خبر، وأمر، وتصريح، وطلب، ونداء^(٣).

وقال قوم: أربعة: خبر، واستخبار، وطلب، ونداء^(٤).

وقال كثيرون: ثلاثة، خبر، وطلب، وإنشاء؛ قالوا: لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب أو لا، الأول الخبر، والثاني إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأخر عنه، فهو الطلب^(٥).

والمحققون: على دخول الطلب في الإنشاء، وأن معنى «اضرب» مثلاً وهو طلب الضرب مقترن بلفظه، وأما الضرب الذي يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه^(٦).

وقد اختلف الناس في حد الخبر. فقيل: لا يحد لعسره^(٧). وقيل: لأنه ضروري؛ لأن الإنسان يفرق بين الإنشاء والخبر ضرورة^(٨)، ورجحه الإمام

(١) هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي، الأخفش، مولى بني مجاشع بن دارم، من أهل بلخ، سكن البصرة. قرأ النحو على سيبويه، وكان أسن منه، ولم يأخذ عن الخليل، كان معتزلياً، وله رواية. من تصانيفه: «الأوسط»، «معاني القرآن»، (ت ٢١٥هـ) وقيل: (٢٠٧هـ). وقيل: (٢١٠). وقيل: (٢٢١هـ).

إنباه الرواة: ٣٦/٢ - ٤٣، أخبار النحويين البصريين: ٦٦ - ٦٧، معجم الأدباء: ١١/٢٢٤، طبقات الزبيدي: ٧٢ - ٧٤، البلغة: ١٠٤ - ١٠٥، بغية الوعاة: ١/٥٩٠ - ٥٩١.

(٢) لم أجد كلام الأخفش فيما اطلعت عليه من كتبه، فانظره بنصه في: البرهان: ٢/٣١٦، الإتيقان: ٢٢٥/٣.

(٣) انظر ذلك في: البرهان: ٢/٣١٦، الإتيقان: ٢٢٥/٣.

(٤) انظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١/١٧٣ إلا أنه قال: وطلب، وإنشاء، بدلاً عن النداء، والإتيقان: ٢٢٥/٣.

(٥) الإتيقان: ٢٢٥/٣. وانظر: شروح شذور الذهب لابن هشام: ٣١ - ٣٢.

(٦) معترك الأقران: ١/٤٢٠، الإتيقان: ٢٢٥/٣. وانظر: شرح شذور الذهب: ٣٢.

(٧) انظر ذلك في: فواتح الرحموت: ٢/١٠٠، حيث نسب هذا القول إلى الغزالي. وانظر أيضاً: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١/١٧٤ حيث ذكر ذلك السبكي وأجاب عنه. وكذلك انظر: إرشاد الفحول للشوكاني: ٤٣. وانظر هذا القول والذي بعده في: شرح الكوكب المنير: ٢/٢٩٥.

(٨) ذكر ذلك صاحب فواتح الرحموت: ٢/١٠٠ وأشار إلى أنه قول الأكثرين.

في: المحصول^(١). والأكثر على حده. فقال القاضي أبو بكر، والمعتزلة:
الخبر: الكلام الذي يدخله الصدق والكذب. فأورد عليه خبر الله تعالى؛ فإنه
لا يكون إلا صادقاً؛ فأجاب القاضي: بأنه يصح دخوله لغة^(٢).

وقيل: الذي يدخله التصديق أو التكذيب. وهو سالم من الإيراد
المذكور^(٣).

وقال أبو الحسين البصري^(٤): كلام يفيد بنفسه.....

(١) حيث قال بعد ما ذكر في حده أموراً ثلاثة وناقشها: وإذا بطلت هذه التعريفات
- فالحق عندنا -: أن تصور ماهية الخبر غنى عن الحد والرسم ثم استدل على ذلك بدليلين
انظرهما وغيرهما بالتفصيل في: المحصول: ٢/ق ١/٣١٤ - ٣١٥.

وقد أجيّب عن هذا القول الذي رجحه الرازي: بأن الحصول غير التصور. ذكر ذلك
السبكي بهاء الدين في عروس الأفراح ثم قال: ولنا في هذين الوجهين مباحث ذكرناها في
شرح المختصر. انظر ذلك في شروح التلخيص: ١/١٧٤. وانظر في الإجابة عما ذكره
الرازي كلام الشوكاني في إرشاد الفحول: ٤٣. وانظر كذلك: الأحكام للآمدي: ٤/٢ وما
بعدها.

(٢) انظر ذلك في: المعتمد: ١/٧٤ - ٧٥، المحصول: ٢/ق ١/٣٠٧ وما بعدها حيث
حكى الرازي هذا القول عن القاضي والمعتزلة واعترض عليه وناقش ورد على أصحابه.
وكذلك فعل صاحب فواتح الرحموت: ٢/١٠٢ والآمدي في الأحكام: ٦/٢ وما بعدها،
والشوكاني في إرشاد الفحول: ٤٢ - ٤٣، والسبكي بهاء الدين في عروس الأفراح ضمن
شروح التلخيص: ١/١٧٤، والسكاكي في المفتاح: ٧٨.

(٣) انظر: الفروق للقرافي: ١/١٨ واختاره، والمستصفي للغزالي: ١/١٣٢ واختاره
أيضاً. وانظر: المفتاح للسكاكي: ٧٨ حيث قال بعد إيراده لهذا التعريف: إن صاحب هذا
الحد لم يزد على أن وسع الدائرة. وانظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١/
١٧٤، حيث رد على السكاكي في اعتراضه السابق على حد الخبر بقوله: قلت: بل زاد،
لأنه سلم عن السؤال الأول.

وانظر كذلك هذا التعريف في: المحصول: ٢/ق ١/٣١١، الأحكام للآمدي: ٨/٢،
فواتح الرحموت: ٢/١٠٢ - ١٠٣، إرشاد الفحول: ٤٢ - ٤٣ حيث أورده أصحاب هذه
التصانيف وناقشوه بالتفصيل واعترضوا عليه.

(٤) في الأصل وفي (ح): «أبو الحسن» وصوبته من مصادره.

وهو: أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، شيخ المعتزلة، صنّفه الحاكم أبو
السعد الجشمي في الطبقة الثانية عشرة من المعتزلة. اتفقت عبارات المؤرخين على ذكائه
وبراعته العلمية. قرأ على هلال بن محمد بن أخي هلال الرأي بالبصرة. وعنه عبد الله بن
عدي الجرجاني. له تصانيف في الأصول منها: «المعتمد» طبع في مجلدين. ومن هذا =

نسبة^(١). فأورد عليه نحو: يقوم؛ فإنه^(٢) يدخل في الحد؛ لأن القيام منسوب،
[والصلب منسوب]^(٣).

وقيل: الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر [من الأمور]^(٤) إلى أمر من الأمور
نفيًا؛ أو إثباتًا^(٥).

وقيل: القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي [أو]^(٦)
بالإثبات^(٧). وقال بعض المتأخرين: الإنشاء.....

= الكتاب أخذ الرازي كتابه «المحصول». ومنها: «شروح الأصول الخمسة» وكتاب في
«الإمامة وأصول الدين»، «غرر الأدلة» وغيرها، (ت ٤٣٦هـ).

تاريخ بغداد: ١٠١/٣، شذرات الذهب: ٢٥٩/٣، الوفيات: ٢٧١/٤. لم أقف على
هذا القول في المعتمد، لأبي الحسين البصري، وإنما نص كلامه هو ما عبر عنه المؤلف،
بعد ذلك بقوله: وقيل.. فلعله وهم في ذلك فقدم وأخر.

(١) انظر ذلك في: فواتح الرحموت ضمن المستصفي للغزالي: ١٠٣/٢، تيسير التحرير:
٢٤/٣، شرح الكوكب المنير: ٢٩٣/٢، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٧٤/١.

(٢) في الأصل: «بأنه». وما أثبتته من (ح) لأنه أنسب للسياق.

(٣) اسقط من الأصل. وأثبتته من (ح). وهذا الاعتراض أورده صاحب تفسير التحرير
وناقشه ورد عليه. انظر: ٢٤/٣ - ٢٥. ومثله فعل صاحب فواتح الرحموت: ١٠٣/٢.
وانظر كذلك: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٧٤/١.

(٤) ساقط من الأصل. وأثبتته من (ح).

(٥) هذا نص تعريف أبي الحسين البصري للخبر في كتابه المعتمد في أصول الفقه: ٢/
٧٥. وقد أورده بهذه النص الأمدي في الأحكام: ٩/٢ منسوباً إلى أبي الحسين البصري،
ثم ناقشه واعتراض عليه.

كما أورده الرازي أيضاً بنصه هذا منسوباً إلى أبي الحسين البصري ثم ناقشه واعتراض
عليه، ورده. انظر ذلك في: المحصول: ٢/ق ٣٠٨/١ وما بعدها. وأورده الشوكاني في
إرشاد الفحول: ٤٢ ناقلاً إياه عن الرازي. ثم ناقشه بعد ذلك.

وأورده السبكي في عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٧٤/١ وبعد مناقشته إياه
قال: وهذا القريب من حد أبي الحسين.

(٦) في الأصل وفي (ح): «والإثبات» وصوبته من مصادره.

(٧) انظر: مفتاح العلوم للسكاكي: ٧٨ وقد أورد عليه نحو قولنا: ما لام يعلم بوجه من
الوجوه لا يثبت ولا ينفي؛ فإنه يلزم أن لا يكون خيراً.

ورد عليه السبكي بهاء الدين - بعد إيراده هذا التعريف وكلام السكاكي عليه - بقوله:
قلت: وجوابه أن غير المعلوم بوجه من الوجوه معلوم ببعض الوجوه، وهو ما وقع به جعله
محكوماً عليه في هذه القضية.....

ما يحصل^(١) مدلوله في الخارج بالكلام، والخبر خلافه^(٢). وقال بعض من جعل الأقسام ثلاثة: الكلام إن أفاد بالوضع طلباً، فلا يخلو: إما أن يكون [الطلب]^(٣) ذكر الماهية. أو تحصيلها، أو الكف عنها، والأول الاستفهام والثاني الأمر، والثالث النهي. وإن لم يقصد طلباً بالوضع؛ فإن لم يحتمل الصدق والكذب سمي تنبيهاً وإنشاء، لأنك نبهت به على مقصودك وأنشأته، أي ابتكرته من غير أن يكون موجوداً في الخارج؛ سواء أفاد طلباً باللازم؛ كالتمني والترجي والنداء والقسم، أم لا، وإن احتملها من حيث هو فهو الخبر^(٤).

فصل:

القصـد بالخبر إفادة المخاطب^(٥)، وقد يرد بمعنى الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیَصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]^(٦).

وبمعنى النهي، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

وبمعنى الدعاء، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي: أعنا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] فإنه دعاء عليه. وكذا قوله تعالى: ﴿قَسَمْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَنْفَ يُؤْفِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]. وجعل منه قوم: ﴿حَصِرَتْ

= انظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٧٤/١ - ١٧٥.

(١) في الأصل: «يحصل به» وما أثبتته من (ح) وهو الأنسب للسياق.

(٢) جمع الجوامع وحاشية البناي عليه: ١٠٩/٢ - ١١٠.

(٣) ساقط من الأصل، وأثبتته من (ح).

(٤) الإتيان: ٢٢٦/٣، معترك الأقران: ٤٢١/١ - ٤٢٢.

(٥) قال القزويني: لا شك أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب. أما الحكم، أو كونه عالمًا به، ويسمى الأول فائدة الخبر، والثاني لازمها. التلخيص: ٤٠ - ٤١. وانظر: التلخيص وشروحه: ١٩٢/١ وما بعدها. وانظر: الإيضاح: ٩١، البرهان: ٣١٧/٢، الإتيان: ٢٢٦/٣، معترك الأقران: ٤٢٢/١.

(٦) انظر: البرهان: ٣٢٠/٢، الإتيان: ٢٢٦/٣، معترك الأقران: ٤٢٢/١.

صُدُّوهُمْ ﴿النساء: ٩٠﴾ قالوا: هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد^(١).

ونازع ابن العربي في قولهم: أن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهي، فقال في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] ليس نفيًا لوجود الرفث، بل نفي لمشروعيته، فإن الرفث يوجد من بعض الناس، وأخبار الله تعالى لا يجوز أن يقع بخلاف مخبره؛ وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعاً لا إلى وجوده محسوساً، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]؛ ومعناه مشروعاً لا محسوساً، فإننا نجد مطلقات لا يتربصن، فأعاد النفي إلى الحكم الشرعي لا إلى الوجود الحسي. وكذا قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، أي لا يمسه أحد منهم شرعاً، فإن وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع، قال: وهذه الدقيقة^(٢) التي فاتت العلماء فقالوا: إن الخبر يكون بمعنى النهي، وما وجد ذلك قط، ولا يصح أن يوجد، فإنهما مختلفان حقيقة، ويتباينان^(٣) وضعاً^(٤).

فروع:

من أقسامه^(٥) على الأصح التعجب، قال ابن فارس: وهو تفضيل الشيء على أضرابه^(٦). وقال ابن الضائع^(٧): استعظام / صفة خرج بها المتعجب منه [٥٤٣/ب/٥].

(١) الإتيان: ٢٢٧/٣، معترك الأقران: ٤٢٢/١.

(٢) في الأصل وفي (ح): «الدفينة» وصوبتها من المصادر.

(٣) كذا في الأصل وفي (ح) وفي (أحكام القرآن): وتضادان وضعا. وفي بعض

النسخ: وصفا.

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١٣٤/١.

(٥) أي: الخبر.

(٦) انظر: الصاحبي: ١٥٨ ونص كلامه: هو تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره

على أضرابه بوصف.

(٧) هو: علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي، الإشبيلي الأندلسي، أبو الحسن، المعروف بابن الضائع، إمام في العربية، والكلام، والنحو، لازم الشلوبيين وفاق أصحابه بأسرهم، ردّ علي ابن عصفور معظم اختياراته. من مصنفاته: «شرح كتاب سيويه»، «شرح الجمل» للزجاجي وغيرهما، (ت ٦٨٠هـ). بغية الوعاة: ٢/٢٠٤، البلغة: ١٥٩ - ١٦٠، هدية العارفين: ٧١٣/١.

عن نظائره^(١).

وقال الزمخشري: معنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله^(٢).

وقال الرماني^(٣): المطلوب في التعجب الإبهام؛ لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه؛ فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن. قال: وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفي سببه، والصيغة الدالة عليه تسمى تعجباً مجازاً. قال: ومن أجل الإبهام لم تعمل «نعم» إلا في الجنس من أجل التفخيم؛ ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر^(٤).

ثم قد وضعوا للتعجب صيغاً من لفظه، وهي «ما أفعل»، و«أفعل به»، وصيغاً من غير لفظه، نحو «كبر» كقوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٣] و«كيف» نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]^(٥).

قاعدة:

قال المحققون: إذا ورد التعجب من الله صرف إلى المخاطب، كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]؛ أي هؤلاء يجب أن يتعجب منهم^(٦)؛ وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب؛ لأنه استعظام يصحبه الجهل، وهو

(١) انظر قوله بنصه في البرهان: ٣١٧/٢، الإتيان: ٢٢٧/٣، معترك الأقران: ١/٤٢٣.

(٢) الكشف: ٥٢٣/٤.

(٣) هو: علي بن عيسى بن علي الرماني، النحوي، أبو الحسن، إمام في اللغة والنحو. أخذ عن ابن السراج، وابن دريد، وتخرج في الكلام على يد أستاذه المعتزلي ابن الأخشيد، من مصنفاته: «النكت في إعجاز القرآن»، «ألفات القرآن»، «شرح كتاب سيويه» وغيرها، ولد (٢٩٦هـ)، (٣٨٦هـ). معجم الأدياء: ٧٣/١٤، بغية الوعاة: ١٧٠/٢، إنباه الرعاة: ٢٩٤/٢، البلغة: ١٥٤.

(٤) انظر ذلك في: البرهان: ٣١٧/٢، معترك الأقران: ٤٢٣/١، الإتيان: ٢٢٨/٣.

(٥) انظر ذلك في: الإيضاح شرح المفصل لابن الحاجب: ١٠٧/٢، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢٥٠/٣، ٢٥٣. وانظر كذلك: البرهان: ٣١٧/٢ - ٣١٨، الإتيان: ٢٢٨/٣، معترك الأقران: ٤٢٤/١.

(٦) انظر: البرهان: ٣١٩/٢ وفيه نسب هذا القول إلى ابن عصفور.

تعالى منزّه عن ذلك^(١). ولهذا يعبر جماعة بالتعجب بدله، أي أنه تعجب من الله للمخاطبين. ونظير هذا مجيء الدعاء والترجي [منه]^(٢) تعالى، إنما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب، أي هؤلاء مما يجب أن يقال لهم: عندكم هذا^(٣). ولذلك قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، المعنى: اذهب على رجائكما وطمعكما^(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين: ١٠]: لا نقول هذا دعاء؛ لأن الكلام بذلك قبيح، ولكن العرب إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فكأنه قيل لهم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [١]، أي هؤلاء مما وجب هذا القول لهم؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقيل هؤلاء ممن دخل في الهلكة^(٥).

= وانظر معنى الآية في: تفسير الطبري: ٢٣١/٣ - ٢٣٤ حيث ذكر أن لأهل التأويل في معناها قولان الأول: معناها: فما أجراهم على العمل الذي يقربهم إلى النار. الثاني: فما أعملهم بأعمال أهل النار. و«ما» قيل: استفهامية، وقيل: تعجبية. وانظر: تفسير البغوي: ١٤١/١ - ١٤٢.

(١) انظر: البرهان: ٣١٨/٢ قال: وبه جزم ابن عصفور في «المقرب».

(٢) في الأصل: «الله» وما أثبتته من (ح)، لأنه أنسب للسياق.

(٣) انظر ذلك في: البرهان: ٣١٨/٢ - ٣١٩، الإتيان: ٢٢٨/٣، معترك الأقران: ١/١.

٤٢٤.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ٢١٩/٣ حيث قال عند تفسيره لهذه الآية: قيل: معناه اذهب على رجاء منكما وطمع، وقضاء الله وراء أمركما...

(٥) انظر: كتاب سيبويه: ٣٣١/١ حيث ذكر ذلك في باب من النكرة يجري مجرى ما فيه الألف واللام من المصادر والأسماء، ونص كلامه فيه هو:

... وأما قوله تعالى جده: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [١٥]، و﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [١]، فإنه لا ينبغي أن تقول: إنه دعاء ههنا؛ لأن الكلام بذلك قبيح، واللفظ به قبيح، ولكن العباد إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم، وعلى ما يعنون، فكأنه - والله أعلم - قيل لهم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [١]، و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [١٥]: أي هؤلاء من وجب هذا القول لهم، لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقيل: هؤلاء ممن دخل في الشر والهلكة، ووجب لهم هذا.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، فالعلم قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهب أنتما في رجائكما وطمعكما ومبلغكما من العلم، وليس لهما أكثر من ذا ما لم يعلما. اهـ.

فرع:

من أقسام الخبر: الوعد والوعيد، نحو قوله تعالى: ﴿سَأْرِبَهُمْ آيَاتِنَا فِي
الْأَفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣]^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَسِعَعَدُّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
[الشعراء: ٢٢٧]^(٢). وفي كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه إنشاء.

فرع:

ومن أقسام الخبر: النفي، بل هو شطر الكلام كله، والفرق بينه وبين
الجحد، أن النافي إن كان صادقاً سمي كلامه نفيًا ولا يسمى جحدًا، وإن كان
كاذبًا سمي جحدًا ونفيًا أيضًا، فكل جحد نفي، وليس كل نفي جحدًا، ذكره
أبو جعفر النحاس، وابن الشجري، وغيرهما^(٣). مثال النفي قوله تعالى: ﴿مَا
كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ومثال الجحد نفي فرعون
وقومه آيات موسى، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقْبِتْهَا أَنفُسَهُمْ﴾ [النمل: ١٣، ١٤].

وأدوات النفي: «لا» و«لات»، و«ليس»، و«ما» و«أن» و«لم»، و«لما»،
وسياتي بيان معانيها وما افرقت فيه في نوع الأدوات^(٤).

ونورد هنا فائدة زائدة، قال الخويي^(٥): أصل أدوات النفي «لا»، و«ما»؛
لأن النفي إما في الماضي وإما في المستقبل، والاستقبال أكثر من الماضي
أبدًا، ولا أخف من «ما»، فوضعوا الأخف للأكثر^(٦). ثم إن النفي في

(١) انظر: تفسير غرب القرآن لابن قتيبة: ٣٩٠.

(٢) الإتيان: ٢٢٩/٣، معترك الأقران: ٤٢٥/١. وانظر: البرهان: ٣٧٥/٢ - ٣٧٦.

(٣) انظر المراجع السابقة.

(٤) وذلك في النوع الرابع والأربعون بعد المائة.

(٥) هو: أحمد بن خليل بن سعادة، شمس الدين، أبو العباس، الخويي، الشافعي،
صاحب الفخر الرازي وتلميذه. كان فقهياً مناظراً، حسن العبارة قوى البراعة، كثير
التواضع، أستاذاً في الطب والحكمة، من مصنفاته: «تتمة تفسير القرآن» لابن خطيب الري،
«كتاب في النحو»، «وفي الأصول»، كتاب يشتمل على رموز حكمية، (ت في دمشق
٦٣٧هـ). عيون الأنبياء في طبقات الأطباء: ٦٤٦ - ٦٤٧، شذرات الذهب: ١٨٣/٥،
النجوم الزاهرة: ٣١٦/٦.

(٦) البرهان: ٣٧٨/٢، الإتيان: ٢٢٩/٣، معترك الأقران: ٤٢٥/١.

الماضي إما أن يكون نفيًا واحداً مستمراً، أو نفيًا فيه أحكام متعددة، وكذلك النفي في المستقبل. فصار النفي على أربعة أقسام، واختاروا له أربع كلمات: «ما» و«لم» و«لن» و«لا». وإما «أن» و«لما» فليسا بأصليين^(١). ف«ما» و«لا» في الماضي والمستقبل متقابلان. و«لم» كأنه مأخوذ من «لا» و«ما»؛ لأن «لم» نفي للاستقبال لفظاً، والمضي معنى، فأخذ اللام من «لا» التي هي لنفي المستقبل، والميم من «ما» التي هي لنفي الماضي، وجمع بينهما إشارة إلى أن في «لم» إشارة إلى المستقبل والماضي، وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن «لا» هي أصل النفي؛ ولهذا ينفي بها في أثناء الكلام، فيقال: لم يفعل زيد ولا عمرو. وأما «لما» فتركيب بعد تركيب، كأنه قال: «لم» و«ما» لتوكيد معنى النفي في الماضي. وتفيد الاستقبال أيضاً، ولهذا تفيد «لما» الاستمرار^(٢).

[١٣٥٤/هـ]

تنبيهات:

[الأول]: زعم بعضهم أن شرط صحة النفي عن الشيء صحة اتصاف المنفي عنه بذلك الشيء، وهو مردود بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ونظائره^(٣).

والصواب أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً. وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه^(٤).

الثاني: نفي الذات الموصوفة، قد يكون نفيًا للصفة دون الذات، وقد يكون نفيًا للذات أيضاً^(٥).

(١) كذا في الأصل وفي (ح). أما في البرهان للزركشي: ٣٧٨/٢: «بأصليين».

(٢) انظر ذلك بنصه في: البرهان: ٣٧٨/٢ - ٣٧٩، الإتيان: ٢٢٩/٣ - ٢٣٠، معترك الأقران: ٤٢٥/١ - ٤٢٦.

(٣) ملحوظة: في هذه الآيات الكريمة نفى الله ﷻ عن نفسه: الغفلة، والنسيان، والسنة، والنوم، وهي صفات نقص تنافي كماله الواجب، وهذا النفي يستلزم إثبات كمال ضد هذه الصفات المنفية، وهي: كمال الحياة والقيومية، والإحاطة بكل شيء، والعلم به.

(٤) انظر ذلك في: البرهان: ٣٧٦/٢ - ٣٧٧، الإتيان: ٢٣٠/٣، معترك الأقران: ١/٤٢٧.

(٥) انظر: البرهان: ٣٩٣/٣. وانظر المرجعين السابقين أيضاً.

من الأول قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]،
 أي بل هم جسداً يأكلونه، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ
 بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، أي: لا سؤال لهم أصلاً، فلا يحصل منهم
 إلحاف^(١).

وكذا قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، أي:
 لا شفيع لهم أصلاً، وقوله تعالى: ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [المدثر:
 ٤٨] بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]^(٢). ويسمى
 هذا النوع عند أهل البديع: نفي الشيء بإيجابه.

وعبارة ابن رشيق في تفسيره^(٣): أن يكون ظاهر إيجاب الشيء وباطنه نفيه،
 بأن ينفي ما هو من سببه كوصفه وهو المنفي في الباطن^(٤).

وعبارة غيره: أن ينفي الشيء مقيداً، والمراد نفيه مطلقاً، مبالغة في النفي
 وتأكيده له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾
 [المؤمنون: ١١٧]، فإن لا إله مع الله لا يكون إلا عن غير برهان. وقوله تعالى:
 ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ [آل عمران: ٢١] فإن قتلهم لا يكون إلا بغير
 الحق.

(١) انظر: خزانة ابن حجة: ٢٤/٢ حيث ذكر الآية وقال: فإن ظاهر الكلام نفي
 الإلحاق في المسألة، والباطن نفي المسألة البتة، وعليه إجماع المفسرين. وانظر: بديع
 القرآن لابن أبي الأصبغ: ١٥٢، شرح الكافية البديعة: ١٥٨.
 (٢) انظر المراجع السابقة.

(٣) أي: تفسير هذا النوع من أنواع البديع وهو: نفي الشيء بإيجابه، ونص عبارته:
 ... فإذا تأملته وجدت باطنه نفيًا وظاهره إيجاباً. العمدة: ٨٠/٢.

وابن رشيق هو: الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، كان شاعراً، نحويًا، لغويًا،
 أديبًا حاذقًا عروضيًا، كثير التصنيف، حسن التأليف، تأدب علي محمد بن جعفر القزاز
 النحوي، القيرواني، وغيره. من مصنفاته: «العمدة»، «الأنموذج في شعراء القيروان»،
 «الشدوذ في اللغة»، ولد (٣٩٠هـ)، (٤٥٦هـ). معجم الأدباء: ١١٠/٨ - ٢٢١، إنباه
 الرواة: ٣٣٣/١ - ٣٣٩، وفيات الأعيان: ٨٩ ٨٥/٢، بغية الوعاة: ٥٠٤/١.

(٤) وانظر: شرح الكافية البديعية للحلي: ١٥٨، بديع القرآن لابن أبي الأصبغ: ١٥٢،
 خزانة ابن حجة: ٢٤/٢ حيث عرفه بقوله: هو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه،
 وينفي ما هو من سببه مجازاً، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبتته.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢] فإنها لا عمد لها أصلاً^(١).

الثالث: قد ينفي الشيء رأساً لعدم كمال وصفه، أو انتفاء ثمرته، كقوله تعالى - في صفة أهل النار -: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]، فنفي عنه الموت لأنه ليس بموت صريح، ونفي عنه الحياة؛ لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَتَرَنَّهُمْ يُظَلُّونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]؛ فإن المعتزلة احتجوا بها على نفي الرؤية؛ وأن النظر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٣٢] لا يستلزم الإبصار. ورد بأن المعنى: أنها تنظر إليه بإقبالها عليه، وليست تبصر شيئاً. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فإنه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد القسمي، ثم نفاه آخرأ عنهم لعدم جريهم على موجب العلم. قاله السكاكي^(٣).

الرابع: قالوا: المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة^(٤)، وأشكل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فإن المنفي فيه هو الحقيقة^(٥). وأجيب: بأن المراد بالرمي هنا المترتب عليه؛ [وهو]^(٦) وصوله إلى الكفار؛ فالوارد عليه النفي هنا مجاز لا حقيقة؛ والتقدير: وما رميت خلقاً إذ رميت كسباً، أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء^(٧).

(١) الإتيان: ٢٣١/٣، معترك الأقران: ٤٢٧/١.

(٢) انظر: تفسير البغوي: ٤٧٦/٤، تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٤ - ٥٣٥. وانظر المرجعين

السابقين.

(٣) انظر: مفتاح العلوم: ٨٢.

وانظر ذلك أيضاً في: البرهان: ٣/٣٩٥ - ٣٩٦، الإتيان: ٢٣١/٣، معترك الأقران:

٤٢٧/١ - ٤٢٨.

(٤) فلا يقال للأسد: ليس بشجاع.

(٥) قال الزركشي: المنفي أولاً التأثير، والمثبت ثانياً نفس الفعل. البرهان: ٣/٣٩٦.

(٦) في الأصل: «وصوله» وما أثبتته من (ح).

(٧) الإتيان: ٢٣١/٣، معترك الأقران: ٤٢٨/١، البرهان للزركشي: ٣/٤٠٨ وفيه:

وما رميت مجازاً إذ رميت حقيقة. وانظر: المفتاح: ٨٢.

الخامس: نفي الاستطاعة، وقد يراد به نفي القدرة والإمكان، وقد يراد به نفي الامتناع، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ تَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢] - على القرائتين^(١) - أي هل يفعل، أو هل يجينا إلى أن نسأل؛ فقد علموا أن الله قادر على [الإنزال]^(٢)، وأن عيسى قادر على السؤال^(٣).
ومن الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]^(٤).

قاعدة:

نفي العام يدل على نفي الخاص، وثبوته لا يدل على ثبوته، وثبوت الخاص يدل على [ثبوت العام، ولا يدل نفيه على نفيه]^(٥). ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الإلتذاذ به، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام. فالأول كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]، لم يقل «بضوئهم» بعد قوله: «أضاءت»؛ لأن النور أعم من الضوء، إذ يقال على القليل والكثير، وإنما يقال/ الضوء على النور الكثير، ولذلك قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ففي الضوء دلالة على النور، فهو أخص منه، فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس، والقصد إزالة النور عنهم أصلاً. ولذا قال عقبه: ﴿وَوَرَّكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]^(٦).

(١) والقراءتان هما: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرأه الكسائي - بالتاء - ونصب «ربك»، وقرأ الباقون بالياء ورفع «ربك». الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٤٢٢/١ - ٤٢٣.

(٢) في الأصل: «السؤال» وما أثبتته من (ح) وهو الصواب.

(٣) انظر ذلك في: البرهان: ٤٠٧/٣، الكشف في وجوه القراءات السبع: ٤٢٢/١ - ٤٢٣.

٤٢٣، الإتيان: ٢٣١/٣ - ٢٣٢، معترك الأقران: ٤٢٨/١ - ٤٢٩.

(٤) انظر المراجع السابقة.

(٥) في الأصل: «نفيه» وما أثبتته من (ح) لاقتضاء السياق له.

(٦) البرهان: ٤٠٢/٣، الإتيان: ٢٣٢/٣، معترك الأقران: ٤٢٩/١.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، ولم يقل «ضلال»، كما قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، لأنها أعم منه؛ فكان أبلغ في نفي الضلال، وعبر عن هذا بأن نفي الواحد يلزم منه نفي الجنس ألبتة^(١)، وبأن نفي الأدنى يلزم منه نفي الأعلى^(٢).

والثاني: كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ولم يقل «طولها» لأن العرض أخص، إذ كل ماله عرض فله طول، ولا ينعكس^(٣).

ونظير هذه القاعدة أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل^(٤). وقد أشكل على هذا آيتان: قوله تعالى: ﴿وَمَا رُبُّكَ يَظْلِمُ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]^(٦).

وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة:

أحدها: أن «ظلاماً» وإن كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة «العبيد»، الذي

(١) انظر: البرهان: ٤٠٢/٣ - ٤٠٣.

(٢) قال أحمد بن المنير: ... والحق أن يقال: الضلالة أدنى من الضلال وأقل؛ لأنها لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة منه، والضلال يصلح للقليل والكثير، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، لا من جهة كونه أخص، بل من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى. الانتصاف ضمن الكشف: ٦٧/٢. أما الزخشي فقد قال: فإن قلت: لم قال: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ ولم يقل: «ضلال»، قلت: الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه أنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر؟ فقلت: ما لي تمر. الكشف: ٦٧/٢.

(٣) البرهان: ٤٠٣/٣، الإتيان: ٢٣٢/٣ - ٢٣٣، معترك الأقران: ٤٢٩/١ - ٤٣٠.

(٤) انظر المراجع السابقة.

(٥) بناءً على ما ذكر المؤلف من أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل، فإنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة - في الآية - نفي أصل الظلم؟! والواقع والصحيح فيه، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. البرهان: ٥١١/٢.

(٦) في هذه الآية النفي متوجه على الخبر وهو صيغة مبالغة، ولا يلزم من نفي المبالغة نفي أصل الفعل؛ فلا يلزم نفي أصل النسيان؟! وقد ذكر المؤلف بعض الأجوبة عن هذه الآية وسابقتها. نقلاً عن السيوطي في الإتيان: ٢٣٣/٣ - ٢٣٤، معترك الأقران: ٤٣٠/١ - ٤٣١.

هو جمع كثرة، ويرشحه أنه تعالى قال: ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩، ١١٦]،
فقابل صيغة «فعال» بالجمع، وقال في آية أخرى: ﴿عَلِّمِ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام:
٧٣]، فقابل صيغة «فاعل» الدالة على أصل الفعل الواحد^(١).

الثاني: أنه نفي الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة، لأن الذي يظلم، إنما
يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه، فلأن يترك القليل
أولى^(٢).

الثالث: أنه على النسب، أي: بذى ظلم، حكاه ابن مالك^(٣) عن
المحققين^(٤).

الرابع: أنه أتى بمعنى «فاعل» لا كثرة فيه^(٥).

الخامس: أن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيراً، كما يقال: زلة
العالم كبيرة^(٦).

(١) البرهان: ٥١٠/٢ - ٥١٢، الإتيان: ٢٣٣/٣، معترك الأقران: ٤٣٠/١.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن مالك، جمال الدين، أبو عبد الله، الطائي، الجبائي،
الشافعي، النحوي، نزيل دمشق، إمام في العربية واللغة، والقراءات وعللها، والنحو،
والصرف، طالع الكثير، وضبط الشواهد، مع ديانة وصيانة وصلاح وعفة وكمال العقل.
تخرج به جماعة كثيرة، وصنف تصانيف كثيرة، طارت في الآفاق شهرتها، منها:
«التسهيل»، «الخلاصة الألفية»، «الكافية الشافية»، «شواهد التوضيح» وغيرها، ولد
(٦٠٠هـ)، (ت ٦٧٢هـ). غاية النهاية: ١٨٠/٢ - ١٨١، نفع الطيب: ٢٥٧/٧، بغية الوعاة:
١٣٠/١ - ١٣٧، البلغة: ٢٠١.

(٤) قال ابن مالك:

ومع فاعل وفعال فعل في نسب أغنى عن الياء فقبل

أي: يستغنى غالباً في النسب عن يائه: ببناء الاسم على فاعل، وعلى فعال - في
الحرف غالباً - وقد يكون «فعال» بمعنى صاحب كذا، وجعل منه قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ
بِظَلْمٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٤٦]: أي بذى ظلم. شرح ابن عقيل على ألفية مالك: ١٦٧/٤ -
١٦٨. وانظر: التسهيل: ٣٨٤/٣ - ٣٨٥.

قلت: وهو ما أختاره وأرجحه.

(٥) الإتيان: ٢٣٣/٣، معترك الأقران: ٤٣٠/١، وفي البرهان: ٥١٢/٢ حيث قال

الزركشي الرابع: أن «فعالاً» قد جاء غير مراد به الكثرة....

(٦) المراجع السابقة.

السادس: أنه أراد: ليس [بظالم]^(١)، ليس [بظالم]^(١)، ليس [بظالم]^(١)؛ تأكيداً للنفي، فعبّر عن ذلك بـ«ليس بظلام»^(٢).

السابع: أنه ورد جواباً لمن قال «ظلام»، والتكرار إذا ورد جواباً لكلام خاص لم يكن له مفهوم^(٣).

الثامن: أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله تعالى سواء في الإثبات فجرى النفي على/ ذلك^(٤).

[١٥٩/ح]

التاسع: أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاماً للعبيد من ولاة الجور^(٥).
ويجاب عن الثانية^(٦) بهذه الأجوبة، وبعاشرها وهو مناسبة رؤوس الآي^(٧).

فائدة:

قال صاحب الياقوتة^(٨): قال ثعلب^(٩) والمبرد^(١٠): العرب إذا جاءت بين

(١) ما بين المعقوفين من (ح).

(٢)(٣) البرهان: ٥١٣/٢، المرجعين السابقين.

(٤) البرهان: ٥١٣/٢، الإلتقان: ٢٣٣/٣، معترك الأقران: ٤٣١/١.

(٥) المراجع السابقة.

(٦) أي: الآية الثانية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

(٧) المراجع السابقة.

(٨) هو: محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرزي، الملقب بـغلام ثعلب، قال التنوخي: لم أرقط أحفظ منه، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة، ولسعة حفظه نسب إلى الكذب. حضر ابن دريد وابن الأنباري، وغيرها. وأخذ عنه كثيرون له من التصانيف: «اليواقيت» أو «الياقوتة في اللغة»، «شرح الفصيح»، «فائت الفصيح» وغيرها، ولد (٢٦١هـ)، (ت ٣٤٥هـ). إنباه الرواة: ١٧١/٣ - ١٧٧، البلغة: ٢٠٤ - ٢٠٥، بغية الوعاة: ١٦٤/١ - ١٦٦.

(٩) هو: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، الملقب بـثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، بغدادي، له معرفة بالقراءات. روى عنه أبو محمد اليزيدي، وعلي بن سليمان الأخفش، وابن بشار الأنباري وغيرهم. حجة ثقة. أننى عليه كثير من العلماء. له تأليف كثيرة منها: «فصيح ثعلب» وهو مطبوع و«مجالس ثعلب ط»، ولد (٢٠٠هـ)، (ت ٢٩١هـ)، طبقات القراء: ١٤٨/١، إنباه الرواة: ١٧٣/١، البلغة: ٦٥ - ٦٦، بغية الوعاة: ٣٩٦/١.

(١٠) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، وقيل: المازني، الملقب بالمبرد. إمام في العربية، غزير الحفظ، والمادة. قرأ كتاب سيبويه على الجرمي، ثم على المازني. له =

الكلام بجحدين كان الكلام إخباراً، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، وإذا كان الجحد في أول الكلام كان جحداً حقيقياً نحو: ما زيد بخارج، وإذا كان في أول الكلام جحداً كان أحدهما زائداً، وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] في أحد الأقوال^(١).

فصل:

من أقسام الإنشاء: الاستفهام؛ وهو طلب الفهم^(٢)، وهو بمعنى الاستخبار^(٣). وقيل: الاستخبار ما سيق أولاً، ولم يفهم [حق]^(٤) الفهم؛ فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً. حكاه ابن فارس في: فقه اللغة^(٥).

وأدواته: «الهمزة»، و«هل» و«ما» و«من» و«أي» و«كم» و«كيف» و«أين» و«أنى» و«متى» و«أيان»^(٦).

- = تصانيف كثيرة مشهورة منها: «الكامل في اللغة والأدب»، ومنها: «المقتضب» وكلاهما مطبوعان، (ت ٢٨٥هـ). إنباه الرواة: ٢٤١/٣، البلغة: ٢١٦ - ٢١٧، بغية الوعاة: ٢٦٩/١.
- (١) لم أجد ذلك فيما اطلعت عليه من كتب ثعلب والمبرد. فانظر ذلك بنصه في: البرهان: ٧٧/٤، الإتيان: ٢٣٤/٣، معترك الأقران: ٤٣١/١.
- (٢) انظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٢٤٦/٢.
- (٣) انظر: دلائل الإعجاز: ١٤٠ وفيه قال عبد القاهر: «الاستفهام» استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك. وقال ابن فارس: الاستخبار: طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام. الصحابي: ٢٩٢. وانظر: البرهان: ٣٢٦/٢، الإتيان: ٢٣٤/٣، معترك الأقران: ٤٣١/١.
- (٤) ساقط من الأصل ومن (ح) وصوبته من مصادره. انظر: المراجع السابقة.
- (٥) لم أجد في معجم مقاييس اللغة وهو الاسم الصحيح للكتاب، ط. وإنما هذا الكلام موجود بمعناه في الصحابي: ٢٩٢ لأحمد بن فارس.
- (٦) التلخيص وشروحه: ٢٤٧/٢، الإيضاح: ٢٢٨، الإتيان: ٢٣٤/٣، معترك الأقران: ٤٣٢/١. وانظر: مفتاح العلوم للسكاكي: ١٤٨ وقد زاد على ما ذكر المؤلف من الأدوات: «أم». وقال في همزة «أيان»: - بفتح الهمزة وكسرهما - ثم قال: وهذه اللغة، أعني كسر همزتها تقوى آباء أن يكون أصلها: أي، أو: أن.
- وانظر توجيه دخول «أم» في حروف الاستفهام في: عروس الأفراح للسبكي ضمن شروح التلخيص: ٢٧٤/٢ - ٢٧٥ حيث قال في ختام كلامه عن «أم»: .. وقد صرح النحاة بعد «أم» من حروف الاستفهام، وذكره أبو حيان وغيره. اهـ.

قال ابن مالك في: «المصباح» وما عدا الهمزة نائب عنها؛ ولكونه طلب ارتسام ما في الخارج في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام؛ فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام^(١). ولكل واحدة من هذه الأدوات معنى تختص به.

أما الهمزة: فتكون لطلب التصور^(٢) تارة ولطلب التصديق^(٣). وهل: لطلب التصديق فقط، وباقي الأدوات لطلب التصور فقط^(٤). وتختلف في أن المطلوب بكل منها شيء آخر فيطلب به: «ما» شرح الاسم أو ماهية المسمى^(٥).

وقال السكاكي: يسأل بـ«ما» عن الجنس، وعن الوصف. ويسأل بـ«من» عن الجنس من ذوي العلم^(٦).

وقال غيره: يسأل بـ«من» عن/ العارض المشخص لذي العلم^(٧). ويسأل [٢٥٥/٥٨] بـ«أي» عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، نحو: فأبي الفريقين أحق بالأمن. ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]^(٨)، ويسأل بـ«كم» عن العدد،

(١) انظر: المصباح في علم المعاني والبيان والبدیع: ٤٣. وانظر الكلام بنصه في: الإتيان: ٢٣٤/٣، معترك الأقران: ٤٣٢/١، البرهان: ٣٢٦/٢ - ٣٢٧ ولم ينسبه لبدر الدين.

(٢) وهو طلب إدراك المفرد.

(٣) وهو طلب إدراك حصول النسبة التامة بين شيئين بتحقيق وقوعها خارجاً. انظر: شروح التلخيص: ٢٤٧/٢.

(٤) انظر: المفتاح: ١٤٨ - ١٤٩، الإيضاح: ٢٢٩ - ٢٣٠، التلخيص وشروحه: ٢/٢٥٤ - ٢٥٥، ٢٧٣.

(٥) انظر: التلخيص وشروحه: ٢٧٣/٢ - ٢٧٤، الإيضاح: ٢٣٠.

(٦) انظر: المفتاح: ١٤٩.

(٧) الإيضاح: ٢٣٢. قال القزويني: وهذا أظهر لأنه إذا قيل: من فلان؟ يجاب: زيد، ونحوه مما يفيد التشخيص، ولا نسلم صحة الجواب بنحو: «بشر» أو «جني» كما زعم السكاكي. وانظر: التلخيص: ١٦١ - ١٦٢.

(٨) أي: أنحن أم أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام -، فالمؤمنون والكافرون قد اشتركوا في الفريقية وسألوا عما يميز أحدهما عن الآخر. انظر ذلك في: المفتاح: ١٥٠، التلخيص وشروحه: ٢/٢٨٤، الإيضاح: ٢٣٢.

نحو: ﴿سَلَّ بَيْتِي إِسْرَؤِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١] ^(١)، ويسأل بـ«كيف» عن الحال ^(٢). وبـ«أين» [عن المكان، وبـ«متى»] ^(٣) عن الزمان، وبـ«أيان» عن المستقبل ^(٤). قيل: وتستعمل في موضع التفخيم، مثل: ﴿يَسْتَلُّ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ٦] ^(٥). و«أنى» تستعمل تارة بمعنى «كيف»، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا حَرَكَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وأخرى بمعنى «أين» نحو قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧] ^(٦).

(١) أي: كم آية آتياهم؟ عشرين أم ثلاثين، فـ«من آية» مميز «كم» بزيادة: «من» لما وقع من الفصل بفعل متعد بين «كم» ومميزها. فكم هاهنا للسؤال عن العدد، ولكن الغرض من هذا السؤال هو التفرغ والتويخ.

انظر: المفتاح: ١٥٠، الإيضاح: ٢٣٣، التلخيص وشروحه: ٢٨٥/٢ - ٢٨٦.

(٢) فيقال: كيف وجدت زيدا؟ أي على أي حال وجدته؟ فيقال في الجواب: صحيحاً أو سقيماً.

(٣)(٤) ما بين المعقوفين ساقط من المخطوط وصوبته من مصادره لاقتضاء السياق لها. انظر ذلك في: التلخيص وشروحه: ٢٨٦/٢ - ٢٨٧ وكذلك انظر: مفتاح العلوم: ١٥٠، الإيضاح: ٢٣٣ - ٢٣٤. وقد أطلقا - السكاكي والقزويني - في المرجعين الأخيرين القول في أن ﴿أَيَّانَ﴾ تستعمل للزمان، ومثلاً لذلك بـ«أيانى جئت». هذا وقد قال السبكي بأن ما قاله القزويني في التلخيص من أن ﴿أَيَّانَ﴾ تستعمل للزمان المستقبل هو الصواب. ثم قال: وبه جزم ابن مالك، وأبو حيان ولم يذكر فيه خلافاً. انظر تفصيل ذلك في: عروس الأفراح للسبكي ضمن شروح التلخيص: ٢٨٧/٢ - ٢٨٨.

(٥) انظر ذلك في: التلخيص وشروحه: ٢٨٧/٢ وانظر ذلك أيضاً في: مفتاح العلوم للسكاكي: ١٥٠ وقد ذكر أن الذي يقول بأن: ﴿أَيَّانَ﴾ تستعمل في مواضع التفخيم هو علي بن عيسى الربيعي أحد أئمة النحو في بغداد. وكذلك قال مثله القزويني في الإيضاح: ٢٣٤. هذا وقال السبكي: وفي التمثيل بهذه - أي الآية رقم (٦) من سورة القيامة - على أن ﴿أَيَّانَ﴾ تستعمل للتفخيم. فيه نظر؛ لأنه كلام محكي عن الإنسان الذي يحسب أن لن يجمع عظامه، وذلك لا يقصد تفخيم يوم القيامة الذي لا يقربه، ثم قال السبكي: والمشهور عند النحاة أنها كـ: «متى» تستعمل في التفخيم وغيره. اهـ.

انظر ذلك في: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٢٨٨/٢.

(٦) انظر ذلك في: مفتاح العلوم: ١٥٠، التلخيص وشروحه: ٢٨٨/٢ - ٢٨٩،

الإيضاح: ٢٣٤.

هذا وقد اعترض السبكي على التمثيل بـ«أنى» الاستفهامية بقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا حَرَكَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾، وقال: فيه نظر؛ لأنها لو كانت هنا استفهامية لاكتفت بما بعدها؛ لأن من شرط الاستفهامية أن يكتفى بما بعدها من فعل، كقوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ =

قال بعض الأئمة: وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام، فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل. وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً^(١).

وألف في ذلك العلامة شمس الدين ابن الصائغ كتاباً سماه «روض الأفهام في أقسام الاستفهام»، قال فيه: قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعاني، أو أشربته تلك المعاني، ولا يختص التجوز في ذلك بالهمزة، خلافاً للصفار^(٢).

الأول: الإنكار، والمعنى فيه على النفي، وما بعده منفي، ولذلك تصحبه «إلا»، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَهَلْ يُجْزِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبأ: ١٧]، وعطف عليه المنفي في قوله تعالى: ﴿فَنَنْهَى مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩]، أي لا يهدي، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] أي لا نؤمن. ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [٣٩] [الطور: ٣٩]، ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [النجم: ٢١] أي لا يكون هذا. ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] أي ما شهدوا ذلك. وكثيراً ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى «لم يكن»، وفي المستقبل بمعنى «لا يكون» نحو قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَنكُمْ رَبِّكُمْ بِأَلْبَيْنٍ...﴾ [الإسراء: ٤٠] الآية، أي لم

= [آل عمران: ٤٧]، أو اسم، مثل قوله تعالى: ﴿أَنْ لَكَ هَذَا﴾ ثم قال: والذي اختاره شيخنا أبو حيان أنها في هذه الآية شرطية وأقيمت فيها الأحوال مقام الظروف المكانية، وجوابها محذوف.

وقال السبكي أيضاً حول مجيء ﴿أَنْ﴾ بمعنى: «أين»، قال: إنها تأتي بمعنى: «من أين»، ثم قال: وهي عبارة سيويه، ثم فرق بين مجيئها بمعنى: «أين»، ومعنى: «من أين». انظر ذلك مفصلاً في: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٢٨٨/٢ - ٢٨٩. وانظر: البحر المحيط: ١٧١/٢ - ١٧٢.

من قوله: ولكل واحدة من هذه الأدوات... حتى هذا الموضع ساقط من نسخة (ح).

(١) البرهان: ٣٢٧/٢ - ٣٢٨، الإتيان: ٢٣٥/٣، معترك الأقران: ٤٣٢/١.

(٢) هو: القاسم بن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري البطليوسي، أبو القاسم الصفار، صحب ابن عصفور والشلوبين، شرح كتاب سيويه حسناً، مات بعد الثلاثين وستمئة. البلغة: ١٧٣ - ١٧٤، بغية الوعاة: ٢٥٦/٢.

يفعل ذلك. ﴿أَنْذَرْتُمْكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨] أي لا يكون هذا الإلزام^(١).

الثاني: التوبيخ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار؛ إلا أن الأول إنكار إبطال، وهذا إنكار توبيخ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن ينفي، فالنفي هنا قصدي، والإثبات قصدي عكس ما تقدم.

ويعبر عن ذلك بالتقريب أيضاً. نحو قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣]، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحَوُونَ﴾ [الصفات: ٩٥]، ﴿أَنْذَعُونَ بَعْلًا وَاذْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [١١٥] [الصفات: ١٢٥]. وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت، ويخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْلَيْتُمْ نَعْمَتَكُمْ مَاءً يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاهِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]^(٢).

الثالث: التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده^(٣).

قال ابن جنى^(٤): «ولا يستعمل ذلك بـ«هل»، كما يستعمل غيرها من أدوات الاستفهام^(٥)».

(١) انظر ذلك بالتفصيل في: التلخيص وشروحه: ٢٩٦/٢ وما بعدها، البرهان: ٢/ ٣٢٨ - ٣٣١، الإتيان: ٢٣٥/٣، معترك الأقران: ٤٣٢/١ - ٤٣٣، وانظر كذلك في هذا الموضوع: الإيضاح: ٢٣٦.

(٢) انظر ذلك في: التلخيص وشروحه: ٣٠٠/٢ - ٣٠١، معترك الأقران: ٤٣٣/١، الإتيان: ٢٣٥/٣ - ٢٣٦.

(٣) انظر: مختصر السعد ضمن شروح التلخيص: ٢٩٤/٢ حيث قال في معنى التقرير: هو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، وإلحائه إليه. وانظر: البرهان: ٣٣١/٢، الإتيان: ٢٣٦/٣، معترك الأقران: ٤٣٣/١ - ٤٣٤.

(٤) هو: عثمان بن جنى، أبو الفتح الموصلية، من أحق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وكان علمه بالتصريف أقوى من علمه بالنحو. بارع مقدم. أخذ العربية عن أبي علي الفارسي، ولازمه أربعين سنة سافراً وحضراً. له تصانيف كثيرة منها: «المحتسب»، «الخصائص»، «اللمع في النحو»، «شرحان على ديوان المتنبي» وغيرها، ولد قبل الثلاثين وثلاثمائة (ت ٣٩٢هـ). إنباه الرواة: ٣٣٥/٢، يتيمة الدهر: ٨٩/١، معجم الأدباء: ١٢/ ٨١ - ١١٥، البلغة: ١٤١ - ١٤٢، بغية الوعاة: ١٣٢/٢.

(٥) لم أجد في مظارنه في كتب ابن جنى، وقد نقله عنه الزركشي في: البرهان: =

قال الكندي^(١): ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (٧٢) أَوْ يَفْعَلُونَكَ ﴿الشعراء: ٧٢، ٧٣﴾. إلى أن «هل» تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ؛ إلا أنني رأيت أبا علي^(٢) أبى ذلك، وهو معذور فإن ذلك من قبيل الانكار^(٣). ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بـ«هل»، إنما يستعمل فيه الهمزة^(٤).

ثم نقل بعضهم أن «هل» تأتي تقريراً كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ (٥) ﴿الفجر: ٥﴾^(٥).

والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب، ويعطف على صريح الموجب، فالأول: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٦) وَوَضَعْنَا عَنَّا وِزْرَكَ ﴿الشرح: ١، ٢﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (٦) وَوَجَدَكَ ﴿الضحى: ٦، ٧﴾، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (٦) وَأَرْسَلَ ﴿الفيل: ٢، ٣﴾.

والثاني: نحو: ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ [النمل: ٨٤] على ما قرره الجرجاني من جعلها مثل قوله ﴿وَجَعَلُوا بِهَا وَأَسْتَفْتَتْهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

= ٣٣١/٢ - ٣٣٢ ونسبه لابن جني في كتابه الخاطريات وراجعتها فلم أجده فيها. وانظره أيضاً في: الإتيان: ٢٣٦/٣، ومعتك الأقران: ٤٣٤/١.

(١) هو: زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد بن عصمة، أبو اليمن الكندي، البغدادي. بارع في النحو واللغة، كان مستحضراً لكتاب سيبويه، قرأ بالقراءات الكثيرة وله عشر سنين على جماعة، لازم ابن الشجري، وابن الجواليقي وأخذ عنهما وغيرهما. له حواشٍ على ديوان المتنبي، (ت ٦١٣هـ). إنباه الرواة: ١٠/٢ - ١٤، غاية النهاية: ٢٩٧/١، معجم الأدباء: ١٧١/١١، بغية الوعاة: ٥٧٠/١.

(٢) أي: الفارسي.

(٣) انظر قول الكندي بنصه في: البرهان: ٣٣٢/٢، الإتيان: ٢٣٦/٣، معتك الأقران: ٤٣٤/١.

(٤) انظر: الكتاب: ١٧٥/٣ - ١٧٦ ومما قاله سيبويه فيه: ومما يدل على أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة «هل»، أنك تقول: أطربا! وأنت تعلم أنه قد طرب، لتوبيخه وتقرره، ولا تقول هذا بعد «هل». وانظر: البحر: ٤٦٩/٨.

(٥) انظر: البحر المحيط: ٤٦٩/٨. وانظر ذلك أيضاً في: البرهان: ٣٣٢/٢، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٣٠٨/٢، الإتيان: ٢٣٦/٣، معتك الأقران: ٤٣٤/١.

وحقيقة استفهام التقرير، أنه استفهام إنكار، والانكار نفي، ونفي النفي إثبات، ومن/ أمثله قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]^(١)؛ وجعل منه الزمخشري ﴿أَلَمْ تَقْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

الرابع: التعجب أو التعجب، نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]^(٢)، ﴿مَالِكٌ لَا أَرَىٰ الْهُدُودَ﴾ [النمل: ٢٠]^(٣). وقد اجتمع هذا القسم وسابقه في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال الزمخشري: الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم^(٤). ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقي في ﴿مَا وَلَنَّهُمْ عَن قِبَلِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٢].
الخامس: العتاب، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

[١٦٠ب/ح] قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية/ إلا أربع سنين، أخرجه الحاكم^(٥).

ومن أطفه ما عاتب الله به خير خلقه ﷺ بقوله عز من قائل: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]^(٦)، ولم يتأدب الزمخشري بأدب الله في هذه الآية^(٧)، على عادته في سوء الأدب^(٨).

(١) البرهان: ٣٣٣/٢ - ٣٣٤، الإتيان: ٢٣٦/٣ - ٢٣٧، معترك الأقران: ٤٣٤/١.

(٢) انظر: مفتاح العلوم: ١٥٠ قال الزركشي: ومنهم من جعله للتبنيہ. البرهان: ٢/٣٤٤.

(٣) انظر: مفتاح العلوم: ١٥١، الإيضاح: ٢٣٤.

(٤) الكشف: ١/١٣٣.

(٥) المستدرك مع التلخيص، كتاب التفسير: ٤٧٩/٢ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٦) قال سفيان بن عيينة - رحمه الله تعالى عند هذه الآية: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب. ذكر ذلك البغوي في تفسيره: ٢/٢٩٧.

وذكر ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسنده عن عون قال: هل سمعتم بمعاتبه أحسن من هذا؟ نداء بالعفو قبل المعاتبه فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾. وكذا قال مورق العجلي وغيره. انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٧٤.

(٧) انظر كلام الزمخشري أثناء تفسيره لهذه الآية في: الكشف: ١٥٣/٢ - ١٥٤.

(٨) انظر ذلك بنصه في: البرهان: ٢/٣٣٦، الإتيان: ٢٣٧/٣، معترك الأقران: ١/٤٣٥.

السادس: التذكير، وفيه نوع اختصار، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَأْتِكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَمَا نَرَىٰ مِنَ الْمُجْرِمِينَ إِلَّا كَيْفَ يَكُونُ الظَّالِمِينَ﴾ [يس: ٦٠]، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٩].

السابع: الافتخار، نحو قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿الَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].

الثامن: التفتيح، نحو قوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الصِّكْرِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩].

التاسع: التهويل والتخويف، نحو قوله تعالى: ﴿الْعَاقِبَةُ﴾ (١) ﴿مَا الْعَاقِبَةُ﴾ (٢) [الحاقة: ١، ٢]، وقوله تعالى: ﴿الْفَارِعَةُ﴾ (٣) ﴿مَا الْفَارِعَةُ﴾ (٤) [الفارعة: ١، ٢].

العاشر: عكسه، وهو التسهيل والتخفيف، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْنِهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ٢٩].

الحادي عشر: التهديد والوعيد، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْوَالِدِينَ﴾ (٥) [المرسلات: ١٦].

الثاني عشر: التكثير، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الحج: ٤٥].

الثالث عشر: التسوية، وهو الاستفهام الداخِل على جملة يصح حلول المصدر محلها، نحو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

الرابع عشر: الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي أسلموا، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهوا، وقوله تعالى: ﴿أَنْصَبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠] أي: اصبروا.

الخامس عشر: التنييه، وهو من أقسام الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] أي انظر، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣]. ذكره صاحب الكشاف عن سيويه، ولذلك رفع الفعل في جوابه^(١). وجعل منه قوم: ﴿قَائِنَ﴾

(١) قال في الكشاف: ١٦٨/٣: فإن قلت: فما له رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام. =

تَذَهَبُونَ ﴿١٦﴾ [التكوير: ٢٦] للتنبية على الضلال، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] ^(١).

السادس عشر: الترغيب، نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَخْرَجٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

السابع عشر: النهي، نحو قوله تعالى: ﴿اتَّخَذْتُمُوهُمْ فَالِقَةَ الْغَابِ أَمْثَلًا وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [التوبة: ١٣] بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْوَعْدَ الَّذِي لَكُمْ وَخَافُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ١٦] أي لا تغتر.

الثامن عشر: الدعاء، وهو كالنهي، إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى، نحو قوله تعالى: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْأُسُفْهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي لا تهلكنا.

التاسع عشر: الاسترشاد، نحو قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] ^(٢).

العشرون: التمني، نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾ [الأعراف: ٥٣].
الحادس والعشرون: الاستبطاء، نحو قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

الثاني والعشرون: العرض، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

الثالث والعشرون: التخصيض، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقْنِلُونَك قَوْمًا نَكَرُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣] ^(٣).

= قلت: لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض؛ لأن معناه إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار... وانظر: الكتاب: ٤٠/٣. وانظر: البرهان للزركشي: ٣٤٠/٢ حيث قال: حكاه صاحب الكافي عن الخليل، ولذلك رفع الفعل ولم ينصبه.

(١) انظر: البرهان: ٣٤٠/٢.

(٢) قال الزركشي: والظاهر أنهم استفهموا مسترشدين، وإنما فرق بين العبارتين أدباً. وقيل: هي هنا للتعجب.

البرهان: ٣٣٨/٢.

(٣) والفرق بين العرض والتخصيض: أن الأول طلب برفق. والثاني: طلب بشق. قال ذلك الزركشي في البرهان: ٣٤٢/٢.

الرابع والعشرون: التجاهل، نحو قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨].

الخاس والعشرون: التعظيم، نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

السادس والعشرون: التحقير، نحو قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]^(١)، ويحتمله وما قبله قراءة: ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ [الدخان: ٣١]^(٢).

السابع والعشرون: الاكتفاء، نحو قوله تعالى: ﴿الْيَسَّ فِي جَهَنَّمَ مَوْتَى لَلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

الثامن والعشرون: / الاستبعاد، نحو قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّهُمُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣].

التاسع والعشرون: الإيناس، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَى﴾ [طه: ١٧]^(٣).

الثلاثون: التهكم والاستهزاء، نحو قوله تعالى: ﴿أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا نُطْقُونَ﴾ [الصافات: ٩١، ٩٢].

الحادي والثلاثون: التأكيد لما سبق من معنى إرادة الاستفهام قبله كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]،

(١) وقال الزركشي بعد استشهاده بهذه الآية للتحقير: ومنه ما حكى صاحب الكتاب: من أنت زيدا؟ على معنى: من أنت تذكر زيدا. البرهان: ٣٤٣/٢.

(٢) قال أبو حيان: وقرأ ابن عباس: «من فرعون». «من»: استفهام مبتدأ، و«فرعون» خبره، لما وصف فرعون بالشدة والفضاعة، قال: «من فرعون» على معنى: هل تعرفونه من هو في عتوه وشيظنته؟. البحر المحيط: ٣٧/٨.

وقال القزويني في التلخيص: والتهويل: كقراءة ابن عباس ﷺ : ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [٣٢] مِنْ فِرْعَوْنَ. بلفظ الاستفهام، ورفع «فرعون» ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣٠، ٣١]. التلخيص وشروحه: ٣٠٤/٢ - ٣٠٦.

(٣) قال ابن فارس: المراد به: الإفهام؛ فإن الله تعالى قد علم أن لها أمراً قد خفي على موسى ﷺ فأعلمه من حالها ما لم يعلمه. الصاحبي: ٢٩٤. وقيل: هو للتقدير، فيعرف ما في يده حتى لا ينفر إذا انقلبت حية. البرهان: ٣٤٣/٢.

قال الموفق عبد اللطيف البغدادي^(١): أي من حق عليه كلمة العذاب فإنك لا تنقذه، ف«من» للشرط، و«الفاء» جواب الشرط، والهمزة في «أفأنت» دخلت معادة مؤكدة لطول الكلام، وهذا نوع من أنواعها^(٢).

وقال الزمخشري: الهمزة الثانية هي الأولى، كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد^(٣).

الثاني والثلاثون: الأخبار، نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا﴾ [النور: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ١]^(٤).

تنبيهات:

الأول: هي أن يقال: أن معنى الاستفهام في هذه الأشياء موجود، وانضم إليه معنى آخر، أو مجرد عن الاستفهام بالكلية؟ قال في «عروس الأفراح»: محل نظر؛ قال^(٥): والذي يظهر الأول^(٦)، قال^(٥): ويساعده قول التبوخي في «الأقصى القريب»: أن «لعل» تكون للاستفهام مع بقاء الترجي^(٧).

قال: ومما يرجحه أن الاستبطاء في قولك: كم أدعوك! معناه أن الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده، فأنا أطلب أن أعلم عدده، والعادة تقضي بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعلمه، وفي طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء^(٨).

(١) هو: عبد اللطيف بن يوسف، أبو محمد البغدادي، موفق الدين، نحوي، لغوي، متكلم، طبيب، خبير بالفلسفة، سمع من ابن البطي، وأبي زرعة المقدسي وآخرين. له تصانيف كثيرة في اللغة، والطب، والتاريخ، وغير ذلك.

(٢) انظر كلامه بنصه في: الإتيان: ٢٣٩/٣ - ٢٤٠، معترك الأقران: ٤٣٨/١ - ٤٣٩.

(٣) الكشاف: ١٢١/٤.

(٤) الإتيان: ٢٤٠/٣، معترك الأقران: ٤٣٩/١.

(٥) أي: بهاء الدين في العروس.

(٦) ولكن الزركشي قال: لا ينبغي أن يطلق أحد الأمرين، بل منه ما تجرد كما في التسوية، ومنه ما يبقى، ومنه ما يحتمل ويحتمل؛ ويعرف ذلك بالتأمل. البرهان: ٣٤٧/٢.

(٧) ونص كلامه: وتجيء لعل للاشفاق والتعليل والاستفهام مع بقاء معنى الترجي.

الأقصى القريب: ٨.

(٨) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٠٦/٢ - ٣٠٧ ونقله عنه في الإتيان:

٢٤٠/٣، معترك الأقران: ٤٣٩/١.

وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر، فمن تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه، فكأنه يقول: أي شيء عرض في حال عدم رؤية الهدهد^(١)! وقد صرح في الكشف ببقاء الاستفهام في هذه الآية^(٢).

وأما التنبيه على الضلال^(٣)، فالاستفهام فيه حقيقي، لأن معنى: «أين تذهب»؟ أخبرني إلى أي مكان تذهب، فإني لا أعرف ذلك؟ وغاية الضلال لا يشعر بها إلى أين تنتهي^(٤).

وأما التقرير فإن قلنا: المراد به الحكم بثبوتة فهو خبر بأن المذكور عقيب الأداة واقع. أو طلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم، فهو استفهام يقرر المخاطب؛ أي يطلب منه أن يكون مقراً به، وفي كلام أهل الفن ما يقتضي الاحتمالين^(٥)، والثاني أظهر، وفي «الإيضاح» تصريح به^(٦)، ولا بدع في صدور الاستفهام ممن يعلم/ المستفهم منه؛ لأنه طلب الفهم؛ أما طلب [ح/١٦٠] فهم المستفهم، أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائناً من كان.

وبهذا تنحل اشكالات كثيرة في مواضع الاستفهام ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة. انتهى^(٧).

الثاني: القاعدة أن المنكر يجب أن يلي الهمزة، وأشكل عليها قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٤٠]، فإن الذي يليها هنا الاصفاء بالبنين، وليس هو المنكر، إنما المنكر قولهم: إنه اتخذ من الملائكة إناثاً.

(١) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٠٦/٢ - ٣٠٧.

(٢) حيث قال الزمخشري: مالي لا أرى على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره، أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب... الكشاف: ٣٥٨/٣.

(٣) انظر: فيما سبق: ص ٦١ - ٦٢. عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ تَذَهُونَ﴾.

(٤) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٠٧/٢.

(٥) انظر: دلائل الإعجاز: ١١٣ - ١١٤، مفتاح العلوم: ١٥٠.

(٦) حيث قال القزويني فيه: ومنها التقرير، ويشترط في الهمزة أن يليها المقرر به، كقولك: أفعلت؟ إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه، وكقولك: أنت فعلت؟ إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل. الإيضاح: ٢٣٥.

(٧) أي منقولاً من: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٠٧/٢. ونقله عنه السيوطي في: الإتيان: ٢٤١/٣، معترك الأقران: ٤٣٩/١ - ٤٤٠.

وأجيب: بأن لفظ الإصفاء يشعر بزعم أن البنات لغيرهم، أو بأن المراد مجموع الجملتين؛ وينحل منهما كلام واحد. والتقدير: أجمع بين الإصفاء بالبنين واتخاذ البنات^(١)!

وأشكل منه قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] ووجه الاشكال: أنه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط. كما تقتضيه القاعدة المذكورة؛ لأن أمر البر ليس مما ينكر، ولا نسيان النفس فقط؛ لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له، ولا مجموع الأمرين؛ لأنه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر، ولا نسيان النفس بشرط الأمر؛ لأن النسيان منكر مطلقاً، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر؛ لأن المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة؛ لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبر واجب؛ وإن كان الإنسان ناسياً لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف/ بمعصية نسيان [النفس]^(٢)، ولا يأتي الخير بالشر^(٣).

[٥٧ب/٥]

قال في «عروس الأفراح» ويجاب بأن فعل المعصية مع النهي عنها أفحش؛ لأنها تجعل حال الإنسان كالمتناقض، وتجعل القول كالمخالف للفعل، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل، قال: ولكن الجواب عن أن الطاعة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها؟ فيه دقة^(٤).

فصل:

من أقسام الإنشاء: الأمر: وهو طلب فعل غير كف^(٥). وصيغته: «افعل»،

(١) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٠٤/٢، الإتيان للسيوطي: ٢٤١/٣، معترك الأقران: ٤٤٠/١.

(٢) ما بين المعقوفين أثبتها من (ح) لاقتضاء السياق لها.

(٣) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٠٤/٢، الإتيان: ٢٤١/٣، معترك الأقران: ٤٤١/١.

(٤) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٠٤/٢، الإتيان: ٢٤١/٣ - ٢٤٢، معترك الأقران: ٤٤١/١.

(٥) مختصر التفتازاني، ضمن شروح التلخيص: ٣٠٨/٢.

وقال الرازي في تعريف الأمر: الصحيح أن يقال: الأمر طلب الفعل بالقول على سبيل =

و«ليفعل»^(١). وهي حقيقة في الإيجاب^(٢) نحو قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢]. ويرد مجازاً لمعان آخر^(٣):

[١] - منها النذب، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

[٢] - والإباحة، نحو قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ [النور: ٣٣] نص الشافعي على أن الأمر فيه للإباحة^(٤)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

= الاستعلاء. ثم قال: ومن الناس من لم يعتبر هذا القيد الأخير. المحصول حا ق ٢٢/٢. جمع الجوامع: ٣٦٧/١ - ٣٦٩.

ولا تخلوا التعريفات السابقة من مناقشة. وهناك تعريفات أخرى للأمر، ذكرها وناقشها: الرازي في المحصول حا ق/١٩ وما بعدها، والآمدي في الأحكام: ١٣٧/٢ وما بعدها، والشوكاني في إرشاد الفحول: ٩٢ وما بعدها.

(١) وهذا مذهب الجمهور. انظر: المختصر في أصول الفقه لابن اللحام: ٩٨.

(٢) إذا تجردت عن القرائن. وهو قول جمهور العلماء من أرباب المذاهب الأربعة. وهل الأمر حقيقة في الوجوب شرعاً، أو عقلاً، أو لغة؟ فيه مذاهب. انظر تفصيل ذلك مع أدلته في: الأحكام للآمدي: ١٤٣/٢ وما بعدها، المستصفي، للغزالي: ٤٢٣/١ وما بعدها، شرح الكوكب المنير: ٣٩/٣ وما بعدها، تيسير التحرير: ٣٤١/١، اللمع، ضمن تخريج أحاديث اللمع: ٦٧ - ٦٨، مختصر ابن الحاجب: ٧٩/٢، المختصر في أصول الفقه للبعلي: ٩٩، القواعد والفوائد الأصولية للبعلي أيضاً: ١٥٩ - ١٦١ وقد ذكر في المسألة خمسة عشر مذهباً.

(٣) انظر المعاني التي ترد لها صيغة «أفعل» في: التلخيص وشرحه: ٢١٣/٢ وما بعدها، الإيضاح: ٢٤١ وما بعدها، الأحكام للآمدي: ١٤٢/٢ وما بعدها، المحصول للرازي حا ق ٥٧/٢ وما بعدها، المستصفي للغزالي: ٤١٧/١ وما بعدها، جمع الجوامع لابن السكي: ٣٧٠/١، شرح الكوكب المنير: ١٧/٣ وما بعدها.

(٤) قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -: وفي قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ دلالة على أنه إنما أذن أن يكتاب من يعقل، لا من لا يعقل. . . . ثم قال بعد ذلك: وإذا أراد الرجل كتابة عبده غير قوي ولا أمين، أو لا أمانة كذلك، أو غير ذات صنعة لم أكره ذلك من قبل تطوعه بالكتابة وهي مباحة إذا أبيحت في القوي الأمين أبيحت في غيره. الأم مع مختصر المزني: ٣٤/٥.

وقال في شرح الكوكب المنير: إن قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ فإنه للنذب على الأصح من مذهب الإمام أحمد وجماعة من العلماء: ١٨/٣.

وكذا قال إنه للإباحة الغزالي في المستصفي: ٤١٧/١، والآمدي في الأحكام: ٢/١٤٢، وابن قدامة في الروضة: ١٩١/٢، أصول السرخسي: ١٤/١.

[٣] - والدعاء من السافل للعالي، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [الأعراف: ١٥١، نوح: ٢٨].

[٤] [والتهديد، نحو قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاؤوا.

[٥] - والإهانة، نحو قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]^(١).

[٦] [والتسخير، أي التذليل، نحو قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٥]؛ عبر عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم^(٢)، فهو أخص من الإهانة.

[٧] [والتعجيز عن قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٤]؛ إذ ليس المراد طلب ذلك منهم، بل إظهار عجزهم^(٣).

[٨] [والامتنان، نحو قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾^(٤).

[٩] [والعجب، نحو قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨]^(٥).

[١٠] [والتسوية، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦]^(٦).

(١) ومنهم من يسميه التهكم.

انظر: المستصفي: ٤١٨/١، الأحكام للآمدي: ١٤٣/٢، المحصول ج١ ق ٢/٦٠، جمع الجوامع: ٣٧٤/١، الروضة: ١٩١/٢.

(٢) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣١٧/٢ - ٣١٨.

(٣) انظر: التلخيص وشروحه: ٣١٤/٢ - ٣١٥.

والفرق بين التسخير والتعجيز: أن التسخير نوع من التكوين، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٥]. انقلبوا إليها.

وأما التعجيز: فهو إلزامهم أن يتقبلوا، وهم لا يقدر أن يتقبلوا.

قال ابن عطية في «تفسيره» في التمسك بهذا نظر، وإنما التعجيز حيث يقتضي الأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب. نحو قوله تعالى: ﴿فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ [من الآية (١٦٨) من سورة آل عمران]. انظر: شرح الكوكب المنير: ٢٥/٣ - ٢٦، نهاية السؤل: ١٩/٢.

(٤) والفرق بين الامتنان والإباحة: أن الإباحة مجرد إذن، والامتنان: لا بد فيه من اقتراح حاجة الخلق لذلك، وعدم قدرتهم عليه. شرح الكوكب المنير: ٢٢/٣.

(٥) انظر: شرح الكوكب المنير: ٣٤/٣ - ٣٥.

(٦) قال في فواتح الرحموت: ويختص بما إذا عطف النهي عليه، وهذا لدفع توهم الرجحان: ٣٧٢/١.

- [١١] والارشاد، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
- [١٢] والاحتقار، نحو قوله تعالى: ﴿الْقَوْمَ مَا أَنْتُمْ مُلْكُوهُ﴾ [يونس: ٨٠].
- [١٣] والإنذار، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ [إبراهيم: ٣٠] ^(١).
- [١٤] والإكرام، نحو قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٦].
- [١٥] والتكوين، وهو أعم من التسخير، نحو قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ^(٢).
- [١٦] والإنعام، وهو تذكير النعمة، نحو قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَّمَا رَزَقْنَاكُمْ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤٢] ^(٣).
- [١٧] والتكذيب، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٥٠] ^(٤).
- [١٨] والمشورة، نحو قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢] ^(٥).

- (١) وقد جعله قوم قسماً من التهديد، وهو ظاهر كلام البيضاوي. انظر: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول: ١٥/٢، المحصول ١١ ق ٥٩/٢. والصواب أنهما متغايران. والفرق بين التهديد والإنذار: أن التهديد هو التخويف. قال الفتازاني: والتهديد هو التخويف، ويقرب منه الإنذار فإنه إبلاغ مع تخويف. التلويح: ٥١/٢.
- وقيل: التهديد عرفاً أبلغ في الوعيد والغضب من الإنذار.
- وقيل: غير ذلك شرح الكوكب المنير: ٢٤/٣ - ٢٥.
- (٢) انظر: المحصول ١١ ق ٦١/٢، فواتح الرحموت: ٣٧٢/١ حيث قال: ولا يعتبر فيه الانتقال من حالة إلى أخرى. والمراد بالتكوين: الإيجاد من العدم بسرعة. المحلى على جمع الجوامع: ٣٧٣/١.
- وسماه الغزالي والآمدني: بكمال القدرة. ومثلاً له بقوله تعالى: ﴿... كُنْ فَيَكُونُ﴾. كما ذكر المصنف. انظر: الأحكام للآمدني: ١٤٣٢، المستصفي للغزالي: ١/٤١٨، وسماه في المنحول: ١٣٤، نهاية الاقتدار. وسماه بعضهم بالتسخير. انظر: شرح الكوكب المنير: ٣١/٣.
- (٣) وقال بعضهم: إن الإنعام والامتنان بمعنى واحد. انظر: شرح الكوكب المنير: ٣/٢٢، جمع الجوامع: ٣٧٤/١.
- وفرق بعضهم بين الإنعام والامتنان، باختصاص الإنعام بذكر أعلى ما يحتاج إليه. انظر: البناني على جمع الجوامع: ٣٧٣/١.
- (٤) انظر: جمع الجوامع: ٣٧٤/١، شرح الكوكب المنير: ٣٣/٣ - ٣٤.
- (٥) انظر: المرجعين السابقين.

[١٩] والاعتبار، نحو قوله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]^(١).
[٢٠] والتعجب، نحو قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْصِتْ﴾ [مريم: ٣٨]، ذكره
السكاكي في استعمال الانشاء بمعنى الخبر^(٢).

فصل: ومن أقسامه^(٣): «النهي».

وهو طلب الكف عن فعل^(٤)، وصيغته «لا تفعل»^(٥)، وهي حقيقة في
التحريم^(٦) وترد مجازاً لمعان^(٧) منها:

(١) انظر: المرجعين السابقين.

(٢) لم أجد في مفتاح العلوم فأنظره في الإتيان: ٢٤٣/٣. وانظر: كشف الأسرار: ١/
١٧٠. ومثله ابن السبكي بقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ٤٨].
انظر: جمع الجوامع: ٣٧٤/١، ومثل للتعجب بغير ذلك. انظر في ذلك: شرح الكوكب
المنير: ٣٤/٣ - ٣٥.

(٣) أي: الإنشاء.

(٤) وعرفه الغزالي بأنه: والنهي هو القول المقتضي ترك الفعل. المستصفي: ٤١١/١.
وعرفه الأسنوي أيضاً، بأنه: هو القول الدال على الترك. التمهيد: ٨٠. وله تعريفات
أخرى كثيرة أنظرها في: تيسير التحرير: ٣٧٤/١، أصول السرخسي: ٣٧٨/١، فواتح
الرحموت: ٣٩٥/١، جمع الجوامع: ٣٩٠/١، مختصر ابن الحاجب والعضد عليه: ٢/
٩٤ وما بعدها.

(٥) انظر ذلك في: المسودة: ٨٠، المستصفي: ٤١٨/١، اللمع، ضمن تخريج
أحاديث اللمع: ٨٥، تيسير التحرير: ٣٧٥/١، شرح الكوكب المنير: ٧٧/٣.
وقالت الأشعرية: لا صيغة له. انظر ذلك ومناقشته في: اللمع، ضمن تخريج أحاديث
اللمع: ٨٥. وانظر: ٦٦ أيضاً. وفي التمهيد للكلوذاني: ٣٦٠/١ وما بعدها.

(٦) إذا تجردت عن القرائن. وهذا رأي الأئمة الأربعة، وغيرهم. انظر ذلك في:
المسودة: ٨١، الرسالة: ٢١٧، شرح الكوكب المنير: ٨٣/٣، التمهيد للكلوذاني: ١/
٣٩٦، الأحكام للأمدي: ١٨٧/٢. وقيل: صيغة النهي تكون بين التحريم والكرهية، فتكون
من المجمل. انظر: القواعد والفوائد الأصولية: ١٩٠.

وقيل: تكون للقدر المشترك بين التحريم والكرهية، فتكون حقيقة في كل منهما. انظر:
المرجع السابق، تيسير التحرير: ٣٧٥/١.

وقيل: بالوقف لتعارض الأدلة. وهو قول الأشعرية. وهناك أقوال أخرى في المسألة.
انظر ذلك في: المسودة: ٨١، فواتح الرحموت: ٣٩٦/١، المحصول ح١ ق ٤٦٩/٢،
القواعد والفوائد الأصولية: ١٩٠، شرح الكوكب المنير: ٨٣/٣.

(٧) انظر ذلك في: المستصفي للغزالي: ٤١٨/١، فواتح الرحموت: ٣٩٥/١، تيسير =

- ١ - الكراهة، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧].
- ٢ - والدعاء، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨].
- ٣ - والارشاد، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]^(١).
- ٤ - والتسوية، نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦].
- ٥ - والاحتقار والتقليل، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية [الحجر: ٨٨]^(٢)، أي فهو قليل حقير.
- ٦ - وبيان العاقبة، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوتًا بَلْ أحيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. أي عاقبة الجهاد الحياة، لا الموت^(٣).
- ٧ - واليأس، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْزُرُوا﴾ [التوبة: ٦٤].
- ٨ - والاهانة، نحو قوله تعالى: ﴿أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فصل:

ومن أقسامه؛ التمني. وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة^(٤). ولا يشترط إمكان التمني، بخلاف المترجي^(٥)، لكن نوزع في تسمية تمني الحال طلباً بأن مالا يتوقع كيف يطلب^(٦)؟

قال في «عروس الأفراح»: فالأحسن^(٧) ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمني والترجي والنداء والقسم، ليس فيها طلب، بل هو تنبيه ولا بدع في

= التحرير: ٣٧٥/١، المحصول ١١٠/٢، ٤٦٩/٢، جمع الجوامع: ٣٩٢/١، الأحكام للآمدي: ١٨٧/٢، شرح الكوكب المنير: ٧٧/٣ - ٧٨ وما بعدها.

(١) قيل: وفيه نظر، بل هي للتحريم. والأظهر الأول. انظر بيان ذلك في شرح الكوكب المنير: ٨٠/٣ - ٨١.

(٢) وقيل: هو للتحريم. انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٢٧/٢.

(٣) انظر: المحلي على جمع الجوامع: ٢٩٤/١.

(٤) شرح السعد، ضمن شروح التلخيص: ٢٣٨/٢.

(٥) التلخيص وشرح السعد، ضمن شروح التلخيص: ٢٣٩/٢. وانظر كذلك: عروس

الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢٣٨/٢، الإيضاح: ٢٢٧.

(٦) ذكر ذلك السبكي في عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢٤٠/٢.

(٧) في عروس الأفراح: فالأصوب.

تسميته إنشاء^(١). انتهى. وقد بالغ قوم فجعلوا التمني من قسم الخير، وأن معناه النفي^(٢)، والزمخشري من جزم بخلافه. ثم استشكل دخول التكذيب [في جوابه]^(٣) في قوله تعالى: ﴿يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿... وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، وأجاب بتضمنه معنى العدة فتعلق به التكذيب^(٤).

[١٦١/ب/ح] وقال غيره: التمني لا يصح فيه الكذب، وإنما الكذب في المتمني/ الذي يترجح/ عند صاحبه وقوعه، فهو إذن وارد على ذلك الاعتقاد الذي هو ظن، وهو خير صحيح^(٥).

قال: وليس المعنى في قوله تعالى: ﴿... وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] أن ما تمنوا ليس بواقع؛ لأنه ورد في معرض الذم لهم، وليس في ذلك المتمني ذم، بل التكذيب ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وأنهم يؤمنون^(٦).

وحرف التمني الموضوع له «ليت»^(٧)، نحو قوله تعالى: ﴿يَلَيْتُنَا نُرَدُّ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ [النساء: ٧٣]. وقد يتمنى بـ«هل» حيث يعلم فقده، نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣]^(٨).

(١) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢٤٠/٢.

(٢) هذا أحد الأقوال في هذه المسألة. انظر: الصاحبي: ٣٠٤.

(٣) ما بين المعقوفين أثبتته من (ح) لاقتضاء السياق له.

(٤) الكشف: ١٥/٢ حيث قال الزمخشري في معرض تفسيره لآيتي سورة الأنعام: فإن قلت: يدفع ذلك قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ لأن المتمني لا يكون كاذباً. قلت: هذا تمن قد تضمن معنى العدة، فجاز أن يتعلق به التكذيب، كما يقول الرجل: ليت الله يرزقني مالاً فأحسن إليك وأكافئك على صنيعك! فهذا متمن في معنى الواعد، فلو رزق مالاً ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب.

(٥) ذكر ذلك الزركشي في البرهان: ٣٢٣/٢ ونسبه إلى ابن الضائع. وانظر: الإتيقان:

٢٤٥/٣، معترك الأقران: ٤٤٥/١.

(٦) المراجع السابقة.

(٧) انظر: مفتاح العلوم للسكاكي: ١٤٧، التلخيص وشروحه: ٢٣٨/٢، الإيضاح

للقزويني: ٢٢٧.

(٨) قال القزويني: وقد يتمنى بـ«هل» كقول القائل: هل لي من شفيع؟ في مكان يعلم =

وبـ«لو» نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ﴾ [البقرة: ١٦٧]. ولذا نصب الفعل في جوابها^(١).

وقد يتمنى بـ«لعل» في البعيد، فتعطي حكم «ليت» في نصب الجواب؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ أَبْلَغُ الْأَسْبَبِ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

فصل:

ومن أقسامه: الترجي. نقل القرافي - رحمه الله تعالى - في «الفروق»، الإجماع على أنه إنشاء^(٢)، وفرق بينه وبين التمني بأنه في الممكن والتمني فيه وفي المستحيل، وبأن الترجي في القريب والتمني في البعيد، وبأن الترجي في المتوقع والتمني في غيره، وبأن التمني في المعشوق للنفس والترجي في غيره^(٣).

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى: - وسمعت شيخنا العلامة

= أنه لا شفيح له فيه؛ لإبراز التمني - لكمال العناية به - في صورة الممكن، وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣]. الإيضاح: ٢٧. وانظر: التلخيص وشروحه: ٢/٢٤٠، وقال الزركشي بعد ذكره الآية: «حملت» هل على إفادة التمني لعدم التصديق بوجود شفيح في ذلك المقام، فيتولد التمني بمعونة قرينة الحال. البرهان: ٢/٣٢١.

(١) قال التفتازاني: فإن نصب قرينة على أن «لو» ليست على أصلها، إذ لا ينصب المضارع بعدها بإضمار «أن»، وإنما يضم بعد الأشياء الستة، والمناسب هنا هو التمني. مختصر السعد، ضمن شروح التلخيص: ٢/٢٤١. وانظر: الإيضاح: ٢٢٧ حيث قال القزويني فيه: «وقد يتمنى بـ«لو» كقولك: لو تأتيني فتحدثني بالنصب». وكذا قال في «التلخيص». انظر: ٢/٢٤١. وانظر في إفادة: «هل» و«لو» معنى التمني المفتاح: ١٤٧ - ١٤٨.

قال بهاء الدين السبكي: «ومجيء» لو بمعنى التمني مذهب سيبويه، وأنكره كثير من النحاة. والاستدلال عليه بنصب «تكون» في الآية السابقة، فيه نظر؛ لجواز أن يكون معطوفاً على «كرة». عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢/٢٤١ - ٢٤٢. وانظر: الكتاب: ٣/٣٦.

(٢) انظر: الفروق للقرافي: ١/٢٧.

(٣) لم أجده في مظانه في «الفروق». وانظره بنصه في: الإتيقان: ٣/٢٤٥، معترك الأقران: ١/٤٤٦. وانظر: البرهان: ٢/٣٢٣.

الكافيحي^(١) يقول: الفرق بين التمني وبين العرض، هو الفرق بينه وبين
الترجي^(٢).

وحرف الترجي «لعل» و«عسى». وقد ترد مجازاً لتوقع محذور، ويسمى
الإشفاق، نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]^(٣).

فصل:

يجوز تقدير الشرط بعد التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي كثيراً^(٤).
ويجوز تقديره بعد غيرها بقريئة دالة على ذلك، نحو قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩]، أي: إن أرادوا أن يتخذوا ولياً
بحق فإنه هو الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد^(٥).

فصل:

ومن أقسامه: النداء^(٦). وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب

(١) هو: محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي، الحنفي، الشهير بالمولى
محي الدين الكافيحي، لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. كان إماماً كبيراً في علوم كثيرة،
أخذ عن الشمس الفنري، والبرهان حيدره، وغيرهما. له تصانيف كثيرة في المعقولات
وغیرها، وأكثر تأليفه مختصرات، ومنها: «شرح قواعد الإعراب»، «مختصر في علم
التاريخ»، «التيسير في قواعد التفسير» وغيرها. ولد (٧٨٨هـ)، (ت ٨٧٩هـ).
بغية الوعاة: ١١٧/١ - ١١٨، الفوائد البهية: ١٦٩، شذرات الذهب: ٣٢٦/٧، ٣٢٨،
الضوء اللامع: ١٥٩/٧ - ١٦١.

(٢) انظر ذلك بنصه في: الإقتان: ٢٤٥/٣ - ٢٤٦، معترك الأقران: ٤٤٦/١.

(٣) المرجعين السابقين.

(٤) ذكر ذلك السكاكي في مفتاح العلوم: ١٥٣ بقوله: واعلم أن هذه الأربعة: التمني،
والاستفهام، والأمر، والنهي تشترك في الإعانة على تقدير الشرط بعدها ثم مثل لبعضها.
وذكر ذلك أيضاً، القزويني في «التلخيص» قائلاً: وهذه الأربعة يجوز تقدير الشرط
بعدها، كقولك: ليت لي مالاً أنفقه، وأين بيتك أزرک، وأكرمني أكرمك، ولا تشتمني يكن
خيراً لك. التلخيص وشروحه: ٣٢٧/٢ - ٣٢٨. وكذلك ذكره في الإيضاح: ٢٤٤.

(٥) انظر ذلك في: المفتاح: ١٥٣، التلخيص وشروحه: ٣٣١/٢ - ٣٣٢، وفي
الإيضاح: ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٦) والنداء - بكسر النون ممدوداً، وقد تضم النون - أصله رفع الصوت، من قولهم:
الذي صوته يندى، من باب فرح، إذا ارتفع وعلا. مختار الصحاح.

مناب «أدعو»^(١). ويصحب في الأكثر الأمر والنهي، والغالب تقدمه، نحو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الزَّيْلُ﴾ ﴿قُرْ أَلَيْلُ﴾ [المزمل: ١، ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَنْقُورِ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ [الحجرات: ١]^(٢)، وقد يتأخر، نحو قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]^(٣)، وقد تصحب^(٤) الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَنْقُورِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذُرُّوهَا﴾ [هود: ٦٤]^(٥) وقد لا تعقبها^(٦)، نحو قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الزخرف: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] وقوله تعالى: ﴿يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ [يوسف: ١٠٠]^(٧). وقد تصحبه الاستفهامية، نحو قوله تعالى: ﴿يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ﴾ [التحریم: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَنْقُورِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى﴾ [غافر: ٤١]^(٨).

وقد ترد صورة النداء لغيره مجازاً، كالإغراء^(٩) والتحذير^(١٠)، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٣]^(١١).

(١) انظر: شروح التلخيص: ٣٣٣/٢ - ٣٣٤، البرهان: ٣٢٣/٢، الإتيان: ٢٤٦/٣، معترك الأقران: ٤٤٦/١.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) انظر: البرهان: ٣٢٣/٢.

(٤) أي: «ياء» النداء.

(٥) انظر: البرهان: ٣٢٤/٢ حيث قال فيه: وإذا جاءت جملة الخبر بعد النداء تتبعها جملة الأمر.

(٦) أي: قد لا تعقب جملة الأمر، الجملة الخبرية المصاحبة للنداء.

(٧) الإتيان: ٢٤٦/٣، معترك الأقران: ٤٤٧/١.

(٨) انظر ذلك في: البرهان: ٣٢٤/٢، الإتيان: ٢٦٤/٣، معترك الأقران: ٤٤٧/١.

(٩) وهو: تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله.

(١٠) وهو: تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه.

أوضح المسالك: ٧٩، ٧٥/٤.

(١١) انظر ذلك في: البرهان: ٣٢٥/٢.

والاختصاص^(١)، كقوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ١٧].

والتنبيه، كقوله تعالى: ﴿أَلَا تَسْجُدُوا﴾ [النمل: ٢٥]^(٢).
والتعجب، كقوله تعالى: ﴿يَحْزَنُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٢٠].
والتحسر، كقوله تعالى: ﴿يَلْتَنِي كُتُّ رَبِّئِي﴾ [النبا: ٤٠]^(٣).

قاعدة:

وأصل النداء بـ«يا» أن يكون للبعيد حقيقة أو حكماً^(٤)، وقد ينادي به القريب لنكت:

- منها إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المدعو، نحو قوله تعالى: ﴿يَمْوَسَّجُ أَقْبَلُ﴾ [القصص: ٣١].

- ومنها كون الخطاب المتلو معتنى به، نحو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

- ومنها قصد تعظيم شأن المدعو، نحو قوله تعالى: ﴿يُرَبِّ﴾ وقد قال تعالى: ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) وهو: كالنداء، إلا أنه يفارق المنادي في أحكام ستة: منها: أنه ليس معه حرف نداء، لا لفظاً ولا تقديراً. ومنها: أنه لا يقع في أول الكلام، بل في أثنائه، كالواقع بعد «نحن» في نحو: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».. وغيرها.. وقد ذكرها مفصلة ابن هشام في أوضح المسالك: ٧٤/٤.

(٢) في قراءة الكسائي بتخفيف «ألا» وإن وقف عليه وقف «ألا يا» وبتدئ: «اسجدوا» وليس هو موضع وقف. وقرأ الباقر: «ألا» بالتشديد... انظر ذلك في: الكشف عن جوه القراءات السبع: ١٥٦/٢ - ١٥٧.

قال ابن هشام: إذا ولي «يا» ما ليس بمنادي كالفعل في «ألا يسجدوا» فقبل: هي للنداء. وقيل: هي لمجرد التنبيه... مغني اللبيب: ٤٨٨ - ٤٨٩.

(٣) معترك الأقران: ٤٤٧/١، الإلتقان: ٢٤٦/٣ - ٢٤٧.

(٤) انظر ذلك في: مفتاح العلوم: ٤٩، مغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٨، شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك: ٢٥٥/٣.

وقال الزمخشري: إنها حقيقة في البعيد، ولا تستعمل في القريب إلا مجازاً، لتنزيله منزلة البعيد... الكشف: ٩٨/١. وانظر: المفصل في علم العربية: ٣٠٩، الإيضاح شرح المفصل: ٢٢٠/٢.

- ومنها قصد انحطاطه كقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١] ^(١).

فائدة:

قال الزمخشري وغيره: كثر في القرآن النداء بـ«يأيها» دون غيره؛ لأن فيه أوجهاً من التأكيد، وأسباباً من المبالغة. / منها ما في «يا» من التأكيد والتنبيه، [٢٥٨ب/ها] وما في «ها» من التنبيه، وما في التدرج من الإيهام في «أي» إلى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتأكيد؛ لأن كل ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعدته ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك مما أنطق الله تعالى به كتابه أمور عظام، وخطوب جسام، ومعانٍ واجب عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم [عنها] ^(٢) غافلون، فاقضى الحال أن ينادوا بالآكد والأبلغ ^(٣).

فصل:

ومن أقسامه: القسم ^(٤).
نقل القرافي الإجماع على أنه إنشاء ^(٥). وفائدته: تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقتها عند السامع ^(٦).

(١) الإتيان: ٢٤٧/٣، معترك الأقران: ٤٤٨/١.

(٢) زيادة من «الكشاف».

(٣) انظر: الكشاف: ٩٠/١ ونقله عنه السيوطي في: الإتيان: ٢٤٧/٣ - ٢٤٨، معترك

الأقران: ٤٤٨/١ - ٤٤٩.

(٤) وهو عند النحويين: جملة إنشائية يؤكد بها جملة خبرية.

انظر: البرهان للزركشي: ٤٠/٣، أنوار الفروق: ٢٧/١.

قال الزمخشري: ومن أصناف المشترك: القسم، وهو: جملة فعلية أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية نحو قولك: حلفت بالله، وأقسمت، وآليت...». المفصل: ٣٤٤.

وقال سيويه: اعلم أن القسم توكيد لكلامك. الكتاب: ١٠٤/٣.

(٥) حيث قال في: أنوار الفروق: ٢٧/١: الإنشاء ينقسم إلى ما اتفق الناس عليه، وإلى ما اختلفوا فيه، فالمجمع عليه أربعة أقسام ثم قال:

القسم الأول: القسم، نحو قولنا: أقسم بالله لقد قام زيد، ونحوه، فإن مقتضى هذه الصيغة أنه أخبر بالفعل المضارع أنه سيكون منه قسم في المستقبل...».

(٦) الإتيان: ٢٤٨/٣، معترك الأقران: ٤٤٩/١.

النوع السابع عشر بعد المائة

علم فضله ووصله



النوع السابع عشر بعد المائة

علم فصله ووصله^(١)

ولم يذكر هذا النوع الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان». قال القزويني^(٢) في «تلخيص المفتاح»: الوصل: عطف بعض الجمل على بعض، والفصل: تركه^(٣)، فإذا أتت جملة.....

(١) الفصل والوصل من أعظم وأهم أبواب البلاغة وأركانها، لعظم خطره، وصعوبة مسلكه، ودقة مأخذه. حتى لقد قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل والوصل. قال: أبو هلال العسكري: قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. الصناعيتين: ٤٣٨.

وقال عبد القاهر: اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها، والمجيء بها مثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا للإعراب الخالص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد... وقال أيضاً: واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب... دلائل الإعجاز: ٢٢٣، ٢٣١. وانظر: الكلام على أهمية هذا الباب من أبواب البلاغة في: مفتاح العلوم: ١١٩، الفوائد المشوق: ٢٧٨، الطراز: ٣٢/٢. وغيرها.

(٢) هو: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبو دلف العجلي. أصله من قزوين، ومولده بالموصل، قاض. من أدباء الفقهاء. ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق. ثم قاضي القضاة بمصر، ثم رجع إلى دمشق فولي القضاء فيها، كان فهماً، ذكياً، فصيحاً مفوهاً. أخذ عن الأيكي وغيره. له من التصانيف: «تلخيص المفتاح»، «الإيضاح»، «السور المرجاني من شعر الأرجاني». ولد (٦٦٦هـ)، (ت ٧٣٩هـ). الدر الكامنة: ٢٤٩/٥ - ٢٥٣، شذرات الذهب: ١٢٣/٦، بغية الوعاة: ١٥٦/١ - ١٥٧.

(٣) التلخيص: ٧٥. قال الدسوقي معقّباً على هذا التعريف: ظاهر تعريفه للفصل والوصل أنهما لا يجريان في المفردات، وليس كذلك. بل الفصل والوصل كما يجريان في الجمل يجريان في المفردات، ولا يختصان بالجمل، كما يوهمه كلام المصنف.. إلى أن =

[بعد جملة^(١)]؛ فالأولى: أما أن يكون لها محل من الإعراب، أو لا يكون، وعلى كون لها محل من الإعراب: إن قصد تشريك الثانية لها في حكمه عطفت عليها كالمفرد، فشرط كونه مقبولاً بالواو ونحوه^(٢) أن يكون بينهما جهة جامعة، نحو: زيد يكتب ويشعر، أو يعطي، ويمنع، ولهذا/ عيب على [ح/١١٦]

أبي تمام قوله:

لا والذي هو عالم أن النوى صَبِرٌ وأن أبا الحسين كريم^(٣)
 وألا^(٤) فصلت عنها^(٥)، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَّوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا

= يقول: وقد يجاب عن المصنف بأن ما ذكره تعريف لنوع من الفصل والوصل، وهو الواقع في الجمل، لا أنه تعريف لحقيقتهما مطلقاً.

حاشية الدسوقي، ضمن شروح التلخيص: ٣/٣.
 (١) مثبت من (ح).

(٢) قوله: «ونحوه»: إن كان مراده: نحو الواو، ففيه نظر؛ لأن هذا الحاكم مختص بالواو؛ لأن لكل من الفاء، وثم، وأو، ونحوها من حروف العطف معان زائدة على مطلق الجمع، فإن تحققت تلك المعاني حسن وضح العطف بها، وإلا فلا. وقيل: إن قوله: «ونحوه» معطوفاً على قوله: «مقبولاً» فيكون التقدير: وشرط كونه مقبولاً وكونه نحو المقبول والمراد بنحو المقبول ألا يبلغ النهاية في القبول بأن يكون مستحسناً فقط. وقيل: أنه معطوف على الضمير في (كونه)، والتقدير: وشرط كون نحوه مقبولاً، ويكون الضمير في (نحوه) عائداً على العطف بين الجملتين.

انظر ذلك في: «شرح السعد»، «مواهب الفتاح»، «حاشية الدسوقي» ضمن شروح التلخيص: ٩/٣ - ١٠. وانظر كذلك: «عروس الأفراح» ضمن شروح التلخيص: ٢٢/٣.
 (٣) البيت - كما ذكر المؤلف - لأبي تمام الطائي من قصيدة من الكامل، يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثمي من شبانة. . وقبله قوله:

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا منها طول باللسوى ورسوم
 والنوى: الفرق.

وجه العيب على أبي تمام في البيت المذكور، أنه جمع في العطف بين كرم أبي الحسين، ومرارة النوى، ولا مناسبة بينهما، فهذا العطف غير مقبول، سواء جعل عطف مفرد على مفرد - كما هو الظاهر - أو عطف جملة على جملة، باعتبار وقوعه موقع مفعولي عالم، لأن وجود الجامع شرط في صورتين.

انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ٢٧٠/١. وانظر: التلخيص وشروحه: ١٠/٣ - ١٢، ٢٢ - ٢٣، وكذلك: دلائل الإعجاز: ٢٢٥، الإيضاح: ٢٤٧.

(٤) أي وإن لم يقصد تشريك الثانية للأولى في حكم إعرابها.

(٥) أي: فصلت الثانية عنها لئلا يلزم من العطف التشريك الذي ليس بمقصود.

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿البقرة: ١٤، ١٥﴾، لم يعطف: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على قوله: ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ﴾، لأنه ليس من مقولهم^(١).
وعلى الثاني^(٢): أن قصد ربطها بها^(٣)، على معنى عاطف سوى «الواو»، عطفت به^(٤) نحو: دخل زيد فخرج - أو ثم خرج - عمرو، إذا قصد التعقيب أو المهلة^(٥). ﴿وَنَادَى ثُوغٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ ﴿[هود: ٤٥]، ﴿وَكَمْ مِّن قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا مِن السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ [الأعراف: ٤]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾ [الحج: ٦٣]، ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْبَرَهُ ﴿١١﴾ ثُمَّ إِذَا سَاءَ أَنْشُرَهُ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: ٢١، ٢٢]. وإلا^(٦) فإن كان للأولى حكم [لم]^(٧) يقصد إعطاؤه للثانية فالفصل، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ﴾ الآية [البقرة: ١٤]، لم يعطف: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على «قالوا»، لثلا يشاركه في الاختصاص بالظرف، لما مر^(٨) وإلا^(٩) فإن كان بينهما كمال الانقطاع بلا إبهام^(١٠)، أو كمال الاتصال، أو شبه أحدهما، فكذلك، وإلا فالوصل.
أمَّا كمال الانقطاع فلاختلافهما خبراً أو إنشاءً لفظاً ومعنى، نحو:
وقال رائدهم أرسوا نزاولها^(١١)

-
- (١) أي ليس من مقول المنافقين.
 - (٢) أي على تقدير ألا يكون للأولى محل من الإعراب.
 - (٣) أي رباط الثانية بالأولى.
 - (٤) أي بذلك العاطف من غير اشتراط أمر آخر.
 - (٥) التلخيص: ١٧٥ - ١٧٨. وانظر كذلك: الإيضاح: ٢٤٦ - ٢٤٧.
 - (٦) أي وأن لم يقصد ربط الثانية بالأولى على معنى عاطف سوى الواو.
 - (٧) في الأصل: «يقصد» وما أثبتته من (ح).
 - (٨) من أن تقديم المفعول ونحوه من الظرف والجار والمجرور وغيره يفيد الاختصاص، فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم مختصاً بحال خلوهم إلى شياطينهم وليس كذلك... انظر: «شرح السعد»، «مواهب الفتاح» ضمن شروح التلخيص: ١٩/٣ - ٢٠. وانظر: «علم حصره واختصاصه» في النوع الخامس عشر بعد المائة من هذا البحث.
 - (٩) أي وإن لم يك للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية، وذلك بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة، أو يكون ذلك ولكن قصد إعطاؤه للثانية أيضاً.
 - (١٠) وفي التلخيص وشروحه: ٢١/٣، ٢٥ بلا إبهام وعليه سار شرح التلخيص.
 - (١١) البيت من البسيط، وتماهه: فحتف كل أمرئ يجري بمقدار.
وقائله الأخطل، كما ذكره سيبويه، وليس في ديوانه. انظر: الكتاب، لسبويه، مع =

أو معنى^(١)، نحو: مات فلان - رحمه الله تعالى^(٢)، أو لأنه لا جامع بينهما - كما سيأتي^(٣).

وأما^(٤) كمال الاتصال^(٥)، فيكون الثانية مؤكدة للأولى^(٦)، لدفع توهم تجوز أو غلط، نحو ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، لما بولغ في وصفه^(٧) ببلوغه الدرجة القصوى في الكمال، بجعل المبتدأ ﴿ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٢]، وتعريف الخبر باللام، جاز أن يتوهم السامع قبل التأمل أنه مما يرمي به جزافاً فاتبعه

= حاشية هارون: ٩٦/٣. وكذلك انظر: شرح أبيات سيويه، لأبي جعفر النحاس: ١٦٩.

ومعنى البيت: وقال رائدهم وهو الذي يتقدم القول لطلب الماء «أرسوا» أي أقيموا، من أرسيت السفينة حبستها بالمرساة. «نزاولها» أي نحاول تلك الحرب ونعالجها. فكل حتف أمرئ يجري بمقدار أي: أقيموا نقاتل؛ لأن موت كل نفس يجري بقدر الله تعالى، لا الجبن ينجيه، ولا الإقدام يرديه.

والشاهد فيه: عدم عطف «نزاولها» على «أرسوا» لأنه خبر لفظاً ومعنى و«أرسوا» إنشاء لفظاً ومعنى. وهذا مثال لكمال الانقطاع بين الجملتين باختلافهما خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى، مع قطع النظر عن كون الجملتين مما ليس له محل من الإعراب، وإلا فالجملتان في محل نصب مفعول قال.

انظر: معاهد التنقيص: ٢٧١/١، مختصر التفتازاني، ضمن شروح التلخيص: ٢٦/٣ - ٢٩. هذا وقد اعترض بعض شراح التلخيص على التمثيل به وناقشوه. انظر ذلك بالتفصيل في: شروح التلخيص: ٢٧/٣ - ٢٩.

والأخطل: هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة، ينتهي نسبه لتغلب، ويكنى أبا مالك، والأخطل لقبه، ومعناه: السفية. وهو نصراني من أهل الجزيرة، من طبقة جرير، والفرزدق. يشبه من شعراء الجاهلية، بالناطقة الذيباني. مدح خلفاء بني أمية. ومات على نصرانيته. الشعر والشعراء: ٤٨٣/١، معاهد التنقيص: ٢٧٢ - ٢٧٨، خزنة الأدب: ١/ ٤٥٩ - ٤٦١.

(١) أي: أو معنى فقط.

(٢) فجملة «مات فلان» خبرية معنى. و - رحمة الله تعالى - إنشائية معنى. فلاختلافهما في المعنى لم يعطف إحداهما على الأخرى، وإن كانتا جميعاً خبريتين لفظاً.

(٣) في محله عند تفصيله إلى عقلي وخيالي ووهمي.

(٤) في الأصل: «أو» وما أثبتته من (ح) وهو الصواب.

(٥) أي: بين الجملتين.

(٦) أي تأكيداً معنوياً. انظر: «شرح السعد»، «ابن يعقوب المغربي» ضمن شرح

التلخيص: ٣١/٣.

(٧) أي: وصف الكتاب.

نفيًا لذلك^(١)، فوزانه وزان (نفسه) في: جاءني زيد نفسه^(٢)، ونحو قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، فإن معناه: أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة، وهذا معنى «ذلك الكتاب»؛ لأن معناه: الكتاب الكامل، والمراد بكماله: كماله في الهداية، لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت في درجات الكمال؛ فوزانه وزان زيد الثاني في: جاءني^(٣) زيد [زيد]^(٤). أو^(٥) بدلاً منها^(٥) لأنها^(٦) غير وافية بتمام^(٧) المراد أو كغير^(٨) الوافية^(٩)، بخلاف الثانية والمقام يقتضي اعتناء بشأنه^(١٠) لنكته، ككونه^(١١) مطلوباً في نفسه [أو]^(١٢) فظيماً أو عجبياً أو لطيفاً، نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّا ذُرِّيَّتَهُ فَأَتَّخَذَ مِنْهَا مَنًّا وَبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ هَدًى﴾ [الشعراء: ١٣٢ - ١٣٤]، فالمراد التنبيه على نعيم الله تعالى، والثاني أوفى بتأديته^(١٣) لدلالته^(١٤) عليها^(١٥) بالتفصيل من غير إحالة على علم/ المخاطبين المعاندين^(١٦)، فوزانه وزان وجهه

(١) أي: لذلك التوهم. التلخيص: ١٨٢.

(٢) وهو تأكيد معنوي.

(٣) في الأصل وفي (ح): «جاء زيد» وصوبته من التلخيص: ١٨٣. وانظر: الإيضاح:

١٥١ - ١٥٢.

(٤) في الأصل: «وبدلاً» وما أثبتته من (ح). والمعنى: أو لكون الجملة الثانية بدلاً.

(٥) «منها»: من الجملة الأولى.

(٦) «لأنها»: أي الجملة الأولى.

(٧) في الأصل وفي (ح): «لتمام» وصوبته من التلخيص: ١٨٣.

(٨) في الأصل: «وكغير» وما أثبتته من (ح).

(٩) حيث يكون في الوفاء قصور ما، أو خفاء ما، كما في بدل الكل. انظر: التلخيص

وشروحه: ٤٠/٣.

(١٠) أي: بشأن المراد.

(١١) في الأصل وفي (ح): «كونه» وصوبته من التلخيص: ١٨٣.

(١٢) من نسخة (ح).

(١٣) أي: بتأدية المراد الذي هو التنبيه.

(١٤) أي: الثاني.

(١٥) أي: على تلك النعم.

(١٦) قال في الإيضاح: ٢٥٢: والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما

يعلمون ثم قال: ويحتمل الاستئناف.

في «أعجبني زيد وجهه» لدخول الثاني^(١) في الأول^(٢)، ونحو:

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلماً^(٣)
فإن المراد كمال إظهار الكراهة لإقامته، وقوله: لا تقيمن عندنا، أوفى
بتأديته^(٤)، لدلالته^(٥) عليه^(٦) بالمطابقة مع التأكيد^(٧)، فوزانه^(٨) وزان حسنها،
في: أعجبني الدار حسنها، لأن عدم الإقامة مغاير للارتحال غير داخل فيه^(٩)
مع ما بينهما^(١٠) من الملاسة، أو بياناً^(١١) لها لخفائها^(١٢) - نحو قوله تعالى:

(١) أي: مضمون قوله تعالى: ﴿أَمَدُّكَ بِأَمْعِرٍ وَيَبِينَ ﴿٤٣﴾... الآية.
(٢) يعني قوله تعالى: ﴿أَمَدُّكَ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾؛ لأن قوله: ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ يشمل الأنعام
والبنين، وجنات وعيون وغيرها. انظر: شروح التلخيص: ٤٢/٣ - ٤٣.
(٣) البيت من الطويل. ومعناه: إن لم ترحل فكن على ما يكون عليه المسلم من استواء
الحالين في السر والجهر.
والشاهد فيه: كون الجملتين بينهما كمال الاتصال، لكون الثانية أوفى بتأدية المراد
من الأولى، فنزلت منزلة بدل الاشتمال فلم تعطف عليها، وهما ههنا قوله: «ارحل»،
وقوله: «لا تقيمن عندنا». انظر: شروح التلخيص: ٤٣/٣ - ٤٤، معاهد التنصيص: ١/
٢٧٨.

ولم أجد قائله.

(٤) في الأصل وفي (ج): «بادية» وصوته من التلخيص: ١٨٤.
(٥) أي: دلالة قوله: لا تقيمن.
(٦) قوله: عليه، أي على كمال إظهار الكراهة.
(٧) الحاصل من النون في قوله: لا تقيمن.
(٨) في الأصل وفي (ج): «وزانه» وصوته من التلخيص: ١٨٤.
(٩) يعني ليس عدم الإقامة داخلاً في مدلول الرحيل. قال البهاء السبكي: وهذا
صحيح؛ لأن العدم لا يدخل في الموجود ثم قال: لكن الذي قصده - أي القزويني في
التلخيص - لا يصح؛ لأنه يعني أنه بدل اشتمال، وأن «ارحل» يلزم منه مضمون «لا تقيمن»
فكأنه يريد أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، لكن لا يصح أن يعبر عن ذلك
بالعدم....

عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٦٥/٣ - ٤٦.

(١٠) أي: بين الإقامة والارتحال.
(١١) أو لكون الثانية بياناً للأولى، فهو معطوف على قوله: مؤكدة أي ومن جملة ما
يوجد فيه كمال الاتصال أن تكون الثانية بياناً للأولى.
(١٢) أي: لخفاء الأولى.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا زَانٍ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمَلَكَ لَا يَلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾
 [طه: ١٢٠]، فَإِنَّ وزانه وزان «عمر» في: أقسم بالله أبو حفص عمر^(١). فقوله:
 «قال يا آدم» بدل من الوسوسة وبيان لها، فهو هي. وكذلك قوله تعالى:
 ﴿يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩] فجملة «يذبحون أبناءكم» بدل
 من «يسومونكم سوء العذاب» مبينة لها. وقد جاء في آية أخرى: ﴿وَيُدَبِّحُونَ
 أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، وليست فيها^(٢) عاطفة، بل واو الحال، وإن جعلت
 عاطفة فعلى جعل «التذبيح» جنساً عظيماً كأنه خرج عن أنواع العذاب واستقل
 بنفسه حتى صح أن يعطف على العذاب. وأما كونها^(٣) كالمقطوعة عنها^(٤)
 فلكون عطفها عليها^(٥) موهماً لعطفها على غيرها، ويسمى الفصل لذلك
 قطعاً^(٦)، مثاله:

(١) بعده - وهو المقسم عليه - قوله:

ما مسها من نقب ولا دبر

وأبو حفص: كنية عمر بن الخطاب الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين رضي الله عنه، وهو
 المقصود بالرجز. والنقب: مصدر نقتب الناقة - بكسر القاف - أي وقت أخفافها. والدبر:
 تفرح ظهر الدابة.

وقائله: أعرابي وفد إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن أهلي ببادية
 بعيدة، وإني على ناقة دبراء عجفاء نقباء، واستحمله - فظنه كاذباً - فلم يحمله، فانطلق
 الأعرابي فحلّ ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول أبيات منها البيت المذكور، فقال
 له رضي الله عنه: ضع عن راحلتك، فوضع عنها، فإذا هي كما وصف، فحمله على بعير، وزوده
 وكساه.

وذكر صاحب خزانة الأدب أن اسم هذا الأعرابي: عبد الله بن كيسبة، ويقال اسمه:
 عمرو كيسبة.

والشاهد فيه: جعل عمر بياناً وتوضيحاً لأبي حفص. انظر: معاهد التنصيص على
 شواهد التلخيص: ٢٧٩/١ انظر: خزانة الأدب: ٣٥٢/٢. وانظر: التلخيص وشروحه: ٣/
 ٤٨، الإيضاح: ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) أي: وليست فيها الواو عاطفة.

(٣) أي: الجملة الثانية.

(٤) أي: عند الجملة الأولى، وهذا موضع شبه كمال الانقطاع.

(٥) أي: عطف الثانية على الأولى.

(٦) انظر: التلخيص وشروحه: ٤٩/٣، الإيضاح: ٢٥٤.

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم^(١)
ويحتمل الاستئناف^(٢).

وأما كونها^(٣) كالمتصلة بها^(٤) فلكونها^(٥) جواباً لسؤال اقتضته الأولى،
فتنزل منزلته؛ فتفصل^(٦) عنها كما يفصل الجواب عن السؤال. السكاكي^(٧):
فينزل^(٨) منزلة الواقع، لنكتة كإغناء السامع أن يسأل أو أن لا يسمع منه شيء،
ويسمى الفصل لذلك^(٩) استئنافاً، وكذا الثانية^(١٠)، وهو^(١١) ثلاثة أضرب؛ لأن
السؤال^(١٢) أما عن سبب الحكم مطلقاً^(١٣) نحو:

قال لي: كيف أنت، قلت: عليل سهر دائم وحزن طويل^(١٤)

(١) البيت من الكامل، وقائله غير معروف.

و«الضلال»: ضد الهدى. و«أراها»: أظنها. و«تهيم»: تتخبط. والشاهد فيه: عدم
عطف جملة: «أراها» على جملة «تظن» لثلاث يتوهم السامع أنه معطوف على جملة: «أبني»
لقربه منه، مع أنه ليس بمراد. انظر: شروح التلخيص: ٥٠/٣ - ٥١، معاهد التنصيص:
٢٧٩/١ - ٢٨٠، المفتاح: ١٢٦، الإيضاح: ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) يعني أن قوله: «أراها» يحتمل أن يكون استئنافاً: بأن يقدر سؤال، كأنه قيل: كيف
تراها في هذا الظن؟ فقال: أراها تتحير في أودية الضلال. انظر: التلخيص وشروحه: ٣/٥٠ - ٥٢.

(٣) أي: الجملة الثانية.

(٤) أي: بالجملة الأولى، وهذا موضع شبه كمال الاتصال.

(٥) أي: الجملة الثانية.

(٦) أي: فتفصل الجملة الثانية عن الجملة الأولى. انظر: التلخيص وشروحه: ٣/٥٣،

الإيضاح: ٢٥٥.

(٧) أي: وقال السكاكي. انظر: مفتاح العلوم: ١٢١.

(٨) أي: فينزل ذلك السؤال منزلة الواقع. فالسؤال مقدر على رأي السكاكي.

(٩) أي: لكونه جواباً لسؤال اقتضته الأولى.

(١٠) أي: وكذا الجملة الثانية تسمى استئنافاً ومستأنفة.

(١١) أي: الاستئناف.

(١٢) الذي تضمنته الجملة الأولى. أو المقدر على رأي السكاكي. مفتاح العلوم: ١٢١.

(١٣) أي: إما أن يكون عن سبب الحكم مطلقاً.

(١٤) البيت من الخفيف، ولا أعرف قائله.

والشاهد فيه: وقوع الجملة الثانية مستأنفة جواباً عن الجملة الأولى المتضمنة للسؤال

عن سبب مطلق أي: ما بال علتك؟ فقال: سهر. انظر: التلخيص وشروحه: ٣/٥٧، =

أي ما بالك عليلًا؟ وما سبب علتك؟
وأما عن سبب خاص^(١)، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]^(٢) وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم - كما مر^(٣).
وأما عن غيرهما^(٤)، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ﴾ [هود: ٦٩]،
أي فماذا قال^(٥)؟ وقوله:
زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي^(٦)

= الإيضاح: ٢٥٥ - ٢٥٦، معاهد التنقيص: ١٠٠/١، ٢٨٠.

وقد استشهد بهذا البيت عبد القاهر الجرجاني في باب الفصل والوصل. انظر: دلائل
الإنجاز: ٢٣٨.

(١) أي: وإما أن يكون السؤال - الذي تضمنته الجملة الأولى، أو المقدر - عن سبب
خاص لهذا الحكم، كعدم التبرئة في الآية المذكورة.

انظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد ضمن شروح التلخيص: ٥٨/٣.

(٢) قال في التلخيص بعد ذكره لهذه الآية: كأنه قيل: هل النفس أمانة بالسوء؟ فقيل:
﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾. التلخيص: ١٨٧. وانظر: الإيضاح: ٢٥٧.

(٣) أي: في أحوال الإسناد الخبري من أن المخاطب قد ينزل منزلة المتردد الطالب إذا
قدم إليه ما يلوح بالخبر، فيستشرف استشراف المتردد، فحينئذ يحسن تقوية الحكم بمؤكد.

انظر: حاشية الدسوقي، مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص: ٥٩/٣ - ٦٠.

(٤) أي: وإما أن يكون السؤال عن غير السبب المطلق والخاص. انظر: شروح
التلخيص: ٦٠/٣.

(٥) أي: كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم عليه السلام؟ فقيل: ﴿سَلَمٌ﴾ على أنه مبتدأ حذف خبره،
فاستفيد منه أنه حياهم بتحية أحسن؛ لأن سلامه واقع بالجملة الاسمية المفيدة للدوام
والثبوت، وسلامهم بالفعلية...

انظر: مختصر السعد، مواهب الإيضاح ضمن شروح التلخيص: ٦٠/٣، الإيضاح:
٢٥٧. وانظر: دلائل الإعجاز: ٢٤٠، مفتاح العلوم: ١٢٨.

(٦) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله.

والعواذل: جمع عاذلة. صفة لموصوف تقديره: جماعة عاذلة، لا امرأة عاذلة، بدليل
قوله: «صدقوا» وغمرة الشيء: شدته ومزدهمه. ولا تنجلي: لا تنكشف.

والشاهد فيه: وقوع الجملة المستأنفة جواباً للسؤال من غير سبب مطلق أو خاص، كأنه
قيل: أصدقوا في هذا الزعم أو كذبوا؟ فقال: صدقوا، وفصله عما قبله لكونه استثناءً.

انظر: شرح التلخيص: ٦٠/٣ - ٦١، معاهد التنقيص: ٢٨١/١، دلائل الإعجاز: ٢٣٥ -
٢٣٦ حيث استشهد به الجرجاني ولم ينسبه. وكذلك انظر: مفتاح العلوم: ١٢٧،
الإيضاح: ٢٥٧.

وأيضاً منه^(١) ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه نحو: أحسنت إلى زيد،
زيد حقيق الإحسان.

ومنه ما يأتي على صفته^(٢)، نحو: صديقك القديم أهل لذلك، وهذا
أبلغ^(٣). وقد يحذف صدر الاستئناف^(٤)، نحو قوله تعالى: ﴿يَسِخُ لَهُ فِيهَا
بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]، كأنه قيل: من يسبحه؟ فقال:
رجال، وعليه: نعم الرجل زيد، على قول من يجعل زيد خبر مبتدأ محذوف
تقديره: هو زيد.

وقد يحذف كله^(٥)، أما مع قيام شيء مقامه، نحو:
زعمتم أن أخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إيلاف^(٦)

(١) أي: من الاستئناف، وهذا إشارة إلى تقسيم آخر له. انظر: التلخيص وشروحه: ٣ /
٦٢، الإيضاح: ٢٤٨.

(٢) أي: صفة ما استؤنف عنه دون اسمه.

(٣) لاشتماله على بيان السبب. انظر: الإيضاح: ٢٥٩، التلخيص وشروحه: ٦٣ / ٣.

(٤) هذا تقسيم آخر للاستئناف، أي يحذف صدر الجملة المستأنفة لقيام قرينة، كما في
المثال المذكور. انظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٦٤ / ٣، الإيضاح: ٢٥٩.

(٥) أي: الاستئناف، والمراد: الجملة المستأنفة بأسرها. انظر: شروح التلخيص: ٣ /
٦٤ - ٦٥. وانظر: الإيضاح: ٢٥٩.

(٦) البيت لمساور بن هند، من قصيدة له من الوافر، وبعده قوله:

أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاعت بنو أسد وخافوا

ومعنى قوله: «زعمتم» الزعم: ادعاء العلم. «قريش»: القبيلة المشهورة قيل: سمو
بذلك لتجمعهم في الحرم، وقيل غير ذلك. «الإيلاف»: العهد. والشاهد فيه: حذف
الاستئناف، وقيام شيء مقامه، فكأنهم قالوا: أصدقنا في هذا الزعم أم كذبنا؟ فقيل:
كذبتم، فحذف هذا استئناف وأقيم قوله: «لهم ألف وليس لكم آلف» مقامه، لدلالته
عليه.

انظر: شروح التلخيص: ٦١ / ٣، معاهد التنقيص: ٢٨٢ / ١ - ٢٨٣، الإيضاح: ٢٥٩ -
٢٦٠، دلائل الإعجاز: ٢٣٦ - ٢٣٧.

والقائل: هو مساور بن هند بن قيس بن زهير، أبو الصمعاء، من بني عبس، من
المتقدمين في الإسلام، ذكر الأصمعي عن رأي مساوراً أنه ولد في حرب داحس - قبل
الإسلام بخمسين عاماً - وهو وأبوه وجده أشرف من بني عبس، شعراء فرسان، مات في
عمان. الشعر والشعراء: ١ / ٣٤٨، خزائن الأدب: ١١ / ٤١٩ - ٤٢٠، الإصابة: ٦ / ١٧١ -
١٧٢، معاهد التنقيص: ١ / ٢٨٢ - ٢٨٤.

أو بدون ذلك^(١)، نحو قوله تعالى: ﴿فَنِعَمَ الْمَهْدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨] أي: نحن، على قول^(٢). وأما الوصل^(٣) لدفع الإيهام^(٤)، فكقولهم: «لا، وأيدك الله»^(٥).

وأما للتوسط^(٦)، فإذا اتفقا^(٧) خبراً، أو إنشاءً، لفظاً أو معنى، بجامع^(٨)، كقوله تعالى: / ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [البقرة: ٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [١٣] وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، وكقوله عز من قائل: ﴿وَكُلُّوْا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوْا﴾ [الأعراف: ٣١]، وكقوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِؤُلَآئِيْنَ إِحْسَانًا وَذِي

(١) أي: بدون قيام شيء مقامه اكتفاء بمجرد القرينة على المحذوف. انظر: شروح التلخيص: ٦٦/٣.

(٢) وهو قول من يجعل المخصوص بالمدح خبر مبتدأ محذوف فيكون التقدير: «هم نحن»، وأما على قول من يجعله مبتدأ وما قبله خبراً، فليس من الباب. انظر: شروح التلخيص: ٦٦/٣ - ٦٧.

(٣) لما فرغ من موجبات الفصل وهي أربعة أحوال: كمال الانقطاع بلا إيهام، وكمال الاتصال، وشبه الأول، وشبه الثاني، شرع في الحالتين الموجهتين للوصل، وهما ما ليس فيهما أحد الأحوال الأربعة. انظر: شرح السعد، مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص: ٦٧/٣، الإيضاح: ٢٦٠.

(٤) أي: إيهام خلاف المقصود، وهذه الحالة الأولى المقتضية للوصل.

(٥) وهذا عكس الفصل للقطع. الإيضاح: ٢٦٠.

(٦) هذه الحالة الثانية المقتضية للوصل وهي: الوصل لتوسط الجملتين بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال. انظر: شروح التلخيص: ٦٩/٣، الإيضاح: ٢٦٠.

(٧) كذا في الأصل وفي (ح). وفي التلخيص: ١٩٠: «اتفقتا». والمعنى فيتحقق الوصل بين الجملتين فيما إذا اتفقتا خبراً أو إنشاءً، لفظاً أو معنى، ثم الجملتان المتفتحتان في ذلك قسمان: لأنهما إما إنشائيتان أو خبريتان. والمتفتحتان معنى فقط ستة أقسام؛ لأنهما إن كانتا إنشائيتين معنى فاللفظ إما خبران، أو الأولى خبر والثانية إنشاء، أو بالعكس، وإن كانتا خبريتين معنى، فاللفظان: إما إنشاءان، أو الأولى إنشاء والثانية خبر، أو العكس، فالمجموع ثمانية أقسام... مختصر التفتازاني ضمن شروح التلخيص: ٧٠/٣.

(٨) أي: مع وجود الجامع في ذلك الاتفاق بأنواعه. انظر: شروح التلخيص: ٧٠/٣.

(٩) فهاتان جملتان خبريتان لفظاً ومعنى، والجامع بينهما اتحاد المسندين لأنهما من المخادعة معاً، وكون المسند إليهما أحدهما مخادع والآخر مخادع، فبينهما شبه التضايغ، أو شبه التضاد لما تشعر به المخادعة من العداوة والتقابل. مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص: ٧١/٣.

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا ﴿ [البقرة: ٨٣] أي: لا تعبدوا. وتحسنون؛
 بمعنى: أحسنوا، أو: وأحسنوا، والجامع بينهما يجب أن يكون باعتبار
 المسند/ إليهما، والمسندين^(١)، نحو: يشعر ويكتب، ويعطي ويمنع، وزيد
 شاعر وعمرو كاتب، وزيد طويل وعمرو قصير، لمناسبة بينهما^(٢)، بخلاف زيد
 شاعر وعمرو كاتب، بدونها^(٣)، وزيد شاعر وعمرو طويل مطلقاً^(٤).
 السكاكي^(٥) الجامع بين الشئيين: أما عقلي^(٦): بأن يكون بينهما اتحاد في
 التصور^(٧) أو تماثل، فإن العقل بتجريده^(٨) المثليين عن الشخص^(٩) في الخارج
 يرفع التعدد^(١٠).

(١) وفي التلخيص: ١٩١: «والمسندين جميعاً». والمراد: أن المسند إليه في الجملة
 الأولى لا بد أن يتحقق بينه وبين المسند إليه في الثانية جامع، والمسند في الأولى أيضاً
 لا بد أن يتحقق بينه وبين المسند في الثانية جامع. مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص:
 ٧٨/٣. وانظر: الإيضاح: ٢٦٣.

(٢) في الأصل: «بينها» وما أثبتته من (ح) لأنه أنسب للسياق. انظر: التلخيص: ١٩١.
 والمراد بقوله: «لمناسبة بينهما» أي بين زيد وعمرو، كالأخوة أو الصداقة، أو العداوة،
 أو نحو ذلك. انظر: الإيضاح: ٢٦٣، شروح التلخيص: ٨٠/٣.
 (٣) أي: بدون المناسبة، فلا يصح العطف.

(٤) أي: وبخلاف قولك: زيد شاعر وعمرو طويل، فإنه لا يصح العطف فيه مطلقاً،
 سواء كانت مناسبة بين زيد وعمرو من صداقة وعداوة مثلاً، أو لم يكن، لأنها بعد وجودها
 لا تكفي في صحة العطف، لعدم وجود المناسبة بين المسندين وهما: الطول والشعر.
 مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: ٨١/٣. وانظر أيضاً: شروح التلخيص: ٨١/٣ -
 ٨٢.

(٥) أي: وقد قال السكاكي. انظر: مفتاح العلوم: ١٢٢ حيث قال فيه: ... والجامع
 العقلي: هو أن يكون بينهما اتحاد في تصور، مثل الاتحاد في المخبر عنه، أو في الخبر،
 أو في قيد من قيودهما، أو تماثل هناك... إلى آخر كلامه.

(٦) وهو علاقة تجمع الشئيين في القوة المفكرة جمعاً يكون مسنداً إلى العقل، بأن
 يكون أمراً حقيقياً، أي واقعاً في نفس الأمر من حيث هو هو. عروس الأفراح ضمن شرح
 التلخيص: ٨٧/٣.

(٧) انظر: مفتاح العلوم: ١٢٢، شروح التلخيص: ٨٦/٣، الإيضاح: ٢٦٣.

(٨) في الأصل وفي (ح): «بتجريد» وصوبته من مصادره.

(٩) في الأصل وفي (ح): «الشخص» وصوبته من مصادره.

(١٠) في الأصل وفي (ح): «التعداد» وصوبته من مصادره. انظر: شروح التلخيص: ٨٣/٣.

أو تضاييف^(١) كما بين العلة والمعلول، والأقل والأكثر^(٢).
أو وهمي^(٣)، بأن يكون بين تصويرهما شبه تماثل، كلوني: بياض وصفرة،
فإن الوهم يبرزهما في معرض^(٤) المثليين^(٥)، ولذلك^(٦) حسن الجمع بين
الثلاثة، التي في قوله:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها [شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر]^(٧)

(١) هذا النوع الثالث من الجامع العقلي. والتضاييف: هيئة بين ماهيتين تقتضي
توقف تعقل كل منهما على تعقل الأخرى. عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص:
٩٢/٣.

وقيل: التضاييف بين شيئين أن يكون تعقل كل منهما متوقفاً على تعقل الآخر. شرح
السعد، مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: ٩٢/٣.
قال السبكي: وهذا حد لأحد التمضاييفين لا للتضاييف. عروس الأفراح ضمن شروح
التلخيص: ٩٢/٣.

(٢) والسبب والمسبب، والسفل والعلو. انظر: شروح التلخيص: ٩٢/٣ - ٩٣،
الإيضاح: ٢٦٣، مفتاح العلوم: ١٢٢.

(٣) عطف على قوله: «إما عقلي»، ويعني بالجامع الوهمي: الأمر الذي بسببه يحتال
الوهم وبه يروج في اجتماع الأمرين، بأن يصور الوهم ذلك الأمر بصورة تصير سبباً
لاجتماعهما، وليس في الواقع سبباً له.
والحاصل: أن الجامع الوهمي ليس أمراً جامعاً في الواقع، بل باعتبار أن الوهم جعله
جامعاً. انظر: شروح التلخيص: ٩٣/٣ - ٩٤.

(٤) في الأصل وفي (ح): «معروض» وصوبته من مصادره. انظر: التلخيص: ١٩٢،
مفتاح العلوم: ١٢٢، الإيضاح: ٢٦٤ م.

(٥) من جهة أنه يسبق إلى الوهم أنهما نوع واحد في أحدهما عارض زائد في الصفرة
دون البياض، حيث أن الأضداد تتفاوت. انظر: شروح التلخيص: ٩٤/٣.

(٦) أي: ولأن الوهم يبرزهما في معرض المثليين.

(٧) ليست في الأصل ولا في (ح) وأثبتها من مصادره لاقتضاء السياق لها، فهي
محل الشاهد هنا. انظر: مفتاح العلوم: ١٢٢، التلخيص وشروحه: ٩٥/٣، الإيضاح:
٢٦٤.

والبيت - لمحمد بن وهيب الحميري، من قصيدة من البسيط، يمدح بها المعتصم - وقد
تقدم ذلك ص (١٣٣٠).

والشاهد فيه هنا: بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهي: «شمس الضحى، وأبو
إسحاق، والقمر» وهمي، وهو ما بينهما من شبه التماثل. انظر: شروح التلخيص: ٩٥/٣،
معاهد التنصيص: ٢٨٤/١، الإيضاح: ٢٦٤.

أو^(١) تضاد، كالسواد والبياض^(٢)، والإيمان والكفر^(٣)، وما يتصف بها^(٤).
أو شبه تضاد^(٥)، كالسما والارض^(٦)، والأول والثاني^(٧)، فإنه ينزلهما^(٨)
منزلة التضاييف^(٩)، ولذلك تجد الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد^(١٠).
أو خيالي^(١١)، بأن يكون بين تصويرهما^(١٢) تقارن في الخيال سابق^(١٣)،
وأساببه^(١٤) مختلفة، ولذلك^(١٥) اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتباً

-
- (١) أي: أو يكون بين تصويريهما «تضاد» وهو التقابل بين أمرين وجوديين يتعاقبان على محل واحد. انظر: شروح التلخيص: ٩٦/٣-٩٧.
- (٢) في المحسوسات. المرجع السابق.
- (٣) في المعقولات. المرجع السابق.
- (٤) أي: بتلك المذكورات، كالأسود والأبيض، والمؤمن والكافر، وأمثال ذلك. انظر المرجع السابق، الإيضاح: ٢٦٤.
- (٥) أي: أو يكون بين الشئيين شبه تضاد.
- (٦) في المحسوسات. وإنما لم يحكم عليهما بالتضاد، لأنهما لا يتعاقبان على محل، وليسا بعرضين، ولكنهما يشبهان المتضادين لما بينهما من الاختلاف، من كون أحدهما في غاية الارتفاع، والآخر في غاية الانحطاط، وهذا معنى شبه التضاد. انظر: شروح التلخيص: ٩٨/٣-٩٩.
- (٧) فيما يعم المحسوسات والمعقولات، فإن الأول هو الذي يكون سابقاً على الغير ولا يكون مسبقاً بالغير، والثاني هو الذي يكون مسبقاً بواحد فقط فأشبهها المتضادين باعتبار احتمالها على وصفين لا يمكن اجتماعهما، ولم يجعلها متضادين لأنه قد يشترط في المتضادين أن يكون بينهما غاية الخلاف. شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ٩٩/٣.
- (٨) أي: فإن الوهم ينزل المتضادين والشبهين بهما منزلة المتضاييفين، فجمع بينهما في الذهن، ولذلك تجد الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد. الإيضاح: ٢٦٤. وانظر: شروح التلخيص: ١٠٠/٣.
- (٩) قال السبكي بهاء الدين: ينبغي أن يقول: منزلة المتضاييفين، أو يقول: ينزل المضادة منزلة التضاييف. عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٠٠/٣.
- (١٠) كالسواد والبياض، فإنه لا يحضره أحد المتضادين أو الشبهين بهما إلا ويحضره الآخر.
- (١١) وهو أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماعهما في المفكرة. انظر: شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ١٠١/٣.
- (١٢) أي: متصوري الجملتين.
- (١٣) على العطف، لأسباب مؤدية إلى ذلك.
- (١٤) أي: وأسباب التقارن في الخيال. انظر: شرح السعد، مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: ١٠١/٣-١٠٢.
- (١٥) الاختلاف في الأسباب.

ووضوحاً^(١)، ولصاحب علم المعاني فضل احتياج^(٢) إلى معرفة الجامع^(٣) لا سيما الخيالي، فإن جمعه على مجرى الألف والعادة^(٤).
ومن محاسن^(٥) الوصل^(٦) تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية^(٧)، والفعاليتين في الماضي والمضارعة^(٨)، إلا لمانع^(٩).

(١) فكم صور تتعاقب في خيال، وهي في آخر لا تتراءى، وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال، وهي في غيره نار على علم. الإيضاح: ٢٦٤. وانظر ص (٢٦٥). وانظر: شروح التلخيص: ١٠٢/٣ - ١٠٣.

(٢) أي: حاجة أكيد.

(٣) وذلك لأن علم المعاني معياره باب الفصل والوصول وهو مبني على الجامع لا سيما الجامع الخيالي.

(٤) أي: فإن جمعه إنما يتأتى ويدرك حسب ما هو مألوف ومعتاد، وذلك كالجمع بين الإبل، والسماء، والجبال، والأرض، في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ١٩]. بالنسبة إلى أهل الوبر، فإن جل انتفاعهم في معاشهم من الإبل، فتكون عنتايتهم مصروفة إليها، وبالمرط الذي ينزل من السماء لترعى ماشيتهم ويشربون، ثم لا بد لهم من مأوى وحصن يتحصنون به ولا شيء لهم في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم لتعذر مكثهم في منزل عن التنقل من أرض إلى سواها، فإذا فتش البدوي في خياله وجد صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور، بخلاف الحضري، فإذا تلا - قبل الوقوف على ما ذكرنا - ظن النسق - لجهله - معيياً. الإيضاح: ٢٦٥ - ٢٦٦. انظر: عروس الأفراح: ١٠١/٣ - ١٠٢.

(٥) كذا في الأصل وفي (ح) وفي التلخيص: ١٩٥، «محسنات»، والمعنى: ومن جملة محسنات الوصل.

(٦) في الأصل وفي (ح): «الوصف» وما أثبتته هو الصواب لاقتضاء الكلام له.

(٧) في الأصل وفي (ح): «اللفظية» وما أثبتته هو الصواب لاقتضاء الكلام له. انظر المصدر السابق، الإيضاح: ٢٦٦.

(٨) أي: وتناسب الجملتين الفعليتين «في الماضي» بأن يكون فعل كل منهما ماضياً، و«المضارعة» بأن يكون فعل كل منهما مضارعاً. انظر: شروح التلخيص: ١١٠/٣ - ١١١.

(٩) كما إذا أريد بإحدهما التجدد، وبالأخرى الثبوت، كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين، ثم قام زيد دون عمرو، فإنك تقول: قام زيد وعمرو قاعد. الإيضاح: ٢٦٦.

قال السكاكي: وعلى هذا قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدَعَوْتَهُمْ أَمْ أَمْتَهُ صَنِيعُكَ﴾ [الأعراف: ١٩٣]. المعنى: سواء عليكم أحدثتم الدعوة لهم أم استمر عليكم صمتكم عن دعائهم لأنهم كانوا إذا حزبتهم أمر دعوا الله دون أصنامهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ [الروم: ٣٣]. فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا عن دعوتهم صامتين. مفتاح العلوم: ١٣١.

تذنيب (١)

أصل الحال (٢) المنتقلة (٣) أن تكون (٤) بغير واو؛ لأنها في المعنى حكم على صاحبها، كالخبر (٥)، ووصف له كالنعت (٦).

لكن خولف (٧) إذا كانت (٨) جملة؛ فإنها (٩) من حيث هي جملة مستقلة بالإفادة، فتحتاج (١٠) إلى ما يربطها بصاحبها (١١)، وكل من الضمير والواو صالح للربط. والأصل الضمير؛ بدليل (١٢) المفردة، والخبر، والنعت. فالجملة إن خلت عن ضمير صاحبها وجب (١٣) الواو. وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن ينتصب عنه حال؛ يصح أن تقع (١٤) حالاً عنه (١٥) بالواو إلا المصدرة بالمضارع المثبت، نحو: جاء زيد ويتكلم عمرو (١٦)، لما سيأتي،

(١) لما فرغ من باب الفصل والوصل في الجمل، وهو متضمن لاقتران إحدى الجملتين بالواو وعدم اقترانها، ناسب ذكر الجملة الحالية؛ لأنها تقترب بالوان فتكون كالموصولة في الصورة الظاهرة، ولو كان واواً لغير عطف، ولا تقترب بها، فتكون كالمفصلة.

(٢) أي: الكثير الراجح فيها.

(٣) احترز بالمتنقلة عن المؤكدة المقررة لمضمون الجملة، فإنها يجب أن تكون بغير واو البتة، لشدة ارتباطها بما قبلها. شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ١١٧/٣ - ١١٨.

(٤) في الأصل وفي (ح): «يكون» وما أثبتته أنسب للسياق.

(٥) بالنسبة إلى المبتدأ. فإن في قولك: جاء زيد ركباً إثبات الركوب لزيد، كما في زيد راكب.

(٦) أي: ولأنها في المعنى وصف لصاحبها كالنعت بالنسبة إلى المنعوت. انظر: الإيضاح: ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٧) أي: خولف هذا الأصل، وهو كونها بغير واو.

(٨) أي: الحال.

(٩) أي: الجملة الواقعة حالاً.

(١٠) أي: الجملة الواقعة حالاً.

(١١) الذي جعلت حالاً عنه.

(١٢) أي: بدليل الاختصار عليه في الحال المفردة. والخبر والنعت. انظر: الإيضاح: ٢٦٧.

(١٣) أي: وجب فيها الواو. لثلاث تصير منقطعة عنه، غير مرتبطة به. المرجع السابق.

(١٤) في الأصل وفي (ح): «يقع» وما أثبتته أنسب للسياق. أي: تقع تلك الجملة.

(١٥) أي: عما يجوز أن ينتصب عنه حال.

(١٦) فإنه لا يجوز أن يجعل: ويتكلم عمرو، حالاً عن زيد. لأن الجملة المصدرة =

والإلا^(١) فإن فعلية والفعل مضارع مثبت، امتنع دخولها^(٢)، نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ [المدثر: ٦]^(٣)، لأن الأصل المفردة^(٤)، وهي تدل على حصول صفة^(٥) غير ثابتة مقارنة^(٦) لما جعلت^(٧) قيداً له^(٨)، وهو^(٩) كذلك، أما الحصول^(١٠) فلكونه فعلاً مثبتاً، وأما المقارنة فلكونه مضارعاً^(١١)، وأما ما

= المضارع المثبت يجب ربطها بالضمير فقط، ويمتنع ربطها بالواو. مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص: ١٢٧/٣. وانظر: الإيضاح: ٢٦٧.

(١) عطف على قوله: «وإن خلت»: أي وإن لم تخل الجملة الحالية عن ضمير صاحبها. انظر: شروح التلخيص: ١٢٨/٣ - ١٢٩.

(٢) أي: الواو.

(٣) في مواهب الفتح: بعد ذكره للآية: على قراءة الرفع في ﴿تَسْتَكْبِرُ﴾، فيكون المعنى: لا تمنن بشيء تعطيه حال كونك تعد ما تمن به من العطاء كثيراً، فلا يجوز أن يقال: لا تمنن وتستكثّر، وأما على قراءته بالجزم على أنه جواب النهي، فليس مما نحن فيه، وهو ظاهر. اهـ.

مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص: ١٢٩/٣، وقراءة الرفع هي قراءة الجمهور. انظر: إتحاف فضلاء البشر: ٥٧١/٢ - ٥٧٢.

(٤) أي: لأن الأصل في الحال هي الحال المفردة، لعراقة المفرد في الإعراب، وتطفل الجملة عليه بوقوعها موقعه. شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ١٢٩/٣.

(٥) ويعني بالصفة هنا: المعنى القائم بالغير؛ لأنها لبيان الهيئة التي عليها الفاعل أو المفعول. والهيئة: معنى قائم بالغير. فلا يراد بها الصفة النحوية. انظر: شرح السعد، مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص: ١٣٠/٣.

(٦) ذلك الحصول. «مقارن» صفة لحصول.

(٧) الحال.

(٨) أي: العامل فيها؛ لأنها الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال، وهذا معنى المقارنة. شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ١٣٠/٣.

(٩) أي: المضارع المثبت.

(١٠) أي: أما دلالة المضارع المثبت على الحصول.

(١١) فيصلح للحال كما يصلح للاستقبال. وقال التفتازاني عند قول المصنف: ... فلكونه مضارعاً وفيه نظر؛ لأن الحال التي يدل عليها المضارع هو زمان التكلم، وحقيقته أجزاء متعاقبة من أواخر الماضي وأوائل المستقبل، والحال التي نحن بصدددها يجب أن يكن مقارناً لزمان مضمون الفعل المقيد بالحال، ماضياً كان، أو حالاً، أو استقبالياً، فلا دخل للمضارعة في المقارنة.

جاء من نحو قمت وأصك عينه^(١)، وقوله:

فلما^(٢) خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا^(٣)

ف قيل: على حذف المبتدأ، وأنا أصك، وأنا أرهنهم. وقيل: الأول شاذ، والثاني ضرورة^(٤). وقال عبد القاهر: هي فيهما للعطف، والأصل:

وصككت، ورهنت، / عدل إلى المضارع لحكاية الحال^(٥). وإن كان منفياً [١٦٢/٢٣] فالأمران^(٦) كقراءة ابن ذكوان: ﴿فَأَسْتَقِيمَا وَلَا نَبْعَانِ﴾ [يونس: ٨٩]

= فالأولى أن يعلل امتناع الواو في المضارع المثبت بأنه على وزن اسم الفاعل لفظاً، وبتقديره معنى. شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ١٣٢/٣.

(١) هذا قول لبعض العرب. الإيضاح: ٢٦٨.

(٢) في الأصل وفي (ح): «ولما» وصوبته من مصادره.

(٣) البيت لعبد الله بن همام السلولي، من قصيدة من المتقارب، وبعده قوله:

عريفاً مقيماً بدار الهوا ن أهون علي به هالكا

والذي خشيه الشاعر هو عبيد الله بن زياد وكان قد وعده فهرب إلى الشام، واستجار بيزيد فأمنه، وكتب إلى عبيد الله يأمره بالصفح عنه. ومالك المذكور هو: عريفه.

والأظافر جمع ظفر وأظفور، ويجمع أيضاً على أظفار.

والمعنى: لما خشيت حملته وانشاب أظفاره نجوت وخليت بينه وبين مالك.

والشاهد فيه: دخول واو الحال على المضارع المثبت الممتنع دخولها عليه في الجملة

الفعلية الواقعة حالاً من ضمير صاحبها الغير الخالية منه. إذ قد قيل: إنه على حذف

المبتدأ، أي وأنا أرهنهم، فتكون اسمية، فيصح دخولها. انظر: شروح التلخيص: ٣/

١٣٣، معاهد التنصيص: ٢٨٥/١.

وعبد الله: هو أبو عبد الرحمن السلولي الكوفي، من بني مرة، وبنو مرة يعرفون ببني

سلول، وهي أمهم، كانت له صحبة.

الشعر والشعراء: ٦٥٤/٢، طبقات فحول الشعراء: ٥٩٢/٢، الخزانة: ٣٥/٩، معاهد

التنصيص: ٢٨٦/١ - ٢٨٧.

(٤) انظر: الإيضاح: ١٦٩، شروح التلخيص: ١٣٤/٣، معاهد التنصيص: ٢٨٥/١ -

٢٨٦.

(٥) انظر: دلائل الإعجاز: ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٦) أي: فالأمران جائزان: الواو وتركها. انظر المرجع السابق، الإيضاح: ٢٦٩.

قال بهاء الدين السبكي: ... والذي عليه جمهور النحاة أن المضارع المنفي بـ«لا» هو

كالمضارع المثبت، فلا تدخله الواو، وإنما المصنف - القزويني - تبع - المفصل - وقد

استشهد المصنف لثبوت الواو بقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمَا وَلَا نَبْعَانِ﴾ بالتخفيف فإنها قراءة ابن

ذكوان، وهي إحدى قراءتيه. وقيل: هو خبر في معنى النهي. وقد استدل غيره بقوله تعالى: =

بالتخفيف^(١). ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤] على المقارنة لكونه مضارعاً دون الحصول لكونه منفيّاً^(٢)، وكذا إن كان ماضياً لفظاً أو معنى، كقوله تعالى: ﴿أَنْ يَكُونَ لِي عِلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿أَنْ يَكُونَ لِي وَكْدٌ وَلَمْ يَمَسْسَنِي بَشْرٌ﴾ [مريم: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤]^(٣). أما المثبت^(٤) فلدلالتة على الحصول^(٥) لكونه فعلاً مثبتاً، دون المقارنة، لكونه ماضياً^(٦)، ولهذا^(٧) شرط أن يكون مع «قد» ظاهرة أو مقدرة^(٨).

وأما^(٩) المنفي فلدلالتة^(١٠) على المقارنة دون الحصول، أما

= ﴿وَلَا تُشْتَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ١٩]... عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٣٧/٣.

(١) قال مكي: ... كأنه استثقل التشديد للنون مع التشديد في أول الكلمة فخففها وهو يريد التشديد. قال: وقرأ الباقون بتشديد النون على أصلها، لأنها النون التي تدخل الأفعال للتأكيد في الأمر والنهي وشبهه. وهو الاختيار لصحته في المعنى والإعراب، ولأن الجماعة عليه. الكشف: ٥٢٢/١. وانظر: حجة القراءات: ٣٣٦، الكتاب، لسبويه: ١٧٢/٢، زاد المسير: ٥٤/٤.

(٢) ومعنى قوله: دون الحصول لكونه منفيّاً أي: ولم يدل على حصول صفة، وإنما دل - بالمطابقة - على نفيها، وإن كان نفي الصفة يستلزم حصول ضدها، لكن المعبر في التعليل هو المطابقة... مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: ١٣٨/٣ - ١٣٩.

(٣) انظر: شروح التلخيص: ١٣٩/٣ - ١٤٠، الإيضاح: ٢٧١ - ٢٧٣.

(٤) أي: أما جواز الأمرين في الماضي المثبت.

(٥) يعني حصول صفة غير ثابتة.

(٦) فلا يقارن الحال.

(٧) أي: ولعدم دلالتة على المقارنة.

(٨) لأن «قد» تقرب الماضي من الحال. قال الفتازاني: ويرد هنا إشكال: وخلصته: أن الحال التي انتفت عن الماضي، ويدل عليها المضارع، وتقرب قد إليها هي زمان التكلم، وهي خلاف الحال التي نحن بصدها. انظر: مختصر الفتازاني وحاشية الدسوقي عليه ضمن شروح التلخيص: ١٤٢/٣.

انظر ذلك بالتفصيل في: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٤٢/٣.

(٩) أي: وأما الماضي المنفي.

(١٠) أي: فجواز الأمرين فيه - أعني الإتيان بالواو وتركه -، إنما هو دلالتة على =

الأول^(١) فلأن «لما» للاستغراب^(٢)، وغيرها^(٣) لانتفاء متقدم^(٤) مع أن الأصل استمراره^(٥)، فيحصل به^(٦) الدلالة/ عليها^(٧) عند الاطلاق، بخلاف المثبت^(٨)، فإن وضع الفعل على إفادة التجدد^(٩)، وتحقيقه أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب^(١٠)، بخلاف استمرار الوجود^(١١)، وأما الثاني^(١٢) فلكونه^(١٣) منفياً وإن كانت^(١٤) اسمية، فالمشهور جواز تركها^(١٥) لعكس ما مرّ في الماضي المثبت^(١٦)، نحو: كلمته فوه إلى في^(١٧)،

= المقارنة. انظر: مواهب الفتح، شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ١٤٣/٣ - ١٤٤.

- (١) أي: دلالة على المقارنة.
- (٢) أي: لا امتداد النفي من حين الانتفاء إلى زمان التكلم.
- (٣) أي: غير «لما» مثل «لم» و«ما».
- (٤) أي: متقدم على زمان التكلم. انظر المرجعين السابقين.
- (٥) أي: استمرار ذلك الانتفاء. انظر: المرجعين السابقين.
- (٦) أي: استمرار النفي، أو بأن الأصل فيه الاستمرار.
- (٧) أي: على المقارنة. انظر ذلك في: شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ١٤٤/٣.
- (٨) أي: بخلاف الماضي المثبت فلا يفيد الاستمرار المقتضى للمقارنة لا وضعاً ولا استصحاباً، كما في الماضي المنفي. مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص: ١٤٤/٣.
- (٩) أي: لأن وضع الفعل كائن على قصد إفادة مطلق التجدد الذي هو مطلق الثبوت بعد الانتفاء. المرجع السابق: ١٤٥/٣.
- (١٠) أي: وأما عدم إفادته ذلك بالاستصحاب كما يفيد النفي فيبانه أن استمرار العدم الذي هو مفاد الماضي المنفي لا يفتقر إلى وجود سبب، بل إلى نفي وجود السبب. المرجع السابق.
- (١١) الذي هو مفاد الماضي المثبت، فإنه يفتقر إلى سبب وجود لا إلى نفي السبب. المرجع السابق: ١٤٦/٣.
- (١٢) أي: عدم دلالة على حصول صفة.
- (١٣) أي: الفعل المذكور. المرجع السابق.
- (١٤) أي: الجملة الحالية.
- (١٥) أي: ترك الواو فيها، وفيه إشارة إلى جواز الأمران. انظر: شروح التلخيص: ٣/١٤٨.
- (١٦) أي: لأجل أنها تحقق فيها عكس ما مر في الفعل الماضي المثبت، والذي مر فيه هو دلالة على حصول صفة غير ثابتة دون المقارنة، وعكسه الموجود في الجملة الاسمية. مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص: ١٤٨/٣.
- (١٧) أي: مشافهاً له. انظر: دلائل الإعجاز: ٢١٨.

وَأَنَّ^(١) دَخُولَهَا^(٢) أَوْلَى^(٣)، لِعَدَمِ دَلَالَتِهَا عَلَى عَدَمِ الثَّبُوتِ، مَعَ ظَهُورِ
الاسْتِثْنَاءِ فِيهَا^(٤)، فَحَسَنَ زِيَادَةَ رَابِطِ^(٥) نَحْوِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] ^(٦).

وقال عبد القاهر رحمته الله: إِنْ كَانَ الْمَبْتَدَأُ^(٧) ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجِبَتْ^(٨)،
نَحْوِ: جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ يَسْرَعُ، أَوْ وَهُوَ مَسْرَعٌ^(٩)، وَإِنْ جَعَلَ نَحْوِ: عَلَى كَتْفِهِ
سَيْفٌ^(١٠)، حَالًا؛ كَثُرَ فِيهَا تَرْكُهَا^(١١) نَحْوِ:

..... خَرَجْتَ مَعَ الْبَازِيِ عَلَيَّ سَوَادٌ^(١٢)

(١) أي: والمشهور.

(٢) أي: دخول الواو في تلك الجملة الاسمية. مواهب الفتح ضمن شروح التلخيص:
١٤٩/٣.

(٣) أي: أولى من تركها فيها.

(٤) لاستقلالها بالفائدة. الإيضاح: ٢٧٦.

(٥) وهو الواو، ليتأكد الربط. المرجع السابق.

(٦) الأنداد: الأمثال والنظائر، واحده: ند.

(٧) في الجملة الاسمية الحالية.

(٨) أي: وجبت الواو فيها. انظر ذلك في: شروح التلخيص: ١٥١/٣ - ١٥٣. وانظر:
الإيضاح: ٢٧٦.

(٩) انظر: دلائل الإعجاز: ٢١٥ - ٢١٦.

(١٠) أي: جاء زيد على كتفه سيف.

(١١) أي: كثر في تلك الحال ترك الواو.

(١٢) هذا البيت من أبيات من الطويل قالها بشار بن برد في خالد بن برمك، وكان قد
وفد عليه وهو بفارس. وصدر البيت:

إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلْدَةِ أَوْ نَكَرْتَهَا

وقبله قوله:

رَكَابِي عَلَى حَرْفٍ وَقَلْبِي مَشِيْعٌ وَمَا لِي بِأَرْضِ الْبَاخِلِيْنَ بِلَادٍ

وقوله: «أنكرتني» لم تعرف قدرى، «نكرتها» كرهتها، «البازي» ضرب من الصقور،
واختاره لأنه أشد الطيور تكبيراً. «عليّ سواد»: أي بقية من الليل.

والمعنى: إذا لم يعرف قدرى أهل بلدة، أو كرهتهم، خرجت عنهم وفارقتهم مبكراً
مصاحباً للبازي الذي هو أبكر الطيور، مشتقاً على شيء من ظلمة الليل.

والشاهد فيه: أن قوله: «عليّ سواد» حال ترك فيها الواو، أي: خرجت كائناً عليّ
سواد، أو باقياً عليّ سواد. انظر: شروح التلخيص: ١٥٣/٣ - ١٥٤، معاهد التنصيص:

٢٨٧/١ - ٢٨٨، دلائل الإعجاز: ٢١٩ - ٢٢٠.

ويحسن الترك^(١) تارة لدخول حرف على المبتدأ كقوله:
فقلت عسى أن تبصريني كأنما بني حوالي الأسود الحوارد^(٢)
وأخرى^(٣) لوقوع الجملة^(٤) بعقب مفرد^(٥) كقوله:
والله يبقيك لنا سالماً برداك تبجيل وتعظيم^(٦)

(١) أي: ترك الواو في الجملة الاسمية.

(٢) البيت من جملة أبيات من الطويل، قالها الفرزدق مخاطباً زوجته النوار، وكان قد مكث زماناً لا يولد له، فغيرته بذلك. والبيت في الشعر والشعراء: ٤٧٣/١ بلفظ:

لعلك يوماً أن تريني كأنما بني حوالي الأسود الحوارد
و«الحوارد» الغضاب، يقال: حرد الرجل فهو حرد حارد، إذا اغتاط فتحرش بالذي غاظه وهم به، ومنه قيل: أسد حارد، وليوث حوارد. اللسان: ١٤٥/٣ - ١٤٦، حرد، و«حوالي» في أكتافي وجواني.

والشاهد فيه: ترك الواو في الجملة الاسمية الحالية لدخول حرف على المبتدأ يحصل به نوع من الارتباط، وهو هنا «كأن» إذ لو لم تدخل لما حسن الكلام إلا بالواو. وقوله: «بني... إلى آخره» جملة اسمية وقعت حالاً من مفعول تبصريني.

(٣) أي: ويحسن الترك تارة أخرى.

(٤) أي: لوقوع الجملة الاسمية الواقعة حالاً.

(٥) أي: مفرد حال.

(٦) البيت من قصيدة من السريع، لابن الرومي وقوله:

قل له الملك ولو أنه مجموعة فيه الأقاليم
وقوله: «البرد» ثوب مخطط، أو كساء من الصوف الأسود يلتحف به، و«التبجيل والتعظيم» بمعنى واحد، والمعنى: ملابسك ومحيطاك تبجيل وتعظيم.

والشاهد فيه: ترك الواو في الجملة الاسمية الحالية، وهي «برداك تبجيل وتعظيم» لوقوعها بعقب حال مفرد، وهو سالماً إذ لو لم يتقدمها لم يحسن فيها ترك الواو. معاهد التنصيص: ٣٠٥/١. وانظر: دلائل الإعجاز: ٢١٥.

النوع الثامن عشر بعد المائة

علم إيجازه وإطنابه ومساواته



النوع الثامن عشر بعد المائة

علم إيجازه وإطنابه ومساواته

واختلفوا^(١): هل بين الإيجاز والاطناب واسطة، وهي المساواة؟ أو ليس بينهما واسطة. فذهب قوم كالسكاكي، والقزويني: أن المساواة واسطة بينهما^(٢).

وقال ابن الأثير وغيره: الإيجاز: التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والاطناب: بلفظ زائد^(٣).

ورجح هذا القول السيوطي في «الإتقان» وأنه لا واسطة، قال: ولا يكاد يوجد خصوصاً في القرآن^(٤).

(١) أي: علماء البلاغة.

(٢) لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة؛ لأنهم فسروها بالتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف، والاطناب، أداؤه بأكثر منها لكون المقام حقيقاً بالبسط.

قال السكاكي: أما الإيجاز والاطناب، فلكونهما نسبيين، لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق، والبناء على شيء عرفي، مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم - ولا بد من الاعتراف بذلك - مقيساً عليه، ولتسمه متعارف الأوساط، وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم. مفتاح العلوم: ١٣٣.

وقال القزويني: والأقرب أن يقال: المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساوٍ له، أو ناقص عنه وافي، أو زائد عليه لفائدة... التلخيص: ٢١٠.

فالأول المساواة، والثاني الإيجاز، والثالث الاطناب. فعنده ثبوت المساواة واسطة، وأنها من قسم المقبول. الإيضاح: ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) ونص كلامه: حد الإيجاز: هو دلالة اللفظ على المعنى، من غير أن يزيد عليه. والتطويل: هو ضد ذلك، وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه... المثل السائر: ٣٠٧/٢.

(٤) انظر: ١٦٢/٣ ونص كلامه فيه: فإن قلت: عدم ذكر المساواة في الترجمة لماذا؟ هل هو لرجحان نفيها، أو عدم قبولها، أو لأمر غير ذلك؟ قلت: لهما، ولأمر ثالث، وهو =

وقد مثل لها^(١) في «التلخيص» بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]. وفي «الإيضاح» بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨]، وتعقب^(٢): بأن في الآية الثانية: حذف موصوف «الذين» وفي الأولى: إطناباً بلفظ «السيء»؛ لأن المكر لا يكون إلا سيئاً^(٣)، وإيجاز بالحذف لأن الاستثناء غير مفرغ، أي: بأحد^(٤)، وبالقصر^(٥) في الاستثناء^(٦).

وأجيب: بأن بعض المكر غير سيء، لقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، لأنه جواب [عنه]^(٧)، وعن الاستثناء بأن بعض المحذوفات متناسية لا يتوقف عليه تأدية المعنى.

فصل:

والإيجاز والاختصار بمعنى واحد^(٨)، وقال بعضهم: الاختصار خاص بحذف الجمل، بخلاف الإيجاز^(٩).

= أن المساواة لا تكاد توجد خصوصاً في القرآن. وانظر كذلك: معترك الأقران: ١٩٤/١ للسيوطي.

(١) أي: المساواة.

(٢) في الأصل: «وبعقب» وما أثبتته من (ح) لأنه أنسب للسياق.

(٣) في الأصل وفي (ح): «بسيء» والصواب ما أثبتته لمناسبته للسياق.

(٤) انظر: مواهب الفتاح، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٨٠/٣ - ١٨٣.

(٥) أي: وإيجاز قصر بالاستثناء المفرغ.

(٦) انظر: عروس الأفراح للسبكي حيث قال معلقاً على التمثيل بالآية: قلت: في المثال بالآية الكريمة نظر، لأن الآية إن كان الاستثناء فيها مفرغاً ففيه إيجاز القصر، وإن كان غير مفرغ ففيه إيجاز قصر بالاستثناء، وإيجاز حذف بحذف المستثنى منه، فإن تقديره: بأحد. عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٨٢/٣.

(٧) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل، وما أثبتته من (ح) لاقتضاء السياق له. انظر: حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص: ١٨١/٣.

(٨) انظر: المفتاح: ١٣٣ وما بعدها. وانظر: الطراز: ٩٢/٢ - ٩٣، الإتيان: ٣/

١٦٢، معترك الأقران: ٢٩٥/١.

(٩) الإتيان: ١٦٢/٣، معترك الأقران: ٢٩٥/١.

فصل:

الإيجاز على قسمين: إيجاز القصر، وإيجاز الحذف^(١). قال الشيخ بهاء الدين السبكي: الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف، وإن كان كلاماً يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز القصر^(٢). وقد تقدم التعبير عنه في عبارة التلخيص ومثل لكل بأمثله^(٣).

ومن أمثلة إيجاز القصر، قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، لأن في الأخذ بالعمفو التساهل والتسامح واللين والرفق واليسير في الدعوة^(٤) إلى الدين، وفي الأمر بالمعروف: تعليم الشرائع والعبادات والنهي عن القبائح والمنكرات، وفي الأعراف: الصبر والحلم والتودد والمدارة^(٥).

(١) انظر تقسيم الإيجاز إلى إيجاز قصر، وإيجاز حذف، في: النكت في إعجاز القرآن للرماني: ٧٦، الصناعتين: ١٧٥، المثل السائر: ٣١٢/٢، الطراز: ٩٣/٢، ١١٩، التلخيص: ٢١٤، الإيضاح: ٢٨٧، ٢٩٠، البرهان: ٣/٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٣/١٨٣.

وقال الرماني: الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى. ثم قال: والإيجاز على وجهين: حذف، وقصر. فالحذف: إسقاط كلمة للاجترأ عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف. النكت في إعجاز القرآن: ٧٦. وقال أبو هلال العسكري: والإيجاز: القصر، والحذف. فالقصر: تقليل الألفاظ، وتكثير المعاني. وأما الحذف فعلى وجه... إلى آخر كلامه. الصناعتين: ١٧٥، ١٨١.

وانظر تعريف الإيجاز بقسميه في: التلخيص: ٢١٤ وما بعدها، الإيضاح: ٢٨٧ وما بعدها، المثل السائر: ٣١٢/٢، البرهان: ٣/٢٢٠ - ٢٢١، الإتيان: ٣/١٦٣، معترك الأقران: ١/٢٩٥ - ٢٩٦.

(٣) قلت: لعل المؤلف وهم في هذا، إذ لم يتقدم شيء عما ذكر.

(٤) في الأصل وفي (ح): «الدعاء» وما أثبتته أنسب للسياق.

(٥) انظر: كتاب الصناعتين: ١٧٧، المثل السائر: ٣٨٣/٢، الإتيان: ٣/١٩٤، معترك الأقران: ١/٢٩٧ - ٢٩٨.

قال جعفر الصادق: أمر الله ﷺ نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. انظر: تفسير البغوي: ٢/٢٢٤. وانظر: البرهان: ٣/٢٢٦، الطراز: ١٢٧/٢. وانظر تفسير الآية وما ورد فيها من آثار على مكارم الأخلاق في: تفسير الطبري: ١٣/٣٢٦ وما بعدها، تفسير ابن كثير: ٢/٢٨٨ وما بعدها، الدر المنثور: ٣/٦٢٨ وما بعدها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأَرَضُ آبِلَى مَاءِكِ وَيَسْمَأَهُ أَقْلَى وَغِيصَ أَلْمَاءِ وَقُصَى
 الْأَمْرُ وَأَسْوَتَ عَلَى الْجُودَى وَقَبْلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، أمر فيها ونهى،
 وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقص من
 الأنباء ما لو شرح من اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ/ والبلاغة [١٦٢/ح]
 والإيجاز والبيان، لجفت الأقلام^(١). وقد أفردت هذه الآية بالتأليف وذكر ما
 فيها من عجائب البلاغة والإيجاز والفصاحة^(٢).

وقال الكرمانى في كتاب «العجائب» أجمع المعاندون على أن طوق البشر
 قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم
 يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها، وحسن نظامها، وجودة معانيها في تصوير
 الحال مع الإيجاز من غير إخلال^(٣).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّملُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ...﴾ الآية
 [النمل: ١٨] جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً: نادت وكنت، ونبئت [٢٦٠/ب/هـ]
 وسمت، وأمرت، وقصت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وعذرت.
 فالنداء «يا» والكتابة «أي» والتنبيه «ها»، والتسمية «النمل»، والأمر
 «ادخلوا»، والقصص «مساكنكم»، والتحذير «لا يحطمنكم»، والتخصيص
 «سليمان»، والتعميم «جنوده»، والإشارة «وهم»، والعذر «لا يشعرون».
 وأدت خمس حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتهما، وحق
 جنود سليمان^(٤).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ...﴾ الآية [الحجر: ٩٤]، وقد
 روى أن أعرابياً لما سمع هذه الآية سجد، وقال سجدت لفصاحة هذا
 الكلام^(٥).

(١) البرهان: ٢٢٧/٣، الإتيان: ١٦٥/٣، معترك الأقران: ٢٩٨/١.

(٢) انظر: المصدرين الأخيرين.

(٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانى: ٥٠٧/١. وانظر أيضاً كلام الكرمانى

بنصه في: الإتيان: ١٦٥/٣، معترك الأقران: ٢٩٨/١ - ٢٩٩.

(٤) البرهان: ٢٢٧/٣، الإتيان: ١٦٥/٣، معترك الأقران: ٢٩٩/١.

(٥) قال أبو هلال العسكري بعد ذكره للآية: ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة
 وشرائعها، وأحكامها على الاستقصاء، لما في قوله: ﴿فَأَصْدَعُ﴾ من الدلالة على التأثير،
 كتأثير الصدع. الصناعتين: ١٧٦.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّهِهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتَ فِيهَا خَالِدٌ﴾ [الزخرف: ٧١]^(١)، قال بعضهم: جمع الله تعالى في هاتين الجملتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيه على التفصيل لم يخرجوا عنه^(٢).
 ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩]
 وقد فضلت هذه الجملة^(٣) على أخصر ما كان عند العرب في هذا المعنى، وهو قولهم: القتل أنفى للقتل^(٤).

قال ابن الأثير: لا تشبيه بين كلام الخالق سبحانه وكلام المخلوق^(٥).
 وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك^(٦).
 الأول: أن ما يناظره من كلامهم قوله: ﴿الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾، أقل حروفاً، فإن حروفه عشرة، وحروف «القتل أنفى للقتل» أربعة عشر^(٧).

(١) الإتيان: ١٦٦/٣، معترك الأقران: ٢٩٩/١ - ٣٠٠.

(٢) الإتيان: ١٦٦/٣، معترك الأقران: ٣٠٠/١.

وقال الزركشي بعد ذكره للآية: وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بكل ما تميل إليه النفس من الشهوات، وتلذ الأعين من المراثيات ليعلم أن هذا اللفظ القليل جداً، حوى معاني كثيرة لا تنحصر عدداً. البرهان: ٢٣٠/٣.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة مني يقتضيها السياق. وانظر: الصناعتين: ١٧٥، الإيضاح: ٢٨٧، التلخيص: ٢١٥.

(٤) الإتيان: ١٦٦/٣، معترك الأقران: ٣٠٠/١.

(٥) وهذه إشارة إلى إنكار هذا التفصيل بين كلام الله ﷻ، وكلام البشر، إذ مفاضلة أصلاً بينهما. قال ابن الأثير: ولا يلتفت إلى ما ورد عن العرب من قولهم: «القتل أنفى للقتل» فإن من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية، وليس كذلك... إلى أن قال: ألا ترى أن لفظة «القصاص» لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها؟. المثل السائر: ٣٨٥/٢ - ٣٨٦، ٣٨٨. وانظر: الصناعتين: ١٧٥.

قال الزركشي بعد أن حكى قول ابن الأثير: ... وهو كما قال، وكيف يقابل المعجز بغيره مفاضلة، وهو منه في مرتبة العجز عن إدراكه ثم حكى قول الشاعر:

وماذا يقول القائلون إذا بدا جمال خطاب فات فهم الخلائق

البرهان: ٢٢٢/٣.

(٦) أي: من أوجه المفاضلة والتميز بين الآية والمثل.

(٧) انظر: الصناعتين: ١٧٥، نهاية الإيجاز للرازي: ٣٤٨، الطراز: ١٢٧/٢، النكت في إعجاز القرآن: ٧٨، المثل السائر: ٣٨٦/٢، التلخيص وشروحه: ١٨٥/٣، الإيضاح: ٢٨٧، البرهان: ٢٢٢/٣، الإتيان: ١٦٧/٣، معترك الأقران: ٣٠١/١.

الثاني: أن نفي القتل لا يدل على الحياة، والآية دالة على ثبوتها الذي هو الغرض والمطلوب^(١).

الثالث: أن تنكير «حياة» يفيد تعظيماً، فيدل على أن القصاص حياة مستطالة، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٦]^(٢)، وكذلك المثل، فإن اللام فيه للجنس، ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء^(٣).

الرابع: أنها مطردة، بخلاف المثل، فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل، بل قد يكون أدهى له، وهو القتل ظلماً، وإنما ينفى قتل خاص وهو القصاص، ففيه حياة أبدأ^(٤).

الخامس: أن الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع في المثل، والخالي من التكرار أفضل من المشتمل عليه، وإن لم يكن مخللاً بالفصاحة^(٥).

(١) أي: المطلوب من القصاص. انظر ذلك في: النكت في إعجاز القرآن: ٧٧ - ٧٨، الصناعتين: ١٧٥، المثل السائر: ٣٨٦/٤، نهاية الإيجاز: ٣٤٨، الطراز: ١٢٨/٢، الإيضاح: ٢٨٧، التلخيص وشروحه: ١٨٦/٣، البرهان: ٢٢٣/٣، الإيتقان: ١٦٧/٣، معترك الأقران: ٣٠١/١.

(٢) قال الرازي بعد ذكره لهذه الآية: وفائدة التنكير أن الحريص لا بد أن يكون حياً، وحرصه لا يكون على الحياة الماضية أو الراهنة، بل على الحياة المستقبلية. ولما لم يكن الحرص متعلقاً بالحياة على الإطلاق بل بالحياة في بعض الأحوال، لا جرم حسن التنكير. ثم قال بعد ذلك: واعلم أن للتنكير في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ فائدة أخرى: وهي أن الرجل لا يرتدع بالقصاص حتى يكون له داع إلى القتل، لكن من الجائز أن لا يكون للإنسان عدو، فيقصد قتله، حتى يمنعه خوف القصاص، وحينئذ لا تكون حياة ذلك الإنسان لأجل الخوف من القصاص، ولما دخل الخصوص هذه القضية، وجب أن يقال: «حياة» ولا يقال: «الحياة». نهاية الإيجاز: ٣٥٠. وانظر ص(٣٤٩).

(٣) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: وقال آخرون: معنى ذلك: ولكم في القصاص من القاتل بقاء لغیره، لأنه لا يقتل بالمقتول غير قاتله في حكم الله. وكانوا في الجاهلية يقتلون بالأنثى الذكر وبالعبد الحر. تفسيره: ١٧٩/٣.

هذا وانظر الفرق الثالث في: نهاية الإيجاز: ٣٤٩، التلخيص وشروحه: ١٨٦/٣، الإيضاح: ٢٨٨، البرهان: ٢٢٤/٣، الإيتقان: ١٦٧/٣، معترك الأقران: ٣٠١/١.

(٤) انظر: التلخيص وشروحه: ١٨٧/٣، الإيضاح: ٢٨٨، البرهان: ٢٢٣/٣ - ٢٢٤، الإيتقان: ١٦٧/٣، معترك الأقران: ٣٠١/١.

(٥) انظر: النكت للرماني: ٧٨، الصناعتين: ١٧٥، المثل السائر: ٣٨٦/٢، نهاية الإيجاز: ٣٤٨، وفيه قال الرازي: التكرار عيب وهو موجود في كلامهم، دون الآية. =

السادس: أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف، بخلاف قولهم، فإن فيه حذف «من» التي بعد أفعل التفضيل وما بعدها، وحذف «قصاص» من القتل الأول، و«ظلماً» من القتل الثاني، والتقدير^(١): القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه^(٢).

السابع: أن في الآية طباقاً، لأن القصاص يشعر بضد الحياة، بخلاف المثل^(٣).

الثامن: أن الآية اشتملت على فن بديع، وهو جعل أحد الضدين الذي هو القضاء والموت، حكماً لضده الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة. ذكره في «الكشاف»^(٤)، وعبر عنه صاحب «الإيضاح»: بأنه جعل القصاص كالمنيع للحياة والمعدن لها بإدخال «في» عليه^(٥).

التاسع: أن في المثل توالي أسباب كثيرة حقيقية، وهو السكون بعد الحركة، وذلك مستكره، فإن اللفظ المنطوق به إذا تواترت حركاته تمكن اللسان من النطق به، وظهرت فصاحته، بخلاف ما إذا تعقب كل حركة بسكون، فالحركات تنقطع بالسكنات، نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة فحجبت ثم تحركت فحجبت لا يتيسر إطلاقها، ولا تتمكن من حركتها على ما

= الإيضاح: ٢٨٨، التلخيص وشروحه: ٣/١٨٧ - ١٨٨، البرهان: ٣/٢٢٢، الطراز: ٢/١٢٧.

(١) أي: تقدير المحذوف في قولهم: القتل أنفى للقتل.

(٢) انظر ذلك في: التلخيص وشروحه: ٣/١٨٨، الإتيان: ٣/١٦٧، الإيضاح: ٢٨٨، معترك الأقران: ١/٣٠١.

(٣) البرهان: ٣/٢٢٥، الإتيان: ٣/١٦٧، معترك الأقران: ١/٣٠١. وانظر: الإيضاح: ٢٨٨، التلخيص وشروحه: ٣/١٨٩ - ١٩٠.

(٤) قال في الكشاف: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ» كلام فصيح؛ لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتقويت للحياة، وقد جعل مكاناً وظرفاً للحياة... انظر: ١/١١١.

وقد تعقبه ابن المنير بقوله: قوله: جعل أحد الضدين محلاً للآخر، كلام: إما وهم فيه، أو تسامح، لأن شرط تضاد الحياة والموت اجتماعهما في محل واحد تقديراً، ولا تضاد بين حياة غير المقتص منه، وموت المقتص، والبلاغة التي أوضحتها في الآية بينة بدون هذا الإطلاق. الاتصاف بهامش الكشاف: ١/١١١.

(٥) الإيضاح للقزويني: ٢٨٨. وانظر: البرهان: ٣/٢٢٤، الإتيان: ٣/١٦٧، معترك الأقران: ١/٣٠١ - ٣٠٢.

تختاره، فهي كالمقيدة^(١).

العاشر: أن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر، لأن الشيء لا ينفي نفسه^(٢).

الحادي عشر: سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة، وبعدها من غنة النون^(٣).

الثاني عشر: سلامة استعمالها على حروف ملائمة لما قبلها من الخروج من القاف إلى الصاد، إذ «القاف» من حروف الاستعلاء، و«الصاد» من حروف الاستعلاء والاطباق، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التي هي حرف منخفض فهو غير ملائم للقاف، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء، أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة/ لبعدها ما بين طرف اللسان وأقصى الحلق^(٤). [٢٦٠/هـ]

الثالث عشر: في النطق بالصاد، والحاء، والياء، حسن الصوت، ولا كذلك تكرار القاف والفاء^(٥).

(١) الإتيان: ١٦٧/٣ - ١٦٨، معترك الأقران: ٣٠٢/١. وانظر: البرهان: ٢٢٤/٣.

(٢) انظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٨٨/٣، الإتيان: ١٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٠٢/١.

قال في نهاية الإيجاز: ٣٤٨: إن قوله: القتل أنفى للقتل في ظاهره متناقض؛ لأنه جعل حقيقة الشيء منافية لنفسه. ولئن قيل: المراد منه أن كل واحد من أفراد هذا النوع ينفي غيره، فهو أيضاً على عمومه خطأ، لأن القتل ظلماً ليس أنفى للقتل قصاصاً، بل ادعى له. إنما يصح إذا خصص فقيل: القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً، فيصير كلاماً طويلاً، مع أن هذا التقييدات بأسرها حاصلة في الآية.

(٣) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٨٩/٣، الإتيان: ١٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٠٢/١.

(٤) انظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني: ٧٨. حيث قال فيه: وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك الحس وموجود في اللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعدها الهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام، فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن، وإن كان الأول بليغاً حسناً. وانظر: الصنائع: ١٧٥، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٨٩/٣، البرهان: ٢٢٢/٣ - ٢٢٣، الإتيان: ١٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٠٢/١.

(٥) البرهان: ٢٢٣/٣، الإتيان: ١٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٠٢/١.

الرابع عشر: سلامتها من لفظ «القتل» المشعر بالوحشة؛ بخلاف لفظ «الحياة»؛ فإن الطباع أقبل له من لفظ مطلق «القتل»^(١).

الخامس عشر: أن لفظ «القصاص» مشعر بالمساواة، فهو مبني على العدل، بخلاف مطلق القتل^(٢).

السادس عشر: الآية مبنية على الإثبات، والمثل مبني على النفي؛ والإثبات أشرف لأنه أول، والنفي ثانٍ عنه^(٣).

السابع عشر: أن المثل لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة / وقوله تعالى: ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ مفهوم من أول وهلة^(٤).

الثامن عشر: أن في المثل بناء أفعل التفضيل من فعل متعد^(٥)، والآية سالمة منه^(٦).

التاسع عشر: أن أفعل في الغالب يقتضي الاشتراك؛ فيكون ترك القصاص نافياً للقتل؛ ولكن القصاص أكثر نفيًا، وليس الأمر كذلك، والآية سالمة من ذلك^(٧).

العشرون: أن الآية رادعة عن القتل والجراح معاً؛ لشمول القصاص لهما، والحياة أيضاً في قصاص الأعضاء؛ لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة، وقد يسرى إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المثل^(٨).

(١) الإتيان: ١٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٠٢/١. وانظر: البرهان: ٢٢٣/٣، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٨٩/٣.

(٢) الإتيان: ١٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٠٣/١. وانظر: البرهان: ٢٢٣/٣ حيث قال الزركشي فيه: أن القصاص المبني على المساواة، أوزن في المعادلة من مطلق القتل، ولذلك يلزم التخصيص بخلاف الآية.

(٣) معترك الأقران: ٣٠٣/١، الإتيان: ١٦٨/٣. وانظر: البرهان: ٢٢٣/٣ حيث قال: الإثبات أول والنفي ثانٍ عنه؛ والإثبات أشرف.

(٤) البرهان: ٢٢٣/٣، الإتيان: ١٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٠٣/١.

(٥) في الأصل وفي (ح): «متعدد» وما أثبتته هو الصواب.

(٦) البرهان: ٢٢٤/٣، الإتيان: ١٦٩/٣، معترك الأقران: ٣٠٣/١.

(٧) انظر ذلك في المصادر السابقة.

(٨) الإتيان: ١٦٩/٣، معترك الأقران: ٣٠٣/١.

قال الرازي: ورابعها: أن قول القائل: القتل أنفى للقتل، لا يفيد إلا الردع عن القتل، =

ثم في أول الآية: «ولكم» وفيها لطيفة؛ وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص، وأنهم المراد حياتهم، لا غيرهم؛ لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم^(١).

فصل:

ذكر ابن الأثير، وصاحب «عروس الأفراح» وغيرهما: أن من أنواع إيجاز القصر «الحصر» سواء أكان بـ«ألا»، أو بـ«إنما»، أو غيرهما من أدواته؛ لأنه الجملة فيها نابت مناب جملتين. وباب العطف؛ لأن حرفه وضع للإغناء عن إرادة تكرار العامل. وباب نائب الفاعل؛ لأنه دل على الفاعل بإعطائه حكمه، وعلى المفعول بوضعه. وباب الضمير؛ لأنه وضع للاستغناء به عن الظاهر اختصاراً، ولذلك لا يعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل. وباب: علمت أنك قائم؛ لأنه منحل لاسم واحد سد مسد المفعولين من غير حذف^(٢). ومنها: باب التنازع^(٣) - إذا لم يقدر - على رأي الفراء^(٤). ومنها: طرح المفعول، اقتصاراً على جعل المتعدي كاللازم.

= وقوله تعالى: ﴿فِي الْقَصَاصِ حَيَاةٌ﴾ يفيد الردع عن القتل وعن الجرح، وغيرهما، فهو أجمع للفوائد. تفسيره: ٥٧/٥.

وقال الزركشي في البرهان: ٢٢٥/٣: العشرون: أنها أكثر فائدة لتضمنه القصاص في الأعضاء، وأنه نبه على حياة النفس من وجهين: من وجه به القصاص صريحاً، ومن وجه القصاص في الطرف؛ لأن أحد أحوالها أن يسرى إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المثل. وانظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٨٩/٣.

(١) البرهان: ٢٢٥/٣، الإتيان: ١٦٩/٣، معترك الأقران: ٣٠٣/١.

(٢) انظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٨٩/٣ - ١٩٠، البرهان: ٣/

٢٣٢، الإتيان: ١٦٩/٣ - ١٧٠، معترك الأقران: ٣٠٤/١ - ٣٠٥، وحكاة السيوطي فيهما عن ابن الأثير، والبهاء السبكي وغيرهما.

(٣) وحقيقته: أن يتقدم فعلاً متصرفاً، أو اسمان يشبهانهما، أو فعل متصرف أو اسم يشبهه، ويتأخر عنهما معمول غير سببي مرفوع، وهو مطلوب لكل منهما من حيث المعنى.

مثال الفعلين، قوله تعالى: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الكهف: ٩٦]. ومثال المختلفين، قوله تعالى: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الحاقة: ١٩]. أوضح المسالك: ١٨٦/٢ - ١٩٠.

(٤) لأنه ذهب إلى أن الاسم في مثل: قام وقعد زيد معمول للفعلين معاً. عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٩٠/٣. وانظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٤٥٢/١، شرح ابن عقيل: ١٦٢/٢، حاشية الصبان: ١٠٣/٢.

ومنها: جميع أدوات الاستفهام، والشرط، فإن «كم مالك؟» يغني عن قولك: «مالك عشرون أم ثلاثون» وكذا إلى ما لا ينتهي^(١).
ومنها: الألفاظ المذكورة للعموم^(٢) - كما مر^(٣).
ومنها: لفظ التثنية والجمع، فإنه يغني عن تكرار المفرد، وأقيم الحرف فيها مقامه اختصاراً^(٤).

فصل:

تقدم الكلام على إيجاز القصر وذكر ما فيه من الآيات الشريفة، وبقي إيجاز الحذف^(٥). ذكر ابن هشام في «المغني» للحذف ثمانية شروط:

أحدها: وجود دليل حالي، كقولك لمن رفع سوطاً: «زيداً» بإضمار أضرب، ومنه: ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ [هود: ٦٩]، أي سلمنا سلاماً، أو مقالي، كقولك لمن قال: من أضرب؟ «زيداً». ومنه: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبِّكُمْ قَالُوا خَبَرًا﴾ [النحل: ٢٤]^(٦)، وإنما يحتاج إلى ذلك إذا كان المحذوف الجملة بأسرها، - كما مثلنا - أو أحد ركنيها نحو: ﴿قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، أي: سلام عليكم أنتم قوم منكرون، فحذف خبر الأولى ومبتدأ

(١) انظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ١٩٠/٣، البرهان: ٢٣٢/٣، الإتيان: ١٧٠/٣، معترك الأقران: ٣٠٥/١.

(٢) مثل: أحد، وديار. انظر: المراجع السابقة.

(٣) في النوع السابق والتسعين: علم خاصه وعامه.

(٤) انظر المراجع السابقة.

(٥) قال الرماني: إيجاز الحذف: هو إسقاط كلمة للاجتماع عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام. النكت: ٧٦. وانظر: سر الفصاحة: ٢١٠ - ٢١١.

وقال ابن الأثير: الإيجاز بالحذف: هو ما يحذف منه المفرد والجملة، لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه. الجامع الكبير: ١٢٤، المثل السائر: ٣١٢/٢. وانظر: الإيضاح: ٢٩٠ - ٢٩١، التلخيص وشروحه: ١٩٠/٣ وما بعدها، البرهان: ١٠٢/٣.

(٦) قلت: قد مزج ابن هشام في هذا الموضوع من المغني: ٧٨٧ بين آيتين من سورة النحل حيث حكى الآيتين هكذا: وإذا قيل لهم ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبِّكُمْ قَالُوا خَبَرًا﴾. والآية الثانية: (٣٠) من سورة النحل.

الثانية^(١). أو لفظاً يفيد معنى فيها [هي]^(٢) مبنية عليه، نحو: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا﴾ [يوسف: ٧٥]، أي: لا تفتأ.

وأما إذا كان المحذوف فضلة فلا يشترط لحذفه وجدان الدليل، ولكن يشترط ألا يكون في حذفه ضرر معنوي، كما في قوله: ما ضربت إلا زيداً، أو صناعي كما في قولك: زيد ضربته، وقولك: ضربني وضربته زيد. انتهى^(٣).

الثاني: من شروط الحذف: ألا يكون ما يحذف كالجزاء، فلا يحذف الفاعل، ولا نائبه، و مشبهه^{(٤)(٥)}.

قال ابن هشام، وقال ابن عطية^(٦) في: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الجمعة: ٥]: أن التقدير: بئس المثل مثل القوم: فإن أراد أن الفاعل لفظ/ [٢٦١ب/ها] المثل محذوفاً مفردود، وإن أراد تفسير المعنى، وأن في بئس ضمير المثل مستتراً فأين تفسيره^(٧)؟ ثم قال: والصواب أن «مثل القوم» فاعل، وحذف المخصوص، أي: مثل هؤلاء، أو مضاف: أي: مثل الذين كذبوا ولا خلاف في جواز حذف الفاعل مع فعله، نحو: ﴿قَالُوا خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠] «يا عبد الله^(٨) وزيداً ضربته. انتهى^(٩).

الشرط الثالث: من شروط الحذف: ألا يكون مؤكداً؛ لأن التأكيد ينافي الحذف؛ لأن الحذف مبني على الاختصار، والتوكيد مبني على التطويل، وأول من ذكره الأخفش وتبعه الفارسي، فرد في كتاب «الأفعال» قول الزجاج

(١) المغني: ٧٨٧.

(٢) ليست في الأصل ولا في (ح) وصوبتها من: مغني اللبيب: ٧٨٧.

(٣) مغني اللبيب: ٧٨٦ - ٧٨٧. وانظر شرح دليل الحذف الصناعي وغير الصناعي في: مغني اللبيب أيضاً: ٧٨٩ وما بعدها.

(٤) في الأصل وفي (ح): «شبهه» وصوبته من مصادره. والمراد بمشبهه: اسم كان وأخواتها.

(٥) مغني اللبيب: ٧٩٢.

(٦) انظر قول ابن عطية في: تفسير البحر المحيط: ٢٦٧/٨.

(٧) مغني اللبيب: ٧٩٢ - ٧٩٣.

(٨) في الأصل: «ما عند الله» وما أثبتته من (ح).

(٩) المرجع السابق.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَيْنِ﴾ [طه: ٦٣]، أن التقدير: أن هذان لهما ساحران^(١)، فقال: الحذف والتأكيد باللام متنافيان^(٢).

وتبعهما ابن جني في «الخصائص»^(٣)، وتبعهم ابن مالك، وكلهم مخالفون لسيبويه، والخليل، فإنهما أجازا مثل ذلك^(٤). والله أعلم.

الشرط الرابع: أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، فلا يحذف اسم الفاعل دون معموله؛ لأنه اختصار للفعل^(٥).

الشرط الخامس: أن لا يكون عاملاً ضعيفاً، فلا يحذف الجار، والجازم، والناصب للفعل، إلا في مواضع قويت فيها الدلالة، وكثر فيها استعمال تلك العوامل، ولا يجوز القياس عليها^(٦).

الشرط السادس: ألا يكون عوضاً عن شيء فلا تحذف «التاء» من «عدة»، و«إقامة»، و«استقامة»، فأما قوله تعالى: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ [النور: ٣٧] فمما يجب الوقوف عنده، كذا قاله ابن هشام في المغني^(٧)، وفسر الشارح الدماميني^(٨) والشمني^(٩) ذلك بأنه يجعل مما لا يقاس.....

(١) انظر قول الزجاج في: معاني القرآن وإعرابه: ٣/٣٦٣.

ونص كلامه: والذي عندي - والله أعلم - وكنت عرضته على عالمينا: محمد بن يزيد، وإسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي، فقبلاه، وذكر أنه أجود ما سمعاه في هذا، وهو أن «أن» وقعت موقع «نعم» وأن اللام وقعت موقعها، وأن المعنى: هذان لهما ساحران.

(٢) مغني اللبيب: ٧٩٣.

(٣) انظر: الخصائص: ٢/٣٧٨.

(٤) انظر تفصيل ذلك كله في: مغني اللبيب: ٧٩٣ - ٧٩٤.

(٥) مغني اللبيب: ٧٩٤.

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر: مغني اللبيب: ٧٩٤ - ٧٩٥.

(٨) هو: محمد بن أبي بكر بن الإسكندراني، بدر الدين المعروف بابن الدماميني. المالكي النحوي الأديب. تصدر لإقراء النحو في الأزهر. تنقل بين مصر، والشام، واليمن، والحجاز، ثم سافر إلى الهند وتوفي بها. من تصانيفه: «تحفة الغريب في حاشية مغني اللبيب، خ»، «شرح التسهيل»، «شرح البخاري» وغيرهما، ولد (٧٦٣هـ)، (ت ٨٣٧هـ) وقيل: (٧٣٨هـ). بغية الوعاة: ١/٦٦ - ٦٧، الضوء اللامع: ٧/١٧١ - ١٧٤.

(٩) هو: أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي الشمني القسنطيني الأصل، =

عليه^(١)، وتبعه السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان» / فقال: وأما إقام الصلاة فلا يقاس عليه. انتهى^(٢). وهو^(٣) كلام في غاية الاشكال، كيف يكون في القرآن لفظ يسمع ولا يقاس عليه؟، فالمعنى أنه من الشواذ التي تسمع ولا يقاس عليها!! وفيه من التباعد ما لا مزيد عليه. وهذا الكلام سهو من هذين الإمامين عما يترتب على ذلك من البشاعة، وكأن السيوطي - رحمه الله تعالى - قلد ابن هشام في ذلك [ولم يتنبه]^(٤) عما يترتب على ذلك.

قال الدماميني في شرح المغني: قال الزمخشري في تفسير سورة النور^(٥): «التاء» في «إقامة» عوض من «العين» الساقطة للاعتلال، والأصل «أقوام» فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض، فأسقطت. ونحوه:
فأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا^(٦)

= الإسكندري. أبو العباس، تقي الدين، محدث مفسر نحوي، ولد بالإسكندرية، وتعلم ومات في القاهرة. تتلمذ عليه السيوطي. من تصانيفه: «شرح المغني» لابن هشام، «مزيل الخفا على ألفاظ الشفا، ط» وغيرهما، ولد (٨٠١هـ)، (ت ٨٧٢هـ). شذرات الذهب: ٧ / ٣١٣، الضوء اللامع: ٢ / ١٧٤، بغية الوعاة: ١ / ٣٧٥ - ٣٨١.

(١) انظر: تحفة الأريب في شرح مغني اللبيب، مخطوط: ٢٨٩ ب وفيه قال الدماميني: أقول: يعني فلا يجوز أن يتعدى ويجعل أمراً يقاس عليه. وكذلك انظر: المصنف من الكلام على مغني ابن هشام للشمني، مخطوط: ٢٥١ ب ١٥٢ أ.
(٢) الإتقان: ٣ / ١٧٨. وانظر كذلك: معترك الأقران للسيوطي: ١ / ٣١٥.
(٣) هذا تعليق من المؤلف ابن عقيلة.

(٤) في الأصل غير واضحة، وفي (ح) ساقطة، والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له
(٥) عند قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا لَّهُمْ جِدَّةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [الآية: ٣٧].
(٦) الكشاف: ٣ / ٢٤٣. وانظر: تحفة الأريب، مخطوط: ٢٨٩ ب وفيهما: واخلفوك. والبيت لزهير بن أبي سلمى، من أبيات يمدح فيها هرم بن سنان وإخوته، وأولها قوله [من البسيط]:

إنَّ الخليلط أجدوا البين وانجردوا

ومعنى: «الخليط»: المخالط في العشرة، وهو كالعشير، يقال للواحد والمتعدد. «أجدوا البين»: أي اجتهدوا في الفراق. «انجردوا»: مضو. وعائد الموصول «الذي» محذوف تقديره: أي الأمر الذي وعدوه إياك. والشاهد فيه قوله: «عد الأمر»: فأصله: عدة الأمر، وأصل عدة: وعد، فعوضت التاء عن الواو، ثم حذفت التاء للإضافة. واختلف في ذلك =

قال بعض الفضلاء من شارحي «شافية ابن الحاجب»: الحكم بالتزامهم التعويض في: «إجازة»^(١)، غير مسلم؛ لأنه يجوز ترك التعويض في مصدر «أفعل»، تقول: أريته: «أراء»^(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

فإن قلت: يحمل المذكور على الشاذ، فلا يجوز القياس عليه، قلت: الحمل على الشائع أولى، لثلا يلزم ورود القرآن على اللغة النادرة، وأيضاً: نص النحاة على جواز تركه، فلا يخالف النص، وعلى هذا ذهب الفراء إلى أن جواز ترك التعويض مشروط بالإضافة؛ ليكون المضاف إليه ساداً مسدّاً «التاء»^(٣). وعند سيبويه: الجواز مطلقاً ثابت^(٤). وقولهم: أريته «أراء» - كما ذكرنا - يقوى الأصح. انتهى^(٥).

قال الدماميني: قلت فعلى هذا يكون ادعاء المصنف^(٦) أن «التاء» لا تحذف من «إقامة»، وأن «إقامة الصلاة» مما يجب الوقوف عنده بمعنى أنه لا يقاس

= فقيل: إنها سماعية، وقيل: إنها قياسية، واشترطهم للحذف - عدم اللبس - يؤيد كونها قياسية.

(١) يشير هنا إلى قول ابن الحاجب: والتزموا الحذف والتعويض في نحو: «تعزية» و«إجازة» و«استجازة». الشافية ضمن شرح الجاربردي وحاشيته: ٤٣/٢. وانظر: ٦٤/١ أيضاً.

(٢) قال الموصلي: وأما رأيته إراءة، فلا يلزم فيه التعويض مطلقاً، لأن عين الكلمة وهي «الهمزة»، نقلت حركتها إلى الفاء وحذفت. نقله عنه ابن جماعة في حاشيته على شرح الجاربردي للشافية: ٦٥/١.

(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٥٤/٢ حيث قال الفراء: ... وإنما استجيز سقوط الهاء من قوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ لإضافتهم إياه، وقالوا: الخافض وما خفض بمنزلة الحرف الواحد، فلذلك أسقطوها في الإضافة. وكذلك قال الزمشخري كما سلف، فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض.

(٤) حكاه الموصلي كما نقله عنه ابن جماعة في المرجع السابق.

(٥) لم أجد هذا القول فيما لدي من شروح لشافية ابن الحاجب، فقد اطلعت على شرح الجاربردي، وحاشيته لابن جماعة: ٦٤/١ - ٦٥، ٤٣/٢، وكذلك اطلعت على شرح الاسترابادي على الشافية: ١٨٥/١، ٦٤/٤ - ٦٥ فلم أجد فيه شيئاً من ذلك.

(٦) أي: ابن هشام.

عليه، متعقب^(١). انتهى.

الشرط السابع: من شروط الحذف: أن لا يؤدي حذفه إلى تهية العامل للعمل وقطعه عنه^(٢).

الشرط الثامن: أن لا يؤدي إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان أعمال العامل القوي^(٣).

تنبية:

قد يظن أن الشيء من باب الحذف وليس هو [منه]^(٤) قال ابن هشام - رحمه الله تعالى -: جرت عادة النحويين أن يقولوا: بحذف المفعول اختصاراً واقتصاراً، ويريدون بالاختصار: الحذف للدليل، وبالاعتصار الحذف لغير دليل، ويمثلونه بنحو: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [البقرة: ٦٠] أي أوقعوا هذين الفعلين، وقول العرب فيما يتعدى للإثنين: من يسمع يخل^(٥) أي: يكن منه خيلة^(٦). قال: والتحقيق أن يقال: إنه تارة يتعلق الغرض/ بالإعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه، أو من أوقع عليه، فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام، فيقال: حصل حريق ونهب، وتارة يتعلق بالإعلام بمجرد

(١) تحفة الأريب في شرح مغني اللبيب، مخطوط: ٢٨٩ ب حيث قال بعد ذلك: ... على أن الحكم - بأن التاء في «عدة» و«إقامة» و«استقامة» للعويض، فلا يحذف - ليس من وظيفة المعربين، وإنما هو من وظيفة أهل الصرف.

(٢)(٣) مغني اللبيب: ٧٩٥.

(٤) من نسخة (ح).

(٥) أي: من يسمع أخبار الناس ومعايهم يقع في نفسه عليهم المكروه. ومعناه: أن المجانبة للناس أسلم. قال أبو عبيد: وقد روينا عن طلحة بن عبيد الله أنه قال: إن أقل للعيب أن يجلس الرجل في منزله. وقال: روينا عن أبي الدرداء أنه قال: نعم صومعة المؤمن بيته، يكف سمعه وبصره. وقال ابن سيرين: العزلة عبادة. كتاب الأمثال لأبي عبيد: ٢٩٠. وانظر المثل في: كتب الأمثال للعسكري: ٢/٢٦٣، الميداني: ٢/٣٠٠، الزمخشري: ٢/٣٦٢، البكري: ٤١٢. وانظره كذلك في: تهذيب اللغة: ٧/٥٦٥، اللسان: ٢٢٦/١١ - ٢٢٧.

(٦) خيلة: من خال الشيء يخال خيلاً وخيلة، أي: ظنه. قال ابن هانئ في قولهم: «من يسمع يخل»: يقال ذلك عند تحقيق الظن. ويخل: مشتق من يخيل إليّ. التهذيب: ٧/٥٦٥ - ٥٦٦، مادة: (خال)، اللسان: ١١/٢٢٦ - ٢٢٧، مادة: (خيل).

إيقاع الفاعل للفعل، فيقتصر عليهما، ولا يذكر المفعول ولا ينوي، إذ المنوي كالثابت، ولا يسمى محذوفاً؛ لأن الفعل منزل بهذا القصد منزلة ما لا مفعول له^(١).

ومنه: ﴿رَبِّ أَلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ . . .﴾ [الإنسان: ٢٠]، إذ المعنى: ربي يفعل الإحياء والإماتة، وهل يستوي من يتصف بالعلم ومن ينتفي عنه العلم؟ وأوقعوا الأكل والشرب وذرروا الإسراف، وإذا حصلت منك رؤية هنالك. انتهى^(٢).

أقول: هذا التقدير الذي قدره ابن هشام بيان لمعنى أن الفعل جعل في معنى القاصر، وأما أن قدرناه على أصله قبل أن يتناسى فيه المفعول، فيكون تقدير ﴿رَبِّ أَلَّذِي يُحْيِي﴾ الأموات، «ويميت الأحياء». وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ العلم، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ العلم. وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا﴾ الطعام، ﴿وَاشْرَبُوا﴾ الشراب. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ النعيم، ﴿ثُمَّ رَأَيْتَ﴾ نعيماً.

فائدة:

ينبغي أن يقدر المحذوف في محله الذي يليق به، فإنه كان الأليق بتقديمه قدم، وإن كان الأليق بالمعنى التأخير آخر.

ولهذا قال الزمخشري في متعلق الجار والمجرور في «بسم الله»: متأخراً عنها، لأن قريشاً كانت تقول: بسم اللات والعزى نفعل كذا، فيؤخرون أفعالهم عن ذكر ما اتخذوه معبوداً تفخيماً لشأنه بالتقديم، فوجب على الموحد أن يعتقد ذلك في اسم الله تعالى، فإنه الحقيق بذلك^(٣). ثم اعترض بـ ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] وأجاب بأنها أول سورة نزلت فكان الاهتمام بتقدير الأمر بالقراءة فيها أهم. انتهى^(٤).

(١) مغني اللبيب: ٧٩٧ - ٧٩٨.

(٢) مغني اللبيب: ٧٩٨.

(٣) انظر ذلك في: مغني اللبيب: ٧٩٩.

(٤) انظر: الكشاف: ٢/١ - ٣. وانظر ذلك أيضاً في: مغني اللبيب: ٨٠٠.

فائدة:

ينبغي تقليل^(١) الحذف مهما أمكن؛ لتقل^(٢) مخالفة الأصل، ولهذا ضعف قول من قال في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَاجِلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حب عبادة العجل، والأولى: حب العجل^(٣).

فائدة:

اعتبر الأخص التدرج في الحذف مهما أمكن، فقال في قوله تعالى: ﴿وَأَنْقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨، ١٢٣]: أن الأصل لا تجزى «فيه»، فحذف حرف الجر فصار: «تجزيه»، ثم حذف الضمير فصار: «تجزى»^(٤).

وعن سيبويه: أنها حذف دفعة واحدة^(٥).

ونقل ابن الشجري القول الأول عن الكسائي واختاره، قال: والثاني قول نحوي آخر^(٦).

وقال أكثر أهل العربية - منهم سيبويه، والأخص - يجوز الأمران. انتهى^(٧).

قال ابن هشام في «المغنى»: وهو نقل غريب^(٨).

فصل:

في أماكن من الحذف في القرآن.

١ - حذف المضاف/ : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿فَأَفَّ اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ﴾ [١٦٤ب/ح].

(١) في الأصل: «تعليل» وما أثبتته من (ح) لأنه أنسب للسياق.

(٢) في الأصل وفي (ح): «ليقل» والصواب ما أثبت.

(٣) انظر ذلك في: مغني اللبيب: ٨٠٢.

(٤) انظر قول الأخص في: البرهان: ١١٦/٣، مغني اللبيب: ٨٠٤، الإتيان: ٣/

١٧٨، معترك الأقران: ٣١٦/١.

(٥) انظر ذلك في المراجع السابقة.

(٦) انظر ذلك أيضاً في: مغني اللبيب: ٨٠٤.

(٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق.

[النحل: ٢٦] أي: أمره؛ لاستحالة المجيء الحقيقي^(١).

٢ - حذف المضاف إليه، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ﴾ [الروم: ٤] أي من قبل الغلب ومن بعده^(٢).

٣ - حذف اسمين متضايفين، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] أي من أثر حافر فرس الرسول^(٣).

٤ - حذف ثلاثة متضايفات، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] أي فكان مقدراً مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذف ثلاثة من اسم كان، وواحد من خبرها، كذا قدره الزمخشري - رحمه الله تعالى -^(٤).

٥ - حذف الموصول، أي الاسم^(٥)، ذهب إلى ذلك الكوفيون،

(١) انظر: مغني اللبيب: ٨١١. قلت: وهذا مخالف للصواب، إذ أن الآية الأولى تفيد إثبات المجيء الحقيقي لله تعالى يوم القيامة بذاته على ما يليق بجلاله وعظمته، لفصل القضاء بين عباده، ومجيئه ﷻ من صفاته الفعلية التي يجب إثباتها على حقيقتها، ولا يجوز تأويلها بمجيء أمره.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: والإتيان والمجيء المضاف إليه سبحانه نوعان: مطلق ومقيد، فإذا كان المراد مجيء رحمته أو عذابه، ونحو ذلك، قيد بذلك، كما في الحديث: «... حتى جاء الله بالرحمة والخير»، وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكُتُبٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ سَبْحَانِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله: ﴿وَجَاءَ رَيْكُ وَالْمَلِكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢]. اهـ. انظر تفصيل ذلك في: مختصر الصواعق المرسله: ٢٩٠ - ٢٩١، ٢٩٤ - ٢٩٦.

(٢) انظر ذلك في: البرهان: ١٥٢/٣، مغني اللبيب: ٨١٤، معترك الأقران: ٣٢٤/١، الإتيان: ١٨٤/٣.

(٣) انظر ذلك في: البرهان: ١٥٣/٣، مغني اللبيب: ٨١٤، معترك الأقران: ٣٣٠/١ - ٣٣١، الإتيان: ١٩٠/٣.

(٤) انظر: الكشف: ٤٢٠/٤. وانظر كذلك: مغني اللبيب: ٨١٥، الإتيان: ١٩٠/٣، معترك الأقران: ٣٣١/١.

ومعنى ﴿قَابَ﴾: أي قدر قوسين عربيتين. وقال قوم: القوس: الدراع؛ أي كان ما بينهما قدر ذراعين. ورجح ابن قتيبة الأول. ونسبه ابن الجوزي لابن عباس. انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٢٨. وانظر: تذكرة الأريب لابن الجوزي: ١٨٦/٢.

(٥) قال في مغني اللبيب: ٨١٥: حذف الموصول الاسمي.

والأخفش^(١)، وتبعهم ابن مالك، وشرط في بعض كتبه كونه معطوفاً على موصول آخر، نحو: ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]^(٢).

٦ - حذف الموصوف: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ﴾ [الصفات: ٤٨] أي حور قاصرات، ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ﴾ [سبأ: ١١] أي: دروعاً سابغات^(٣).

٧ - حذف الصفة: ﴿يَأْخُذُ كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] أي: صالحة، بدليل أنه قرئ كذلك^(٤).

٨ - حذف المعطوف: ويجب أن يتبعه العاطف، نحو: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنَ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا﴾ [الحديد: ١٠] أي: ومن أنفق بعده^(٥).

٩ - حذف المعطوف عليه: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠] أي: فضرب فانفجرت^(٦).

(١) أما البصريون - ما عدا الأخفش - فيرون عدم جواز الاسم الموصول إلا في ضرورة الشعر. انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري: ٧٢١/٢.

(٢) انظر: المساعد على التسهيل لابن مالك: ١٧٨/١. وانظر: مغني اللبيب: ٨١٥، البرهان: ١٥٨/٣.

(٣) انظر ذلك في: مغني اللبيب: ٨١٦ - ٨١٧، البرهان: ١٥٥/٣، الإتيان: ١٨٥/٣، معترك الأقران: ٣٢٥/١.

(٤) مغني اللبيب: ٨١٨، الإتيان: ١٨٥/٣، المعترك: ٣٢٥/١.

هذا وقد روى الطبري بسنده عن قتادة قال: هي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: «وكان من وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا».

وروى أيضاً بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: في قراءة أبي: «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا». تفسيره: ٢/١٦. وانظر: الإيضاح للقزويني: ٢٩٢. وذكر ذلك الزركشي في البرهان: ١٥٦/٣ وقال في الكلام على حذف الصفة، وقوله: ﴿يَأْخُذُ كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾: أي صالحة، وقيل: إنها قراءة ابن عباس. وفيه بحث وهو أنا لا نسلم الإضمار، بل هو عام مخصوص.

والذي أراه - والله أعلم - أن ذلك ليس قراءة بالمعنى المفهوم ولكنه من باب التفسير. وانظر حول ذلك: النوع الثالث والتسعين حديث رقم (٣٤)، أو أنها قراءة ثم نسخت بعد ذلك.

(٥) مغني اللبيب: ١١٩. وانظر: البرهان: ١٥٧/٣، الإتيان: ١٨٦/٣، معترك الأقران: ٣٢٥/١.

(٦) انظر تفصيل ذلك في: مغني اللبيب: ٨٢٠ - ٨٢١، البرهان: ١٥٨/٣.

١٠ - حذف المبتدأ: يكثر في جواب الاستفهام، نحو: ﴿وَمَا آدْرَاكَ مَا
الْحُطْمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ۝﴾ [الهمزة: ٥، ٦] أي: هي نار الله^(١).

١١ - حذف الخبر: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥] أي: حل لكم،
﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظُلْمًا﴾ [الرعد: ٣٥] أي: دائم^(٢).

١٢ - حذف ما هو محتمل أن يكون المبتدأ والخبر: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾
[المجادلة: ٣]، ﴿فِعْدَةٌ مِّنْ آيَاتٍ أُخْرَى﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾
[البقرة: ١٩٦]، ﴿فَنَظْرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. يحتمل: الواجب تحرير
رقبة، فيكون من حذف المبتدأ، أو فتحير رقة عليكم فيكون من حذف
الخبر، وكذا باقي الآيات^(٣).

١٣ - حذف الفعل وحده، أو معه ضمير مرفوع، أو منصوب، أو معهما،
﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠]، ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] أي: خلقهم الله^(٤).

وأكثر ما يحذف الفعل في القول، نحو: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] أي: يقولون: سلام عليكم^(٥).
قال أبو علي: حذف القول من حديث البحر، قل ولا حرج. يعني في غاية
الكثرة^(٦).

١٤ - حذف المفعول، يكثر بعد «لو شئت». نحو: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ﴾
[الأنعام: ١٤٩] أي: فلو شاء هدايتكم^(٧).

١٥ - حذف تمييز، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝﴾ [المدثر: ٣٠] أي: ملكاً^(٨).

(١) انظر: مغني اللبيب: ٨٢٢، معترك الأقران: ٣٢٤/١، الإتيان: ١٨٤/٣. وانظر:
البرهان: ١٣٥/٣ - ١٣٦.

(٢) مغني اللبيب: ٨٢٤. وانظر: البرهان: ١٣٩/٣، ١٤١.

(٣) انظر: مغني اللبيب: ٨٢٦.

(٤) انظر: مغني اللبيب: ٨٢٧.

(٥) المرجع السابق.

(٦) انظر قوله في: مغني اللبيب: ٨٢٧.

(٧) مغني اللبيب: ٨٢٨.

(٨) انظر المرجع السابق.

١٦ - حذف «قد»، قال البصريون: أن الفعل الماضي الواقع حالاً لا بد معه من «قد» ظاهرة: نحو ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩]^(١)، أو مضمرة: ﴿أَنْزَيْنُ لَكَ وَأَتَّبِعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، ﴿أَوْ جَاءَوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠]^(٢).

١٧ - حذف لا النافية، نحو: ﴿تَأَلَّوْا تَفْتُوًا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥]^(٣).

١٨ - حذف لام التوطئة، ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿وَإِنْ أَطَقْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿وَلَا تَقْفِرْ لِي وَتَرَحَّمْ لِي أَكُنْ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ [هود: ٤٧]^(٤).

١٩ - حذف الجار يطرد مع «أن» و«إن» نحو: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧]، أي: بأن أسلموا، ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧] أي: بأن هداكم، ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ [الشعراء: ٨٢] أي بأن يغفر لي^(٥).

٢٠ - حذف حرف النداء: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩]، ﴿أَنْ أَدُورًا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾ [الدخان: ١٨]^(٦).

٢١ - حذف نون الوقاية^(٧): ﴿أَتَحْتَجُّوَنِي﴾ [الأنعام: ٨٠]، ﴿تَأْمُرُونِي﴾ [الزمر: ٦٤]، فيمن قرأ بنون واحدة^(٨).

(١) من قوله: «الماضي الواقع حالاً...» إلى هنا ساقط من الأصل، وهو مثبت من (ح).

(٢) انظر: مغني اللبيب: ٨٣٣.

(٣) المرجع السابق ص (٨٣٤).

(٤) انظر: مغني اللبيب: ٨٣٨.

(٥) مغني اللبيب: ٨٣٨.

(٦) مغني اللبيب: ٨٤٠.

(٧) وتسمى نون العماد أيضاً، وتلحق قبل باء المتكلم المنتصبة بواحد من ثلاثة: الفعل: متصرفاً أو جامداً، واسم الفعل، والحرف غالباً... مغني اللبيب: ٤٥٠.

(٨) قرأ نافع، وابن عامر، بتخفيف النون في «أتحاجوني» وأقرأ الباقيون بالتشديد. وحجة من شده أن الأصل فيه بنونين، الأولى علامة الرفع، والثانية فاصلة بين الفعل والياء، فلما اجتمع المثلان أدغمأ... وحجة من خفف أنه حذف النون الثانية استخفافاً =

وهو قول أبي العباس^(١)، وأبي علي^(٢)، وأكثر المتأخرين^(٣): أن المحذوف نون الوقاية، وقال سيبويه^(٤)، وابن مالك^(٥): أن المحذوف نون الفعل، والموجود نون الوقاية^(٦).

٢٢ - حذف تاء الماضي مع تاء المضارعة: نحو: قوله تعالى: ﴿نَارًا تَلَطَّى﴾ [الليل: ١٤]، أي: تلتظي، ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]، أي: تتمنون الموت^(٧).

٢٣ - حذف التثنية^(٨) والجمع يحذفان للإضافة نحو: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ النَّافَةَ﴾ [القمر: ٢٧]^(٩).

٢٤ - حذف لام الجواب: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجْلًا﴾ [الواقعة: ٧٠] أي: لو نشاء لجعلناه^(١٠).

= لاجتماع المثلين متحركين، وللتضعيف الذي في الفعل... قال مكّي: والاختيار تشديد النون، لأنه الأصل، ولأن الحذف يوجب التغيير في الفعل، ولأن عليه أكثر القراء. انظر: الكشف: ٤٣٦/١ - ٤٣٧. وانظر: حجة القراءات: ٢٥٧ - ٢٥٨، التيسير: ١٠٤.

وقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ قرأه ابن عامر بنونين ظاهرتين، وقرأ نافع بنون واحدة خفيفة، وقرأ الباقون بالتشديد. وحجة من شدده أن الأصل فيه بنونين واحدة خفيفة، وقرأ الباقون بنون مشددة. وحجة من أظهر النونين أنه أتى به على الأصل ولم يدغم، وحجة من شدد أنه أدغم النون الأولى في الثانية، لاجتماع المثلين. وحجة من قرأ بنون واحدة أنه حذف إحدى النون لاجتماع المثلين، وهو ضعيف كما قال مكّي، ثم قال: والاختيار التشديد، لأن الأكثر عليه، ولأنه أخف من الإظهار، ولأنه وجه الإعراب. الكشف: ٢٤٠/٢ - ٢٤١، وانظر: التيسير: ١٩٠، حجة القراءات: ٦٢٤ - ٦٢٥.

(١) انظر: المقتضب: ٣٨٣/١ - ٣٨٥.

(٢) انظر نسبة ذلك إليه في: مغني اللبيب: ٨٠٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: الكتاب: ٣٧٠/٢.

(٥) انظر: المساعد على التسهيل: ٩٧/١ - ٩٨.

(٦) انظر في ذلك: مغني اللبيب: ٨٠٨.

(٧) مغني اللبيب: ٨٠٨ - ٨٠٩.

(٨) في الأصل: «التنبيه» وما أثبتته من (ح).

(٩) مغني اللبيب: ٨٤٢.

(١٠) «مغني اللبيب»: ٨٤٥.

٢٥ - حذف لام قد، يحسن مع طول الكلام نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا﴾ [الشمس: ٩] أي: «لقد»^(١).

٢٦ - حذف جملة القسم^(٢): ﴿لَأَعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١]،
﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، ﴿لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾
[الحشر: ١٢].

٢٧ - حذف جواب القسم: ﴿وَالْتَرَعَتِ غَرَقًا﴾ [١]... ﴿الآيات [النازعات:
[١]، أي: «لتبعثن» وقيل: مذكور^(٣). ﴿قَبَّ وَالْقُرَّانِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] أي:
«ليهلكن» بدليل: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [ق: ٣٦]، أو^(٤) «إنك لمنذر» بدليل ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ
جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ﴾ [ق: ٢] وقيل: مذكور^(٥).

٢٨ - حذف الشرط، وجملة فعل الشرط^(٦): ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ
لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، أي: فإن تتبعوني يحبكم الله^(٧). ﴿فَاتَّبِعَنِي أَهْدِكَ﴾
[مريم: ٤٣]، ﴿رَبِّنَا أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَنَشِيعَ الرُّسُلِ﴾ [إبراهيم:
٤٤]. وجعل منه أبو البقاء^(٨): ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْسَ﴾ [٢]

(١) المصدر السابق.

(٢) قال ابن هشام في المغني: ٨٤٦: «حذف جملة القسم كثير جداً، وهو لازم مع غير
الباء من حروف القسم، وحيث قيل: «لأفعلن» أو «لقد فعل» أو «لئن فعل» ولم يتقدم جملة
قسم فثم جملة قسم مقدرة، نحو: ﴿لَأَعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا﴾... الآيات.

(٣) قال ابن هشام: وهو بعيد لبعده. المغني: ٨٤٦.

(٤) أي: أو الجواب مقدر، تقديره: إنك لمنذر...

(٥) قال الأخفش: الجواب قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ [ق: ٤]. وحذفت اللام للطول،
مثل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا﴾ [الشمس: ٩]. وقال ابن كيسان: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ
رَقِيبٌ عَبِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، والكوفيون قالوا: الجواب: بل عجبوا. والمعنى: لقد عجبوا،
وبعضهم قال: الجواب: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ﴾ [ق: ٣٧].

انظر: البحر المحيط: ١٢٠/٨، معاني القرآن للأخفش: ٦٩٦/٢، والمغني: ٨٤٧.

(٦) قال ابن هشام: هو مطرد بعد الطلب، ثم ذكر الآية: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

المغني: ٨٤٧.

(٧) المرجع السابق.

(٨) هو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين، محب الدين أبو البقاء،
العكبري، البغدادي، الأزجي، الحنبلي، الضرير، القادري، النحوي، اللغوي، الفرضي،
المفسر، الفقيه الحاسب. من مشاهير علماء الحنابلة في زمنه، له اطلاع واسع في الفقه =

[الماعون: ٢] أي: إن أردت معرفته فذلك^(١).

٢٩ - حذف جواب الشرط^(٢): ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَّ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ...﴾
الآية [الأنعام: ٣٥]، أي: فافعل^(٣). ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] أي: لما آمنوا به، بدليل: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]، قال ابن هشام في «المغني»: والنحويون يقدرون: لكان هذا القرآن، وما قدرته أظهر^(٤).

[٥/٢٦٢هـ]

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤] أي: فتصبر ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤]، ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فتصبروا، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ﴿وَمَنْ يَبْنِ خَطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١] أي: يفعل الفواحش والمنكرات ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١]، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يظفر ويغلب، ﴿فَإِنَّ حَزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]^(٥).

فائدة:

الحذف على أنواع:

= الحنبلي. أخذ العلم عن جماعة منهم: إبراهيم بن دينار النهرواني، وأبو زرعة طاهر بن محمد، وابن الجوزي وغيرهم. وابن الخشاب في النحو واللغة. ومن تلاميذه: ابن الباقلائي، وابنه عبد الرحمن، والمجد ابن تيمية، وغيرهم. أثنى عليه العلماء. فقال الذهبي: كان ديناً ثقة، له مصنفات كثيرة في مختلف الفنون منها: «التبيان في إعراب القرآن، ط»، «التبيين عن مذاهب النحويين، ط»، «إعراب الحديث النبوي، ط»، وغير ذلك. ولد (٥٣٨هـ)، (ت ٦١٦هـ). ذيل طبقات الحنابلة: ١٠٩/٢ - ١٢٠، أنباه الرواة: ٢/ ١١٦ - ١١٨، نكت الهميان: ١٧٨ - ١٨٠، شذرات الذهب: ٦٧/٥ - ٦٩، البلغة: ١٢٢.

(١) انظر: التبيان: ١٣٠٦/٢ حيث قال فيه قوله تعالى: ﴿فَذَلِكِ﴾، الفاء جواب شرط مقدر تقديره: إن تأملته، أو أن طلبت علمه. قال ابن هشام بعد أن حكى قول أبي البقاء هذا: «وهو قول حسن». المغني: ٨٤٨.

(٢) قال ابن هشام في مغني: اللبيب: ٨٤٩: ويجوز حذف جملة جواب الشرط، نحو ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَّ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية. ثم ساق بقية الآيات التالية.

(٣) في الأصل: «افعل» وما أثبتته من (ح). وانظر: مغني اللبيب: ٨٤٩.

(٤) انظر: ٨٤٩.

(٥) انظر في ذلك: مغني اللبيب: ٨٥٠ - ٨٥١.

أحدها: ما يسمى بالاقطاع^(١)، وهو حذف بعض حروف الكلمة^(٢).
 وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن^(٣). وزد: بأن بعضهم جعل منه
 فواتح السور،/ على القول بأن كل حرف منها اسماً من أسمائه تعالى ومن [١٦٤/ح]
 آلائه تعالى، فالألف أول «الله»، واللام «لطيف»^(٤) كما تقدم^(٥).
 ومنه قراءة بعضهم: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكُمْ﴾ [الزخرف: ٧٧]، بالترخيم^(٦).

(١) في الأصل: «بالاقتطاع»، وفي (ح): «الانقطاع» وصوبته من مصادره. انظر:
 الإتيان: ١٨٠/٣، معترك الأقران: ٣١٩/١.

(٢) المرجعين السابقين. وانظر: البرهان: ١١٧/٣، حيث عرفه الزركشي بقوله:
 الاقتطاع: هو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي.

(٣) حيث قال: واعلم أن العرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيئاً لا يجوز القياس
 عليه، كقول بعضهم وهو علقمة بن عبدة، علقمة الفحل:

كأن إبريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان ملشوم
 فقوله: «بسبا الكتان» يريد: بسباب الكتان. فهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن، وإن
 كانت العرب قد استعملته فإنه لا يجوز لنا أن نستعمله. المثل السائر: ٣٦٦/٢ - ٣٦٧.

(٤) فقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن عامر أنه سئل عن: ﴿الْعَرَّ﴾ و﴿الرَّءِ﴾ و﴿حَمَّ﴾،
 و﴿صَّ﴾. قال: هي اسم من أسماء الله تعالى مقطعة بالهجاء، فإذا وصلتها كانت اسماً من
 أسماء الله.

وروى بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿الْعَرَّ﴾ و﴿حَمَّ﴾ و﴿رَّءِ﴾، قال: اسم مقطوع.
 كما روى بسنده أيضاً عن أبي العالية في قوله: ﴿الْعَرَّ﴾ قال: هذه الأحرف الثلاثة من
 التسعة والعشرين حرفاً دارت فيها الألسن، كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من
 أسمائه تعالى، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في
 مدة أقوام وأجالهم. وقال عيسى بن مريم عليه السلام وعجب فقال: وأعجب أنهم ينطقون
 بأسمائه، ويعيشون في رزقه، فكيف يكفرون به، فالألف مفتاح اسمه «الله» واللام مفتاح
 اسمه «لطيف»، والميم مفتاح اسمه «مجيد» فالألف: الآء الله، واللام: لطف الله، والميم:
 مجد الله. تفسير ابن أبي حاتم، مطبوع، برقم (٤٧، ٤٨، ٤٩، ح ١/٢٨ - ٢٩).
 وانظر: حكاية الأقوال الواردة في «الم» من الحروف المقطعة ونحوها، وتوجيهها، والتوفيق
 بينهما، في تفسير الطبري: ٢٠٥/١ - ٢٢٤. وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٨/١ - ٤٠.

(٥) أي: في النوع الرابع والثلاثين: علم معرفة الأحرف المقطعات التي في أوائل
 السور، في القسم الذي يقوم بتحقيقه الأخ: محمد صفا حقي.

(٦) تقدم الكلام على هذه القراءة، وتعريف الترخيم في النوع الرابع والتسعين علم أحكام
 المصلي إذا أخطأ في القراءة.. وانظر أيضاً: تفسير الطبري: ١١٦/١٦، التبيان للعكبري:
 ١١٤٢/٢، البرهان: ١١٨/٣، الإتيان: ١٨١/٣، المعترك: ٣١٩/١ ففيها زيادة تفصيل.

ومنه حذف همزة «إنا» من قوله تعالى: ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] الأصل «لكن أنا» حذف همزة «أنا» تخفيفاً وأدغمت النون في النون^(١).

النوع الثاني: ما يسمى بالاكْتفاء، وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بذكر أحدهما عن الآخر لنكتة. ويختص ذلك غالباً بالارتباط العطف^(٢)، كقوله: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد، وخص الحر بالذكر؛ لأن الخطاب للعرب، وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم؛ لأنه أشد عندهم من البرد^(٣).

وقيل: إنت البرد تقدم ذكره في الامتنان بوقايته صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ [النحل: ٨٠] وفي^(٤) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ [النحل: ٨١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْفُ حَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ﴾ [النحل: ٥]^(٥).

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] أي: «والشر»، وإنما خص الخير بالذكر؛ لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم، أو لأن إضافة الشر إلى الله تعالى [ليس]^(٦) من باب الأدب، كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك»^(٧) وقيل: ليس هو من هذا الباب،

(١) انظر: التبيان للعكبري: ٨٤٧/٢ - ٨٤٨ حيث أورد نحو ما ذكره المؤلف، ثم قال: والجيد حذف الألف في الأصل وإثباتها في الوقف؛ لأن «أنا» كذلك والألف فيه زيادة لبيان الحركة... وانظر: الكشف: ٦١/٢، المحتسب: ٢٩/٢ حيث ذكر ابن أبي بن كعب، والحسن قرأ: «لكن أنا هو الله ربي». وقرأ: «لكن هو الله ربي» ساكنة النون غير ألف: عيسى الثقفي قلت، وكلاهما قراءتان مرجوحتان.

(٢) الإلتقان: ١٨١/٣، معترك الأقران: ٣٢٠/١.

وانظر: البرهان: ١١٨/٣ حيث قال الزركشي بعد أن عرف الاكْتفاء: «ويخص بالارتباط العطف غالباً، فإن الارتباط خمسة أنواع: وجودي، ولزومي، وخبري، وجوابي، وعطفية ثم قال: ثم ليس الاكْتفاء أحدهما كيف اتفق، بل لأن فيه نكتة تقتضي الاقتصار عليه.

(٣) معترك الأقران: ٣٢٠/١.

(٤) في الأصل وفي (ح): «من» والأولى ما أثبتته لاقْتضاء السياق له.

(٥) البرهان: ١١٨/٣ - ١١٩.

(٦) ما بين المعقوفتين من (ح).

(٧) هذا جزء من حديث رواه مسلم من طريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ =

بل الشر المشتمل على الحكمة والمصالح خير، فلهذا قال تعالى: ﴿يَدِكَ
الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] ^(١).

ومنها: ﴿وَلَمْ يَأْتِ فِي آيَاتِنَا وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٢٦] أي: «وما تحرك» وخص السكون بالذكر لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ولأن كل متحرك يصير إلى السكون ^(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]؛ لأنه مدح؛ ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس، فالمعنى: «يؤمنون بالغيب والشهادة» ^(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصفات: ٥] ^(٤) أي: والمغرب.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنْ أَمْرًا هَلْكَ لَيْسَ لَكَ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦] أي: ولا

= أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين»...

وفيه: «واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك».. وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت... الحديث».

صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧١، ٥٣٤/١، ٥٣٥).

كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من طريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم (٨٠٣، ٨٠٥، ١٣٤/٢ - ١٣٥). وأخرج نحوه حديث رقم (٧٢٩، ١٠٠/٢ - ١٠١) من طريق علي رضي الله عنه أيضاً.

(١) انظر في ذلك: البرهان: ١١٩/٣، الإتيان: ١٨١/٣، معترك الأقران: ٣٢٠ - ٣٢١. قلت: لا شك أنه لا يجوز أن يقال: إن الله تعالى يخلق شراً محضاً، بل كل ما يخلقه فيه حكمة هو باعتبارها خيراً، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق فالرب منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه.. ولمزيد من التفصيل حول ذلك: ينظر فيما سلف: النوع السادس والتسعين: علم المحكم والمتشابه.

(٢) البرهان: ١١٩/٣، الإتيان: ١١٨/٣، معترك الأقران: ٣٢٠/١ - ٣٢١.

(٣) البرهان: ١٢٠/٣، الإتيان: ١٨٢/٣، معترك الأقران: ٣٢١/١.

(٤) انظر: المراجع السابقة.

والد، بدليل أنه أوجب للأخت النصف، وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها^(١).

النوع الثالث من أنواع الحذف: ما يسمى: الاحتباك؛ وهو أطف الأنواع وأبدعها^(٢). قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى -: «وقل من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة، ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى^(٣) لرفيقه الأندلسي^(٤)».

(١) انظر: البرهان: ١٢٢/٣، الإتيان: ١٨٢/٣، معترك الأقران: ٣٢١/١.

(٢) انظر: معترك الأقران: ٣٢١/١، الإتيان: ١٨٢/٣.

(٣) هو: شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي، الهواري، المالكي، الأعمى. ولد سنة (٦٩٨هـ) بالمرية - من أعمال الأندلس - ونشأ فيها طالباً للعلم على عدد من علماء عصره ووطنه. خرج من الأندلس حاجاً سنة (٧٣٨هـ) واتخذ أبا جعفر الرعيني صاحباً له في رحلته تلك، ثم استمر الرعيني مصاحباً له وملازماً حتى أخريات حياته، زار مصر والشام، وأخذ عن عدد من علمائها. كان شاعراً كثير النظم، عالماً بالعربية وفنونها، والقرآن والحديث، أخذ عنه غير واحد من العلماء. له من المؤلفات: «حلية الفصيح» في نظم ما قد جاء في «الفصيح» لثعلب، «عمدة المتلفظ» في نظم «كفاية المتحفظ» في اللغة للخوي (٦٩٣هـ)، شرح ألفية ابن مالك وغيرها. توفي في البيرة من أعمال حلب سنة (٧٨٠هـ).

بغية الوعاة: ٣٤، الدرر الكامنة: ٣٣٩/٣، شذرات الذهب: ٦٦٤/٦، معجم المؤلفين: ٢٩٤/٨، غاية النهاية: ٦٠/٢، نفع الطيب: ٦٦٤/٢، ٣٠٢/٧.

أما بديعته فهي: «الحلة السيرا في مدح خير الورى» وهو اسم للبديعية وشرحها، للمؤلف نفسه. وتقع بديعية ابن جابر الأعمى في (١٧٧) بيتاً، ضمنها من أنواع البديع كل ما ذكره الخطيب القزويني في كتاب «الإيضاح» والتزم بذكر هذه الأنواع ونظمها كما أوردها القزويني، إلا أنه خالفه في تقديم القسم المتعلق بالألفاظ على القسم المتعلق بالمعاني من أنواع البديع.

أما شرحه لها فيعد من الشروح المختصرة جداً إذا ما قيس بغيره من شروح البديعيات، ولعل هذا السبب هو الذي حمل صديقه الرعيني على شرح البديعية شرحاً مطولاً مفصلاً حافلاً بالشواهد والتوضيحات الكاشفة لمضمونها، وأطلق على شرحه اسم «طراز الحلة وشفاء العلة». وهو مخطوط. وقد اختصر هذا الشرح محمد اليشتكي (ت ٨٣٠هـ) وسماه: «منتقى شرح بديعية ابن جابر». وهو مخطوط أيضاً.

انظر: مقدمة كتاب «الحلية السيرا في مدح خير الورى» تحقيق: علي أبو زيد. وانظر: كشف الظنون: ١٥٢/١، ١٥٥، ٢٣٤.

(٤) الإتيان: ١٨٢/٣، معترك الأقران: ٣٢١/١.

وذكره الزركشي في «البرهان»، ولم يسمه هذا الاسم، بل سماه: الحذف المقابلي^(١). وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي^(٢)، قال الأندلسي^(٣) في شرح البديعية^(٤): من أنواع البديع الاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما ثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما ثبت نظيره في الأول، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْوَيْبِيِّ...﴾ الآية [البقرة: ١٧١]، التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينطق والذي ينطق به^(٥)، فحذف^(٦) من الأول: «الأنبياء»، لدلالة «الذي ينطق» عليه، ومن

(١) انظر: البرهان: ١٢٩/٣ حيث قال: الحذف المقابلي: وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه.

(٢) هو: إبراهيم بن عمر بن حسين البقاعي، أبو الحسن برهان الدين الشافعي، الحافظ المفسر المؤرخ الأديب. أصله من البقاع في لبنان، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. من شيوخه: الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب الفتح، شمس الدين ابن الجزري. ومن تلاميذه: الرملي، والنعمي. له مصنفات كثيرة منها: «نظم الدرر، ط»، «مساعد النظر، ط»، «أشعار الواعي بأشعار البقاعي» وغيرها. ولد (٨٠٩هـ)، (ت ٨٨٥هـ). الضوء اللامع: ١٠٧/١ - ١١١، البدر الطالع: ٢١/١، شذرات الذهب: ٧/٣٤١، نظم العقيان للسيوطي: ٢٤ - ٢٥، شذرات الذهب: ٧/٣٤١، نظم العقيان للسيوطي: ٢٤ - ٢٥. واسم مصنفه: «الإدراك لفن الاحتباك» ذكره البقاعي في كتابه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١.

(٣) هو: أحمد بن يوسف بن مالك الرعييني الغرناطي الأندلسي، أبو جعفر. كان متحققاً في العربية والأدب، له نظم، موصوفاً بالذكاء وحسن الحفظ. حج وقدم القاهرة، وأخذ عن أبي حيان، وقدم دمشق وسمع المزي. ثم أقام بحلب هو وصاحبه أبو عبد الله محمد بن أحمد جابر الضرير (ت ٧٧٩هـ). غاية النهاية: ١٥١/١ - ١٥٢، الدرر الكامنة: ٤٠٣/١ - ٤٠٤، شذرات الذهب: ٢٦٠/٦، نفع الطيب: ٦٧٥/٢.

(٤) اسم شرحه، كما سلف: «طراز الحلة وشفاء الغلة» وهو مخطوط يقع في: ٢٦٥ ورقة من الحجم الكبير في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد تحت رقم (١٢١٤٢) كتبت في شهر شعبان سنة (٧٦٣هـ).

(٥) قال سيبويه في باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى. لم يشبهوا بالناعق، وإنما شبهوا بالمنعوق به، وإنما المعنى: ومثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناقق والمنعوق به الذي لا يسمع إلا دعاء، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى. الكتاب: ٢١١/١ - ٢١٢.

ولمزيد من التفصيل في ذلك انظر: البرهان: ١٣١/٣ - ١٣٢.

(٦) في الأصل: «محذوف» وما أثبتته من (ح).

الثاني الذي ينق به لدلالة «الذين كفروا» عليه^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل:

١٢]، التقدير: وأدخل يدك في جيبك غير بيضاء، وتخرجها تخرج بيضاء،

فحذف «غير بيضاء» من الأول، ومن الثاني أخرجها تخرج^(٢). وقال/ [هـ/٢٦٣]

الزركشي: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما

مقابله لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُهُ

فَلَقَدْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥] التقدير: إن افتريته فعلي

إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون^(٣)، وقوله

تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤] فلا يعذبهم،

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُمْ حَتَّى تَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي

حتى يطهرن من الدم، ويتطهرن بالماء، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن، وقوله

تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] أي عملاً صالحاً بسيء،

وآخر سيئاً بصالح^(٤).

قال السيوطي - رحمه الله تعالى - : ومن لطيفه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَتَّبِعْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]، تقاتل في سبيل

الطاغوت^(٥).

وفي «الغرائب» للكرماني: في الآية الأولى التقدير: مثل الذين كفروا بك^(٦)

كمثل الناقع مع الغنم، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر. وله

في القرآن نظائر وهو أبلغ ما يكون من الكلام^(٧). انتهى.

وأما فوائد الحذف^(٨): فقد ذكروا له فوائد:

(١) الاتقان: ١٨٢/٣، معترك الأقران: ٣٢٢/١. وانظر: البرهان ١٣١/٣.

(٢) المرجعين الأولين.

(٣) ما بين المعقوفتين من نسخة (ح).

(٤) البرهان: ١٢٩/٣ - ١٣١.

(٥) الإتيان: ١٨٣/٣، معترك الأقران: ٣٢٢/١ - ٣٢٣.

(٦) في الأصل: «باب» وما أثبت من (ح).

(٧) غرائب التفسير وعجائب التفسير للكرماني: ١٩١/١ وقد نقله السيوطي بنصه في:

الإتيان: ١٨٣/٣، معترك الأقران: ٣٢٣/١.

(٨) قال عبد القاهر الجرجاني: الحذف باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب =

منها: الإيجاز، والاختصار، والاحتراز عن العبث، والتنبيه على أن الزمان متقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم^(١).

وهذه فائدة باب التحذير^(٢) والإغراء^(٣). وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣]، بتقدير^(٤): الزموا، وتحذير بتقدير: ذروا^(٥). ومنها: التعظيم والتفخيم لما في الحذف من الإبهام^(٦). قال حازم^(٧) في «منهاج البلغاء»: إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو

= الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين. دلائل الإعجاز: ١٤٦.

وسمى أبو الفتح ابن جني الحذف شجاعة العربية. انظر: الخصائص: ٣٦٠/٢. وقال ابن الأثير: أما الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر، شبيه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه الذكر أفصح من الذكر... إلى آخر كلامه، وهو نص كلام الجرجاني... المثل السائر: ٣١٦

(١) جعل الزركشي والسيوطي ذلك من أسبابه، حيث قال الزركشي: الثاني في أسبابه: فمنها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث، بناء على الظاهر... البرهان: ١٠٥/٣. وقال السيوطي: ... ذكر أسبابه، ثم قال: منها: مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث، لظهوره... الإتيان: ١٧٠/٣، معترك الأقران: ٣٠٥/١ - ٣٠٦.

(٢) وهو تنبيه المخاطب على أمر يجب الاحتراز منه. شرح ابن عقيل على الألفية: ٣/٣٠٠.

(٣) وهو أمر المخاطب بلزوم ما يحمد به. المرجع السابق: ٣٠١.

(٤) في الأصل وفي (ح): «بتقديم»، والصواب ما أثبت لاقضاء السياق له.

(٥) الإتيان: ١٧٠/٣، معترك الأقران: ٣٠٦/١. وانظر: البرهان: ١٠٥/٣، حيث قال

الزركشي بعد أن ساق الآية على التحذير: أي احذروا ناقة الله فلا تقربوها، و«سقيها» إغراء بتقدير: الزموا ناقة الله.

(٦) المراجع السابقة.

(٧) هو: حازم بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الأنصاري، القرطاجني الأندلسي، التونسي. إمام في النحو والعروض والبيان، قال أبو حيان: هو أوحد زمانه في النظم والنثر والنحو، واللغة، والعروض، وعلم البيان، روى عن جماعة يقاربون ألفاً، وعنه أبو حيان، وابن رشيد. من مصنفاته: «ألفية في النحو»، وكتاب في علم القوافي، وشعره في غاية العلو. وكتابه سماه الزركشي: «منهاج البلغاء وسراج الأدباء». وسماه السيوطي: «سراج البلغاء»، قال الفيروزآبادي: وكتابه في فنه لا نظير له، وله فيه اعتراضات على أرباب =

لقصدية تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول أو سامة، فيحذف ويكتفي بدلالة الحال عن ذكرها، ولهذا القصد يورد في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس، ومنه قوله تعالى: في وصف إهل الجنة: ﴿حَقَّقَ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبُوْهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فحذف الجواب؛ إذ^(١) كان وصف ما يجدونه ويلقونه عن ذلك لا ينتهي؛ فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شأنه؛ ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك^(٢). وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، أي لرأيت أمراً فظيماً لا يكاد يحيط به العبارة. انتهى^(٣).

[١٦٥ب/ح] وقال القزويني في «تلخيص المفتاح» في أحوال/ المسند إليه: أما حذفه فلاحتراز عن العبث بناء على الظاهر^(٤).

أقول: يعني أنه لا يخفى وأنه في غاية الظهور، فإذا ذكر كان عبثاً. قال^(٥): أو تخيل العدول^(٦) إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ^(٧).

أقول: وهذه فائدة عظيمة من فوائد الحذف وهو أن المتكلم اعتمد على أن

= البيان، وطريقه فيه مخالف لطريق السكاكي، وعبد القاهر، والرماني، وكل نكتة يريد إيرادها يقول في أولها: إضاءة وتنوير. ولد (٦٠٨هـ)، (ت ٦٨٤هـ).

البلغة: ٧٨ - ٧٩، بغية الرعاة: ٤٩١/١ - ٤٩٢، نفع الطيب: ٦٢٧/١، شذرات الذهب: ٣٨٧/٥، البرهان: ٣١١/١. وقد طبع الكتاب بالعنوان الذي سماه به الزركشي عام (١٩٦٦م)، بتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، رسالة دكتوراه من جامعة باريس.

(١) في الأصل وفي (ح): «إذا» والصواب ما أثبت لاقضاء السياق له.

(٢) انظر: منهاج البلغاء: ٣٩. وانظر: نص كلام حازم في البرهان: ١٠٥/٣ - ١٠٦، معترك الأقران: ٣٠٦/١، الإتيان: ١٧١/٣.

(٣) الإتيان: ١٧١/٣، معترك الأقران: ٣٠٦/١.

وقول المؤلف: انتهى في هذا الموضوع لا معنى له فيما أرى، إذ أن كلام حازم قد انتهى عند قوله هنالك.

(٤) التلخيص: ٣٥.

وانظر: الإيضاح: ١٠٩، شروح التلخيص: ٢٧٤/١.

(٥) أي: القزويني.

(٦) من قوله: وأنه في غاية الظهور... حتى هنا ساقط من (ح).

(٧) التلخيص: ٥٣. وانظر: شروح التلخيص: ٢٧٥/١، الإيضاح: ١٠٩.

العقل مثبت للمحذوف راسخ فيه، كما أن العبارة مثبت للمذكور موضحة له، ودلالة العقل أقوى من دلالة اللفظ، لأنه يحتاج إلى الفعل.

قال في التلخيص: أو اختبار تنبه السامع عند القرينة، أو مقدار تنبهه^(١).

أقول: وهما نكتان من فوائد الحذف، يعني تحذف المحذوف ولتعلم هل ينبه السامع أو هل يتنبه من أول وهلة، أو بعد التأمل^(٢).

قال: أو إيهام صونه^(٣) عن لسانك^(٤) يعني تعظيماً له، «أو عكسه»^(٤) يعني أنك تصون لسانك عن ذكره تحقيراً له. قال: «أو تعينه»^(٤) يعني لا ينصرف إلا إليه، كقولنا: خالق كل شيء، فاعل لما يريد، لا ينصرف إلا إلى الله تعالى^(٥).

قال: «أو ادعاء»^(٦) التعين^(٧) يعني: وإن أمكن أن ينصرف إلى الغير، لكن المتكلم يدعي أنه لا ينصرف إلا إلى المذكور معروف تعظيماً وتنويهاً، نحو: وهاب الألو، يعني الخليفة^(٨).

وقال^(٩) في باب متعلقات الفعل: وإما للتعميم مع الاختصار، كقولك: قد كان منك ما يؤلم، أي كل أحد، وعليه قوله تعالى [يونس: ٢٥]: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَيَّ دَارِ السَّلَامِ﴾^(١٠).

أقول: يعني بحذف المفعول للتعميم كما في الآية والله يدعو، أي: جميع عباده^(١١).

(١) التلخيص: ٥٤. وانظر: شروح التلخيص: ٢٧٧/١، الإيضاح: ١٠٩.

(٢) من قوله: المتكلم اعتمد على أن العقل... حتى هنا ساقط من (ح).

(٣) أي: المسند إليه.

(٤) التلخيص: ٥٤، شروح التلخيص: ٢٧٨/١ - ٢٧٩.

(٥) انظر: شروح التلخيص: ١٧٩/١.

(٦) في الأصل وفي (ح): «الدعاء» والصواب ما أثبت.

(٧) التلخيص: ٥٤. وانظر: شروح التلخيص: ٢٧٩/١.

الإيضاح: ١٠٩.

(٨) انظر: شروح التلخيص: ٢٧٩/١ - ٢٨٠.

(٩) عود إلى كلام القزويني.

(١٠) التلخيص: ١٣١.

وانظر: الإيضاح: ٢٠١.

(١١) انظر: شروح التلخيص: ١٤٠/٢.

قال: وأما لمجرد الاختصار^(١)، نحو: أصغيت إليه، أي: أذني، وعليه قوله تعالى: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي: ذاتك. انتهى^(٢).

[٥/٢٦٣هـ]

أقول: حمل الآية على أنه لمجرد/ الاختصار مما لا ينبغي في القرآن، فإنها نكتة ضعيفة لفظية.

وجعل الآية في عروس الأفراح للسبكي، مما حذف تعظيماً لذكره، وصيانة للسان عن أن ينطق به لشرفه وعلوه^(٣)، وهو في غاية النفاسة والحسن.

قال^(٤): «أو لرعاية الفاصلة^(٥)، كقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]. انتهى^(٦).

كذا ذكره غير واحد، أن حذف المفعول في «قلى» لرعاية السجعة، وهو ضعيف، ولم أر من ذكر لذلك نكتة معنوية، وقد لاح لي في ذلك: أنه إنما حذف المفعول لثلا يواجه^(٧) الحق ﷻ نبيه - عليه الصلاة والسلام - بكاف الخطاب - فإن القلي هو^(٨) الإبعاد، والهجر، والبغض^(٩) - فحذف لثلا يتوجه إليه هذا الخطاب، وإن كان منفيًا، فقال^(١٠) تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٢].

(١) عند قيام قرينة.

(٢) التخليص: ١٣١ - ١٣٢، والإيضاح: ٢٠٢.

وانظر: شروح التلخيص: ١٤١/٢ - ١٤٢.

(٣) انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ١٤٣/٢. ونص كلامه بعد أن ساق الآية... وعندني أن ترك المفعول هنا للتعظيم.

(٤) أي: القزويني.

(٥) انظر: التلخيص: ١٣٢ ونص كلامه: «وأما للرعاية على الفاصلة...».

(٦) المرجع السابق.

(٧) في الأصل وفي (ح): «يوجه» والأولى ما أثبت.

(٨) في الأصل وفي (ح): «وهو» والأولى ما أثبت.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٠/٣٠ حيث روى بسنده عن ابن عباس ؓ في تفسير

قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ أي: ما تركك ربك، وما أبغضك.

وروى بسنده عن ابن زيد قال: ما قلاك ربك وما أبغضك؛ قال: والقالي: المبغض.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٤، البحر المحيط: ٤٨٥/٨.

(١٠) في الأصل: «وقال» وما أثبت من (ح).

فإن قلت: كيف قال جل شأنه: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾، والتوديع: المفارقة، وخطبه بها؟ قلت: التوديع ليس مثل القلى، فإن المودعة المفارقة، وتكون من غير مباغضة ولا مقاطعة ولا قلى، بخلاف القلى، فإنه البغض والهجر، والصد. فكان أمره عظيم لا يستطيعه مرارة المحبوبين، ولذا قال قائلهم: عذب - بغير الهجر - قلبي تجده على غير جفاك اصطبار^(١) قال الشيخ عبد القاهر: ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف^(٢) فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره^(٣). وسمى ابن جني الحذف: شجاعة العربية^(٤)؛ لأنه شجع على الكلام.

فائدة:

قال الشيخ عز الدين: لا يقدر من المحذوف إلا أشدها موافقة للغرض، وأفصحها؛ لأن العرب لا تقدر إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به، نحو قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، قدر أبو علي: جعل الله نصب الكعبة. وقدر غيره: حرمة الكعبة، وهو أولى^(٥)؛ لأن تقدير «الحرمة» في الهدى والقلائد والشهر الحرام لا يشك في فصاحته، وتقدير: «النصب» فيها بعيد من الفصاحة^(٦).

قال^(٧): ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن، فإن الله ﷻ وصف كتابه: بأنه أحسن الحديث^(٨)، فليكن محذوفه أحسن

(١) لم أقف على قائله.

(٢) في الأصل وفي (ح): «تحذف» والصواب ما أثبت لمناسبه للسياق.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز: ١٥٢ - ١٥٣ ونص كلامه هو ما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآسن من النطق به.

(٤) انظر: الخصائص: ٣٦٠/٢.

(٥) أي: أولى من تقدير أبي علي. كما قال ذلك عز الدين بن عبد السلام في الإشارة إلى الإيجاز: ٤.

(٦) انظر: الإشارة إلى الإيجاز، لابن عبد السلام: ٤.

(٧) أي: عز الدين بن عبد السلام.

(٨) كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَتَذَكَّرُ بِهِ لَوْلَا الَّذِينَ

المحذوفات، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات^(١).

قال^(٢): ومتى تردد بين أن يكون مجملاً أو مبيناً، فتقدير المبين أحسن، نحو قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨] لك أن تقدر: في أمر الحرث، أو في تضمين الحرث، وهو أولى؛ لتبينه وهو مجمل لتردده بين أنواع^(٣).

فصل:

نذكر فيه أنواع الإطناب^(٤) كما سبق أنواع الإيجاز^(٥).

النوع الأول: من أنواع الإطناب، الإطناب بتكثير الجمل، نحو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي

= يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ وَرَبِّهِمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ، مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

(١) انظر: الإشارة إلى الإيجاز: ٢٠٤.

(٢) أي: عز الدين بن عبد السلام.

(٣) المرجع السابق: ٢٠٤.

(٤) الإطناب: مأخوذ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، ويقال: أطنبت الريح، إذا اشتدت في هبوبها، وأطنب في السير: إذا اشتد فيه.

اللسان: ٥٦٢/١، مادة: (طنب).

وحده ابن الأثير بأنه: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. قال: فهذا الحد يميزه عن التطويل: إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة.

المثل السائر: ٣٩٣/٢.

وقال أبو هلال العسكري: المنطق إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشد إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء، والإيجاز للخواص، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة... الصناعتين: ١٩٠.

ثم قال أيضاً: والقول القصد: أن الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام، وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه،... الصناعتين: ١٩٠.

هذا وانظر مناقشة ابن الأثير للعسكري وغيره ممن اختار عدم التفريق بين الإطناب والتطويل في الجامع الكبير: ١٤٦ - ١٥١، المثل السائر: ٣٩١/٢ - ٣٩٢.

قلت: والتفريق بين الإطناب والتطويل هو ما أراه وأختاره، لما ذكره ابن الأثير وغيره.

(٥) انظر ذلك فيما سلف من هذا النوع: ١٤٤٠.

الْبَعْرِ... ﴿ الآية في سورة (البقرة) [البقرة: ١٦٤]. أطنب الله - جل شأنه - في أنواع المتفكر فيه لكون الخطاب فيه لجميع^(١) الثقلين، [و]^(٢) في [كل]^(٣) عصر وحين^(٤)، للعالم^(٥) والجاهل، والموافق والمخالف^(٦)، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ في سورة (آل عمران) [١٩٠]. أطنب الحق فيها في صفات المتفكرين لبيان شرفهم وعلو مقامهم، وما منحهم الله من جليل النعم، وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]، فقوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إطناباً؛ لأن من المعلوم إيمان حملة العرش، وذُكر؛ لإظهار شرف الإيمان والترغيب فيه^(٧). وكذا قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧]، وليس أحد من المشركين مزكي، والنكته: الحث للمؤمنين على أدائها، والتحذير من المنع، حيث جعل من أوصاف المشركين^(٨).

النوع الثاني: من أنواع الإطناب: دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد على الجملة، مثل: لام^(٩) الابتداء^(١٠)، و«ألا».....

(١) في الأصل وفي (ح): «بجميع» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(٢) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٣) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٤) في الأصل وفي (ح): «وحيز» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(٥) في الأصل وفي (ح): «العالم» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(٦) الإلتقان: ١٩٢/٣، معترك الأقران: ٣٣٣/١. وانظر: مفتاح العلوم، للسكاكي:

١٣٥ حيث قال بعد أن ذكر الآية: ترك إيجازه وهو أن في ترجح وقوع أي ممكن كان، على لا وقوعه، لآيات العقلاء؛ لكونه كلاماً لامع الإنس فحسب، بل مع الثقلين، ولا مع قرن دون قرن، بل مع القرون كلها قرناً قرناً إلى انقراض الدنيا....

(٧) انظر في ذلك: مفتاح العلوم للسكاكي: ١٣٦ فقد قال بعد سياقه الآية: لو أريد

اختصاره لما انخرط في الذكر ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، إذ ليس أحد من مصدق حملة العرش يرتاب في إيمانهم.

وانظر كذلك: الإلتقان: ١٩٣/٣، معترك الأقران: ٣٣٣/١.

(٨) الإلتقان: ١٩٣/٣، معترك الأقران: ٣٣٣/١ - ٣٣٤.

(٩) في الأصل وفي (ح): «ولام» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(١٠) قال في مغني اللبيب: ٣٠٠... وفائدتها أمران: توكيد مضمون الجملة، ولهذا =

الاستفتاحية^(١)، و«أما»^(٢)، و«ها»^(٣) التنبيه^(٤).

[٢٦٤ب/هـ] والكلام في التأكيد^(٥) إذا لم يكن هو^(٦) مقتضى الحال، أما إذا كان

الحال مقتضية^(٧) فليس من الإطناب. / مثال التأكيد على وجه الإطناب، قوله [ح/١٦٥]

تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾^(٨) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

[المؤمنين: ١٥، ١٦]، أكد الموت تأكيدين، وإن لم ينكر؛ لتنزيل المخاطبين

- لتماذيبهم في الغفلة - تنزيل من ينكر الموت. وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً

وإن كان أشد نكيراً؛ لأنه لما كانت أدلته ظاهرة واضحة، نزل إنكار المنكر

منزلة العدم^(٨).

كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، نفي عنه

«الريب» على سبيل الاستغراق بـ«لا» مع أن «الريب» واقع فيه من المرتابين؛

لكن نزل ارتيابهم فيه منزلة العدم، تعويلاً على ما فيه من الأدلة الباهرة، أو

= زحلقوها في باب «إن» عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين. وانظر: البرهان: ٣٣٤/٤ - ٣٣٥.

(١) قال ابن هشام: ألا؛ بفتح الهمزة والتخفيف، تأتي على خمسة أوجه: أحدها: أن

تكون للتنبيه، فتدل على تحقق ما بعدها... ثم يقول: ... وأفادتها التحقيق من جهة

تركيبها من الهمزة، ولا. المغني: ٩٥ - ٩٦. وانظر: البرهان: ٢٣٥/٤.

(٢) ساقط من (ح): قال في البرهان: ٢٤٢/٣: أما بالفتح والتشديد كلمة فيها معنى

الشرط، بدليل لزوم الفاء في جوابها، وقدرها سبويه بـ«مهما»، وفائدتها في الكلام: أنها

تكسبه فضل تأكيد...

وقال ابن هشام: أما - بالفتح والتشديد - فهي حرف شرط، وتفصيل، وتوكيد،...

المغني: ٧٩ - ٨٠.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) قال ابن هشام: ها: على ثلاثة أوجه... ثم قال: ... أن تكون للتنبيه، فتدخل

على أربعة: أحدها: الإشارة غير المختصة بالبعيد نحو: «هذا». والثاني: ضمير الرفع

المخبر عنه باسم إشارة نحو: ﴿هَاتِنَّمْ هَؤُلَاءِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. الثالث: نعت أي في

النداء نحو: يا أيها الرجل وهي في هذا واجبة للتنبيه.

المغني: ٤٥٥ - ٤٥٦. وانظر: البرهان: ٤٣٢/٤.

(٥) أي: على أنه نوع من أنواع الإطناب.

(٦) أي: التأكيد.

(٧) أي: مقتضية للتأكيد.

(٨) انظر: البرهان: ٨٧/٣ - ٨٨، الإيقان: ١٩٤/٣، معترك الأقران: ٣٣٤/١ - ٣٣٥.

عد من ارتاب فيه بمنزلة العدم، وأنهم ليس ممن يعتد بهم، لجهلهم، وسوء طباعهم، وأن الناس هم الذين يؤمنون به ويهتدون به^(١).

وقال الزمخشري: بولغ في تأكيد الموت تنبيهاً للإنسان أن يكون الموت نصب عينه، ولا يغفل عن ترقبه، فإن مآله إليه، فأكدت جملته ثلاث مرات لهذا المعنى، لأن الإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعي؛ حتى كأنه مخلد، ولم يؤكد جملة البعث إلا بـ«إن» لأنه برز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع، ولا يقبل الإنكار^(٢).

لطيفة:

قال الجرجاني في «نظم القرآن»: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذًا مَا مِثَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ﴾ [مريم: ٦٦] ليست اللام فيه للتأكيد؛ فإنه منكر؛ فكيف يحقق ما ينكر؟ وإنما قاله حاكياً به كلام النبي ﷺ الصادر منه بأداة التأكيد، فنزله منزلة الآية على ذلك^(٣).

«تنبيه» ذكر السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان» من أنواع الإطناب:

(١) انظر ذلك في: معترك الأقران: ٣٣٥/١، الإتقان: ١٩٤/٣.

(٢) لم أجد في مظانه من كتب الزمخشري، ولعل السيوطي وهم في نسبتهم إليه، وتبعه المؤلف. فأني قد رأيت ذلك في تفسير البحر المحيط: ٣٩٩/٦، ونسبه أبو حيان فيه إلى نفسه، حيث قال بعد تفسيره لآيتي سورة المؤمنين [١٥ - ١٦]: فإن قلت: الموت مقطوع به عند كل أحد، والبعث قد أنكرت طوائف واستبعدته، وإن كان مقطوعاً به من جهة الدليل؛ لا مكانه في نفسه، ومجىء السمع به، فوجب القطع به، فما بال جملة الموت جاءت مؤكدة بـ«إن» وبـ«اللام»، ولم تؤكد جملة البعث إلا بـ«إن»؟!.

ثم قال: فالجواب: أنه بولغ في تأكيد ذلك تنبيهاً للإنسان أن يكون الموت نصب عينه، ولا يغفل عن ترقبه، فإن مآله إليه، فكأنه أكد جملته ثلاث مرات لهذا المعنى؛ لأن الإنسان في الحياة الدنيا يسعى فيها غاية السعي ويؤكد ويجمع، حتى كأنه مخلد فيها، فنبه بذكر الموت مؤكداً مبالغاً فيه؛ ليقصر، وليعلم أن آخره إلى الفناء فيعمل لدار البقاء، ولم تؤكد جملة البعث إلا بـ«إن»؛ لأنه أبرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع، ولا يقبل إنكاراً، وأنه حتم لا بد من كيان، فلم يحتج إلى تأكيد ثان. وقد نسبه إلى الزمخشري أيضاً: الزركشي في البرهان: ٨٨/٢. والسيوطي في الإتقان: ١٩٤/٣، معترك الأقران: ٣٣٥/١.

(٣) انظر: كلام الجرجاني بنصه في: الإتقان: ١٩٦/٣، معترك الأقران: ٣٣٧/١.

أن يكون شيئاً من أدوات التوكيد، ولام الابتداء والقسم، وغير ذلك من الأدوات^(١).

وليس الأمر على إطلاقه، بل التأكيد والقسم إن كان الكلام مقتضيه في أصل تأدية المعنى فليس من الإطناب، بل هو من المساواة. وإن لم يكن الكلام مقتضيه فهو من بابه كما قدمناه^(٢).

الثالث من أنواع الإطناب: الزيادة في الكلام بعض الحروف التي يقصد بها تأكيد الكلام وتقويته، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ [الزمر: ٣٦]^(٣).
وأما الأفعال، فنحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] و«كان» قال بعضهم: صلة أتى بها للتأكيد والتقوية^(٤).

وقال بعضهم: أصبح في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا خَيْرِينَ﴾ [المائدة: ٣] [مزيدة]^(٥).
وقال الرماني: العادة أن من به علة تزداد^(٦) بالليل ويرجو الفرج عند الصبح، فاستعمل «أصبح» لأن الخسران حصل لهم في الوقت الذي يرجى فيه الفرج، [فليست زائدة]^(٧).

(١) انظر: الإتيان: ١٩٣/٣، معترك الأقران: ٣٣٤/١.

(٢) انظر صفحة (١٤٨٣) فيما سلف من هذا النوع.

(٣) فالباء في قوله: «بكاف» زائدة لتأكيد النفي. انظر: البرهان: ٧٥/٣، ٨٤، وذكر الأخفش أن الباء تزداد في كثير من الكلام. انظر: معاني القرآن، للأخفش: ٦٢٦/٢.

وكذلك «الواو» اختلفت في زيادتها بين الكوفيين والبصريين، فالأولون قالوا بذلك. وذهب البصريون إلى عدم جواز القول بزيادتها. انظر تفصيل ذلك في: الإنصاف: ٤٥٦/٢ - ٤٦٢، شرح ابن يعيش على المفصل: ١١٤٨، شرح رضي الدين على الكافية: ٣٤٢/٢.

(٤) انظر: مجاز القرن لأبي عبيدة: ٧/١ فإنه لما ذكر الآية قال: ول «كان» مواضع: فمنها: لما مضى.

(٥) زيادة أضفتها من البرهان: ٧١/٣ حيث قال فيه: ومنه زيادة «أصبح» ثم قال: قال حازم: إن كان الأمر الذي ذكر أنه أصبح فيه يكن أمسى فيه، فليست زائدة، وإلا فهي زائدة، كقولك: أصبح العسل حلوا.

وانظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٩١.

(٦) في الأصل وفي (ح): «يزداد» والأولى ما أثبت لأنه أنسب للسياق.

(٧) ساقط من الأصل ومن (ح): وصوته من مصادره.

ولم أجد كلام الرماني في مظانه في كتبه المطبوعة. فانظره بنصه في: البرهان: ٧١/٣، الإتيان: ١٩٧/٣، معترك الأقران: ٣٣٨/١.

وأما الأسماء، فأكثر النحويين على أنها لا تزداد في الكلام^(١).

وبعض النحويين واللغويين يرون زيادة الأسماء، وقد ذكروا ذلك في كثير من كلام العرب، فيقولوا: هو مقحم، أي: زائد^(٢). وحمل عليه بعضهم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَآمَنْتُمْ بِهِ...﴾ [البقرة: ١٣٧] أي: بما^(٣).

الرابع من أنواع الإطناب: التأكيد الصناعي^(٤)، وهو أربعة أقسام: أحدها: التأكيد المعنوي^(٥) بـ«كل»، و«أجمع»، و«كلا»، و«كلتا»، نحو قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]^(٦).

الثاني: التأكيد اللفظي، وهو تكرار اللفظ الأول بلفظه، نحو قوله تعالى:

(١) قال ابن هشام: والقول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم، بل زيادة الاسم لم تثبت. مغني اللبيب: ٢٣٨.

وقال الزركشي في البرهان: ٧٤/٣: حق الزيادة أن تكون في الحروف وفي الأفعال، وأما الأسماء فنص أكثر النحويين على أنها لا تزداد.

وكذلك ذكر السيوطي في الإتقان: ١٩٧/٣، معترك الأقران: ٣٣٨/١، على أن أكثر النحويين نصوا على أنها لا تزداد.

(٢) مثل الزمخشري، فإنه حكم عليها في مواضع عدة بأنها مقحمة، أي زائدة.

مثل قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَئِنَّ ءَامِنُوا...﴾ [البقرة: ٩] إن اسم الجلالة مقحم، ولا يتصور مخادعتهم لله تعالى... الكشف: ٣٠ - ٣١. وكلامه فيه نظر من حيث المعنى. انظر: الرد عليه في حاشية ابن المنير على الكشف: ٣٠/١ - ٣١. وانظر كذلك: تفسير الطبري: ٢٧٢/١ - ٢٧٧ في معنى الآية السابقة.

(٣) انظر: البيان، لابن الأنباري: ١٢٥/١ حيث قال فيه: ويجوز أن تكون «مثل» زيادة، وتقديره: ﴿فَإِنْ ءَامِنُوا بِمِثْلِ مَا ءَآمَنْتُمْ بِهِ﴾ ثم قال: وزيادة الحروف أحسن من زيادة الاسم.

والبيان للعكبري: ١٢٢/١ فإنه قال: وقيل: مثل زائدة، و«ما» بمعنى الذي.

(٤) التأكيد من أكد تأكيداً، ويقال أيضاً: توكيد مصدر وكد، لغتان، وربما أطلق سبويه والأخفش، والمبرد، على التأكيد الصفة.

المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل: ٣٨٤/٢.

(٥) التأكيد المعنوي: هو الرفع توهم إضافة المتبوع، أو أن يراد به الخصوص، نحو: قتل العدو زيد نفسه، فيذكر النفس علم أن زيدا باشر القتل، ولولاه لجاز اعتقاد كونه أمراً. المصدر السابق. وذكر ذلك السيوطي في الإتقان: ١٩٧/٣ على أنه فائدة للتأكيد المعنوي.

(٦) وانظر: أوضح المسالك لابن هشام: ٣٢٧/٣ وما بعدها، المساعد على تسهيل الفوائد: ٣٨٤/٢ وما بعدها، الإتقان للسيوطي: ١٩٧/٣، معترك الأقران: ٣٣٩/١.

﴿دَكَ دَكًا﴾ [الفجر: ٢١]، ﴿صَفَا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿قَوَّارِبًا قَوَّارِبًا﴾ [الإنسان: ١٥]، [١٦]، أو مرادفه، نحو قوله تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]^(١).

الثالث: تأكيد الفعل بالمصدر، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الرابع: الحال المؤكدة، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩].

كذا ذكر الحافظ السيوطي في «الإتقان» هذا النوع أنه من الإطناب، وأطال في أمثله^(٢).

وأقول^(٣): إن التوكيد بسائر أنواعه ليس من الإطناب في شيء، بل هو من أصل الكلام، وقصد به المتكلم رفع المجاز، فليس من الإطناب، لأن الإطناب: الزيادة عن أصل الكلام الذي به يتساوى المعنى، وليس التأكيد منه، / [١٢٦٤هـ].

ولم يذكره القزويني في «تلخيص المفتاح»^(٤).

الخامس من أنواع الإطناب: التكرير^(٥)، وهو من محاسن الفصاحة^(٦)، وله فوائد:

(١) انظر: الإتقان: ١٩٧/٣، معترك الأقران: ٣٣٩/١.

(٢) الإتقان: ١٩٧/٣ - ١٩٨، وانظر: معترك الأقران: ٣٣٨/١ - ٣٣٩.

(٣) هذا اعتراض من المؤلف ابن عقيلة على السيوطي.

(٤) انظر: ٢٢١، وما بعدها من التلخيص.

(٥) قال ابن الأثير في المثل السائر: ٧/٣: وحده هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً.

كما أنه فرق بينه وبين «التطويل» و«الإطناب» بقوله: الإطناب: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.

والتطويل: هو زيادة اللفظ على المعنى لغير فائدة المثل السائر: ٣٩٣/٢ - ٣٩٤. وانظر

في ذلك: التلخيص وشروحه: ٢١٨/٣، الإيضاح: ٣٠٤، الإتقان: ١٩٩/٣، معترك الأقران: ٣٤١/١.

(٦) قال الزركشي: ... وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظناً أنه لا فائدة

له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها... البرهان: ٩/٣.

وقال ابن الأثير: واعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ. المثل

السائر: ٧/٣.

[١] منها: التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر^(١).

[٢] ومنها: التأكيد^(٢).

[٣] ومنها: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول^(٣)، ومنه قوله تعالى - حاكياً -: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُورُ أَتَمِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَنْقُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ﴾ [غافر: ٣٨، ٣٩] فكرر النداء لذلك^(٤).

[٤] ومنها: إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول، أعيد ثانياً تطرية له، وتجديداً لعهد^(٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [النحل: ١١٩] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا...﴾ [النحل: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ...﴾ [آل عمران: ١٨٨]، وقوله تعالى: ﴿... إِنْ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُوفِبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]^(٦).

[٥] ومنها: التعظيم^(٧)، نحو قوله تعالى: ﴿الْمَلَأْتُهُ ﴿١﴾ مَا الْمَلَأْتُهُ ﴿٢﴾﴾ [الحاقة: ١، ٢]، وقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ [القارعة: ١، ٢]،

(١) البرهان: ١٠/٣ حيث قال الزركشي أيضاً: وفائدته العظمى التقرير... وانظر: الإتيان: ١٩٩/٣، معترك الأقران: ٣٤١/١.

(٢) انظر: الإيضاح: ٣٠٤، التلخيص وشروحه: ٢١٨/٣، البرهان: ١١/٣، الإتيان: ٢٠٠/٣، معترك الأقران: ٣٤١/١.

(٣) الإيضاح: ٣٠٤، البرهان: ١٣/٣، الإتيان: ٢٠٠/٣، معترك الأقران: ٣٤١/١.

(٤) انظر: المراجع السابقة.

(٥) البرهان: ١٤/٣، الإتيان: ٢٠٠/٣، معترك الأقران: ٣٤١/١ - ٣٤٢، وانظر: الإيضاح: ٣٠٤.

(٦) انظر: المصادر السابقة.

(٧) قال الزركشي: مقام التعظيم والتهويل. البرهان: ١٧/٣، الإتيان: ٢٠٠/٣، معترك الأقران: ٣٤٢/١.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧].

[٦] ومنها التنبية والإيقاظ للسامع ليتنبه ويستيقظ لما يلقي إليه، وما يعد عليه من النعم والامتنانات وما يسرد عليه من العبر والإشارات^(١)، كقوله تعالى - في سورة الرحمن -: ﴿فَأَيُّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] نيفاً وثلاثين مرة، إيقاظاً/ للسامعين، وتنبيةاً لهم على، نعم الله وامتناعه عليهم، وأدلة توحيده، ولذا ورد عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كلما أتيت على قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٢) قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»^(٣). انتهى.

وذكر الزمخشري في الكشاف في تفسير سورة «اقتربت»^(٤) عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]، فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَذُكْرِي﴾ [٧] و﴿لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ [٨]؟ قلت: أن يتجدد عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكاراً وإيقاظاً، وأن يستأنفوا تنبيهاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع^(٥) لهم

(١) قال القزويني: «وقد يكرر لتعدد المتعلق...» الإيضاح: ٣٠٤، وبمثل قوله قال الزركشي والسيوطي. انظر: البرهان: ١٨/٣، الإتيان: ٢٠١/٣، معترك الأقران: ٣٤٣/١.
(٢) الآلاء: النعم.

(٣) قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد ثم قال: وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير. وهذا منها.

سنن الترمذي، التفسير، باب ومن سورة (الرحمن)، برقم (٣٢٩١، ٣٩٩/٥ - ٤٠٠). وأخرجه الحاكم بنحوه من طريق جابر رضي الله عنه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. المستدرک مع التلخیص: ٤٧٣/٢.

(٤) في الأصل وفي (ح): «اقترب» والصواب ما أثبت.

(٥) التقعقع: التحرك، وتقعقع الشيء: صوت عند التحريك. وقعقته قعقعة وقعقاعاً: حركته والاسم: القعقاع بالفتح. والقعقعة: حكاية حركة لشيء يسمع له صوت. وقيل: هو تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت. ويقال للجلد اليابس والترسة إذا تخشخششت فحكيت صوت حركاتها: قد قعقعت قعقعة.

الشن^(١) تارات لثلا يغلبهم السهو، ولا تستولي عليهم الغفلة. وهذا حكم التكرير: كقوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيءَ آءِآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن، وقوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] عند كل آية أوردتها في سورة المرسلات، وكذلك تكرير الأنباء والقصص أنفسها، لتكون^(٢) تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للأذهان، مركوزة غير منسية في كل أوان. انتهى^(٣).

وقال في «عروس الأفراح»: فإن قلت: إذا كان المراد بكل ما قبله ليس ذلك بإطناب بل هي ألفاظ كل أريد غير ما أريد بالآخر، قلت: والأمر كذلك، ولا يرد عليه: أن التأكيد لا يزداد على ثلاثة؛ لأن ذلك في التوكيد هو تابع، وأما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع^(٤). انتهى.

ومن هذا النوع أيضاً قوله تعالى في سورة (الشعراء): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٨] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [١] ﴿ [الشعراء: ٨، ٩] كررت ثماني مرات، كل مرة عقب قصة، فالإشارة في كل واحدة من ذلك/ إلى قصة [٢٦٥ب/هـ] النبي المذكور قبلها، وما اشتملت عليه من الآيات والعبر^(٥). وقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قومه^(٦). ولما كان مفهومه أن الأقل من قومه آمنوا أتى

= تهذيب اللغة: ١/٦٣ - ٦٤، مادة: (قع)، اللسان: ٨/٢٨٦ - ٢٨٧، مادة: (قعع)،
النهاية لابن الأثير: ٤/٨٨، مادة: (قعع)، تاج العروس: ٥/٤٧٧، مادة: (قعع).

(١) الشَّنُّ: واحد الشنان، وهي الأسقية والقرب الخلقان. يقال للسقاء شن، وللقربة شن. وتسنن السقاء واشتن واستشن: أخلق.

ما اتفق لفظه واختلف معناه لليزدي: ١٥٦ - ١٥٧، مادة: (الشن)، تهذيب اللغة: ١١/٢٧٩، ٢٨٠، مادة: (شن)، اللسان: ١٣/٢٤١ - ٢٤٢، مادة: (شنن)، تاج العروس: ٩/٣٥٦ - ٣٥٧، مادة: (شنن).

فمعنى: يقع لهم الشن؛ أي يحركه لهم، فشبه قرع الآيات لأسماعهم، بمن يقرع سنا عند أناس خشية السهو والنعاس عليهم. والله أعلم.

(٢) في الأصل وفي (ح): «ليكون» وصوبته من الكشاف.

(٣) الكشاف: ٤/٤٧ - ٤٨.

(٤) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣/٢١٩ - ٢٢٠.

(٥) الإقتان: ٣/٢٠١، معترك الأقران: ١/٣٤٣.

(٦) أي: الإشارة فيه إلى قومه.

بوصفي: «العزیز الرحیم» للإشارة إلى أن «العزة» على من لم يؤمن منهم، «الرحمة» لمن آمن^(١).

قال السيوطي - رحمه الله تعالى - في «الإتقان»: ومن ذلك تكرير القصص قصة آدم، وموسى، ونوح، وغيرهم من الأنبياء^(٢)، انتهى.
وأقول^(٣): إن تكرار قصص الأنبياء ﷺ ليس من الإطناب في شيء؛ لأن قصص الأنبياء ﷺ أن تكرر القصة في أماكن متعددة، وسور مختلفة، بأساليب متنوعة، ولها في كل سورة حكمة ولطيفة غير ما في السورة الأخرى^(٤).

وأيضاً كل قصة مستقلة^(٥) على حدة.

والإطناب: الإطالة والزيادة في كلام واحد، وسيأتي في نوع «تكرار قصص الأنبياء والحكمة في ذلك وسر التكرار»^(٦).

ومن التكرار على وجه الإطناب والمبالغة عند الفراء قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [الكافرون].

قال: هو بمنزلة قوله: لا أفعل هذا الأمر، لا أفعله^(٧).

(١) المراجع السابقة.

(٢) الإتقان: ٢٠٤/٣، معترك الأقران: ٣٤٧/١.

(٣) اعتراض من المؤلف ابن عقيلة على السيوطي في عدة تكرار قصص الأنبياء من الإطناب.

(٤) في الأصل: «الأخرة» وما أثبتته من (ح).

(٥) في الأصل وفي (ح): «مستقل» والصواب ما أثبت.

(٦) وهو النوع الخامس والعشرون بعد المائة، وهو ضمن الأنواع التي يقوم بتحقيقها الأخ: مصلح السامدي.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٥٨٧/٣. وانظر أيضاً: زاد المسير: ٢٥٣/٩.

قال ابن قتيبة: ... نزل القرآن بلسان العرب، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار، إرادة التوكيد والإفهام، كما أن مذاهبهم الاختصار، إرادة التخفيف والإيجاز؛ لأن افتتان المتكلم والخطيف في الفنون، وخروجه عن شيء إلى شيء أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد، وقد يقول القائل في كلامه: والله لأفعله، ثم والله لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع من أن يفعله...». تأويل مشكل القرآن: ٢٣٥.

وقال بعضهم: إن الكفار كان في سؤالهم: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، واعبد آلهتنا شهراً ونعبد إلهك شهراً، فأتى الجواب على وفق سؤالهم، فكان التكرار؛ لذلك ليست الآية من التكرار الذي قصد به التوكيد. وعليه أكثر المفسرين. فقالوا: «لا أعبد» أي في المستقبل، «ما تعبدون» فيه، «ولا أنتم عابدون» فيه، «ما أعبد» فيه، «ولا أنا عابد» في الحال، «ما عبدتم» في الحال، «ولا أنتم عابدون» في الحال، «ما أعبد» في الحال. ويحتمل عليه ذلك، فإن اسم الفاعل يصلح للحال والاستقبال، فتكون الجملة الأولى للحال، والثانية للاستقبال^(١).

وقد أجاز الوجهين الإمام الرازي في «التفسير الكبير» قال الأول: للاستقبال، الثاني: أن ينقلب الأمر فيجعل الأول للحال، والثاني للاستقبال، ثم قال بعضهم: كل واحد منهما يصلح للحال والاستقبال، ولكننا نخص أحدهما بالحال، والثاني بالاستقبال دفعاً للتكرار، فإن قلنا: إنه خبر عن الحال، ثم عن الاستقبال، فهو الترتيب، وإن قلنا: أخبر أولاً عن الاستقبال، فلأنه هو الذي دعوه إليه، فهو الأهم فبدأ به^(٢). انتهى.

وإلى حمل الجملتين على الزمانين ذهب أكثر المفسرين^(٣)، وبعضهم: إلى

= وقد حكى هذا القول في معنى الآية الخازن في تفسيره حيث قال: ... الثاني: حصول التكرار في الآية وقال بعد ذلك: وعلى هذا القول يقال: إن التكرار يفيد التوكيد، وكلما كانت الحاجة إلى التوكيد أشد كان التكرار أحسن، ولا موضع أحوج إلى التوكيد من هذا الموضوع... إلى آخر كلامه. تفسير الخازن، ضمن كتاب مجموعة التفاسير: ٥٨٧/٦. وانظر أيضاً: تفسير القرطبي: ٢٢٩/٢٠.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢٧٧/٢٠ حيث قال فيه: وقيل: هذا على مطابقة قولهم: تعبد آلهتنا ونعبد إلهك، ثم تعبد آلهتنا ونعبد إلهك، فتجري على هذا أبداً سنة وسنة، فأجيبوا عن كل ما قالوه بضده؛ أي هذا لا يكون أبداً.

لكل كافر، كان يقرأ بها في المدينة بعد موت أولئك المعينين، ويأمر ويامر بها ويقول: هي براءة من الشرك، فلو كانت خطاباً لأولئك المعينين، أو لمن علم منهم أنه يموت كافراً، لم يخاطب بها من لم يعلم ذلك منه... إلى آخر رده.. (مجموع الفتاوى ١٦/٥٣٩ - ٥٤٠) وانظر: (دقائق التفسير ٣/٣١٨).

(٢) تفسيره: ١٤٥/٣٢.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي، والخازن، والنسفي، ضمن كتاب مجموعة التفاسير: ٦/

٥٨٧

نفي العبادة في الأزمنة الثلاثة^(١). وكل هذه التعبيرات التي عبروا بها تكلف وتعسف. وقال بعضهم في وجه دفع التكرار: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢) [الكافرون] من الأصنام، ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٣) وهو الله، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ أي عبادتكم، ف«ما» مصدرية، ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٤) أي عبادتي، فالجملة الأولى لنفي المعبود، والثانية للعبادة^(٢).

وعندي^(٣): أن الوجه في السورة ما ذكره المفسرون في أسباب نزول السورة، وأخرجه ابن جرير في تفسيره، والطبراني عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد، هلم فاتبع ديننا وتبع دينك، تعبد آلهتنا سنةً وتعبد إلهك سنةً فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله غيره»، فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك وتعبد إلهك، فنزلت، فعمد إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام^(٤) على رؤوسهم فقرأها عليهم، فأيسوا^(٥). انتهى.

(١) انظر: البرهان: ٢١/٣، الإتيان: ٢٠٣/٣، معترك الأقران: ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٢) وهناك قول ثالث، وهو ما حكاه البخاري وبعض المفسرين: أن المراد ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (١) ﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٢). في الماضي ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ (٣) نفي قبوله لذلك بالكلية؛ لأن النفي بالجملة الاسمية أكد، فكأنه نفي الفعل وكونه قابلاً لذلك؛ ومعناه: نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً. الصحيح مع الفتح، التفسير، سورة: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ (١) ٧٣٣/٨.

قال ابن كثير: وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.

تفسير ابن كثير: ٦٠٠/٤. وانظر: البرهان: ٢١/٣ - ٢٢.

(٣) أي: المؤلف ابن عقيلة.

(٤) في الأصل: «فقال» وما أثبت من (ح).

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٥٤٣، تفسير البغوي: ٥٣٥/٤، تفسير الطبري: ٣٣٠/٣٠ - ٣٣١، التفسير الكبير للرازي: ١٤٤/٣٢، تفسير القرطبي: ٢٢٧/٢٠ - ٢٢٨، تفسير الخازن، ضمن مجموعة التفاسير: ٥٨٧/٦، أسباب النزول للسيوطي: ٣٥١، الدر المنثور ٦٥٤/٨، حيث قال السيوطي - رحمه الله تعالى - فيه: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا هذا لك يا محمد وكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكر آلهتنا بسوء، فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح، قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنةً وتعبد إلهك سنةً. قال: حتى انظر ما يأتيني =

وهذا السبب موضح مبين لوجه التكرار/ لمن تأمل أدنى تأمل، وكثير من [١٦٦/ح] الآيات يشكل ولا يبينها إلا معرفة السبب^(١)، كقوله تعالى: ﴿فَأَيُّهَا تُولُوا فَنَّمَّ وَجَهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَابِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]^(٢) وغير ذلك من الآيات. فيكون معنى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ على شريطة أنكم تعبدون الله معي، ﴿وَلَا أَنْتَ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ إلا بأن أعبد ما تعبدون من الأصنام، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ على الشرط الآخر أيضاً، وهو قولهم: إن لم تعبد آلهتنا فتمسح ببعضها/ نصدقك، فلا أعبد آلهتكم على هذا الشرط أيضاً، ولا أنتم عابدون إلهي إلا بما شرطتم، فلا يتم أمر بيني وبينكم، لكم الباطل، ولي دين الحق، والله يقول الحق. وعلى هذا المعنى لا يكون من باب التكرار، وهو في غاية الجودة^(٣).

النوع السادس من أنواع الإطناب: الإطناب بالنعته والصفة، وتكون لمعان متعددة:

أحدها: التخصيص^(٤) في النكرة، نحو قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

= من ربي فجاء الوحي من عند الله: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ الآية. وأنزل الله: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُوفِيَّ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَشْكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤].

قال ابن حجر فيما روى عن ابن عباس في سبب النزول: وفي إسناده أبو خلف عبد الله بن عيسى، وهو ضعيف. الفتح: ٧٣٣/٨. (١) أي: سبب النزول.

انظر: الاختلاف في سبب نزول هذه الآية والأقوال فيها في: أسباب النزول للواحدى: ٧٢ - ٧٤، أسباب النزول للسيوطي: ١٦ - ١٧.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدى: ٧٩ - ٨٠، أسباب النزول للسيوطي: ٢١. (٣) قلت: لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - كلام في غاية الجودة والإتقان أيضاً إلى جانب ما فيه من جمع لأقوال الناس في هذه السورة وغيرها والتعليق عليها، منه هنا. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٦/٥٣٤ - ٥٤٠.

(٤) التخصيص: فسر قوم بأنه: رفع الاشتراك اللفظي الواقع في النكرات بحسب الوضع وفسره آخرون بأنه: تقليل الاشتراك في النكرات. عدة السالك إلى أوضح المسالك: ٣/٣٠٠.

الثاني: التوضيح في المعرفة^(١)، نحو قوله تعالى: ﴿وَرَسُولِهِ الَّذِي الْأَمِّيُّ﴾ [الأعراف: ١٥٨]^(٢).

الثالث: المدح والثناء، نحو قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاحة: ١ - ٤]^(٣) وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ... الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]^(٤).

الرابع: الذم، نحو قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]^(٥).

فائدة:

إذا وقعت الصفة بعد متضايفين أولهما^(٦) عدد، جاز إجراؤها على المضاف، والمضاف إليه، فمن الأول قوله تعالى: ﴿... سَبَّعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، من الثاني قوله تعالى: ﴿... سَبَّعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾ [يوسف: ٤٣]^(٧).

(١) أي: زيادة البيان. ومعنى التوضيح في المعرفة، أي: الإيضاح، ومعناه: رفع الاشتراك اللفظي الواقع في المعارف على سبيل الإتفاق. المرجع السابق.

(٢) انظر: الإتيان: ٢٠٦/٣، معترك الأقران ٣٥٠/١.

وقد اعترض الزركشي على إيراد هذه الآية مثلاً على زيادة البيان للمعرفة، بقوله: «هذا التمثيل ليس بواضح، فإن «رسول الله» كما يستعمل في نبينا محمد ﷺ، يستعمل في غيره بطريق الوضع، وتعريفه إنما حصل بالإضافة... إلى آخر كلامه. البرهان: ٤٢٤/٢.

(٣) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٣٠٢/٣، البرهان: ٤٢٢/٢ - ٤٢٣، الإتيان: ٢٠٧/٣، معترك الأقران: ٣٥٠/١.

(٤) انظر: معترك الأقران: ٣٥٠/١، الإتيان: ٢٠٧/٣.

(٥) انظر: أوضح المسالك: ٣٠٢/٣، وانظر: المرجعين السابقين.

(٦) في الأصل: «لهما» وما أثبتته من (ح).

(٧) انظر ذلك في: معترك الأقران: ٣٥٣/١، الإتيان: ٢٠٨/٣ - ٢٠٩.

قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها^(١)؛ قال الفارسي^(٢):
إذا ذكرت^(٣) صفات في معرض المدح أو^(٤) الذم، فالأحسن أن يخالف في
إعرابها؛ لأن المقام يقتضي الإطناب، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود
أكمل؛ لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن^(٥) وعند [الإيجاز]^(٦) تكون
[نوعاً]^(٧) واحداً^{(٨)(٩)}.

مثاله^(١٠) في المدح: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ
الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾، إلى قوله:
﴿وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣]. وقد تقدم قراءة من قرأ:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] بالرفع والنصب^(١١).
ومثاله في الذم: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]^(١٢).
النوع السابع من أنواع الإطناب: الإطناب بالبدل^(١٣). والقصد به الإيضاح

(١) انظر: الإتيان: ٢٠٩/٣، معترك الأقران: ٣٥٤/١.

(٢) هو: أبو علي الفارسي (٢٨٨هـ - ٣٧٧هـ) تقدمت ترجمته.

(٣) في الأصل: «ذكرها» وما أثبتته من (ح).

(٤) في الأصل وفي (ح): «و» والصواب ما أثبت لاقضاء السياق له.

(٥) في الأصل وفي (ح): «وتتفنن».

(٦) في الأصل، وفي (ح): «الإجراء» والصواب ما أثبت لاقضاء السياق له.

(٧) زيادة يقتضيها المقام.

(٨) في الأصل: «واحدة» وما أثبتته من (ح).

(٩) البرهان: ٤٤٦/٢. وانظر: المرجعين السابقين.

(١٠) في الأصل: «أمثاله» وما أثبتته من (ح).

(١١) انظر: النوعين الحادي والثاني والتسعين.

(١٢) البرهان: ٤٤٧/٢ - ٤٤٨. وانظر: معترك الأقران: ٣٥٤/١، الإتيان: ٢٠٩/٣.

(١٣) البدل والبدل والبيديل بمعنى واحد. وهو في اللغة عبارة عن قيام مقام الشيء أو
العوض عن الشيء، يقال: أخذت هذا بدلاً عن هذا. أي عوضاً عنه. انظر: اللسان: ٤٨/١١ -
٤٩، مادة: (بدل). وهو في اصطلاح النحاة: التابع المستقل بمقتضى العامل تقديراً. وهذا
تعريف ابن مالك في التسهيل. انظر: ذلك ضمن كتاب: المساعد على تسهيل الفوائد: ٤٢٧/٢.
وعرفه ابن هشام بقوله: هو «التابع، المقصود بالحكم بلا واسطة». أوضح المسالك:
٣٨٩/٣.

بعد الإبهام^(١). وفائدته: البيان والتوكيد^(٢).

أما الأول: فواضح^(٣). [وأما التوكيد]^(٤) فهو على ثلاثة أقسام^(٥):

١ - بدل الكل من الكل، نحو: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦]، ﴿وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]، ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِفَةٍ﴾ ﴿١٦﴾ [العلق: ١٥، ١٦].

٢ - ومثال بدل البعض من الكل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿فَمَنِ اسْتَطَاعَ﴾ بدل من ﴿النَّاسِ﴾ بدل بعض من كل.

٣ - مثال بدل الاشتمال^(٦): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]^(٧).

النوع الثامن من أنواع الإطناب: الإطناب بعطف البيان^(٨). وفرق ابن

(١) البرهان: ٤٥٣/٢، الإتيان: ٢١٠/٣، معترك الأقران: ٣٥٤/١.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) أي: فواضح أنك إذا قلت: رأيت زيداً أحاك بينت أنك تريد بـ «زيد» الأخ لا

غير. المراجع السابقة.

(٤) زيادة من البرهان: ٤٥٣/٢ يقتضيها السياق.

(٥) لأنه على نية تكرار العامل، فكأنه من جملتين، ولأنه دل على ما دل عليه الأول،

أما بالمطابقة في بدل الكل، أو بالتضمن في بدل البعض، أو بالالتزام في بدل الاشتمال. المراجع السابقة.

(٦) قال ابن هشام: وهو بدل شيء من شيء يشتمل عامله على معناه، اشتمالاً بطريق

الإجمال، كأعجبنني زيد علمه، أو جسسه، وسرق زيد ثوبه أو فرسه، وأمره في الضمير كأمر بدل البعض... أوضح المسالك: ٤٠٣/٣ - ٤٠٤.

(٧) انظر: أقسام البدل وأمثله في: اللمع في العربية لابن جني: ١٤٤ - ١٤٧،

المقتصد شرح الإيضاح للجرجاني: ٩٢٩/٢، شرح ألفية ابن مالك، لابن الناظم: ٥٥٣ وما بعدها، شرح ابن عقيل: ٢٤٩/٣، همع الهوامع: ٢١٢/٥ وما بعدها.

(٨) وسمى به، لأنه تكرار الأول لزيادة بيان، فكأنك رددته على نفسه، بخلاف النعت،

والتأكيد، والبدل. وقيل: لأن أصله العطف. همع الهوامع: ١٩٠/٥.

«وهو الجارى مجرى النعت توضيحاً، وتخصيصاً، قيل: وتوكيداً، لكن يجب جموده،

لا كونه أخص من المتبوع أو غير أخص في الأصح».

جمع الجوامع، ضمن المرجع السابق.

كيسان^(١) بينه وبين البديل، بأن البديل هو المقصود؛ فكأنك قررته في موضع البديل منه، وعطف البيان وما عطف عليه كل منهما مقصود^(٢).

وقال ابن كيسان^(٣): عطف البيان يجري مجرى النعت في تكميل متبوعه، ويفارقه في أن تكميله بشرح وتبيين، لا بدلالة على معنى في المتبوع أو سببه، ومجرى التوكيد في تقوية دلالته، ويفارقه في أنه لا يرفع توهم مجاز ويجري مجرى البديل في صلاحيته للاستقلال ويفارقه في أنه غير منوي الاطراح.

وذكر ابن هشام في «المغني»: أن البديل يفارق عطف البيان في ثمانية أشياء:

الأول: أن عطف البيان لا يكون مضمراً ولا تابعاً لمضمراً، بخلاف البديل، نحو: ﴿وَمَا أَسْنِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣]^(٤).

الثاني: أن البيان [لا]^(٥) يخالف متبوعه في تعريفه، وتنكيره، بخلاف البديل^(٦)، نحو: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٦﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبِيٍّ خَاطِفَةٍ ﴿١٧﴾﴾ [العلق: ١٥، ١٦].

وقال ابن هشام: وهو: التابع المشبه للصفة في توضيح متبوعه إن كان معرفة، وتخصيصه إن كان نكرة. أوضح المسالك: ٣/٣٤٦.

(١) هو: محمد بن أحمد بن كيسان، أبو الحسن، إمام في العربية، كان بصرياً كوفياً، يحفظ القولين، ويعرف المذهبين، وكان ميله إلى مذهب البصريين أكثر. أخذ عن المبرد وتعلب، كان أبو بكر بن الأنباري ينتقصه ويقول: خلط المذهبين. وقال أبو علي: سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: كان أبو الحسن بن مجاهد أنحى من الشيخين يعني ثعلباً والمبرد، (ت ٢٩٩هـ).

طبقات الزبيدي: ١٥٣، أنباء الرواة: ٣/٥٧، معجم الأدباء؛ ١٧/١٣٧، البلغة: ١٨٣ - ١٨٤، ١٨٨.

(٢) انظر قول ابن كيسان في: معترك الأقران: ١/٣٥٦، الإتنقان: ١/٢١١. قال أبو جعفر النحاس: ما علمت أحداً فرق بينهما إلا ابن كيسان؛ فإن الفرق بينهما: أن البديل يقرر الثاني في موضع الأول، وكأنك لم تذكر الأول، وعطف البيان: أن تقدر أنك إذا ذكرت الاسم الأول لم يعرف إلا بالثاني، وإن ذكرت الثاني لم يعرف إلا بالأول، فجئت بالثاني مبيناً للأول، قائماً له مقام النعت والتوكيد. انظر ذلك في: البرهان: ٢/٤٦٤.

(٣) وفي الإتنقان: ٣/٢١١، معترك الأقران: ١/٣٥٦ أن القائل هنا: هو ابن مالك في: شرح الكافية الشافية: ٣/١١٩١ - ١١٩٢ وقد أخطأ المؤلف في نسبة لابن كيسان.

(٤) انظر: مغني اللبيب: ٥٩٣ - ٥٩٤.

(٥) زيادة من المغني يقتضيها السياق.

(٦) فإنه تجوز مخالفته للمبدل منه. انظر: المرجع السابق.

الثالث: لا يكون عطف البيان جملة، بخلاف البدل، نحو: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣].

الرابع: أنه^(١) لا يكون تابعاً لجملة، بخلاف البدل، نحو: ﴿أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكَوْا أَجْرًا﴾ [يس: ٢٠، ٢١].

الخامس: أن لا يكون عطف البيان فعلاً، ولا تابعاً^(٢) لفعل، بخلاف البدل، نحو: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

السادس: أن عطف البيان لا يكون بلفظ الأول، ويجوز^(٣) ذلك في البدل بشرط أن يكون مع الأول^(٤) زيادة بيان، كقراءة يعقوب^(٥): ﴿وَرَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ [الجاثية؛ ٢٨] بنصب «كل» الثانية^(٦)، وهذا الفرق اختاره ابن مالك^(٧) وبعض النحاة^(٨)، ورده ابن هشام في «المغني»^(٩).

(١) في الأصل وفي (ح): «أن» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(٢) في مغني اللبيب: ٥٩٥: «فعلاً تابعاً لفعل».

(٣) وفي الأصل وفي (ح): «ونحو» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(٤) أي: المبدل منه.

(٥) هو يعقوب الحضرمي، أحد القراء العشرة (ت ٢٠٥هـ) تقدمت ترجمته.

(٦) على البدل من «كل أمة» الأولى، بدل نكرة موصوفة من مثلها. والباقون، من القراء

بالرفع على الابتداء، و«تدعى» خبرها.

إتحاف فضلاء البشر: ٤٦٧ - ٤٦٨. وانظر: النشر في القراءات العشر: ٣٧٢/٢.

(٧) قال ابن مالك: وقد يتحدان لفظاً، إن كان مع الثاني زيادة بيان كقراءة يعقوب:

﴿وَرَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾.

قال ابن جني: أبدل الثانية من الأولى؛ لأن الثانية قد اتصل بها ذكر سبب الجثو.

انظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٤٣٢/٢.

(٨) مثل ابن الطراوة، وابن ابن مالك. المغني: ٥٩٦.

(٩) حيث قال: وهذا الفرق إنما هو على ما ذهب إليه ابن الطراوة من أن عطف البيان لا

يكون من لفظ الأول، وتبعه على ذلك ابن مالك وابنه، وحجتهم: أن الشيء لا يبين بنفسه.

وقال بعد ذلك: وفيه نظر من أوجه: أحدهما: أنه يقتضي أن البدل ليس مبيناً للمبدل

منه، وليس كذلك...».

والثاني: أن اللفظ المكرر إذا اتصل به ما لم يتصل بالأول اتجه كون الثاني بياناً بما فيه

من زيادة الفائدة...».

السابع: أن عطف البيان ليس في نية إحلاله محل الأول، بخلاف
البدل^(١).

الثامن: أنه ليس في التقدير من جملة أخرى، بخلاف البدل. انتهى
ملخصاً^(٢).

مثال عطف البيان قول الله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ لَكَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾
[آل عمران: ٩٧]^(٣)، ﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥]^(٤).

وقد يأتي^(٥) لمجرد المدح نحو قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْآبِيَةَ
الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٩٧]، فالبيت الحرام عطف بيان للمدح، لا للإيضاح^(٦).

= الثالث: أن البيان يتصور مع كون المكرر مجرداً...».

مغني اللبيب: ٥٩٦.

(١) مغني اللبيب: ٥٩٧.

(٢) المرجع السابق: ٥٩٧.

(٣) والشاهد فيهما: أن قوله تعالى: ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان على قوله: ﴿ءَايَاتٍ
يَبَيِّنُ﴾. وهذا قول الزمخشري. انظر: الكشاف: ١/٢٠٣ - ٢٠٤. وقد اعترض ابن هشام
على الزمخشري بقوله: بقوله: وقول الزمخشري أن: مقام إبراهيم عطف على ﴿ءَايَاتٍ
يَبَيِّنُ﴾ مخالف لإجماعهم... أوضح المسالك: ٣/٣٤٨.

وقال أيضاً في المغني: ٥٩٤: أن قول الزمخشري في الآية سهو. ومعنى إجماع
النحاة: أي إجماعهم على وجوب التطابق بين البيان والمبين، وفي هذه الآية مخالفة بينهما
من ثلاثة أوجه، وذلك أن مقام إبراهيم معرفة بالإضافة إلى العلم، ومذكر، ومفرد، وقوله:
﴿ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ﴾ نكرة ومؤنث، وجمع.

وانظر: تفسير البيضاوي، ضمن كتاب مجموعة التفاسير: ١/٥٤٦، حيث ذكر ثلاثة
أقوال في الآية، وخلاصة هذه الأقوال، أن قوله: ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أما مبتدأ محذوف خبره،
أي: منها مقام إبراهيم. أو بدل من «آيات»، بدل بعض من كل. أو عطف بيان على أن
المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء...».

(٤) فقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ عطف بيان لشجرة وهي وشجرة نكرتان. وقد منع بعض
النحويين كون عطف البيان نكرة، تابعاً لنكرة. قال بدر الدين بن مالك: «وليس قول من
منع ذلك بشيء، لأن النكرة تقبل التخصيص بالجامد كما تقبل المعرفة التوضيح به...».
شرح ألفية ابن مالك، لابن الناظم: ٥١٥، وانظر: شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك: ٣/
٢٢٠.

(٥) أي: عطف البيان.

(٦) البرهان: ٢/٤٦٣، الإتيان: ٣/٢١١، معترك الأقران: ١/٣٥٦.

أقول^(١): قد ذكر الحافظ السيوطي في «الإتقان» أن البدل وعطف البيان من الإطناب^(٢). وليساً منه في شيء؛ لأنهما مقصودان في أصل الكلام، والإطناب: الزيادة عن أصل الكلام الذي به يتم المقصود. والله أعلم.

النوع التاسع من أنواع الإطناب: الإطناب بعطف المترادفين أحدهما على الآخر^(٣): ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]^(٤)، ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاؤُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، قال الخليل: العوج والأمت بمعنى واحد^(٥)، ﴿لَا تَبْقَىٰ وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]. وأنكر المبرد وجود هذا النوع في القرآن، وأول كل ما سبق من هذه^(٦) الألفاظ إلى اختلاف المعنيين^(٧). وهو الراجح^(٨). فيكون من باب تأكيد الكلام وتوضيحه توكيداً غير صناعي، وإلا فتقدم أن التوكيد الصناعي ليس من باب الإطناب^(٩).

النوع العاشر من أنواع الإطناب: عطف الخاص على العام، وفائدته: التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلاً لتغاير الوصف منزلة

(١) أي: المؤلف ابن عقيلة.

(٢) انظر: الإتقان: ٣/٢١٠ - ٢١١.

(٣) قال الزركشي: وهذا إنما يجيء عند اختلاف اللفظ؛ وإنما يحسن بالواو، ويكون في الجمل، ويكثر في المفردات. البرهان: ٢/٤٧٢. وانظر: الإتقان: ٣/٢١١، معترك الأقران: ١/٣٥٧.

(٤) الشاهد فيها: «بثي وحزني».

(٥) انظر قوله في: البرهان: ٢/٤٧٣، معترك الأقران: ١/٣٥٧، الإتقان: ٣/٢١٢.

(٦) في الأصل وفي (ح): «هذا» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(٧) انظر: البرهان للزركشي: ٢/٤٧٦ حيث قال بعد ذلك: ولعله - أي المبرد - ممن

ينكر أصل الترادف في اللغة كالعسكري وغيره.

وكذلك انظر: الإتقان: ٣/٢١٢ وفيه قال: وأنكر المبرد وجود هذا النوع في القرآن، وأول ما سبق على اختلاف المعنيين. ثم قال: المخلص في هذا أن تعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفرادهما، فإن التركيب يحدث معنى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ. وانظر: معترك الأقران: ١/٣٥٧. قلت: وهو ما اختاره.

(٨) هذا رأى ابن عقيلة - رحمه الله تعالى -.

(٩) انظر: ١٤٨٣ فيما سلف من هذا النوع.

التغاير في الذات (١).

ومن أمثلته: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] (٢)، ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٣)، [البقرة: ٩٨] (٣).

النوع الحادي عشر من أنواع الإطناب: عطف العام على الخاص. وأنكره بعضهم (٤). وفائدته: التعميم (٥). وأفرد الأول بالذكر للاهتمام (٦) بشأنه. مثاله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] (٧). والنسك: العبادة، فهو أعم (٨). ومنه قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] (٩). إن لم تجعل القرآن اسم الفاتحة. ومنه قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

(١) انظر: المطول: ٢٩٢، البرهان: ٤٦٤/٢. الإتيان: ٢١٢/٣، معترك الأقران: ١/٣٥٧.

(٢) والشاهد: عطف: «الصلاة الوسطى» على «الصلوات». على القول بأنها إحدى الصلوات الخمس.

(٣) والشاهد: عطف: «جبريل وميكال» على ما قبله، قصد التنويه بشرفهما. وقال في «تلخيص المفتاح»: وأما بذكر الخاص بعد العام للتنبية على فضله... قال السبكي في عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٢١٧/٣. وعبارة المصنف أحسن من قول غيره في الآية أنه عطف فيها الخاص على العام، لأن جبريل ليس معطوفاً على الملائكة، بل إما على لفظ الجلالة، أو على الرسل، والمراد بهم رسل بني آدم.

انظر: التلخيص وشروحه: ٢١٦/٣ - ٢١٧. وانظر كذلك: الإيضاح: ٣٠٣، المطول: ٢٩٢، البرهان: ٤٦٤/٢ - ٤٧٠، الإتيان: ٢١٢/٣، معترك الأقران: ١/٣٥٧ - ٣٥٨.

(٤) قال الزركشي: وهذا أنكر بعض الناس وجوده. ثم قال: وليس بصحيح. البرهان: ٤٧١/٢، الإتيان: ٢١٣/٣، معترك الأقران: ١/٣٥٩.

(٥) انظر: المراجع السابقة.

(٦) في الأصل: «لاهتمام» وما أثبتته من (ح).

(٧) والشاهد: عطف «نسكي» على «صلاتي».

(٨) قال الطبري في تفسيره: النسك في هذه الآية: «الذبح».

وقيل: إن النسك: عبادة الله. انظر: ٨٠/٣، ١٨٣/١٢ - ١٨٤.

وقال الزركشي: والنسك العبادة؛ فهي أعم من الصلاة.

البرهان: ٤٧١/٢.

(٩) والشاهد عطف: «القرآن العظيم» على «سبعاً من المثاني» وهو اسم من أسماء الفاتحة.

وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتَ مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿ [نوح: ٢٨] ^(١) .

النوع الثاني عشر من أنواع الإطناب: الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴿ [التوبة: ٣٦] ^(٢) ، ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَا بَعَثَ فِئْتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴿ [الأعراف: ١٤٢] ، فكان قوله: ﴿فِئْتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ رفع احتمال أن يكون العشرة من غير موعدة ^(٣) .

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿ [المعارج: ١٩ - ٢١] ، فقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿ [البقرة: ٢٥٥] ، وكذا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿ [البقرة: ٢٥٥] ، قال البيهقي في شرح أسماء الله الحسنى: قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تفسير «للقيوم» ^(٥) . وقوله تعالى: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴿ [البقرة: ٤٩] ، ف«يذبحون» وما بعده تفسير ل«يسومونكم» ^(٦) . وكذا قوله تعالى:

(١) والشاهد: عطف: «المؤمنين والمؤمنات» على «مؤمنًا». وانظر هذا النوع في: البرهان: ٤٧١/٢، الإتيان: ٢١٣/٣، معترك الأقران: ٣٥٩/١.

(٢) والشاهد: قوله: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ فإن ذلك تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ .

(٣) انظر: البرهان: ٤٧٨/٢، الإتيان: ٢١٤/٣ - ٢١٥، معترك الأقران: ٣٦٠/١.

(٤) انظر قول أبي العالية في: الإتيان: ٢١٥/٣، معترك الأقران: ٣٦١/١. وكذلك انظر ذلك في: تفسير الطبري: ٧٨/٢٩ حيث قال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ كَذِبٌ أَلِيمٌ﴾ الكافر ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾. الهلع: شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر. ثم روى بسنده عن ابن عباس ^(١) قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿ [التوبة: ٣٦] قال: هو الذي قال الله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿ [البقرة: ٢٥٥] وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ [البقرة: ٢٥٥] . ويقال الهلوع: هو الجزوع الحريص، وهذا في أهل الشرك.

وانظر كذلك: تفسير البغوي: ٣٩٤/٤، تفسير ابن كثير: ٤٤٩/٤، تفسير القرطبي: ٢٨٩/١٨ - ٢٩٠.

(٥) انظر: الأسماء والصفات: ٦٧ - ٦٨. وكذلك انظر ذلك وما سبق في: البرهان: ٣٦٦/٣، الإتيان: ٢١٥/٣، معترك الأقران: ٣٦١/١.

(٦) انظر: تفسير البغوي: ٦٩/١ - ٧٠.

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [المتحنة: ١]، «فالتلقون...» إلى آخره، تفسير لـ «اتخاذهم أولياء»^(١). وكذا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَلْصَقُكُمْ لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾... الآية [الإخلاص: ٢، ٣]، قال محمد بن كعب القرظي^(٢): لم يلد إلى آخره... تفسير لـ «الصمد»، وهو في القرآن كثير^(٣). قال ابن جنى: ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقوف على ما قبلها دونها؛ لأن تفسير الشيء لا حق به ومتمم له وجار مجرى بعض أجزائه^(٤). [٢٦٦/هـ]

النوع الثالث عشر من أنواع الإطناب: الإطناب بوضع الظاهر موضع المضمّر^(٥). وقد أُلّف في ذلك ابن الصانع تأليفاً مفرداً^(٦). وله فوائد:

[١] منها زيادة التقرير والتمكين^(٧)، نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الله أَلْصَقُكُمْ] [الإخلاص: ١، ٢]، ﴿وَيَالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُهُ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، ﴿لِيَتَحَسَّبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيُقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨].

(١) انظر: تفسير البغوي: ٣٢٨/٤ - ٣٢٩.

(٢) في الأصل وفي (ح): «القرظي» وصوبته من مصادر ترجمته.

وهو: محمد بن كعب بن سليم بن عمرو، أبو حمزة، ويقال: أبو عبد الله القرظي، المدني، ثقة، عالم، من الثالثة. نزل الكوفة، ثم رجع إلى المدينة. روى عن عائشة وأبي هريرة وغيرهما. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. قال عون بن عبد الله: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي. ولد (٤٠هـ)، (ت ١٠٨هـ)، وقيل: (١٢٠هـ). غاية النهاية: ٢٣٣/٢، التقريب: ٥٠٤.

(٣) انظر قول القرظي في: تفسير الطبري: ٣٠/٣٤٦.

هذا وقد روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: «الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، لأن من يولد سيموت ومن يرث يورث منه. تفسير البغوي: ٤/٥٤٤. قال ابن كثير: وهو تفسير جيد. تفسيره: ٤/٦١٠.

(٤) انظر قول ابن جنى في: البرهان: ٣/٣٧، الإتيقان: ٣/٢١٥ - ٢١٦، معترك

الأقران: ١/٣٦١.

(٥) في الأصل: «الضمير» وما أثبتته من (ح) لأنه أنسب للسياق.

انظر: البرهان: ٢/٤٨٢، الإتيقان: ٣/٢١٦، معترك الأقران: ١/٣٦٢.

(٦) ذكر ذلك السيوطي في الإتيقان، ومعترك الأقران، السابقين.

(٧) انظر: المراجع السابقة.

[٢] ومنها: قصد التعظيم، نحو: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، ﴿وَلِيَأْسَ الْفُقُورَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ﴾ [الأعراف: ٢٦] (١).

[٣] ومنها: قصد الإهانة والتحقير (٢)، نحو: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُتَّخِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

[٤] ومنها: [إزالة اللبس] (٣) حيث يوهم الضمير أنه غير الأول، نحو قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ [آل عمران: ٢٦]، لو قال: «تؤتيه» لأوهم أنه الأول، قاله ابن الخشاب (٤).

وقوله تعالى: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَنَ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ [الفتح: ٦]، كرر «السوء» لأنه لو قال: «عليهم دائرته» لأوهم أن الضمير عائد إلى الله تعالى (٥). وقوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ آخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ آخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦] لو قال: ثم استخرجها منه لأوهم عود الضمير إلى الأخ وأنه استخرجها منه، وليس الأمر كذلك (٦).

(١) انظر ذلك في: البرهان: ٤٨٥/٢ - ٤٨٦، الإتيان: ٢١٦/٣، معترك الأقران: ١/٣٦٢.

(٢) انظر: البرهان: ٤٨٦/٢، والإتيان: ٢١٦/٣، معترك الأقران: ١/٣٦٢.

(٣) من نسخة (ح).

(٤) حكاه عنه الزركشي في: البرهان: ٤٨٨/٢، والسيوطي في: الإتيان: ٢١٦/٣، معترك الأقران: ١/٣٦٢.

وابن الخشاب هو: عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، النحوي، البغدادي المعروف بابن الخشاب، كان علامة عصره، وفي درجة أبي علي الفارسي. إمام في النحو، واللغة، والحديث، وغيرها من الفنون. روى عنه أبو سعيد بن السمعاني. له مصنفات منها: «شرح اللمع»، «شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة»، «أغلاط الحريري في المقامات». ولد (٤٩٢هـ)، (ت ٥٦٧هـ). أنباه الرواة: ٩٩/٢ - ١٠٣، بغية الوعاة: ٢/٢٩ - ٣١، معجم الأدباء: ٤٧/١٢، البلغة: ١٢٠ - ١٢١.

(٥) معترك الأقران: ١/٣٦٢، الإتيان: ٢١٦/٣.

(٦) الإتيان: ٢١٦/٣ - ٢١٧، معترك الأقران: ١/٣٦٢ - ٣٦٣.

[٥] ومنها: الاستلذاذ بذكره، نحو: ﴿وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ نَتَبَوُّا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] ^(١)، لم يقل: «منها».

[٦] ومنها: قصد التوصل بالظاهر إلى الوصف نحو: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، بعد قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، لم يقل: «فآمنوا بالله وبي» ليتمكن من إجراء الصفات التي ذكرها، ليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو من وصف بهذه الصفات، ولو أتى بالضمير لم يكن له ذلك لأنه لا يوصف ^(٢).

[٧] ومنها: التنبيه على علة الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿فَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأعراف: ١٦٢]، لم يقل: «فأنزلنا عليهم» لأن علة إنزال الرجز عليهم هو الظلم ^(٣). ومن ذلك: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، لم يقل: «فإن الله عدو لهم» إعلالاً بأن من عادى هؤلاء فقد كفر، وأن الله إنما عاداه لكفره ^(٤).

[٨] ومنها قصد العموم، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، ولم يقل: «إنها» لئلا يفهم التخصيص، وأن ذلك خاص لنفسه ^(٥).

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧].

[٩] ومنها: الإشارة إلى التخصيص، كقوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، لم يقل: «لك» للإشارة إلى الخصوصية لكونه نبي الله ^(٦).

[١٠] ومنها: التقرير والتوضيح، لكون المقام يقتضيه، مثل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] / إلى آخر السورة، كرر «الناس» [١٦٧/ح]

(١) انظر: البرهان: ٤٨٧/٢.

(٢) الإتيان: ٢١٧/٣، معترك الأقران: ٣٦٣/١ - ٣٦٤.

(٣) المرجعين السابقين.

(٤) انظر: البرهان: ٤٩٢/٢، الإتيان: ٢١٨/٣، معترك الأقران: ٣٦٤/١.

(٥) انظر: البرهان: ٤٩٤/٢ - ٤٩٥.

(٦) انظر: البرهان: ٤٩٥/٢، الإتيان: ٢١٨/٣، معترك الأقران: ٣٦٤/١.

ولم يقل: «مالكهم»، لأن المقام مقام استعادة الناس بربهم، فكان الإظهار أولى.

وذكر بعضهم: أنه في الآية نكتة^(١) الجنس^(٢). وليس فيها جناس، بل هي من نوع التكرار - كما تقدم^(٣). لنكتة وفائدة.

وكذا قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②﴾ [العلق: ١، ٢]، ثم قال: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ⑤﴾ [العلق: ٥]، ثم قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ④﴾ [العلق: ٦]، وكلهم بمعنى واحد^(٤). وإن قال بعضهم: إن «الإنسان» الأول هو مطلق الإنسان، والثاني آدم ومن تعلم الكتابة، والثالث، أبو جهل^(٥). وهو بعيد وفيه تكلف.

[١١] ومنها: مراعاة الترصيع^(٦) وتوازن اللفظ في التركيب ذكره بعضهم، في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكْرَمَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٧).

(١) في الأصل وفي (ح): «لنكتة» والصواب ما أثبت.

(٢) ممن ذكر ذلك السيوطي في: معترك الأقران: ٣٦٥/١، الإتيان: ٢١٨/٣. وانظر: البرهان: ٤٩٦/٢.

(٣) انظر: ١٤٨٩ وما بعدها.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٣/٣٠.

(٥) ذكر ذلك البغوي في تفسيره: ٥٠٧/٤. وانظر: الإتيان: ٢١٨/٣، معترك الأقران: ٣٦٥/١.

(٦) الترصيع مأخوذ من قولهم: تاج مرصع، إذا كان فيه حلية، والترصيع: التركيب. وهو في لسان علماء البيان: مقول على ما كان من المنظوم والمنثور من الكلام، ألفاظ الفصل فيه مساوية لألفاظ الفصل الثاني في الأوزان، واتفاق الإعجاز. ويرد في الكلام على وجهين: كامل، وناقص...».

انظر: تفصيل ذلك في: الصناعتين: ٣٧٥ - ٣٧٩، الطراز: ٣٧٣/٢ - ٣٧٧، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن: ٣٤٩.

وسياتي في النوع التاسع عشر بعد المائة زيادة تفصيل في ذلك.

(٧) انظر: البرهان: ٤٩٦/٢ وفيه قال الزركشي: وقال بعضهم؛ إنما أعيدت «أحدهما» لتعادل الكلم وتوازن الألفاظ في التركيب؛ وهو المعنى في الترصيع البديعي، بل هذا أبلغ من الترصيع، فإن الترصيع توازن الألفاظ من حيث صيغها، وهذا من حيث تركيبها، فإنه ترصيع معنوي، وقلما يوجد إلا في نادر الكلام». وانظر أيضاً: الإتيان: ٢١٩/٣، معترك الأقران: ٣٦٥/١.

[١٢] ومنها: أن يتحمل ضميراً لا بد منه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ

أَهْلَ قَرْيَةٍ أَسْتَطْعَمَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧]، لو قال: «استطعماها» لم يصح/ [٢٦٧ب/هـ] لأنهما لم يستطعما القرية، أو استطعماهم^(١) [فكذلك]^(٢)؛ لأن جملة «استطعما» صفة لقرية النكرة^(٣)، لا «أهل»، فلا بد أن يكون فيها [ضمير]^(٤) يعود عليها، ولا يمكن إلا مع التصريح بالظاهر^(٥).
كذا حرره السبكي^(٦) في جواب سؤال سأله الصلاح الصفدي^(٧)، وصورة السؤال:

أسيدنا قاضي القضاة ومن إذا	بدا وجهه استحيا له القمران
ومن كفه يوم الندى ويراعه	على طرسه بحران يلتقيان
ومن إن دجت في المشكلات مسائل	جلاها بفكر دائم اللمعان
رأيت كتاب الله أكبر معجز	لأفضل من يهدى به الثقلان
ولكنني في الكهف أبصرت آية	بها الفكر من طول الزمان عناني
وما هي إلا «استطعما أهلها» فقد	نرى «استطعماهم» مثله ببيان
فما الحكمة الغراء في وضع ظاهر	مكان ضمير إنَّ ذاك لشان

(١) في الأصل وفي (ح): «استطعماها» وصوبته من مصادره. انظر: فتاوى السبكي: ٦٥/١، الإتيان: ٢١٩/٣، معترك الأقران: ٣٦٥/١.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل ومن (ح): وأثبتته من مصادره. انظر: المراجع السابقة.

(٣) في الأصل وفي (ح): «نكرة» وصوبته من مصادره السابقة.

(٤) ما بين المعقوفتين أثبتته من (ح).

(٥) المراجع السابقة.

(٦) تقي الدين علي بن عبد الكافي. تقدمت ترجمته.

(٧) هو: خليل بن أبيك بن عبد الله الألبكي الصفدي، صلاح الدين، ويكنى أبا الصفا. حفظ القرآن، وأخذ العلم عن علماء عصره، وبرع في النظم والنثر، وكان على دراية بالكثير من العلوم والفنون، كالنحو واللغة وكان كاتباً ناظماً شاعراً، غلب عليه تاريخ الرجال وبرع في الرسم والخط أيضاً، انتقل من فلسطين إلى القاهرة. من شيوخه: أبو حيان النحوي محمود بن يوسف، وبدر الدين ابن جماعة، وابن نباتة، والمزي وغيرهم. له مصنفات منها: «الوافي بالوفيات»، «جنان الجناس»، و«غوامض الصحاح، ط» وغيرهما. ولد بصفد بفلسطين: (٦٩٦هـ)، (ت ٧٦٤هـ).

الدرر الكامنة: ١٧٦/٢، هداية العارفين: ٣٥١/١، البدر الطالع: ٢٤٣/١.

فأرشد على عادات فضلك حيرتي فمالي بها عند البيان يدان^(١)
الرابع عشر من أنواع الأطناب: الإيغال، وهو الإمعان^(٢)، بأن يختم
المتكلم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها^(٣).

وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر^(٤)، ورد بأنه واقع في القرآن، ومثل لذلك
بقوله تعالى: ﴿... أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكَ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس: ٢١]
فقوله: «وهم مهتدون» إيغال؛ لأنه مما يتم المعنى بدونها، لأن الرسول مهتد^(٥)

(١) انظر ذلك في: فتاوى السبكي: ١/٦٥ - ٦٧، الإتيان: ٣/٢١٩، معترك الأقران:
٣٦٥/١ - ٣٦٦.

(٢) من أوغل في الأمر، إذا أبعده الذهاب فيه. يقال: أوغل في الأرض، إذا أبعده،
فيما حكاها ابن دريد، وقال: وكل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه. انظر:
الصناعتين: ٣٨٠، والعمدة: ٢/٦٠، تحرير التحبير: ٢٣٢.

(٣) انظر: نقد الشعر، لقدماء: ١٦٨، الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٣٨٠ - ٣٨١
حيث قال في تعريفه: وهو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع
فيزيد معنى آخر، يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً. ثم قال: ... ويدخل أكثر هذا
الباب في التميم، وإنما سمي إيغالاً إذا وقع في الفواصل والمقاطع.
وانظر: العمدة لابن رشيق: ٢/٥٧، بديع القرآن، لابن أبي الأصبح: ٩١ وقد عرفه
بقوله: وهو أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يأتي بمقطعه، فإذا أراد الإتيان بذلك
أتى بما يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام. وانظر: التبيان للطبي: ٣٧٥، الطراز:
٣/١٣١.

(٤) انظر: العمدة لابن رشيق: ٢/٥٧ حيث قال فيها: الإيغال ضرب من المبالغة، إلا
أنه في القوافي خاصة لا يعدها ثم قال: والحامتي وأصحابه يسمونه التبليغ، وهو تفعيل
من بلوغ الغاية، وذلك يشهد بصحة ما قلته ويدل على ما رتبته.

وانظر أيضاً: إعجاز القرآن للباقلاني: ٩٢ فإنه قال: ويرون من البديع «الإيغال» في
الشعر خاصة، فلا يطلب مثله في القرآن إلا في الفواصل. وكذلك انظر: تحرير التحبير
لابن أبي الأصبح: ٢٣٢ - ٢٣٣، شرح الكافية البديعية، لصفى الدين الحلبي: ١٥٦،
الطراز: ٣/١٣١، خزنة الأدب لابن حجة: ٢/٢٧.

وقال القزويني: اختلف في معناه، فقيل: هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى
بدونها، وقيل: لا يختص بالنظم ومثل له بقوله تعالى: ﴿... أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكَ أَجْرًا وَهُمْ
مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس: ٢١].

الإيضاح: ٣٠٥، ٣٠٧. وانظر: التلخيص وشروحه: ٣/٢٢٠، ٢٢٤، المطول على
التلخيص: ٢٩٣ - ٢٩٤، الإتيان: ٣/٢٢٠، معترك الأقران: ١/٣٦٧.

(٥) في الأصل وفي (ج): «مهتد» والصواب ما أثبت.

لا محالة، لكن فيه زيادة حيث على الاتباع، وترغيباً في الرسل، أي لا تخسرون معه شيئاً من دنياكم، وتربحون صحة دينكم، فينتظم لكم خير الدنيا والآخرة^(١).

وجعل منه ابن أبي الإصبع: ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مُدْبِرِينَ﴾ [النحل: ٨٠] فإن قوله: «إذا ولوا مدبرين» زائد على المعنى، مبالغة في عدم انتفاعهم^(٢).

النوع الخامس عشر من أنواع الإطناب: التذييل: وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة مشتملة على معناها لتأكيد مفهومها ومنطوقها، ليظهر لمن لا يفهمه، ويتقرر عند من يفهمه^(٣). وهو ضربان:

[أ] ضرب لم يخرج مخرج المثل^(٤)، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ يَمَّا

(١) المطول على التلخيص: ٢٩٤، الإتيان: ٢٢٠/٣، معترك الأقران: ٣٦٧/١. وانظر: التبيان للطبي: ٣٧٦.

(٢) انظر: بديع القرآن: ٩١ - ٩٢، تحرير التحرير: ٢٣٤ - ٢٣٥. وحكاه عنه ابن حجة في خزانة الأدب: ٢٨/٢، والسيوطي في الإتيان: ٢٢٠/٣، معترك الأقران: ٣٦٧/١.

(٣) انظر: الصناعتين: ٣٧٣ حيث قال العسكري في تعريفه: فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه. وبني أهمية هذا النوع وموقعه، ويتأكد عند من فهمه. وبين أهمية هذا النوع وموقعه في الكلام فقال: وللتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى يزداد به انشراحاً والمقصد إضاحاً.

وانظر: إعجاز القرآن للباقلاني: ١٠٢ وقد قال فيه: التذييل - من أنواع البديع - وهو ضرب من التأكيد، وهو ضد الإشارة.

وانظر: البديع في البديع لابن منقذ: ١٨٤.

وقال ابن أبي الإصبع: «التذييل»: أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام. تحرير التحرير: ٣٨٧، بديع القرآن: ١٥٥.

وانظر: أيضاً في تعريفه: التلخيص وشروحه: ٢٢٥/٣، والإيضاح: ٣٠٧، المطول: ٢٩٤، الطراز: ١١١/٣، شرح الكافية البديعة، لصفى الدين الحلبي: ٧٧، الفوائد المشوق: ١٧٨، البرهان: ٦٨/٣، خزانة ابن حجة: ٢٤٢/١، الإتيان: ٢٣١/٣، معترك الأقران: ٣٦٨/١.

(٤) لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله. الإيضاح: ٣٠٧.

قال ابن أبي الإصبع: ... وضرب لا يزيد على المعنى الأول وإنما يؤكد ويحققه. بديع القرآن: ١٥٥.

كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ (١) إِلَّا الْكُفُورُ ﴿سبأ: ١٧﴾ (٢).

[ب] وضرب خرج مخرج المثل (٣)، نحو: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) [الإسراء: ٨١]. وقد اجتمعا (٤) في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٢٤) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥] (٥). جار مجرى المثل. وكل منهما تذييل لما قبله (٦).

النوع السادس عشر من أنواع الإطناب: التكميل ويسمى بالاحتراس، وهو أن يؤتى بكلام يرفعه إيهام خلاف المقصود (٧)، مثل قوله: ﴿أَدْلَمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

(١) فيها قراءتان: بالنون «نجازي» وبها قرأ حمزة والكسائي، وحفص. و«يجازي» بضم الياء وفتح الزاي، وبها قرأ الباقون.

حجة القراءات: ٥٨٧.

(٢) انظر: الصناعتين: ٣٧٣، التلخيص وشروحه: ٢٢٦/٣، الإيضاح: ٣٠٧، الفوائد المشوق: ١٧٨، الطراز: ١١١/٣ - ١١٢.

قال الزركشي في: البرهان: ٦٩/٣ قوله: ﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ أي: هل يجازي ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور.

وانظر: خزنة الأدب لابن حجة: ٢٤٢/١، الإتيان: ٢٢١/٣.

(٣) انظر: تحرير التحبير: ٣٨٧، بديع القرآن: ١٥٥ حيث قال فيهما ابن أبي الأصبع: وضرب يخرج المتكلم مخرج المثل السائر، ليشتهر المعنى، لكثرة دورانه على الألسنة. وانظر: المراجع السابقة.

(٤) أي: ضرباً التذييل.

(٥) قال ابن أبي الأصبع بعد إيراده هذه الآية: فإن المعنى مستوفى في الأخبار بأنه - سبحانه - لم يجعل لشراً من قبل نبيه الخلد، ثم ذيل ذلك الأخبار بما أخرجه مخرج تجاهل العارف وهو قوله: ﴿أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ وذيل هذا التذييل بما أخرجه مخرج المثل السائر حيث قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. بديع القرآن: ١٥٦ - ١٥٧.

(٦) انظر: الإيضاح للقزويني: ٣٠٩، الطراز: ١١٢/٣. وانظر: المطول للتفتازاني: ٢٩٤ حيث قال فيه: ... فقوله: ﴿أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ تذييل من الضرب الأول، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ تذييل من الضرب الثاني، فكل منهما تذييل على ما قبله.

(٧) انظر تعريف التكميل أو الاحتراس في: سر الفصاحة للخفاجي: ٢٧٣ وقد سماه: التحرز، ثم عرفه بقوله: أن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن، فيأتي مما يتحرز به من ذلك الطعن.

وانظر: البديع في البديع لابن منقذ: ٩٠.

أما ابن رشيق: فإنه جعل الاحتراس نوعاً من التتميم، وسوى بينهما. حيث قال في =

أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿ [المائدة: ٥٤]، فلو اقتصر على وصفهم «بالذلة على المؤمنين»
أوهم أنهم ضعفاء، فأتى بـ«أعزة على الكافرين» تكميلاً ودفعاً لهذا الوهم،
وإشعاراً بأن ذلك منهم على وجه التواضع للمؤمنين، ولهذا عدى بـ«على»
لتضمنه/ معنى^(١) [العطف]^(٢)، كأنه قيل: «عاطفين عليهم» على وجه التذلل [١٦٧/هـ]
والتواضع^(٣).

وقال السعد - رحمه الله تعالى - في المطول: بجواز أن تكون التعديّة
بـ«على» للدلالة على أنهم - مع شرفهم وعزهم على الكفار - رحماء بينهم، فلو
اقتصر على «أشداء على الكفار»، لتوهم أنهم غلظاء^(٤). انتهى^(٥).

= باب التتميم: وهو التمام أيضاً، وبعضهم يسمي ضرباً منه احتراساً واحتياطاً. انظر:
العمدة: ٥٠/٢.

وقد علق على ذلك ابن أبي الأصعب بعد أن عرف الاحتراس وفرق بينه وبين التكميل،
والتتميم، بقوله: ... وقد ظهر الفرق بينهما، فجعلهما في باب واحد غير سائغ. تحرير
التحجير: ٢٤٥.

هذا والتعريف الذي ذكره ابن أبي الأصعب للاحتراس هو: أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه
عليه فيه دخل، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي بما يخلصه من ذلك. بديع القرآن: ٩٣،
تحرير التحجير: ٢٤٥.

إما الفرق بينه وبين التكميل والتتميم فهو: أن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي
التكميل بزيادة يكمل بها حسنه، إما بفرن زائد أو بمعنى، والتتميم يأتي ليتمم نقص المعنى
ونقص الوزن معاً، والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً، ووزن
الكلام صحيحاً.

تحرير التحجير: ٢٤٥.

(١) في الأصل: «المعنى» وما أثبتته من (ح) لأنه أنسب للسياق.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ح).

(٣) المطول للفتازاني: ٢٩٥. وانظر: شروح التلخيص: ٢٣٣/٣ - ٢٣٤، الإيضاح:

٣١٠ - ٣١١، البرهان: ٦٥/٣، الفوائد المشوق: ١٣١، التبيان: ٣٧٤، الإتيان: ٣/

٢٢١، معترك الأقران: ٣٦٩/١.

(٤) من قوله: فلو اقتصر إلى آخر الكلام في الأصل وفي (ح) فيه تقديم وتأخير هكذا:

لو اقتصر على أشداء على الكفار انتهى، ومن هذا النوع أشداء يتوهم أنهم غلظاء ومن.
والصواب ما أثبت.

(٥) انظر: المطول: ٢٩٥. وانظر كذلك: مختصر السعد، ضمن شروح التلخيص: ٣/

٢٣٤.

ومن هذا النوع^(١)، ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ...﴾ [النمل: ١٢]، ﴿لَا يَحْطِئَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]. فقولته: ﴿مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ﴾ دفع توهم «بيضاء» يعني برصاء. وبقولته: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [دفع]^(٢) توهم أنهم جابرة ظلمة^(٣).

قال الشيخ بهاء الدين في: «عروس الأفراح»: فإن قيل: كل ذلك إفادته معنى جديداً، فلا يكون أطناباً، قلنا: هو إطناب لما قبله، من حيث رفع توهم غيره، وإن كان له معنى في نفسه^(٤).

النوع السابع عشر من أنواع الإطناب: التتميم^(٥)، وهو أن يؤتى في الكلام بقيد زائد لنكتة، أما المبالغة أو غيرها^(٦)، كقولته تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، فقولته: ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ - أي حب الطعام - قيد زائد مبين لكرمهم، وطيب أنفسهم، وهذا على حمل «حبه» على حب الطعام. وأما إن حمل على «حب الله» فلا يكون من هذا الباب، بل

(١) أي: نوع التكميل المسمى بالاحتراس.

(٢) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٣) انظر: البرهان: ٦٥/٣، خزانة الأدب لابن حجة: ٤٨٦/٢، الإتيان: ٢٢١/٣ - ٢٢٢، معترك الأقران: ٣٦٩/١.

(٤) عروس الأفراح، ضمن شرح التلخيص: ٢٣٣/٣ - ٢٣٤.

(٥) انظر: الفرق بين التتميم، والتكميل، والاحتراس، فيما سبق: ١٥١٩.

(٦) انظر في تعريفه في: نقد الشعر، لقدماء: ١٤٤، الصناعتين: ٣٨٩ للعسكري، حيث قال في تعريفه: هو أن توفي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره. وقد عنون له مع التكميل. والفرق بينهما ظاهر كما سبق.

وانظر: العمدة لابن رشيق: ٥٠/٢ فقد عرفه بمثل ذلك.

وكذلك انظر: سر الفصاحة للخفاجي: ٢٧١ وسماء: كمال المعنى، وعرفه بقوله: هو أن تستوفي الأحوال التي تتم بها صحته، وتكمل جودته. وانظر: البديع في البديع لابن منقذ: ٨٧، تحرير التحبير: ١٢٧، بديع القرآن: ٤٥ لابن أبي الأصعب، وسماء: التمام، وقال: وهو التتميم الاسم الأول لقدماء، والثاني للحاتمي ثم قال: وتعريفه: أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته، أو في صفاته، ولفظه تام، وإن كان في الموزون نقص وزنه مع نقص معناه، فيكون الإتيان بها لتتميم الوزن والمعنى معاً.

يكون من تمام الكلام ومن ضرورياته^(١). فإن من أطعم الطعام «مسكيناً أو يتيماً» أما أن يكون قصد به الله وهو المقبول الذي يمدح^(٢) عليه، أولاً، فليس بمقبول/.

[١٦٨ب/ح]

فهذا المعنى مظنوناً في الآية على كل حال، فلما صرح به صار من ضروريات الكلام.

فلهذا قال في «التلخيص» - عند ذكر الآية - «في وجه»^(٣).

وقال شارحه^(٤): وهو أن يكون الضمير في «حبه» للطعام، أي: يطعموه مع حبه والإحتياج إليه. فإذا جعل الضمير «الله»، أي «يطعمون» على حب الله تعالى، فلا يكون مما نحن فيه؛ لأنه تأدية أصل المراد. انتهى^(٥).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ أَلْمَالٍ عَلَىٰ جُحَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ قيد زائد للمبالغة في إيثارهم وإعطائهم الغير.

النوع الثامن عشر من أنواع الإطناب، الاعتراض: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى، بجملته أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتة^(٧)، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا

(١) انظر: بديع القرآن: ٤٨، شروح التلخيص: ٢٣٦/٣ - ٢٣٧، المطول: ٢٩٦، الإيضاح: ٣١٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ٢٧٢/١.

(٢) في (ج): «مدح».

(٣) انظر: التلخيص للقزويني: ٢٣٠.

(٤) أي: شارح التلخيص.

(٥) انظر: المطول على التلخيص: ٢٩٦، مختصر السعد، ضمن شروح التلخيص: ٣/٢٣٧ - ٢٣٦.

(٦) انظر: الإيضاح: ٣١٣، البرهان: ٧٠/٣.

(٧) انظر: التلخيص: ٢٣١ - ٢٣٢، الإيضاح: ٣١٣ - ٣١٤ حيث عرف القزويني «الاعتراض» فيهما بقوله: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى، بجملته أو أكثر، لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام، كالتنزيه والتعظيم والدعاء، والتنبيه...» ثم مثل لكل ذلك. وانظر: شروح التلخيص: ٢٣٧/٣ - ٢٤٥. هذا والقائلون بأن النكتة فيه قد تكون دفع الإيهام. افترقوا فرقتين: فجوز بعضهم وقوعه آخر جملة لا تليها جملة متصلة بها، فيشمل الاعتراض بهذا التفسير التذييل، وبعض صور التكميل. وبعضهم جوز كون الاعتراض غير جملة، فيشمل بعض صور التتميم، وبعض صور التكميل... =

يَسْتَهْتُونَ ﴿٥٧﴾ [النحل: ٥٧] فقوله: «سبحانه» اعتراض لتزويه الله تعالى وتقديسه عما لا يليق بجلاله^(١). وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾ [الفتح: ٢٥] فقوله تعالى: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ اعتراض قصد به التبرك، وتعليم الخلق الأدب في قرن الأشياء بمشيئة الله تعالى، فإذا كان الحق جل شأنه قال ذلك في خبر أخبر به فنحن أحق وأولى^(٢).

فائدة:

قد تشبه جملة الحال بجملة الاعتراض إذا كانت مقترنة بالواو، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [النساء: ١٢٥]، فقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ جملة حالية لا اعتراضية، أي والحال أنه محسن؛ لأن الحال وصف والمقام مقتضي الوصفية. وإن كان الزمخشري جعلها اعتراضية^(٣) في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٦]^(٤)، فقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي

= انظر تفصيل ذلك في: التلخيص وشروحه: ٢٤٦/٣ - ٢٥٠، المطول على التلخيص: ٢٩٧ - ٢٩٩.

(١) انظر: شروح التلخيص: ٢٣٩/٣، المطول: ٢٩٦، البرهان: ٥٧/٣، المرجعين الأخيرين.

(٢) انظر: البرهان: ٥٧/٣، الإتيان: ٢٢٣/٣، معترك الأقران: ٣٧١/١.

(٣) كذا في الأصل، أما في (ح) فإنه أورد كلاماً آخر بعد هذه العبارة، ونصه: كما حكاه عنه في المطول وأقره عليه. وأولى أن تكون حالية. نعم الاعتراضية في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ...﴾.

وراجعت الكشف: ٥٦٩/١ فوجدته قال أثناء تفسيره للآية السالفة الذكر: ﴿وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ مجاز عن اصطفاؤه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله... ثم قال بعد ذلك: فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟ قلت: هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب... فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته... ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى.

كما راجعت المطول: ٢٩٦ - ٢٩٧ فوجدته قد نقل كلام الزمخشري الآنف الذكر، ثم قال بعد ذلك: ومثله ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ...﴾ الآية، إلى آخر ما ذكره المؤلف ابن عقيلة.

(٤) وفي قوله: «وضعت» قراءتان: بضم التاء. جعلوها من كلام أم مريم. وهي قراءة ابن عامر، وأبو بكر، ويعقوب. وقرأ الباقون: بسكون التاء. على أن من قول الله ﷻ. حجة القراءات: ١٦٠ - ١٦١، الكشف: ٣٤٠/١ - ٣٤١.

أني سميتها - اعتراض، وهي مقترنة بالواو^(١). وقال السعد في «المطول»: ومثال هذا الاعتراض كثيراً ما يلتبس بالحال، والفرق دقيق أشار إليه صاحب الكشف، حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذْتُمْ الْعِجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١، ٩٢]، أن قوله: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ حال، أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة في غير موضعها، أو اعتراض، أي: وأنتم قوم عادتكم الظلم^(٢). انتهى، وهي في غاية الحسن.

ومن الاعتراض بأكثر من جملة بين كلامين، ما مثل له في «التلخيص» بقوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ اعتراض بأكثر من جملة، فإن: ﴿سَأَوْكُمْ حَرْثَ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] بيان لقوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ يعني أن الموضع المأتي/ هو محل الحرث، لأن المقصود من [٢٦٨ب/هـ] الجماع الأكبر هو التناسل، لا قضاء الشهوة، فلا تأتوهن^(٣) إلا من حيث يحصل الغرض المطلوب^(٤).

واعترض الشيخ بهاء الدين السبكي على صاحب «التلخيص» بما ملخصه: أن هذا ليس من الاعتراض بأكثر من جملة، فإن قوله تعالى: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ اسم إن وخبرها، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ معطوف على جملة خبر إن، فهي معمول لا غير. والمقصود أن تكون جملتين مستقلتين^(٥). انتهى.

والأحسن التمثيل بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ﴾ [النساء: ٤٤ - ٤٦]، فإن فيه اعتراض

(١) انظر: الكشف: ٣٥٦/١ حيث قال الزمخشري فيه: فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿وَأَيُّ سَمِيَّتَهَا مَرِيَّةٌ؟﴾ قلت: هو عطف على قوله: ﴿إِنِّي وَصَّعْتَهَا أَنْتَى﴾ وما بينهما جملتان معترضتان، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَقَسَرٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦].

(٢) المطول: ٢٩٧. وانظر: الكشف: ١٦٦/١.

(٣) في الأصل وفي (ح): «تؤتوهن» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(٤) انظر: التلخيص: ٢٣٣، المطول: ٢٩٧، شروح التلخيص: ٢٤٥/٣ - ٢٤٣،

الإيضاح: ٣١٥ - ٣١٦، مغني اللبيب: ٥١٤، الإيقان: ٢٢٣/٣، معترك الأقران: ١/٣٧١.

(٥) انظر: عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص: ٣٤٤/٣.

بثلاث جمل، على تقدير^(١)، وهي: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾، وبجملتين على تقدير^(٢)، وهما: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذِّكْرُ كَاللَّنْثِيِّ﴾ [آل عمران: ٣٦]. فيمن قرأ بسكون «تاء» وضعت، وهو احتراز حسن، فإن على قراءة «وضعت» يكون من كلامها^(٣).

(١) أي: على تقدير أن قوله: «من الذين» بيان لقوله: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَّا﴾، لأنهم يهود ونصارى.

(٢) وهذا التقدير الثاني وهو أن يجعل قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بياناً لـ «أعدائكم». انظر: الإيضاح: ٣١٦، مغني اللبيب: ٥١٤ - ٥١٥.

(٣) انظر: الكلام على القرائتين فيما سلف: ١٥٢٤.

النوع التاسع عشر بعد المائة

«علم بديعه»



النوع التاسع عشر بعد المائة

علم بديعه^(١)

أفرده بالتصنيف ابن أبي الإصبع^(٢)، فأورد فيه نحو مائة نوع، وهي: المجاز، والاستعارة، والكناية، والإرداف، والتمثيل، والتشبيه، والإيجاز، والاتساع^(٣)، والإشارة، والمساواة، والبسط، والإيغال، والتسجيع، والتشريع، والتمميم، والتكميل، والاحتراس^(٤)، والاستقصاء، والتذليل،

(١) كذا في الأصل وفي (ح). وقد سَمَّاهُ في الإتيقان: ٢٤٩/٣، بدائع القرآن، وفي معترك الأقران: ٣٧٣/١، قال: وقوع البدائع البليغة فيه.

والبديع: من بدع الشيء ببدعه بدعاً وابتداعه: أنشأه وبدأه، والإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء، ومنه قيل ركية بديع؛ أي: جديدة الحفر، والبديع يقال للمبدع نحو قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] ومعناها في هاتين الآيتين: منشؤهما ومبدؤهما على غير مثال سابق. والبدعة: الحدث وكل محدثة. وفي الحديث: كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. والبديع: يقال للمبتدع نحو: ركية بديع. وكذلك البدع يقال لهما جميعاً. والبديع: المبتدع بالكسر والفتح، وأبدع الشاعر جاء بالبديع.

تهذيب اللغة: ٢٤٠/٢ - ٢٤٢، مادة: (بدع)، اللسان: ٦/٨ - ٨، مادة: (بدع)، الصحاح: ١١٨٣/٣ - ١١٨٤، مادة: (بدع)، المفردات: ٣٦ - ٣٧، مادة: (بدع).

وتعريف علم البديع في الاصطلاح: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة. التلخيص: ٣٤٧. وانظر: الإيضاح، للقزويني: ٤٧٧.

(٢) في كتابه: «بديع القرآن» وقد طبع بتحقيق الدكتور: حفني محمد شرف. عن دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة. وهو اختصار لكتابه «تحرير التحبير»، وقد تكلم في «بديع القرآن» عن مائة نوع وتسعة أنواع. وفي «تحرير التحبير» تكلم عن مائة وستة وعشرين نوعاً.

وقد طبع «تحرير التحبير» بتحقيق الدكتور: حفني محمد شرف. عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، (١٣٨٣هـ).

(٣) في الأصل: «الإشباع» وما أثبتته من (ح).

(٤) في الأصل: «الاختلاس» وما أثبتته من (ح).

والزيادة، والترديد، والتكرار، والتفسير، والإيضاح، ونفي الشيء بإيجابه^(١)،
 والمذهب الكلامي، والقول بالموجب^(٢)، والمناقضة، والانتقال، والإسجال،
 والتسليم، والتمكين، والتوشيح، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف،
 ولزوم ما لا يلزم، والتخيير، والإبهام، والتورية، والاستخدام، والالتفات،
 والاستطراد، والإطراد، والانسجام، والإدماج، والافتنان، والاقتدار،
 وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والاستدراك،
 والاستثناء، وتأكيذ المدح بما يشبه الذم^(٣)، والتفريق، والتغاير، والتقسيم،
 والتدبيح، والتنكيت، والتضمين، والجناس، وجمع المؤنث والمختلف،
 وحسن النسق، وعتاب المرء نفسه، والعكس، والعنوان، والفرائد، والقسم،
 والمبالغة، والمطابقة، والمقابلة، والمواربة، والمراجعة، والنزاهة، والإبداع،
 والمقارنة، وحسن الابتداء، وحسن الختام، والاستطراد.

فأما المجاز وما بعده إلى الإيضاح، فقد تقدم بعضها في أنواع مفردة^(٤)،
 وبعضها في نوع^(٥) الإيجاز والإطناب^(٦)، مع أنواع آخر^(٧) ستأتي^(٨) في نوع

(١) في الأصل وفي (ح): «بإيجاب» وصوبته من مصادره. انظر: بديع القرآن لابن أبي
 الإصيص: ١٥٢، الإتيان: ٢٤٩/٣.

(٢) في الأصل: «الواجب» وما أثبتته من (ح).

(٣) في الأصل: «والتأكيذ والمدح بما يشبه الذم» وما أثبتته من (ح).

(٤) مثل: المجاز، حيث تقدم الكلام عنه في نوع الحقيقة والمجاز، وهو النوع التاسع
 بعد المائة.

والاستعارة، تقدم الكلام عنها في أنواع استعارات القرآن، وهو النوع الثاني عشر بعد
 المائة.

والتمثيل والتشبيه تقدم الكلام عنهما في نوع تشبيه القرآن، وهو النوع الحادي عشر بعد
 المائة.

والإرداف والكناية تقدم في نوع الصريح والكناية في القرآن، وهو النوع العاشر بعد
 المائة.

(٥) في الأصل وفي (ح): «أنواع» والأولى ما أثبت.

(٦) مثل: الإيجاز، الإشارة، والمساواة، الإيغال، التتميم، التكميل والاحتراس،
 التذييل، والتكرار، والإيضاح.

(٧) في الأصل وفي (ح): «أخرى» والأولى ما أثبت.

(٨) في الأصل وفي (ح): «فستأتي» والصواب ما أثبت.

الفواصل^(١).

وأما نفي الشيء بإيجابه، وكثير من أنواع البديع، وحسن التخلص، فستأتي في كثير من الأنواع^(٢). ونورد في هذا الفن كثيراً من أنواعه^(٣).

أولها: الإيهام، ويدعى التورية - أن يذكر لفظ له معنيان، إما بالاشتراك أو التواطؤ، أو الحقيقة، أو^(٤) المجاز - أحدهما قريب والآخر بعيد؛ ويقصد البعيد، ويوري^(٥) عنه بالقرب، فيتوهمه السامع من أول وهلة^(٦).

قال الزمخشري: لا ترى باباً في البيان أدق، ولا ألطف من التورية؛ ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله^(٧).

قال: ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؛ على معنيين: الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه، والثاني: الاستيلاء والملك؛ وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقرب المذكور. انتهى.

(١) الصواب أن نوع الفواصل قد مضى في النوع الثمانين.

(٢) من قوله: «مع أنواع أخرى» إلى قوله: «في كثير من الأنواع» جاءت عبارات المؤلف فيها قلقلة مضطربة، وهي في الأصل وفي (ح): «... مع أنواع أخرى في النوع فستأتي في نوع الفواصل، وأما حسن التخلص، وسيأتي في كثير من الأنواع كثير من أنواع البديع». ولذلك قمت بإعادة صياغتها على ضوء السياق الذي قبلها والذي بعدها.

(٣) أي: أنواع بديع القرآن.

(٤) في الأصل وفي (ح): «والمجاز» والأولى ما أثبت.

(٥) في الأصل: «يوارى» وما أثبتته من (ح).

(٦) انظر ذلك في العمدة، لابن رشيق: ٣١١/١، البديع في البديع، لابن منقذ: ٩٧، نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٩١، المفتاح، للسكاكي: ٢٠١، تحرير التعبير: ٢٦٨، بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ١٠٢، حيث قال: «باب التورية، وتسمى التوجيه» ثم عرفها بقوله: «وهي أن تكون الكلمة تحتل معنيين، ويستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله».

وانظر: التبيان، للطبيبي: ٢٩٩، المطول: ٤٢٥، التلخيص وشروحه: ٣٢٢/٤، الإيضاح: ٤٩٩، الطراز: ٦٢/٣، البرهان: ٤٤٥/٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ٣٩/٢، الإتيقان: ٢٥٠/٣، معترك الأقران: ٣٧٤/١.

(٧) انظر: نهاية الإيجاز: ٢١٩. ونقله عنه السيوطي في الإتيقان: ٢٥٠/٣، معترك الأقران: ٣٧٤/١.

كذا ذكره الحافظ السيوطي في «الإتقان»^(١)، والذي في تفسير الزمخشري في هذه الآية غير ذلك، فإنه اختار أن مثل هذا الكلام من قبيل تمثيل حالة بحالة، لا من قبيل التورية، فإنه لما كان الاستواء على العرش «وهو سرير الملك» مما يرادف الملك، جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى فلان على العرش، يريدون: ملك لم يقعد على السرير البتة. وقالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى، ومساواته في مواده، وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر^(٢).

ونحوه قولك: يد فلان مبسوطة، ويد فلان مغلولة، بمعنى: أنه جواد، أو بخيل، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت. حتى أن من لم يبسط يده، قط بالنوال، أو من لم تكن له يد رأساً قيل له: يد مبسوطة، لمساواته عندهم قولهم: جواد. ومنه قوله ﷺ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]: أي: هو بخيل ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: أي: هو جواد من غير

(١) الإتقان: ٢٥٠/٣. وانظر: معترك الأقران: ٣٧٤/١.

(٢) ما ذكره السيوطي والمؤلف حول حقيقة استواء الله ﷻ على عرشه - نقلاً عن الزمخشري في تفسيره - وسكتنا عنه، مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة وما عليه سلف الأمة من أن استواء الله تعالى على عرشه استواء حقيق كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأن معناه العلو والاستقرار - كما يليق بجلاله وعظمته - وهو من صفاته الفعلية. قال ابن القيم: «الاستواء على العرش في سبع آيات من القرآن حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم، فإنهم قالوا: هو مجاز، ثم اختلفوا في مجازه، والمشهور عنهم ما حكاه الأشعري عنهم - وبدعهم وضللتهم فيه - بمعنى استولى، أي ملك وقهر...».

ثم قال: «وهذا الذي قالوه باطل من اثنين وأربعين وجهاً... إلى آخر كلامه...». مختصر الصواعق المرسله: ٣٠٦.

وقال شارح الطحاوية في حديثه عن العرش: «... وأما صرف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٨]، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء! ويكون موسى ﷺ آخذاً بقائمة من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!»

شرح العقيدة الطحاوية: ٣١٢. وانظر حول الكلام على الاستواء فيما سلف في النوع السادس والتسعين علم المحكم والمتشابه.

تصور «يد» ولا «غل» ولا «بسط» والتفسير «بالنعمة» والتمحل للتثنية، من ضيق^(١) العطن^(٢)، والسافرة^(٣) [عن]^(٤) علم البيان سيرة أعوام. انتهى^(٥).

وهذه التورية تسمى مجردة؛ لأنها لم يذكر فيها شيء من لوازم المورى به، ولا المورى عنه^(٦). ومنها ما تسمى «مرشحة»، وهي التي ذكر فيها شيء من لوازم هذا^(٧) وهذا^(٨)، كقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] فإنه يحتمل

(١) في الأصل: «صنف» والصواب ما أثبت. انظر: الكشاف: ٥٢/٣.

(٢) في الأصل: «العطف» والصواب ما أثبت. انظر: الكشاف: ٥٢/٣.

العطن: قال ابن فارس: العين، والطاء، والنون، أصل صحيح واحد يدل على إقامة وثبات، من ذلك: العطن، والمعطن، وهو مبرك الإبل. وقال العكبري: العطن: مبارك الإبل حول الماء خاصة. ويقال: فلان واسع العطن والبلد، وهو الرحب الذراع. وعكسه ضيق العطن، وهو هنا العقل والفهم. انظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٥٢/٤، مادة: (عطن)، الشوف المعلم: ٥٤٥/١، تهذيب اللغة: ١٧٥/٢، أساس البلاغة: ٤٢٦، مادة: (عطن).

(٣) أي: البعد عن علم البيان، والمقصود عدم فهم هذا العلم.

(٤) في الأصل: «من» والأولى ما أثبت.

(٥) أي: انتهى منقولاً من: الكشاف، للزمخشري: ٥٢/٣.

تنبيه: من قوله: «والذي في تفسير الزمخشري... إلى... مسيرة أعوام» ساقط من نسخة (ح). انظر: الورقة: (١٦٩/ب/ح).

قلت: ما ذكره المؤلف - وسكت عنه - نقلاً عن الزمخشري حول إثبات حقيقة صفة اليديين لله تعالى، فيه حق وباطل، فأما الحق فهو قوله: والتفسير أي تفسير لفظ «اليد» و«اليديين» بالنعمة، والتمحل للتثنية من ضيق العطن. فلا شك أن من جعل صفة اليديين المضافتين إلى الله تعالى مجاز معناه: القدرة أو النعمة، قد حاد عن الصواب الذي عليه سلف الأمة.

وأما الباطل فهو قوله: «... من غير تصور يد ولا بسط»، فهذا تفسير باطل مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من أن الله تعالى يدين حقيقتين كما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى يقبض، ويبسط، ويطوي، كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

(٦) معترك الأقران: ٣٧٤/١، الإتيان: ٢٥٠/٣. وانظر كذلك: مفتاح العلوم: ٢٠١ -

٢٠٢، التلخيص وشروحه: ٣٢٣/٤ - ٣٢٤، الإيضاح: ٤٩٩ - ٥٠٠ حيث قال القزويني: «أما المجردة فهي التي لا تجامع شيئاً مما يلائم المورى به»، أعني المعنى القريب، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

(٧) أي: المورى به.

(٨) أي: المورى عنه.

الجارحة، وهو المورى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح «البيان»، ويحتمل «القوة» وهو البعيد المقصود^(١).

وقال «السعد» في «المطول»: تمثيل وتصوير لعظمته، وتوقيف على كنه جلاله، من غير ذهاب بالأيدي إلى جهة حقيقة أو مجاز، بل يذهب إلى أخذ الزبدة والخلاصة من الكلام، من غير أن يتحمل لمفرداته حقيقة أو مجاز^(٢). وقد شدد^(٣) النكير^(٤) على من يفسر «اليد» بالنعمة، و«الأيدي» بالقدرة، و«الاستواء» بالاستيلاء، و«اليمين» بالقدرة^(٥). وقال: قلت: قد جرى المصنف^(٦) في جعل الآيتين^(٧) مثالين للتورية، على ما اشتهر بين أهل الظاهر من المفسرين. انتهى^(٨).

وأما الزمخشري فذكر في تفسيره: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] قال: «بأيد» بقوة، والأيد^(٩)، والآد: القوة، وقد آد يئيد، وهو آيد^(١٠). فقد جعلها من التورية. وهو ظاهر كلام السعد في «المطول» أن الزمخشري لا يقول إن الآية من التورية، وأنه يجعلها مثل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١١) [طه: ٥]. قال ابن أبي الإصبع في كتابه «الإعجاز»^(١٢)، ومنها:

- (١) انظر: المطول: ٤٢٥، الإتقان: ٣/ ٢٥٠ - ٢٥١، معترك الأقران: ١/ ٣٧٤.
- (٢) انظر: المطول: ٤٢٥. وانظر: مختصر السعد، ضمن، شروح التلخيص: ٤/ ٣٢٦.
- (٣) في الأصل وفي (ح): «سدد» والصواب ما أثبت لاقضاء المقام له.
- (٤) في الأصل وفي (ح): «التمكين» والصواب ما أثبت لاقضاء المقام له.
- (٥) المرجع السابق. وانظر: مختصر السعد، ضمن، شروح التلخيص: ٤/ ٣٢٣ - ٣٢٤.

- (٦) وهو الخطيب القزويني صاحب تلخيص المفتاح.
- (٧) وهما قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].
- (٨) المطول: ٤٢٥ - ٤٢٦. وانظر: مختصر السعد، ضمن، شروح التلخيص: ٤/ ٤٢٥ - ٤٢٦.

- (٩) في الأصل: «والأيدي» والصواب ما أثبت.
- (١٠) الكشاف: ٤/ ٤٠٤.
- (١١) انظر: المطول: ٤٢٥، الكشاف: ٤/ ٤٠٤.
- (١٢) بحث عنه ولم أجده، ولم يذكر ضمن مصنفات ابن أبي الإصبع عند من ترجموه. وكلامه موجود في كتابه «بديع القرآن» كما سيأتي بيان ذلك.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأْتِيهِمْ آيَاتُ رَبِّهِمْ بَعْرًا يُغْفَرُ لَهُمْ فَرْتَابُوا﴾ [يوسف: ٩٥]، فالضلال
يحتمل الحب وضد الهدى، فاستعمل أولاد يعقوب عليه السلام ضد الهدى تورية عن
الحب. كذا قال^(١)، فليتأمل^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] على تفسيره بالدرع؛ فإن
البدن يطلق عليه وعلى الجسد، والمراد البعيد وهو الجسد، كذا قال^(٣).

ومن ذلك قوله تعالى - بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى - حيث
قال: ﴿وَلَيْنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ
قِبْلَتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٥]، ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربي،
وتوجهت إليه اليهود، وتوجهت النصارى إلى الشرق^(٤)، كانت قبلة الإسلام
وسطاً بين القبلتين، قال تعالى وتقدس: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:
١٤٣] أي: خياراً، وظاهر اللفظ يوهم التوسط مع ما يعضده، من توسط قبلة
المسلمين. [فصدق^(٥)] على لفظة «وسط» ها هنا [أن^(٦)] يسمى تعالى به
لاحتمالها المعنيين. ولما كان المراد أبعدهما وهو «الخيار» صلحت أن تكون
من أمثلة التورية^(٧).

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - وهي مرشحة بلازم المورى عنه،
وهو قوله تعالى: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فإنه لزم كونهم خياراً؛ أي^(٨):

(١) أي: ابن أبي الإصبع.

(٢) انظر: بديع القرآن: ١٠٢، حيث قال فيه بعد أن ذكر الآية: «فانظر إلى كون
الضلال ههنا يحتمل الحب وضد الهدى، وكيف استعمله أولاد يعقوب عليه السلام ضد الهدى،
فوروا به عن الحب، ليعلم أن المراد ما أهملوا لا ما استعملوا». وقد نقله عنه السيوطي
في الإتقان: ٢٥١/٣، معترك الأقران: ٣٧٥/١.

(٣) أي: ابن أبي الإصبع. انظر: بديع القرآن: ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) في الأصل: «المغرب» وما أثبتته من (ح).

(٥) ما بين المعقوفتين من (ح).

(٦) من (ح).

(٧) انظر ذلك في: بديع القرآن: ١٠٣. وانظر: الإتقان: ٢٥١/٣، معترك الأقران: ١/

(٨) في الأصل وفي (ح): «أو» والصواب ما أثبت.

عدولاً، والإتيان قبله من قسم المجردة^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، فإن النجم يطلق على الكوكب، ويرشحه ذكر الشمس والقمر، وعلى ما لا «يساق»^(٢) له من النبات، وهو المعنى البعيد له وهو المقصود في الآية^(٣).

ونقل^(٤) من خط شيخ الإسلام ابن حجر^(٥): أن من التورية في القرآن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، فإن «كافة» بمعنى «مانع» أي: تكفهم عن الكفر والمعاصي، والهاء^(٦) للمبالغة، وهذا معنى^(٧) بعيد، والمعنى القريب المتبادر: أن المراد جامعة بمعنى: جميعاً، لكن منع من حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى^(٨) عن المؤكد، فكما لا تقول: رأيت جميع الناس، لا تقول: رأيت كافة الناس^(٩).

(١) انظر: المرجعين الأخيرين، وقد تقدم بيان معنى المجردة في كلام المؤلف في النوع الثاني عشر بعد المائة: علم استعاراته.

(٢) كذا في الأصل والصواب: «ساق» المدقق.

(٣) الإتيان: ٢٥١/٣، معترك الأقران: ٣٧٥/١.

وتفسير النجم بأنه ما لا ساق له من النبات هو ما اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره:

١١٧/٢٧.

وقال مجاهد: النجم الذي في السماء، وكذا قال الحسن وقتادة، قال ابن كثير: وهو الأظهر والله أعلم، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْتَلِفُ لِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ...﴾ [الحج: ١٨]. تفسير ابن كثير: ٢٩٠/٤.

(٤) أي: السيوطي في الإتيان: ٢٥١/٣، معترك الأقران: ٣٧٦/١.

(٥) هو: أحمد بن علي بن محمد بن حجر، الكنايني، العسقلاني أبو الفضل، شهاب

الدين، الشافعي، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. إمام حافظ مشهور، انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك، وكتبها الأكابر، وطبع أكثرها... ولد

سنة (٧٧٣هـ)، وتوفي (٨٥٢هـ). انظر: ترجمته لنفسه في كتابه: رفع الإصر: ٨٥/١.

وكذلك ترجمه في: الضوء اللامع: ٣٦/٢، البدر الطالع: ٨٧/١، شذرات الذهب: ٧/

٢٧٠، طبقات الحفاظ، للسيوطي: ٥٥٢.

(٦) في الأصل: «أنها» وما أثبتته من (ح).

(٧) في الأصل: «بمعنى» وما أثبتته من (ح).

(٨) في الأصل وفي (ح): «متراخي» والأولى ما أثبت.

(٩) انظر ذلك في الإتيان: ٢٥١/٣ - ٢٥٢، معترك الأقران: ٣٧٦/١.

الاستخدام:

هو والتورية أشرف أنواع البديع، وهما سيان، بل فضّله بعضهم عليها^(١)، ولهم فيه عبارتان:

أحدهما: أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه، ثم يؤتى بضميره مراداً به المعنى الآخر، وهذه طريقة السكاكي وأتباعه^(٢).

والأخرى: أن يؤتى بلفظ مشترك، ثم بلفظين^(٣) يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر الآخر. وهذه/ طريقة بدر الدين بن مالك في المصباح^(٤)، ومشى عليها ابن أبي الإصبع^(٥)، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، فلفظ «الكتاب» يحتمل الأمر المحتوم، والكتاب المكتوب، فلفظ «أجل» يخدم المعنى الأول، و«يمحو» يخدم الثاني^(٦).

ومثّل غيره بقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، فالصلاة» يحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها، وقوله: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ يخدم الأول، و﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ يخدم الثاني^(٧).

(١) ذكر ذلك: السيوطي في: الإنقان: ٢٥٢/٣، معترك الأقران: ٣٧٦/١. وانظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ١٢٢/١ - ١٢٣، شرح الكافية البديعية، للحلي: ٢٩٦.

(٢) انظر ذلك في التلخيص وشروحه: ٣٢٦/٤ - ٣٢٧، حيث قال القزويني: «وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثم يراد بضميره الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما، ثم يراد بالآخر الآخر...».

وانظر: الإيضاح: ٥٠٢.

(٣) في الأصل وفي (ج): «بلفظ» والصواب ما أثبت.

(٤) انظر: المصباح: ١٢٠. وانظر: البديع في البديع، لابن منقذ: ١٢٦.

(٥) حيث قال: باب الاستخدام: وهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها محملان، ثم يأتي بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما، تستخدم كل لفظة منهما أحد محملي اللفظة المتوسطة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ إلى آخر كلامه... بديع القرآن: ١٠٤.

وانظر: تحرير التوجيه: ٢٧٥، شرح الكافية البديعية، للحلي: ٢٩٦. وانظر: خزانة الأدب: ١١٩/١ - ١٢٠.

(٦) انظر: بديع القرآن: ١٠٤ - ١٠٥. وانظر كذلك: البرهان: ٤٤٧/٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ١٢٠/١.

(٧) انظر ذلك في البديع في: البديع، لابن منقذ: ١٢٦ - ١٢٧، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن: ٣٢٧، البرهان: ٤٤٦/٣ - ٤٤٧.

قيل: ولم يقع في القرآن على طريقة السكاكي^(١).

قال السيوطي: قلت: وقد استخرجت بفكري آيات على طريقته، منها: قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١] فأمر الله يراد به قيام الساعة، والعذاب، وبعثته ﷺ، وقد أريد بلفظه الأخير، كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قال: محمد ﷺ. وأعيد الضمير عليه في «تستعجلوه» مراداً به قيام الساعة، والعذاب^(٢).

ومنها: وهو أظهرها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، فالمراد به «آدم» ثم أعاد الضمير عليه مراداً به ولده، فقال عز من قائل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣].

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٢٦٩/هـ]، ثم قال تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٢] أي أشياء أخرى؛ لأن الأولين لم يسألوا عن الأشياء التي سألت عنها الصحابة، فنهوا عن سؤالها^(٣).

قلت: وقد استخرجت بفكري آية على طريقة السكاكي، وهي قوله تعالى: ﴿وَجِئْتِكَ مِنْ سَبَأٍ بِنْتًا يَفِينِ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: ٢٢ - ٢٣]، ف«سبأ» يطلق على الأرض، وهو المراد في قوله: «وجئتك من سبأ» ويطلق على القبيلة، وقد أعاد عليه بقوله: «تملكهم» أي: القبيلة.

= قال الزركشي في الفرق بين التورية والاستخدام: «كثيراً ما تلتبس التورية بالاستخدام؛ والفرق بينهما: أن التورية استعمال أحد المعنيين في اللفظ وإهمال الآخر؛ وفي الاستخدام استعمالهما معاً بقرينتين».

وقال: «وحاصله أن المشترك إن استعمل في مفهومين معاً فهو الاستخدام؛ وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطناً فهو التورية».

وانظر: في الفرق بينهما أيضاً: تحرير التحبير: ٢٧٥.

(١) ذكر ذلك السيوطي في الإتيان: ٢٥٢/١، وفي معترك الأقران: ٣٧٧/١.

(٢) الإتيان: ٢٥٢/٣، معترك الأقران: ٣٧٧/١.

وقال ابن الجوزي: وفي المراد بـ«أمر الله» خمسة أقوال: أحدها: أنها الساعة. والثاني: خروج رسول الله ﷺ. والثالث: أنها الأحكام والفرائض. والرابع: عذاب الله. والخامس: وعيد المشركين. زاد المسير: ٤٢٧/٤.

(٣) الإتيان: ٢٥٣/٣، معترك الأقران: ٣٧٧/١.

الالتفات^(١):

هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من المتكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، إلى آخر منها^(٢) بعد التعبير بالأول، هذا هو المشهور^(٣).
وقال السكاكي: إما ذلك، أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره^(٤).
وله فوائد:

منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسامة من الاستمرار على منوال واحد. هذه فائده العامة^(٥). ويختص كل موقع بنكت باختلاف محله، كما سنبينه.

(١) الالتفات: مأخوذ من التفات الإنسان يميناً وشمالاً، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، فهكذا حال هذا النوع من علم المعاني...».

وقد يلقب بشجاعة العربية، وإنما سمي بذلك؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، والرجل الشجاع هو الذي يرد الموارد الصعبة، وكذلك هذا الالتفات في الكلام، فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات. انظر: المثل السائر: ١٨١/٢، الطراز: ١٣١/٢ - ١٣٢. (٢) في الأصل وفي (ح): «منهما» والصواب ما أثبت لأنه أنسب للسياق.

(٣) انظر ذلك في: البديع، لابن المعتز: ٥٨، نقد الشعر، لقدامة: ١٥٠، الصناعتين: ٣٩٢، العمدة: ٤٥/٢.

قال القزويني: «والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منهما». الإيضاح: ١٥٧. وانظر كذلك: التلخيص وشروحه: ٤٦٥/١ - ٤٦٧. وانظر: الكشف: ١٣/١ - ١٤. وانظر: نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٨٧ - ٢٨٨، بديع القرآن: ٤٢، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، للزملكاني: ٣١٣، إعجاز القرآن، للباقلاني: ٩٩ - ١٠١، تحرير التحبير: ١٢٣، المثل السائر: ٢/١٨١، التبيان، للطبيبي: ٢٨٤، خزنة الأدب، لابن حجة: ١٣٤/١، الطراز: ١٣٢/٢، الفوائد المشوق: ١٤٤، البرهان: ٣١٤/٣، الإتيقان: ٢٥٣/٣، معترك الأقران: ٣٧٧/١.

(٤) انظر: مفتاح العلوم: ٩٥، حيث قال السكاكي: «هذا غير مختص بالمسند إليه، ولا بهذا القدر، بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقاً ينقل كل منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني».

وانظر: عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٤٧٢/١ - ٤٧٣.

(٥) هذا القول هو أحد أقوال ثلاثة ذكرها علماء البلاغة في الوجه الذي لأجله دخل الالتفات في الكلام. وهو قول الزمخشري ذكره في الكشف: ١٣/١، وقد اعترض عليه ابن الأثير بوجهين:

أحدهما: أنه قال: إنما جاز الالتفات من أجل التنشيط للسامع، وجوابه: أنه لو كان =

مثاله: من التكلم إلى الخطاب - ووجهه: حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة - قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، الأصل: «وإليه أرجع»، فالتفت من التكلم إلى الخطاب، ونكتته: أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه، تلطفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم؛ لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله تعالى^(١).

كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات وفيه نظر؛ لأنه إنما يكون منه إذا قصد الإخبار عن نفسه في كلا الجملتين، وهنا ليس كذلك، لجواز أن يريد بقوله:

= الكلام فصيحاً لم يكن مملولاً.

وثانيهما: يرد على قول الزمخشري إنما يوجد الالتفات في الكلام المطول، والالتفات كما يستعمل في الكلام الطويل فهو يستعمل في القصير.

انظر: المثل السائر: ١٨٢/٢ وما بعدها. وقد فند صاحب «الطراز» اعتراضات ابن الأثير على قول زمخشري، وقال بعد ذلك: «... فإذا لا وجه لكلام ابن الأثير على ما قصده الزمخشري وانتحاه...».

انظر: الطراز: ١٣٣/٢ - ١٣٥. وانظر كذلك: الإيضاح، للقزويني: ١٦٠. القول الثاني: أن ذلك من عادة العرب وأساليبها في الكلام. وزيف ابن الأثير هذا التعليل، وقال: هو مثل عكاز العميان، وأراد بما قاله: أن عكاز الأعمى لا يسأل عن علة حاجته إليه، فإن علة ذلك ظاهرة لا تحتاج إلى كشف وبيان. انظر: المثل السائر: ١٨١/٢ - ١٨٢.

قلت: وهذا التعليل مردود كما قال ابن الأثير ووجهه. وانظر: الطراز: ١٣٣/٢.

القول الثالث: قال ابن الأثير: وعندي أنه لا يختص بضابط معين يجمعه، ولكنه يكون على حسب مواقع في البلاغة، وموارده في الخطاب، والناظر إنما يعرف حسن مواقع الالتفات إذا نظر في كل موضع يكون فيه الالتفات، فيعرف قدر بلاغته بالإضافة إلى ذلك الموقع بعينه. انظر: المثل السائر: ١٨٣/٢. وانظر: الكشاف: ١٣/١ - ١٤، التلخيص وشروحه: ٤٧٢/١ - ٤٧٣، الإيضاح: ١٦٠، وكذلك انظر: البرهان: ٣/٣٢٥ - ٣٢٦.

(١) انظر: المثل السائر، لابن الأثير: ١٨٧/٢، حيث قال بعد أن ساق الآية: «وإنما صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم؛ لأنه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم... إلى آخر كلامه». وانظر أيضاً: شرح السعد، ومواهب الفتاح، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٤٦٧/١ - ٤٦٨. وكذلك انظر: البرهان: ٣/٣١٥، الإقتان: ٣/٢٥٣، معترك الأقران: ١/٣٧٨.

«ترجعون» المخاطبين، لا نفسه^(١).

وأجيب: بأنه لو كان المراد كذلك لما صح الاستفهام الإنكاري؛ لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعبد^(٢) غير ذلك الراجع، فالمعنى: كيف لا أعبد من إليه رجوعي، وإنما عدل عن «وإليه أرجع» إلى «وإليه ترجعون» لأنه داخل فيهم، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة، وهي تنبيههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع^(٣).

ومن أمثله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]،
﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢].

ومثاله من التكلم إلى الغيبة:

- ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب، وأنه في كلامه ليس مما يتلون ويتوجه، ويبدى في الغيبة خلاف ما يبدى في الحضور، قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح]، والأصل: «لنغفر»^(٤). وقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر]، والأصل: «فصل لنا»^(٥). وقوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان] والأصل: «منا»^(٦). وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. والأصل: «وبي» عدل عنه لكتبتين:

(١) انظر: عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٤٦٦/١ - ٤٦٧، حيث قال السبكي بعد أن أورد الآية كمثال على الالتفات من المتكلم إلى الخطاب: قلت: وفيه نظر، لجواز أن يكون أراد بقوله: «ترجعون» المخاطبين ولم يرد نفسه».

ثم قال: «ويؤيده ضمير الجمع، ولو أراد نفسه لقال: يرجع...». وانظر: البرهان: ٣١٥/٣، ٣٢٨، الإتيان: ٢٥٣/٣، معترك الأقران: ٣٧٨/١.

(٢) في الأصل وفي (ج): «يعبده» والصواب ما أثبت لاقضاء المقام له.

(٣) انظر ذلك في: البرهان: ٣١٦/٣، معترك الأقران: ٣٧٨/١، الإتيان: ٣٥٤/٣.

(٤) البرهان: ٣١٧/٣، الإتيان: ٢٥٤/٣، معترك الأقران: ٣٧٩/١.

(٥) انظر: التلخيص وشروحه: ٤٦٨/١، الإيضاح: ١٥٨، بديع القرآن: ٤٤، البرهان: ٣١٧/٣، الإتيان: ٢٥٤/٣، معترك الأقران: ٣٧٩/١.

(٦) البرهان: ٣١٧/٣، الإتيان: ٢٥٤/٣، معترك الأقران: ٣٧٩/١. وانظر: المثل

السائر: ١٨٧/٢ - ١٨٨.

أحدهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصية لها .

والأخرى: ينبههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة، والخصائص المتلوة^(١).

ومثاله من الخطاب إلى التكلم لم يقع في القرآن^(٢)، ومثّل له بعضهم بقوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] ثم قال: ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ [طه: ٧٣]. وهذا المثال لا يصح؛ لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً^(٣).

ومثاله من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّكَ وَجَرِينَنَّهُمْ﴾ [يونس: ٢٢]، والأصل: «بكم»، ونكته العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم، والتعجب من كفرهم وفعلهم، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة^(٤).

وقيل: لأن الخطاب أولاً كان مع الناس/ مؤمنهم وكافرهم، بدليل قوله [٢٧٠ب/ها] تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢]، ولو قال: «وجرين بكم» للزم الذم للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة [إلى]^(٥) اختصاصه بهؤلاء^(٦) الذين شأنهم ما ذكره عنهم في^(٧) آخر الآية، عدولاً من الخطاب العام إلى الخاص^(٨).

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - : ورأيت عن بعض السلف في

(١) المراجع السابقة . وانظر: المثل السائر: ١٩١/٢ - ١٩٢ .

(٢) هكذا قال السيوطي في الإتيان: ٢٥٤/٣ ، وفي معترك الأقران: ٣٧٩/١ .

(٣) هذا رأي السيوطي . انظر: المرجعين السابقين . وقال الزركشي بعد أن ذكر الآية على أنها مثال للالتفات من الخطاب إلى التكلم: وهذا إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحداً؛ فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به ثم قال: ويمكن أن يمثل بقوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا نَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٢١]، على أنه - سبحانه - نزل نفسه منزلة المخاطب . البرهان: ٣١٧/٣ .

(٤) انظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، للزملكاني: ٣١٤ - ٣١٥ ، البرهان: ٣/

٣١٨ ، الإتيان: ٢٥٤/٣ - ٢٥٥ ، معترك الأقران: ٣٧٩/١ ، بديع القرآن: ٤٤ .

(٥) زيادة من (ح) .

(٦) في الأصل وفي (ح): «بهذا» والأولى ما أثبت لاقضاء السياق له .

(٧) في الأصل وفي (ح): «إلى» والأولى ما أثبت لاقضاء السياق له .

(٨) الإتيان: ٢٥٥/٣ ، معترك الأقران: ٣٧٩/١ . وانظر: البرهان: ٣/٣١٨ .

توجيهه عكس ذلك؛ وهو أن الخطاب أوله خاص وآخره عام، فأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال: في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِحَمِّمٍ﴾ [يونس: ٢٢]، قال: ذكر الحديث عنهم، ثم حدث عن غيرهم، ولم يقل: «وجرين بكم»؛ لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم، وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلق^(١). / هذه عبارته: فلله در السلف ما كان أوقفهم على المعاني اللطيفة التي بذل المتأخرون فيها زماناً طويلاً، ويفنون فيها أعمارهم، ثم غايتهم أن يحوموا حول الحمى^(٢).

[ح/١٦٩]

ومما ذكر في توجيهه أيضاً: أنهم وقت الركوب حضروا لأنهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح، فخاطبهم خطاب الحاضرين، ثم لما جرت الرياح بما تشتهي السفن، وأمنوا الهلاك، ولم يبق حضورهم كما كان، على عادة الإنسان أنه إذا أمن غاب قلبه عن ربه، فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة^(٣)، وهذه إشارة صوفية^(٤).

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْيَتْ مِنْ ذِكْوَرٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم]، وقوله تعالى: ﴿وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْغِيَابَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، وقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحَدِّثُونَ﴾ [٧٦] يُطَافُ عَلَيْهِمْ [الزخرف: ٧٠، ٧١]، والأصل: «عليكم»، ثم قال: ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] فكرر الالتفات^(٥).

ومثاله من الغيبة إلى المتكلم قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا فَسُقْنَتُهُ﴾ [فاطر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا أَسْمَاءَ

(١) انظر: الدر المنثور: ٣٥١/٤، الإتيان: ٢٥٥/٣، معترك الأقران: ٣٨٠/١.

(٢) الإتيان: ٢٥٥/٣، معترك الأقران: ٣٨٠/١.

(٣) البرهان: ٣١٨/٣، الإتيان: ٢٥٥/٣، معترك الأقران: ٣٨٠/١.

(٤) هكذا قال السيوطي في الإتيان: ٢٥٥/٣، معترك الأقران: ٣٨٠/١.

(٥) البرهان: ٣١٨/٣، الإتيان: ٢٥٥/٣، معترك الأقران: ٣٨٠/١.

(٦) ومقتضى الظاهر أن يكون سياق الآية: «فساقه»، أي ساق الله ذلك السحاب وأجراه إلى البلد الميت، لكنه عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم؛ لأنه أدخل في الاختصاص، وأدل عليه وأفخم. انظر: البرهان: ٣١٩/٣ - ٣٢٠، ٣٢٩، التلخيص وشروحه: ٤٧١/١، التبيان للطبي: ٢٨٦.

الدُّنْيَا»^(١) [فصلت: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْرَاءِ﴾ [الإسراء: ١] ثم التفت ثانياً إلى الغيبة، فقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وعليه قراءة الحسن: «ليريه» بالغيبة^(٢) يكون التفاتاً ثانياً في «باركنا»، وفي «آياتنا» التفات ثالث، وفي «إنه» التفات رابع^(٣).

قال الزمخشري: وفائدته في هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحته قدرة أحد^(٤).

ومثاله من الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۗ﴾^(٥) [مريم]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ ۗ﴾^(٦) [الأنعام: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَسَقَنَّهُمْ رَبُّهُمْ سَرَاءً سَرَّاءً طَهوراً ۗ﴾^(٧) [الإنسان]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ ۗ﴾^(٨) [الأحزاب: ٥٠].

(١) حيث عدل عن الغيبة في «أوحى» إلى التكلم في «وزينا» للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه بأنه جعل الكواكب زينة السماء الدنيا، وحفظاً، تكديماً لمن أنكر ذلك. وقيل: غير ذلك. انظر: البرهان: ٣/٣٢١ - ٣٢٢. ٣٣٠. وانظر: بديع القرآن: ٤٤ - ٤٥.

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر: ٢/١٩٢، الكشاف: ٢/٦٤٨.

(٣) انظر: البرهان: ٣/٣٢٢، الإتيقان: ٣/٢٥٦، معترك الأقران: ١/٣٨٠ - ٣٨١. وانظر أيضاً: المثل السائر: ٢/١٨٥ - ١٨٦، الطراز: ٢/١٣٦.

(٤) انظر: الكشاف: ٢/٦٤٨.

(٥) فالتفت بقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ وهو خطاب للحاضر بعد قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة، وهي زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى، والتعرض لسخطه، وتنبيه لهم على عظم ما قالوه، كأنه يخاطب قوماً حاضرين بين يديه، منكرأ عليهم. وموبخاً لهم. انظر: المثل السائر: ٢/١٨٥، البرهان: ٣/٣٢٢ - ٣٢٣، الطراز: ٢/١٣٣ - ١٣٤، الفوائد المشوق: ١٤٤.

(٦) فالتفت بقوله: ﴿مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ وهو خطاب للحاضر بعد قوله: ﴿مَكَّنَّهِمْ﴾ في الأَرْضِ.

(٧) فالتفت بقوله: ﴿كَانَ لَكُمْ﴾ بعد قوله: ﴿وَسَقَنَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

(٨) حيث التفت بقوله: ﴿لَكَ﴾ بعد قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾.

انظر ذلك في: البرهان: ٣/٣٢٣، معترك الأقران: ١/٣٨١، الإتيقان: ٣/٢٥٦، بديع القرآن: ٤٤.

ومن محاسنه ما وقع في سورة (الفاتحة)، فإن العبد إذا ذكر الله تعالى وحده، ثم ذكر الله صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال؛ وآخرها: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] المفيد أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء، يجد من نفسه حالاً لا يقدر على دفعه على خطاب من هذه صفاته وتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات^(١). وقيل: إنما اختير لفظ الغيبة للحمد، وللعبادة الخطاب، للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة؛ لأنك تحمد نظيرك ولا تعبد؛ فاستعمل لفظ الحمد مع الغيبة ولفظ العبادة مع الخطاب؛ لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ما هو على رتبته؛ وذلك على طريق التأدب^(٢). وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة؛ فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ مصرحاً بذكر المنعم وإسناد الإنعام إليه لفظاً، ولم يقل: صراط المنعم عليهم. فلما صار إلى ذكر الغضب زوى عنه لفظه، فلم ينسبه إليه لفظاً، وجاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فلم يقل غير الذين/ غضبت عليهم؛ تفادياً عن نسبة الغضب إليه في اللفظ حال المواجهة^(٣).

وقيل: لأنه لما ذكر الحقيق^(٤) بالحمد، وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه رباً للعالمين، ورحماناً رحيماً، ومالكاً ليوم الدين، تعلق^(٥) العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره، مستعاناً به، فخطب بذلك لتمييزه بالصفات المذكورة تعظيماً لشأنه؛ حتى كأنه قيل: «إياك يا من هذه صفاته نحصر بالعبادة والاستعانة لا غيرك»^(٦).

(١) البرهان: ٣/٣٢٦، الإتيان: ٣/٢٥٦، معترك الأقران: ١/٣٨٠، وانظر كذلك: الكشاف: ١/١٣ - ١٤، التلخيص وشروحه: ١/٤٧٣ - ٤٧٧، الإيضاح: ١٦٠ - ١٦١، الفوائد المشوق: ١٤٦، التبيان، للطبي: ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢)(٣) انظر ذلك في: المثل السائر: ٢/١٨٣ - ١٨٤، البرهان: ٣/٣٢٧، الإتيان: ٣/٢٥٦ - ٢٥٧، معترك الأقران: ١/٣٨٢، الفوائد المشوق: ١٤٦ - ١٤٧.

(٤) في الأصل وفي (ج): «الحقيقي» وما أثبت هو الصواب لأنه أنسب للسياق.

(٥) في الأصل وفي (ج): «تعلم» والصواب ما أثبت لأنه أنسب للسياق.

(٦) البرهان: ٣/٣٢٧، الإتيان: ٣/٢٥٧، معترك الأقران: ١/٣٨٢. وانظر كذلك: الطراز: ٢/١٣٥، المثل السائر: ٢/١٨٤. الفوائد المشوق: ١٤٦، البرهان: ٣/٣٢٤ - ٣٢٥.

قيل : ومن لطائفه التنبيه على أنه مبتدأ للخلق للغيبة منهم عنه سبحانه وقصورهم عن محاضرتهم ومخاطبته، وقيام حجاب العظمة عليهم؛ فإذا عرفوه بما هو له، وتوسّلوا للقرب بالثناء [عليه]^(١) وأقروا بالمحامد له، تعبّدوا له بما يليق بهم، وتأهلوا لمخاطبته ومناجاته فقالوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢).

تنبيهات:

الأول: [شرط الالتفات]^(٣) أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه، وألا يلزم عليه في: أنت صديقي - التفات^(٤).
الثاني: شرطه أن يكون في جملتين^(٥): صرح به صاحب الكشاف وغيره^(٦)، وإن يلزم عليه أن يكون^(٧) [نووعاً غريباً]^(٨).

(١) من نسخة (ح).

(٢) البرهان: ٣/٣٢٧، الإتيان: ٣/٢٥٧، معترك الأقران: ١/٣٨٢.

(٣) ساقط من الأصل ومن (ح) وصوبته من مصادره. انظر: الإتيان: ٣/٢٥٧، معترك

الأقران: ١/٣٨٢.

(٤) المرجعان الأخيران. وانظر: البرهان: ٣/٣٣١، عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ١/٤٧٢، حيث قال السبكي: «وشرطه أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، يحترز عن مثل: أكرم زيداً وأحسن إليه، فضمير أنت الذي هو فاعل «أكرم» غير الضمير في «إليه»، وليس التفاتاً».

(٥) أي: كلامين مستقلين، حتى يمتنع بين الشرط وجوابه، قاله الزركشي في: البرهان: ٣/٣٣١. ثم قال: «وفي هذا الشرط نظر، فقد وقع في القرآن مواضع، الالتفات فيها وقع في كلام واحد؛ وإن لم يكن بين جزئي الجملة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح]، وفيه التفاتان: أحدهما بين «أرسلنا» والجلالة، والثاني بين الكاف في «أرسلناك» و«رسوله»، وكل منهما في كلام واحد».

وقال السبكي بعد أن حكى قول الزمخشري وغيره: «نعم قد ظفرت في القرآن الكريم بمواضع قد يقال إن الالتفات فيها وقع في كلام واحد، وإن لم يكن من جزئي الجملة»، ثم ساق آيات كثيرة منها الآية السابقة التي ذكرها الزركشي، ثم قال: «فإن كان القائل: إن الالتفات لا يكون في جملة واحدة؛ يعني به جملة طرفاها مفردان، ويجوز وقوعه بين جملتين لهما محل واحد، معمولتين لشيء واحد، أو يوجد بين جملة ومتعلق بها، لم ينتقص كلامه بشيء مما سبق». عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ١/٤٧٧ - ٤٧٨.

(٦) لم أجد ذلك في مظانه من الكشاف: ١/١٣ - ١٤، ٢/٦٤٨.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومن (ح) وصوبته من مصادره.

(٨) انظر: الإتيان: ٣/٢٥٧، معترك الأقران: ١/٣٨٣.

الثالث: ذكر التنوخي في «الأقصى القريب»، وابن الأثير^(١)، وغيرهما^(٢) نوعاً غريباً من الالتفات، وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه، كقوله تعالى: ﴿عَبْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بعد «أنعمت»، فإن المعنى: «غير الذين غضبت عليهم»^(٣). وتوقف فيه صاحب «عروس الأفراح»^(٤).

الرابع: قال ابن أبي الإصبع: جاء في القرآن من الالتفات قسم غريب جداً، لم أظفر في الشعر بمثاله، وهو أن يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين^(٥)، ثم يخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني، ثم يعود إلى الإخبار عن الأول، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ [العاديات]، انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تعالى، ثم قال منصرفاً عن الإخبار عن ربه إلى الإخبار عن الإنسان: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، قال^(٦): وهذا يحسن أن يسمى التفات^(٧).

الخامس: يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر، ذكره التنوخي هو وابن الأثير، وهو ستة أقسام

-
- (١) ذكره في كتاب «كنز البلاغة» كما حكاه عن السبكي في عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٤٧٨/١. وانظر: المثل السائر: ١٨٤/٢، الجامع الكبير: ٩٨ - ٩٩.
- (٢) كابن النفيس في كتابه «طريق الفصاحة» حكاه عنه في العروس أيضاً.
- (٣) انظر: الأقصى القريب: ٤٤، عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٤٧٨/١. وانظر: البرهان: ٣٢٥/٣، الإتيان: ٢٥٧/٣، معترك الأقران: ٣٨٣/١.
- (٤) حيث قال السبكي: «... ونحن إذا كنا توقفنا في أن الانتقال إلى الاسم الجامد التفات، فهذا أولى؛ لأن الفاعل في «المغضوب» مثلاً، لم يذكر بالكلية، فكيف يقال انتقلنا إليه على سبيل الالتفات، وإن صح ذلك فعلى رأي السكاكي، يلزمه أن تكون جميع الأفعال المنبئية للمفعول فيها التفات».
- عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٤٧٨/١.
- (٥) كذا في الأصل وفي (ح)، وفي الإتيان: ٢٥٧/٣. أما في بديع القرآن: ٤٥، وفي معترك الأقران: ٣٨٣/١، فالعبارة فيها: «مرتين».
- (٦) أي: ابن أبي الإصبع.
- (٧) انظر: بديع القرآن: ٤٥. ونقله عنه في الإتيان: ٢٥٧/٣، معترك الأقران: ٣٨٣/١.

أيضاً^(١). مثاله من الواحد إلى الاثنين: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْمُرَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨].

وإلى الجمع، قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١].

ومن الاثنين/ إلى الواحد، كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ [طه: ١٧٠ب/ح].

[٤٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]^(٢).

وإلى الجمع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَجِيبْ أَنَّ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ بِمِصْرَ بِيوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧].

ومن الجمع إلى الواحد قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبِئْسَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[يونس: ٨٧].

وإلى الاثنين، قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَعْثِمْتُمْ﴾ إلى قوله تعالى:

﴿فِي أَيِّ ءَالَءٍ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣، ٣٤].

السادس: - ويقرب منه - الانتقال من الماضي والمضارع والأمر إلى

الأخر.

مثاله من الماضي إلى المضارع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ

سَحَابًا﴾ [فاطر: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ [الحج: ٣١]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣) [الحج: ٢٥].

وإلى الأمر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الأعراف:

٢٩]، ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَأَجْتَبَيْتُمُ الرِّضَى مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

(١) البرهان: ٣/٣٣٤. وانظر: الأقصى القريب: ٤٦ - ٤٧، حيث قال التنوخي فيه:

«ومن ذلك الرجوع من مخاطبة الواحد إلى مخاطبة الاثنين وإلى مخاطبة الجمع، ومن مخاطبة الاثنين إلى مخاطبة الواحد، وإلى مخاطبة الواحد، وإلى مخاطبة الجمع، ومن مخاطبة الجمع إلى مخاطبة الواحد، وإلى مخاطبة الاثنين، وهذا ستة أنواع، ولا يمكن غيرها...» ثم أخذ يورد أمثلة لكل نوع.

وانظر: الجامع الكبير، لابن الأثير: ١٠١ - ١٠٢، الإقتان: ٣/٢٥٨، معترك الأقران:

٣٨٣/١.

(٢) انظر: البرهان: ٣/٣٣٥، الإقتان: ٣/٢٥٨، معترك الأقران: ١/٣٨٤.

(٣) انظر ذلك في: الأقصى القريب: ٤٧، البرهان: ٣/٣٣٥ - ٣٣٦، الإقتان: ٣/

٢٥٨ - ٢٥٩، معترك الأقران: ١/٣٨٤.

ومن المضارع إلى الماضي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [النمل: ٨٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧].

وإلى الأمر قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَنشَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ﴾ [هود: ٥٤].

ومن الأمر إلى الماضي قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ رَبِّهِمْ مَسَلًا وَعَهْدًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

وإلى المضارع قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١) [الأنعام: ٧٢].

التوشيح^(٢):

أن يكون أول البيت دالاً على القافية، أو أول الكلام دالاً على الفقرة، أو على الفاصلة^(٣)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ

(١) انظر ذلك في: الأقصى القريب: ٤٧ - ٤٨، في البرهان: ٣/٣٣٥ - ٣٣٧، الإتقان: ٣/٢٥٨ - ٢٥٩، معترك الأقران: ١/٣٨٤ - ٣٨٥.

(٢) غير موجودة في نسخة (ح).

(٣) انظر: نقد الشعر، لقدامة بن جعفر: ١٦٧، فإنه قال في التوشيح: «وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به...». وانظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ٩٠، حيث قال في تعريف التوشيح: «هو أن يكون في أول الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية إن كان شعراً، أو السجع إن كان نثراً، بشرط أن يكون المعنى المتقدم بلفظه، من جنس معنى القافية، أو السجعة بلفظه، أو من لوازم لفظه».

وانظر: إعجاز القرآن، للباقلاني: ٩٢، وقال أبو هلال العسكري: «سمي هذا النوع التوشيح، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى، ولو سمي تبييناً لكان أقرب». الصناعتين: ٣٨٢.

وقال ابن الأثير: «هو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين...». ثم فصل الكلام في ذلك إلى أن قال: «كذلك يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور...»، إلى أن يقول: «واستعماله في الشعر أحسن منه في الكلام المنثور». المثل السائر: ٣/٢٥٧.

وانظر: الطراز: ٣/٧٠، البديع في البديع، لابن منقذ: ١٣٦، وانظر: البيان والتبيين، للجاحظ: ١/١١٥، وقد ذكره تحت اسم الإرساد.

وكذلك انظر: سر الفصاحة، للخفاجي: ١٥٧ - ١٦٠، في الكلام على المعاطلة،

وقال: «وبعضهم يسميه التسهيم» كابن رشيق في العمدة ٢/٣١ - ٣٢.

عَمْرَنَ عَلَى الْعَلَمِينَ ﴿[آل عمران: ٣٣]، فلما قال: «إن الله اصطفى آدم» على أن [٢٧١ب/هـ] الفاصلة لا تكون إلا بجنس العالمين^(١).

ومن النظم قول الصفي الحلبي^(٢):

هم أرضعوني تُدِيّ الوصل حافلة فكيف تحسن فيها حال منقطم^(٣)

التهكم^(٤):

وهو الاستهزاء^(٥)، نحو قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿بَنِيَّ لَهُمْ بَعْدَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤] في موضع

= وينظر في الكلام على التوشيح أيضاً في: شرح الكافية البديعية، للحلي: ٧٤، الفوائد المشوق: ٣٥٤، خزانة الأدب لابن حجة: ٢٢٢/١.

(١) انظر: بديع القرآن: ٩٠ - ٩١. وانظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ٢٢٢/١.

(٢) هو: أبو الحسن عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي الحلبي، ولد في الحلة في العراق وإليها نسب، ومات في بغداد. ومن مصنفاته: شرح الكافية البديعية، في علوم البلاغة ومحاسن البديع. ط، معجم الأغلاط اللغوية وغيرها. ولد (٦٧٧هـ)، وتوفي سنة (٧٥٠هـ)، فوات الوفيات: ٣٣٥/٢ - ٣٣٧، كشف الظنون: ٢٣٣/١.

(٣) انظر: ديوانه: ٦٨٦. وقوله: «حافلة» أي: ملأى.

والشاهد فيه: ذكر الرضاع، والثدي في أوله، فيعلم من عرف أن القافية ميمية أن قافيته تكون «منقطم». شرح الكافية البديعية، للحلي: ٧٤.

(٤) غير مذكور في نسخة (ح).

(٥) والسخرية كذلك. قال ابن فارس: والتهكم: التهؤؤ. ومنه: تهكمت البشر: أي تهدمت. معجم مقاييس اللغة: ٥٩/٦ مادة: (هكم)، هذا من حيث اللغة.

أما من حيث الصناعة فهو: «عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع النذارة، والوعد في مكان الوعيد، تهاوناً من القائل بالمقول له، واستهزاء به». بديع القرآن: ٢٨٣.

وانظر: الطراز: ١٦١/٣ - ١٦٢، حيث عرّفه لغة، وفي مصطلح علماء البيان فقال: «هو تفعل من قولهم: تهكمت البشر إذا تساقطت جوانبها... وأما في الاصطلاح: فهو عبارة عن إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب»، ثم ذكر صاحب الطراز أنه يرد على أوجه خمسة... إلى آخر كلامه.

وعرّفه صفي الدين الحلبي بقوله: «والتهكم في الأصل: تهدم البشر، وفي الاستعمال المصطلح: الهزاء والسخرية بالمتكبرين، كمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في موضع الوعيد».

شرح الكافية البديعية: ٨٨. وانظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ٢١٥/١.

الوعيد، والبشرى لا تكون إلا بأمر محبوب^(١).

ومثاله من الشعر، قول بعضهم^(٢):

فياله من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل^(٣)

وقول الصفي الحلي مخاطباً العذال:

محضتني النصح أحياناً إلي بلا غش وقلدتني الأنعام والحكما^(٤)

التسليم^(٥):

أن يذكر المتكلم أمراً قد ثبت استحالته، أو مشروطاً^(٦) فيه شرط مستحيل، ثم يسلم وقوعه^(٧)، ويأتي بما يدل على إبطاله وعدم^(٨) الفائدة فيه^(٩)، كقوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ومعنى الآية الشريفة: يعني على تسليم أنه كان معه ولد، وكان معه إله لصار ذهاب كل إله

(١) في الأصل: بديع المحبوب، والصواب ما أثبت لمناسبة السياق.

انظر: بديع القرآن: ٢٨٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ٢١٥/١.

(٢) وهو ابن الرومي. تقدمت ترجمته.

(٣) انظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ٢١٦/١، والشاهد فيه: قوله: يرفعه الله إلى

أسفل. وهذا تهكم.

(٤) انظر: ديوانه: ٦٨٨، شرح الكافية البديعية: ٨٨. وانظر: خزانة الأدب، لابن

حجة: ٢١٧/١، حيث علق عليه بقوله: ولم يظهر لي من هذا البيت غير صريح الشكر

والمدح، ولم أجد فيه لفظة تدل على الحقارة والاستهزاء، ولا على البشارة في موضع

الإنذار، ولا على الوعد في موضع الوعيد.

(٥) هذا النوع ليس موجوداً في نسخة (ح).

(٦) في الأصل: «شروطاً» والصواب ما أثبت لاقتضاء المقام.

(٧) أي: يسلم وقوعه تسليماً جديلاً.

(٨) في الأصل: «قدم» والصواب ما أثبت لمناسبة المقام.

(٩) على تقدير وقوعه. انظر: بديع القرآن: ٢٩٥، تحرير التحبير: ٥٨٧، وقد عرّفه ابن

أبي الإصبع فيهما بقوله: «وهو أن يفرض المتكلم فرضاً محالاً، إما منفياً أو مشروطاً

بحروف الامتناع، ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع لامتناع وقوع مشروطه، ثم يسلم بوقوع ذلك

تسليماً جديلاً، ويدل على تقدير عدم الفائدة في وقوعه على تقدير وقوعه».

وانظر أيضاً في تعريفه: شرح الكافية البديعية: ٩٢.

بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض [ونتج عن^(١)] ذلك الاختلاف بينهم
والتناقض المؤدي^(٢) إلى الفساد^(٣). ومنه في الشعر قول الشيخ إسماعيل
المقري^(٤) في بديعته^(٥) مخاطباً العذال:

لم يلق أذنأ على أذني ملامك^(٦) لي وهبه يلقى فلي^(٧) قلب أصم عمي^(٨)
وقال الصفي:

سألت في الحب عذالي فما نصحوا وهبه كان فما نفعي بنصحهم^(٩)

التسهم^(١٠):

ويسمى الإرصاد، وهو أن يتقدم من الكلام ما يدل على

(١) في الأصل كلمة غير واضحة، وما أثبتته أقرب للسياق.

(٢) في الأصل: «المادي» والصواب ما أثبت.

(٣) انظر ذلك في: بديع القرآن: ٢٩٥، تحرير التحرير: ٥٨٧، شرح الكافية البديعية: ٩٢.

(٤) هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله اليمني، شرف الدين، ابن المقري. وتفقه على
علماء عصره، وبرز في ذلك، وتقدم في المنثور والمنظوم، له من التصانيف: «روض
الطالب» وهو اختصار لكتاب «الروضة» للنووي. و«مسألة الماء المشمس». ولد (٧٥٥هـ)،
توفي سنة (٨٣٧هـ). الضوء اللامع: ٢٩٢/٢ - ٢٩٥، بغية الروعاة: ٤٤٤/١، شذرات
الذهب: ٢٢٠/٧ - ٢٢٢.

(٥) واسمها: «الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة»، ولها مع
شرحها نسختان في برلين، برقم (٧٣٧٠) و(٧٣٧١). وقد نظم ابن المقري بديعته في مائة
وأربعة وأربعين بيتاً، فيها جميع أنواع البديع، وهي مائة وخمسون نوعاً. ومطلع قصيدته هو
قوله:

شارفت ذرعاً فذر عن مائها الشيم أو جُرُتْ نملى فم لا خوف في الحرم

و«نملى»: ماء قرب المدينة المنورة. و«ذرع»: بئر فيها.

وقد نظم هذه البديعية امتثالاً لأمر الملك الناصر أحمد بن إسماعيل (٨٢٧هـ). انظر:

البديعيات في الأدب العربي، إعداد علي أبو زيد: ٩٠ - ٩١. وانظر: كشف الظنون: ١/
٢٣٤.

(٦) في الأصل: «كلامك» والصواب ما أثبت لاقضاء السياق له.

(٧) في الأصل: «قلبي» والصواب ما أثبت لاقضاء السياق له.

(٨) فقوله: «وهبه يلقى» تسليم.

(٩) انظر: شرح الكافية البديعية: ٩٢، ديوانه: ٦٨٨.

والشاهد فيه: وهبه كان، فهو تسليم.

(١٠) في الأصل: «التسيم» ولم يرد له ذكر في نسخة (ح) وصبوته من مصادره.

المتأخر^(١)، والفرق بينه وبين «التوشيح»: أن التوشيح لا يدل أوله إلا على القافية، أو الفاصلة^(٢)، وهذا^(٣) يدل على الفاصلة وعلى ما دونها من اللفظ^(٤)، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٥) [العنكبوت: ٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزَّلْنَا لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^(٦) [الواقعة].

حسن التعليل^(٧):

وهو أن يورد المتكلم أو الشاعر.....

= فقد ذكره القزويني في تلخيص المفتاح: ٣٥٥-٣٥٦، وفي الإيضاح: ٤٩٢، تحت اسم الإرصاد. وانظر: التبيان، للطبي: ٣٩٤، وكذلك سماه ابن الأثير في المثل السائر: ٢٤٥/٣-٢٤٦، حيث عرفه وضرب أمثلة له من الشعر والنثر، ثم قال: ورأيت أبا هلال العسكري قد سمى هذا النوع «التوشيح» وليس كذلك، بل تسميته بالإرصاد أولى، وذلك حيث ناسب الاسم سماه ولاق به، وأما التوشيح فهو نوع آخر من علم البيان. وانظر: الصناعتين: ٣٨٢. الذي سماه التوشيح قدامة بن جعفر. انظر: نقد الشعر: ١٦٧. وانظر: العمدة: ٣١/٢، وممن ذكر ذلك تحت اسم الإرصاد أيضاً صاحب الطراز: ٣٢٠/٢.

(١) انظر: المثل السائر: ٢٤٥/٣، حيث قال ابن الأثير فيه: «وحيث قاله: أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له، أي أعدها في نفسه». وقال القزويني: «الإرصاد- ويسميه بعضهم التسهيم- وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة، أو البيت ما يدل عليه إذا عرف الروي». التلخيص وشرحه: ٣٠٥/٤-٣٠٦، الإيضاح: ٤٩٢.

أما ابن أبي الأصبع فقال في تعريفه: «وهو أن يكون ما يتقدم من الكلام دليلاً على ما يتأخر منه، أو العكس». بديع القرآن: ١٠٠. وانظر: سر الفصاحة، للخفاجي: ١٦٠، تحرير التحبير: ٢٦٣، البديع في البديع، لابن منقذ: ١٨٧، خزنة الأدب، لابن حجة: ٣٠٣/٢.

(٢) انظر: الكلام على نوع التوشيح: ١٥٥٢ من هذا النوع.

(٣) أي: التسهيم أو الإرصاد.

(٤) انظر: العمدة: ٣٤/٢.

(٥) فلو وقف القارئ على قوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لفهم أن بعده قوله: ﴿يَظْلِمُونَ﴾ لدلالة صدر الآية عليه.

انظر: شرح التلخيص: ٣٠٨/٤.

(٦) فإن ذكر الاعتداد بكونه ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ لم يجعله حطاماً ملائم لحصول التفكه به. انظر: بديع

القرآن: ١٠٠-١٠١.

(٧) لم يذكر في نسخة (ح). والتعليل: تفعيل من قولهم: علل ماشيته إذا سقاها مرة =

العلة^(١) التي أوجبت المعلول^(٢)، كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا كَتَبْتُ مِنَّا لَسَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) [الأنفال: ٦٨]. وكقول البحرى^(٤):

ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوباً^(٥)
وقد يتقدم المعلول على العلة، كقول ابن رشيق:

سألت الأرض لِمَ^(٦) جعلت مصلى؟ ولم كانت لنا طُهرًا^(٧) وطيباً؟
فقلت - غير ناطقة -: لأنى حويت لكل إنسان حبيباً^(٨)

= بعد مرة، وعللت هذا، إذا جعلت له علة وسبباً، وسمي المرض علة؛ لأنه سبب في تغير حال الإنسان وفساد صحته. الطراز: ١٣٨/٣.

(١) في الأصل: «لعلة» والصواب ما أثبت لأنه أنسب للسياق.

(٢) سواء كان التعليل صريحاً في اللفظ، كمجيئه باللام ونحوها، أو غير صريح في اللفظ، وإنما يؤخذ من جهة السياق والنظم والمعنى.
انظر: الطراز: ١٣٨/٣ - ١٤٠.

وانظر: الطرق الدالة على العلة في البرهان: ٩١/٣ - ١٠١. قال ابن أبي الإصبع في تعريف التعليل: «وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع، فيقدم قبل ذكره علة وقوعه، لكون رتبة العلة التقدم على المعلول».
بديع القرآن: ١٠٩، تحرير التحرير: ٣٠٩.

وانظر في تعريفه أيضاً: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٢٥٧ وما بعدها، التلخيص وشروحه: ٣٧٣/٤ - ٣٧٤، الإيضاح: ٥١٨. وانظر كذلك: الطراز: ١٣٨/٣، نهاية الإيجاز: ٢٦٧، التبيان، للطبيي: ٣١٨، خزنة الأدب، لابن حجة: ٣٩١/٢.

(٣) فسبق الكتاب من الله تعالى هو العلة في النجاة من العذاب.

(٤) هو: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحرى، شاعر كبير مطبوع، وهو أحد الشعراء الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحرئى. له ديوان طبع محققاً في خمس مجلدات، ولد (٢٠٦هـ)، وتوفي سنة (٢٨٤هـ).
وفيات الأعيان: ٢١/٦ - ٣٠، معجم الأدباء: ٢٤٨/١٩، شذرات الذهب: ١٨٦/٢، معاهد التنصيص: ٢٣٤/١ - ٢٤٦.

(٥) البيت من قصيدة من المتقارب يمدح البحرئى فيها الفتح بن خاقان ويعاتبه، وقبله قوله:

أكذب ظنى بأن قد سخطت وما كنت أعهد ظنى كذوباً

انظر: ديوانه: ١٥٢/١، معاهد التنصيص: ٧١/٣، سر الفصاحة: ٢٧٧.

(٦) في الأصل: «بم» والأولى ما أثبت لاقضاء المقام ذلك.

(٧) في الأصل: «ظهوراً» والصواب ما أثبت لاقضاء السياق له.

(٨) البيتان من الوافر، وقد أورده العباسي في معاهد التنصيص: ٧٣/١، وذكر أنه =

الاطراد :

هو أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على حكم ترتيبها في الولادة^(١).

قال ابن أبي الإصبع: ومنه في القرآن قوله تعالى حكاية عن يوسف ﷺ:
﴿وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(٢) [يوسف: ٣٨].

قال: وإنما لم يأت به على الترتيب المألوف؛ فإن العادة الابتداء بالأب، ثم بالجد/، ثم الجد الأعلى؛ لأنه لم يرد هنا مجرد ذكر الآباء، وإنما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها، فبدأ بصاحب الملة، ثم بمن أخذها عنه أولاً فأولاً على الترتيب^(٣). ومثله قول أولاد يعقوب: ﴿تَعَبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ...﴾^(٤) [البقرة: ١٣٣].

= أخذهما من قول ابن هفان:

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى لما كنت أدري علة للتيمم

ولم أجدته في العمدة.

وانظر: الطراز: ١٣٩/٣، حيث قال فيه يحيى العلوي بعد ذكره للبيتين: «ولقد أحسن في الاستخراج والطف في التعليل، فلأجل ما قاله كان ذلك علة في كونها طهوراً ومسجداً».

(١) انظر ذلك في: العمدة: ٨٢/٢، الطراز: ٩٣/٣، بديع القرآن: ١٤١، تحرير التحرير: ٣٥٢، التلخيص وشروحه: ٤١٠/٤ - ٤١١، الإيضاح: ٥٣٤.

حيث قال القزويني في تعريفه: «وهو أن تأتي بأسماء الممدوح أو غيره، وآبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف».

وانظر: تعريف ذلك أيضاً في الطراز: ٩٣/٣، شرح الكافية البديعية: ١٣٢، خزانة الأدب، لابن حجة: ٣٥١/١، الإتقان: ٢٥٩/٣، معترك الأقران: ٣٨٥/١.

(٢) انظر: بديع القرآن: ١٤١.

(٣) انظر: بديع القرآن: ١٤٢، ونص كلامه: «... والتنكيث في كونه ﷺ لم يأت بأسماء آبائه على الترتيب المألوف، فإن القاعدة لمن يذكر آباءه أن يبتدي بالأب الذي جاء من صلبه، ثم بالأعلى فالأعلى، وإنما خالف هذه القاعدة؛ لأنه هنا لم يرد مجرد ذكر الآباء، وإنما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها وهي الملة الحنيفية التي ابتدأها إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فوجب أن يبدأ - لأجل ذلك - باسم المبتدئ بالملة المتبعة، ثم يذكر من أخذها عنه أولاً فأولاً على الترتيب...».

(٤) انظر: المرجع السابق.

الانسجام:

هو أن يكون الكلام - لخلوه من الانعقاد - منحدرًا كتحد الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، والقرآن كله كذلك^(١).

قال أهل البديع: وإن أقوى الانسجام في النثر، جاءت فقراته موزونة بلا قصد، لقوة انسجامه.

ومن ذلك ما وقع في القرآن موزوناً.

فمنه من بحر الطويل^(٢). قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ومن المديد^(٣) قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

ومن البسيط^(٤) قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاجِدُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

ومن الوافر^(٥) قوله تعالى: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنْزِعُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

(١) انظر: البديع في البديع، لابن منقذ: ١٩٢، بديع القرآن: ١٦٦، حيث قال ابن أبي الإصبع في تعريفه: «وهو أن يأتي الكلام متحدرًا كتحد الماء المنسجم بسهولة سبك، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف...».

وانظر: تحرير التحرير: ٤٢٩، الفوائد المشوق: ٣٣٢، شرح الكافية البديعية: ٢٦٤، خزانة الأدب، لابن حجة: ٤١٧/١، الإتقان: ٢٥٩/٣ - ٢٦٠، معترك الأقران: ٣٨٦/١.

(٢) الطويل: مثنى قديم، مسدس محدث، أجزاءه: «فعلولن مفاعيلن» ثماني مرات، وزحافه: القبض، التلم، الثرم، الكف، الحذف، ومسده أنه يحذف منه مفاعيلن الآخرة من كل قسم. العمدة: ٣٠٢/٢. وانظر: مفتاح العلوم: ٢٥١.

(٣) المديد: مثنى محدث، مسدس قديم، مربع قديم، أجزاءه: «فاعلاتن فاعلن» ثماني مرات، وعلى ذلك أتى محدثه. زحافه: الخبن، الكف، الشكل، القصر، الحذف، الصلم. العمدة: ٣٠٢/٢. وانظر: المفتاح: ٢٥٢.

(٤) البسيط: مثنى قديم، مسدس قديم، مربع محدث، أجزاءه: «مستفعلن فاعلن» ثماني مرات، ومسده: «مستفعلن، فاعلن مستفعلن» مكررة... زحافه: الخبن، والطي، الخبل، القطع، الإذالة، التخليع. ومعناه: قطع «مستفعلن» في العروض والضرب جميعاً. العمدة: ٣٠٢/٢ - ٣٠٣. المفتاح: ٢٥٣ - ٢٥٥.

(٥) الوافر: مسدس قديم، مربع قديم، أجزاءه: «مفاعلتن» ست مرات. العمدة: ٢/٣٠٣. انظر: المفتاح: ٢٥٥ - ٢٥٦.

ومن الكامل^(١) قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يوسف: ٢١٣].

ومن الهزج^(٢) قوله تعالى: ﴿... فَأَلْقَوْهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣].

ومن الرجز^(٣) قوله تعالى: ﴿وَدَائِبُهُمْ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

ومن الرمل^(٤) قوله تعالى: ﴿وَجَفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

ومن السريع^(٥) قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ومن المنسرح^(٦) قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الإنسان: ٢].

ومن الخفيف^(٧) قوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

ومن المضارع^(٨) قوله تعالى: ﴿يَوْمَ النَّادِ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تُولُونَ مُدِيرِينَ﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣].

ومن المقتضب^(٩) قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠].

(١) الكامل: مسدس قديم، مربع قديم، أجزاءه: «متفاعلن» ست مرات. العمدة: ٢/ ٣٠٣، المفتاح: ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢) الهزج: مسدس محدث، مربع قديم، أجزاءه: «مفاعلين» أربع مرات. العمدة: ٢/ ٣٠٣. انظر: المفتاح: ٢٥٨.

(٣) الرجز: مسدس، مربع، مثلث، مثنى، كله قديم، موحد محدث، أجزاءه: «مستفعلن» ست مرات. انظر: المرجعين السابقين.

(٤) الرمل: مسدس قديم، مربع قديم، أجزاءه: «فاعلاتن» ست مرات. العمدة: ٢/ ٣٠٤. انظر: المفتاح: ٢٥٩ - ٢٦١.

(٥) السريع: أصله: «مستفعلن، مستفعلن، مفعولات، مرتين». وهو في الاستعمال يسدس على الأصل تارة، ويثلاث مشطوراً أخرى: المفتاح: ٢٦١ - ٢٦٢.

(٦) المنسرح: أصله: «مستفعلن، مفعولات، مستفعلن»، مرتين، وهو في الاستعمال مسدس، ومنهوك. المفتاح: ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٧) الخفيف: مسدس قديم، مربع قديم، أجزاءه: «فاعلاتن، مستفعلن، فاعلاتن» مكرر، ومربعه: «فاعلاتن، مستفعلن». العمدة: ٢/ ٣٠٤. وانظر: المفتاح: ٢٦٣ - ٢٦٥.

(٨) المضارع: مربع قديم لا غير، أجزاءه: «مفاعلن، فاعلاتن» مكرر. ولم يجيء عن العرب فيه بيت صحيح. العمدة: ٢/ ٣٠٤. انظر: المفتاح: ٢٦٥.

(٩) المقتضب: أصله مسدس هكذا: «مفعولات، مستفعلن، مستفعلن» مرتين ثم استعمل مجزئاً مربعاً مطوي العروض والضرب، وعلى المراقبة بين خبن «مفعولات» وطيه. المفتاح: ٢٦٥.

ومن المجتث^(١) قوله تعالى: ﴿نَيْتٌ عِبَادِي أَي أَنَا الْعَفْوُ الرَّجِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

ومن المتقارب^(٢) قوله تعالى: ﴿وَأَمَلِ لَهُمْ إِيَّكَ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

الإدماج:

قال ابن أبي الإصبع: هو أن يدمج المتكلم غرضاً في غرض، أو بديعاً في بديع، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين، أو أحد البديعين^(٣)، كقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾. أدمجت المبالغة في المطابقة؛ لأن انفراده - تعالى - بالحمد في الآخرة - وهي [الوقت]^(٤) الذي لا يحمد

(١) المجتث: أصله مسدس هكذا: «مستفعلن، فاعلاتن، فاعلاتن»، مرتين، ثم استعمل مجزؤاً مربعاً وسالم العروض والضرب. المفتاح: ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) المتقارب: أصله: «فعلولن» ثمانية. وهو في الاستعمال يثنى - على الأصل - تارة، ويسدس مجزؤاً أخرى، ولمثمنه عروض واحدة، سالمة، ولها أربعة أضرب: سالم، ومقصور، ومحذوف، وأبتر، ولمسدسه عروض واحدة محذوفة، وضربان: أحدهما محذوف، والآخر أبتر. المفتاح: ٢٦٦.

(٣) وانظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ٤١٧/١ - ٤٢٠، الإتيقان: ٢٦٠/٣، معترك الأقران: ٣٨٦/١ - ٣٨٧.

قال ابن أبي الإصبع: «... وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود، كمثل الكلام المتزن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفواً، كأشطار وأنصاف أبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز، ورويت عن النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - فإن وقع من ذلك بيتان في غير القرآن فصاعداً عد ذلك شعراً وإن لم يقصد».

وقال: «وأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا ما هو على مثال البيت المفرد فقط، والبيت المفرد لا يسمونه شعراً، قصد أو لم يقصد».

بديع القرآن: ١٦٦، تحرير التحرير: ٤٢٩.

وانظر كذلك: الفوائد المشوق: ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٤) بديع القرآن: ١٧٢. وانظر: الكلام عن الإدماج في الصناعتين: ٤٢٣، شرح الكافية البديعية: ٣١٤، البديع في البديع، لابن منقذ: ٩٤، الطراز: ١٥٧/٣، التبيان، للطبيي: ٣٩، التلخيص وشروحه: ٣٩٨/٤، الإيضاح: ٢٥٦، خزانة الأدب: ٤٨٤/٢، معترك الأقران: ٣٨٧/١، الإتيقان: ٢٦١/٣.

فيها سواء - مبالغة في وصف^(١) [ذاته]^(٢) بالانفراد بالحمد، وهو وإن خرج
مخرج المبالغة في الظاهر، فالأمر في حقيقة في الباطن؛ فإنه [أولى]^(٣)
بالحمد والمنفرد به في الدارين. انتهى^(٤).

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - قلت: والأولى أن يقال في هذه
الآية: إنها من إدماج غرض في غرض؛ فإن الغرض منها [تفردته تعالى
بالحمد، فأدمج]^(٥) فيه الإشارة إلى البعث والجزاء^(٦).

الافتنان:

هو الإتيان في كلام بفتين مختلفين^(٧)، كالجمع بين الفخر والتعزية في قوله
تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]؛
فإنه تعالى عزى جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف
ما هو قابل للحياة، وتمدح بالبقاء بعد فناء المخلوقات في عشر لفظات، مع
وصفه ذاته بعد انفراده بالبقاء بالجلال والإكرام^(٨).

(١) ساقط من الأصل ومن (ح) وصوبته من مصادره. انظر: بديع القرآن: ١٧٢.

(٢) في الأصل وفي (ح): «الوصف» والصواب ما أثبت.

انظر: المرجع السابق.

(٣) ساقط من الأصل ومن (ح) وصوبته من مصادره.

انظر: المرجع السابق.

(٤) في الأصل وفي (ح): «رب» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

وانظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: بديع القرآن: ١٧٢.

(٦) ما بين المعقوفتين صوبته من الإفتنان: ٢٦١/٣، معترك الأقران، للسيوطي: ١/

٣٨٧، إذ عبارة الأصل: بقوله تعالى بوصف الحمد وأدمج.

(٧) معترك الأقران: ٣٨٧/١، الإفتنان: ٢٦١/٣.

(٨) انظر: بديع القرآن: ٢٩٥، حيث قال ابن أبي الإصبع في تعريفه: «هو أن يُفْتَنَّ

المتكلم فيأتي في كلامه بفتين إما متضادين، أو مختلفين، أو متفقين». ثم مثل للمتضادين

بالجمع بين الغزل والحماسة، وعلل ذلك بأن الغزل لين والحماسة شدة، كقول الشاعر:

أحبك يا ظلوم وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول مكان روحي خشيت عليك بادرة الطعان

قال: فانظر كيف في هذا الشعر، وخصوصاً البيت الثاني منه جمع بين الغزل والحماسة

بأرشد عبارة، وأبلغ إشارة. المرجع السابق: ٢٩٦. وانظر: تحرير التحبير: ٥٨٨، شرح =

ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم: ٧٢]،
جمع في هذه الآية بين هناء وعزاء^(١).

الاقتدار:

هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور؛ اقتداراً منه على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض؛ فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة، وتارة في صورة^(٢) الإرداف، وحيناً في مخرج الإيجاز، ومرة في قالب الحقيقة^(٣).

قال ابن أبي الإصبع: وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن؛ فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها تأتي في صور مختلفة وقوالب من^(٤) الألفاظ متعددة^(٥)، حتى لا تكاد تشبه في موضعين منه/، [ولا بد]^(٦) أن تجد [١٧٠/هـ] الفرق بين/ صورها ظاهراً^(٧).

[٣٧٣ب/هـ]

اتئلاف^(٨) اللفظ مع اللفظ واتئلافه مع المعنى:

الأول: أن تكون الألفاظ تلائم^(٩) بعضها بعضاً، بأن يقرن الغريب بمثله، والمتداول^(١٠) بمثله؛ رعاية لحسن الجودة والمناسبة^(١١).

= الكافية البديعية: ٩٨، خزانة الأدب، لابن حجة: ١/١٣٨. وانظر: الإتيان: ٣/٢٦١، معترك الأقران: ١/٣٨٨.

انظر: بديع القرآن: ٢٩٩، خزانة الأدب، لابن حجة: ١/١٣٨، الإتيان: ٣/٢٦١، معترك الأقران: ١/٣٨٨.

(١) انظر: المراجع السابقة.

(٢) في الأصل: «صور» وما أثبتته من (ح).

(٣) بديع القرآن: ٢٨٩، وسماه في تحرير التحبير: ٥٨٢، «التصرف».

وانظر: الإتيان: ٣/١٦٢، معترك الأقران: ٣٨٨.

(٤) في الأصل وفي (ح): «في» والصواب ما أثبت.

(٥) في الأصل: «متعدد» وما أثبتته من (ح).

(٦) ساقط من الأصل وأثبتته من (ح).

(٧) بديع القرآن: ٢٩٠.

(٨) في الأصل وفي (ح): «اختلاف» والصواب ما أثبت.

(٩) في الأصل وفي (ح): «تلازم» والأولى ما أثبت لمناسبة السياق له.

(١٠) في الأصل: «المتدارك» وما أثبتته من (ح).

(١١) بديع القرآن: ٧٧، تحرير التحبير: ١٩٤، الإتيان: ٣/٢٦٢، الطراز: ٣/١٤٦، =

الثاني: أن تكون^(١) ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد؛ فإن كان مفخماً كانت ألفاظه مفخمة، أو جزلاً فجزلة، أو غريباً فغريبة، أو متداولاً فمتداولة، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال؛ فكذاك^(٢).

فالأول كقوله الله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّوْا تَأَلَّوْا تَفْتَوُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف: ٨٥]، أتى بأغرب ألفاظ الإقسام، وهي التاء؛ فإنها أقل استعمالاً، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، فإن «تزال»، أقرب إلى الأفهام، وأكثر استعمالاً منها، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرص، فاقضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة، توخياً لحسن الجوار ورعاية في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الموضوع وتناسب في النظم^(٣).

ولما أراد غير ذلك قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [فاطر: ١٢]، فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها^(٤).

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُورُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَنْسَكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، لما كان الركون إلى الظالم؛ وهو الميل إليه، والاعتماد عليه، دون مشاركته في الظلم، وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأتى بلفظ «المس» الذي هو دون الإحراق والاصطلاء^(٥).

وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]^(٦)، أتى بلفظ «الاكتساب» المشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لثقلها^(٧).

= التبيان: ٣٥٠، معترك الأقران: ٣٨٨/١، شرح الكافية، للحلي: ٢٢٦.

(١) في الأصل وفي (ح): «يكون» والصواب ما أثبت.

(٢) انظر: بديع القرآن: ٧٧، الطراز: ١٤٤/٣ - ١٤٥، التبيان، للطبي: ٣٤٩، شرح الكافية البديعية: ١٨٣، الإتيان: ٢٦٢/١، معترك الأقران: ٣٨٩/١.

(٣) انظر: بديع القرآن: ٧٧ - ٧٨، الإتيان: ٢٦٢/٣، معترك الأقران: ٣٨٩/١، الطراز: ١٤٥/٣.

(٤) انظر: بديع القرآن: ٧٨، الإتيان: ٢٦٢/٣ - ٢٦٣، معترك الأقران: ٣٨٩/١.

(٥) انظر: المراجع السابقة.

(٦) الإتيان: ٢٦٣/٣، معترك الأقران: ٣٩٠/١.

(٧) انظر: المرجعين السابقين.

وكذا قوله تعالى: ﴿فَكَبِّبُوا فِيهَا﴾ [الشعراء: ٦٤]؛ لأنه أبلغ من كبوا، للإشارة إلى أنهم يكون كباً عنيفاً فظيماً^(١)، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ﴾ [فاطر: ٣٧] أبلغ من «يصرخون» للإشارة إلى أنهم يصرخون صرخاً منكرأ خارجاً عن المعتاد^(٢)، ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقَدِّرٌ﴾ [القمر: ١٢]، فإنه أبلغ من قادر، للإشارة إلى زيادة التمكن في القدرة، وأنه تعالى شأنه لا راد له ولا معقب^(٣).

ومثل ذلك: ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ [مريم: ٩٥]، فإنه أبلغ من «اصبر» و«الرحمن» فإنه أبلغ من «الرحيم»، و«الرحيم» يشعر باللطيف والرفق، كما أن الرحمن مشعر بالفخامة والعظمة^(٤).

ومنه الفرق بين سقى، وأسقى، فإنه «سقى» لما لا كلفة معه في السقيا، ولهذا أورده تعالى في شراب الجنة، فقال عز من قائل: ﴿وَسَقَّيْنَهُمْ زُبُجًا سَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، و«أسقى» لما فيه كلفة، ولهذا أورده في شراب الدنيا فقال جل شأنه: ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءَ فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]؛ لأن السقي في الدنيا لا يخلو^(٥) من الكلفة أبداً^(٦).

(١) انظر: المرجعين السابقين.

(٢) الإبتقان: ٢٦٣/٣، معترك الأقران: ٣٩٠/١.

(٣) انظر: المرجعين السابقين.

(٤) في الأصل وفي (ح): «تخلو» والصواب ما أثبت لاقضاء السياق له.

(٥) انظر: المرجعين السابقين.

(٦) انظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ١٢١، حيث قال فيه: «الاستثناء كالاستدراك كل منهما على قسمين: لغوي، وصناعي، فاللغوي، قد فرغ النحاة من تقريره، والصناعي: هو المتعلق بعلم البيان».

وقال: «الفرق بينهما: أن الصناعي لا بد وأن يتضمن ضرباً من المحاسن زائداً على ما يدل عليه اللغوي». ثم قال: «وكذلك الاستثناء لا بد من تضمنه معنى زائداً على الاستثناء». وانظر: المرجع السابق، باب الاستدراك والرجوع: ١١٧.

وانظر أيضاً: خزانة ابن حجة: ١٤٦/١ - ١٤٧، حيث قال: «الاستدراك على قسمين: قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد، وقسم لا يتقدمه ذلك». ثم قال: «ومتى لم يكن في الاستدراك نكتة زائدة عن معنى الاستدراك، لتدخله في أنواع البديع، وإلا فلا يعد بديعاً». وانظر: الاستثناء في: ٢٦٣/١، حيث قال أيضاً: الاستثناء استثناءان: لغوي وصناعي، فاللغوي: إخراج القليل من الكثير، وقد ذكره النحاة، والصناعي: هو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى يزيد على معنى =

الاستدراك والاستثناء:

شرط كونهما من البديع أن يتضمننا ضرباً من المحاسن زائداً على ما يدل عليه المعنى اللغوي^(١).

مثال الاستدراك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلَّمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فإنه لو اقتصر على قوله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ لكان منفراً لهم؛ لأنهم ظنوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقاد إيماناً، فأوجبت البلاغة ذكر الاستدراك؛ ليعلم أن الإيمان موافقة القلب للسان، وإن انفرد اللسان بذلك يسمى إسلاماً، ولا يسمى إيماناً. وزاد ذلك إيضاحاً بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، فلما تضمن الاستدراك إيضاح ما عليه ظاهر الكلام من الإشكال عد من المحاسن^(٢).

ومثال الاستثناء قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فإن الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة تمهد عذر نوح - عليه الصلاة والسلام - في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم؛ إذ لو قيل: فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً لم يكن فيه من التهويل ما في الأول؛ لأن لفظ الألف في الأول أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام/. فإذا جاء الاستثناء لم يبق له ما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف^(٣).

[٢٧٣/هـ]

الاقتصاص:

ذكره ابن فارس^(٤)، وهو أن يكون كلامٌ في سورة (مقتصٌ) من كلام في

= الاستثناء...». وانظر: شرح الكافية البديعية: ١١٠ - ١١١، الإتيان: ٢٦٤/٣، معترك الأقران: ٣٩٠/١.

(١) انظر ذلك في: بديع القرآن: ١٢١، الإتيان: ٢٦٢/٣، معترك الأقران: ٣٩٠/١ - ٣٩١.

(٢) انظر ذلك في: بديع القرآن: ١٢٢، خزانة الأدب، لابن حجة: ٢٦٣/١ - ٢٦٤، الإتيان: ٢٦٤/٣، معترك الأقران: ٣٩١/١.

(٣) انظر: الصاحبي، لابن فارس: ٣٩٨، البرهان: ٢٩٧/٣، الإتيان: ٢٦٤/٣.

أما في معترك الأقران: ٣٩١/١ فسمّاه: «الاقتصاص».

(٤) انظر: المراجع السابقة.

سورة أخرى، أو في تلك السورة^(١)، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، والآخرة دار ثواب لا عمل فيها؛ فهذا يقتصر من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) طه: ٧٥.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضِرِينَ﴾ [الصفات: ٥٧]، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبأ: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] مقتصر من أربع آيات؛ لأن الأشهاد أربعة:

الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَحَامَتُ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]. والأنبياء في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. وأمة محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِنُكْفُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والأعضاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ [النور: ٢٤]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ النَّادِ﴾ [غافر: ٣٢] قرئ مخففاً ومشدداً^(٢)؛ فالأول من قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، والثاني من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (١٢٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]^(٣).

الإبدال:

هو إقامة بعض الحروف مقام بعض^(٤)، وجعل منه قوله تعالى: ﴿فَأَنفَلِقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] أي: انفرق، ولهذا قال: «كل فرق»، فالراء واللام متعاقبان^(٥). وعن الخليل في قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]، أنه أريد: فحاسوا^(٦)، فقااست الجيم مقام الحاء^(٧).

(١) انظر: المراجع السابقة أيضاً.

(٢) انظر: حجة القراءات: ٦٢٧ - ٦٢٨، الكشف: ٢/٢٤٦.

(٣) انظر ذلك في: الصحابي: ٣٩٩، البرهان: ٣/٢٩٧ - ٢٩٨، معترك الأقران: ١/٣٩٢ - ٣٩٣، الإتيان: ٣/٢٦٤ - ٢٦٥.

(٤) انظر: البرهان: ٣/٣٨٨، الإتيان: ٣/٢٦٥، معترك الأقران: ١/٣٩٢.

(٥) انظر ذلك في: الصحابي، لابن فارس: ٣٣٣.

(٦) في الأصل وفي (ح): «فجاسوا» والصواب ما أثبت.

(٧) البرهان: ٣/٣٨٨، الصحابي: ٣٣٣، حيث قال ابن فارس بعد ذلك: «وما أحسب

الخليل قال هذا ولا أحقه عنه».

وجعل منه أبو عبيدة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُكَاةً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]،
أي: تصددة^(١).

تأكيد المدح بما يشبه الذم^(٢):

قال ابن أبي الإصبع: هو في غاية العزة في القرآن^(٣)، قال: ولم أجد منه
إلا [آية]^(٤) واحدة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] الآية. فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج
التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان، يوهم أن ما يأتي بعده مما
يوجب أن يتقم على فاعله، مما يذم به، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح
فاعله كان الكلام متضمناً تأكيداً للمدح بما يشبه الذم^(٥). قال الحافظ السيوطي
- رحمه الله تعالى - قلت: ونظيرها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِينِهِمْ بِغَيْرِ
حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُواْ رَبُّنَاَ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]؛ فإن ظاهر الاستثناء، أن ما بعده
حق يقتضي الإخراج، فلما كان صفة مدح يقتضي الإكرام لا الإخراج كان
تأكيداً للمدح بما يشبه الذم^(٦).

وجعل منه التنوخي في «الأقصى القريب» قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاً وَلَا تَأْتِيًا
﴿١٥﴾ إِلَّا قِيلاً سَلَمًا سَلَمًا﴾ [الواقعة]، استثنى ﴿سَلَمًا سَلَمًا﴾ الذي هو ضد اللغو

(١) البرهان: ٣/٣٨٩، الإتيان: ٣/٢٦٥، معترك الأقران: ١/٣٩٣.

(٢) هذا النوع من أنواع البديع ذكره ابن المعتز في كتابه البديع: ٦٠ تحت اسم: حسن
الخروج من معنى إلى معنى. وذكره في الصناعتين: ٤٠٨، تحت اسم الاستثناء. وفي
العمدة: ٤٨/٢، تحت اسم الاستثناء أيضاً. وفي المفتاح، للسكاكي: ٢٠٢، وفي الطراز:
١٣٦/٣، تحت اسم التوجيه. وفي نهاية الإيجاز: ٢٩٣، وفي الإيضاح: ٥٢٤، التلخيص:
٣٨٠ - ٣٨١، للقرظيني حيث عرفه بقوله: «أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة
مدح بتقدير دخولها فيها، أو يثبت لشيء صفة مدح، ويعقب بأداة استثناء، تليها صفة مدح
أخرى له». وانظر: شروح التلخيص: ١/٣٨٦ - ٣٨٩. وانظر أيضاً: خزانة الأدب، لابن
حجة: ٢/٣٩٩.

(٣) انظر: بديع القرآن: ٤٩.

(٤) ساقط من الأصل ومن (ح)، وصوبته من مصادره. انظر: المرجع السابق.

(٥) بديع القرآن: ٤٩ - ٥٠. وانظر: الإيضاح، للقرظيني: ٥٢٥.

(٦) الإتيان: ٣/٢٦٦، معترك الأقران: ١/٣٩٣.

والتأثيم، فكان ذلك مؤكداً لانتفاء اللغو والتأثيم^(١). انتهى.

التفوييف^(٢):

هو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف، وغير ذلك من الفنون، كل فن في جملة منفصلة عن أختها، مع تساوي الجمل في الزنة^(٣)، ويكون في الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة^(٤).

و[من]^(٥) الطويلة قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾^(٦) [الشعراء].

ومن المتوسطة قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمْتِ وَتُخْرِجُ الْمَمْتِ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٧) [آل عمران: ٢٧].

قال ابن أبي الإصبع: ولم يأت المركب من القصيرة في القرآن^(٨).

-
- (١) الإتيان: ٢٦٦/٣، معترك الأقران: ٣٩٣/١ - ٣٩٤. وانظر: التلخيص وشروحه: ٣٩٣/٤، الإيضاح: ٥٢٥، التبيان، للطيب: ٣٩٢، خزنة الأدب، لابن حجة: ٣٩٩/٢.
- (٢) في الأصل وفي (ح): «التفوييف» والصواب ما أثبت.
- انظر: بديع القرآن: ٩٨، الطراز: ٨٤/٣، الإتيان: ٢٦٦/٣، معترك الأقران: ٣٩٤/١.
- قال العلوي: «وهو في علم البيان الذروة العليا...» ثم قال: «واشتقاقه من قولهم: برد مفوف، وهو الذي يكون على لون ثم يخالطه لون أبيض». الطراز: ٨٤/٣.
- (٣) في الأصل وفي (ح): «الركة» والصواب ما أثبت.
- (٤) انظر ذلك التعريف في: بديع القرآن: ٩٨، خزنة الأدب، لابن حجة: ٢٤٦/١، التبيان، للطيب: ٣٩٣، شرح الكافية البديعية: ٧٩، معترك الأقران: ٣٩٤/١، الإتيان: ٢٦٦/٣، مفتاح السعادة: ٣٤٣/٢. وانظر: الطراز: ٨٥/٣ - ٨٦، الفوائد المشوق: ٣٦١ - ٣٦٢.

(٥) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٦) بديع القرآن: ٩٨ - ٩٩، الإتيان: ٢٦٦/٣، معترك الأقران: ٣٩٤/١.

(٧) انظر: المراجع السابقة.

(٨) انظر: بديع القرآن: ١٠٠، ونص كلامه فيه: «ولم يأت شيء من المركب من

الجمل القصيرة في شيء من الكلام الفصيح».

قال القزويني في الإيضاح: ٤٩١ - ٤٩٢: «وأما ما يسميه بعض الناس التفوييف، وهو: أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها»، ثم أورد أمثلة على ذلك... إلى أن قال: «فبعضه من مراعاة النظر، وبعضه من المقابلة».

التقسيم:

هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة، لا الممكنة عقلاً^(١)، نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢]، إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار؛ ولا ثالث لهذين القسمين^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فإن العالم لا يخلو من هذه الأقسام/ الثلاثة، إما عاص ظالم لنفسه، وإما سابق مبادر للخيرات، وإما متوسط بينهما مقتصد فيها^(٣).

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٩﴾ وَالسَّيْفُونَ ﴿١٠﴾ وَالسَّيْفُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ٧-١١].

وكذا قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [مريم: ٦٤]، استوفى أقسام الزمان، ولا رابع لها^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥]، استوفى أقسام الخلق في المشي^(٦). وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

(١) انظر: نقد الشعر: ١٣٩، الصناعتين: ٣٤١، المثل السائر: ١٩٤/٣ - ١٩٥، وقد ذكره تحت اسم: التناسب بين المعاني. والبديع في البدع، لابن منقذ: ٩٨، المفتاح: ٢٠١، التلخيص وشروحه: ٣٣٦/٤، الإيضاح: ٥٠٦، التبيان، للطبيبي: ٤٠٣، الفوائد المشوق: ١٣٣ - ١٣٤، البرهان: ٤٧١/٣، خزنة الأدب، لابن حجة: ٣٧٠/٢، الإتيقان: ٢٦٧/٣، معترك الأقران: ٣٩٤/١، مفتاح السعادة: ٣٤٣/٢.

(٢) انظر: الصناعتين: ٣٤١، بديع القرآن: ٦٥، المثل السائر: ١٩٥/٣، البرهان: ٤٧١، البديع في البدع، لابن منقذ: ٩٨ - ٩٩، الفوائد المشوق: ١٣٤، خزنة الأدب، لابن حجة: ٢٧٠/٢.

(٣) البرهان: ٤٧١/٣. وقال الزركشي: «وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها». وانظر كذلك: الفوائد المشوق: ١٣٤، المثل السائر: ١٩٥/٣، خزنة الأدب، لابن حجة: ٢/٢٧١، الإتيقان: ٢٦٧/٣، معترك الأقران: ٣٩٥.

(٤) انظر: المراجع السابقة.

(٥) انظر: المراجع السابقة.

(٦) الإتيقان: ٢٦٧/٣، معترك الأقران: ٣٩٥/١. وانظر: البرهان: ٤٧١/٣، الفوائد

المشوق: ١٣٣.

[آل عمران: ١٩١]، استوفى جميع هيئات الذكر^(١).
 وقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزُوجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، استوفى جميع أحوال الزوجين ولا خامس لها^(٢).

التدبيج^(٣):

هو أن يذكر المتكلم ألواناً يقصد التورية بها والكناية^(٤).
 قال ابن أبي الإصبع: كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيُّ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]، فإن المراد بذلك - والله أعلم - الكناية عن المشتهى والواضح من الطرق؛ لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جداً، وهي أوضح الطرق وأبينها، ودونها الحمراء، [ودون الحمراء]^(٥) السوداء؛ لأنها في الخفاء والالتباس ضد البيضاء في الظهور والوضوح^(٦).
 ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين ووسطة؛ فالطرف الأعلى في الظهور البياض، والطرف الأدنى في الخفاء السوداء، والأحمر بينهما على وضع الألوان في التركيب^(٧).

(١) انظر: البرهان: ٤٧٢/٣، بديع القرآن: ٦٦-٦٧، الإتيان: ٢٦٧/٣، معترك الأقران: ٣٩٥/١.

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) التدبيج مأخوذ من الدبج وهو النقش والتزيين، فارسي معرب. ودبج الأرض المطر يدبجها دبجاً: رؤضها، أي: زينها. والديباج: ضرب من الثياب مشتق من ذلك - بالكسر والفتح - مولد، والجمع ديبايج، ودباييج والمدبج، المزين به. اللسان: ٢٦٢/٢، مادة: (دبج)، معجم البلاغة العربية، باب الدال، التدبيج: ٢١٩.

(٤) بديع القرآن: ٢٤٢، الطراز: ٧٨/٣، خزنة الأدب، لابن حجة: ٤٥٣/٢، معترك الأقران: ٣٩٥/١، الإتيان: ٢٦٨/٣.

وقال القزويني في بحثه للطباق: «... ومن الناس من سمي نحو ما ذكرناه تدبيجاً، وفسره بأن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية». الإيضاح: ٤٨٣.

(٥) في الأصل وفي (ح): «ودونها» والأولى ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(٦) بديع القرآن: ٢٤٢. وانظر: الإتيان: ٢٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٩٥/١.

(٧) انظر: بديع القرآن: ٢٤٢. وانظر: الإتيان: ٢٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٩٦/١.

ولما كانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة والهداية بكل^(١) عَلمَ نصب للهداية، منقسمة هذه القسمة، أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك فحصل فيها التدييج وصحة التقسيم^(٢).

القول بالموجب^(٣):

وهو أن تقر كلام الغير لكن بمعنى غير الأول^(٤)، كقوله تعالى - حاكياً -: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، فقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾. إثبات، وقوله بموجب: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ﴾، يعني العزيز الله ورسوله، وهم الأذلاء، فيخرجهم الله ورسوله، وهم لا يستطيعون أن يخرجوه^(٥).

وكقول بعضهم:

(١) في الأصل وفي (ح): «كل» والصواب ما أثبت لمناسبة السياق له.

(٢) انظر: بديع القرآن: ٢٤٣. وانظر: المرجعين السابقين.

(٣) في الأصل العنوان هكذا: «القول بالموجب من أنواع البديع»، والصواب ما أثبت. أما نسخة (ح) فلم يرد ذكر لهذا النوع من أنواع البديع فيها. ويسمى أسلوب الحكيم. انظر: خزنة الأدب، لابن حجة: ٢٥٨/١.

(٤) وقال ابن أبي الإصبع: «هو أن يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام، فيعمد المخاطب إلى كلمة مفردة من كلام المتكلم، فيبني عليها من كلامه ما يوجب عكس معنى المتكلم». ثم قال: «لأن حقيقة القول بالموجب رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه...». بديع القرآن: ٣١٤. وانظر: شرح الكافية البديعية: ٩٦.

وقال الخطيب القزويني: «القول بالموجب ضربان:

أحدهما: أن تقع صفة من كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم، فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه». ثم مثل لذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ...﴾ الآية.

والثاني: «أن القول بالموجب هو حمل لفظ وقع في كلام بعضهم على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه». التلخيص وشروحه: ٤٠٦/٤ - ٤٠٨، الإيضاح: ٥٣٢ - ٥٣٣. وانظر: شرح الكافية البديعية: ٩٦. وانظر: خزنة الأدب، لابن حجة: ٢٥٨/١.

(٥) انظر ذلك في: بديع القرآن: ٣١٥، التلخيص وشروحه: ٤٠٦/٤ - ٤٠٨، الإيضاح: ٥٣٢، والآية مثال للضرب الأول من أضرب القول بالموجب عند القزويني. وخزنة ابن حجة: ٢٥٨/١.

قال: ثقلت إذ أتيت مراراً قلت: ثقلت كاهلي بالأيادي^(١)
وكقول الآخر:

وقالوا قد صغت منا قلوب فقد صدقوا ولكن عن ودادي^(٢)

(١) البيت - من الخفيف - وهو منسوب إلى ابن حجاج الحسن بن أحمد، ذكره الصفي الحلبي. ونسبه سبط ابن الجوزي صاحب «مرآة الزمان» لمحمد بن إبراهيم الأسدي. وقد أورد ابن حجة في الخزانة: ٢٥٩/١، بمثل ما أورده المصنف، لكن ابن أبي الإصبع وغيره أوردوا البيت هكذا:

قلت: ثقلت إذ أتيت مراراً قلت: ثقلت كاهلي بالأيادي
وبعد قوله:

قلت: طولت قال لي بل تطول ت وأبرمت قال حبل ودادي
انظر: بديع القرآن: ٣١٥، الإيضاح: ٥٣٣، التلخيص: ٣٨٧، شروح التلخيص: ٤/٤٠٩. وقد جعله القزويني شاهداً على الضرب الثاني من القول بالموجب. وانظر البيتين في: شرح الكافية البديعية: ٩٦ - ٩٧، معاهد التنصيص: ٣/١٨٠.
وقوله: «كاهلي»: الكاهل: الحارك، أو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق، أو هو ما بين الكتفين وموصل العنق في الصلب.

انظر: تهذيب اللغة: ٢٠/٦، مادة: (كهل)، معاهد التنصيص: ٣/١٨٠، النهاية، لابن الأثير: ٤/٢١٤، مادة: (كهر). و«الأيادي»: جمع يد وهي النعمة. والشاهد فيه: قوله: «قلت ثقلت» فقد وقع في كلام الغير بمعنى: حملتك المؤنة، وثقلتك بالإتيان مرة بعد أخرى، وقد حملة على تثقيل عاتقه بالأيادي والمنن. معاهد التنصيص: ٣/١٨١. وانظر: شروح التلخيص: ٤/٤٠٩، الإيضاح: ٥٣٣.
وابن حجاج: هو الحسين بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله، الشاعر الكاتب البويهبي، غلب عليه الهزل والفحش والسخف، جمع الشريف الرضي أقل شعره فحشاً وسماء: «الظيف من السخيف». (ت ٣٩١هـ) في بغداد.

معجم الأدباء: ٩/٢٠٦ - ٢٣٢، يتيمة الدهر: ٣/١٣٦، كشف الظنون: ١/٧٦٥، ديوان الشريف الرضي: ٢/٤٤١، معاهد التنصيص: ٣/١٨٨. والأسدي: هو محمد بن إبراهيم الأسدي: شاعر من أهل مكة لقي أبا الحسن التهامي في صباه، وتصدى لمعارضته، ولد (٤٠١هـ)، وتوفي (٥٠٠هـ) في غزنة. المنتظم: ٩/١٥٣، معاهد التنصيص: ٣/٢٠١.

(٢) البيت هكذا في الأصل. وفي معاهد التنصيص: ٣/١٨٦، جاء بلفظ:
وقالوا: قد صفت منا قلوب فقد صدقوا ولكن من ودادي
وهو الأولى.

وهو من الوافر، والشاهد فيه قوله: «صغت» فقد وقع في كلام الغير بمعنى: خلوها من الغل والحسد والعداوة ونحو ذلك، ولكن الشاعر حمل ذلك على صفائها بمعنى خلوها من المحبة والود له.

وسياتي في جدل القرآن مزيد بيان فيه^(١).

التنكيت:

هو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره، مما يسد مسده، لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ [النجم: ٤٩]، خص الشعري بالذكر دون غيرها من النجوم، وهو تعالى رب كل شيء؛ لأن العرب كان [قد]^(٣) ظهر فيهم رجل يعرف بـ«أبي كبشة»^(٤) عَبْدَ الشعري^(٥)، ودعا خلقاً إلى عبادتها، فأنزل الله جل شأنه: ﴿وَأَنَّهُ

= وقائله: هو علي بن فضالة القيرواني، شاعر مغربي، توفي سنة (٤٧٤هـ).

معجم الشعراء: ٢٨٩، وقيل: ابن الرومي. انظر: معاهد التنصيص: ٣/١٨٥.

(١) انظر: النوع الثلاثين بعد المائة، علم جدل القرآن.

(٢) بديع القرآن: ٢١٢، تحرير التحبير: ٤٩٩، شرح الكافية البديعية: ٢٧٤. وانظر: البديع في البديع، لابن منقذ: ٩٢، خزانة الأدب لابن حجة: ٢/٣٠٧. وانظر: الإلتقان: ٣/٢٦٨، معترك الأقران: ١/٣٩٦.

(٣) زيادة مني يقتضيها المقام.

(٤) في الأصل وفي (ح): «ابن أبي كبشة» والصواب ما أثبت. وهو رجل من سادة خزاعة يكنى أبا كبشة. واختلف في اسمه: ففي تاج العروس عن الكلبي أن اسمه جزء - بجيم وزاي وهمزة -.

وعن الدارقطني أنه جز - بواو وجيم وزاي - بن غالب بن عامر بن الحارث بن غبشان. تاج العروس: ٤/٣٤١، مادة: (كبش).

وانظر ذلك في: تفسير البغوي: ٤/٢٥٦، تفسير القرطبي: ١٧/١١٩، تفسير التحرير والتنوير: ٢٧/١٥١، فتح القدير: ٥/١١٧.

ومنهم من قال: أن اسم أبي كبشة عبد الشعري. ولكن الأقرب أن هذا وصف غلب عليه بعد أن اتخذ الشعري معبوداً له ولقومه. وكانت قريش تدعو رسول الله ﷺ أبا كبشة، لمخالفته إياهم في عبادة الأصنام، وكانوا يصفونه بـ«ابن أبي كبشة». قيل: لأن أبا كبشة كان من أجداد النبي ﷺ من قبل أمه. انظر: المراجع السابقة. وانظر: شرح الكافية البديعية: ٢٧٤.

(٥) الشعري: اسم نجم من نجوم برج الجوزاء، شديد الضياء، ويسمى: كلب الجبار؛ لأن برج الجوزاء يسمى عند العرب الجبار، وهو من البروج الربيعية. توصف «الشعري» باليمانية لأنها جهة اليمن، وتوصف بالعبور - بفتح العين - وهو احتراز من كوكب آخر يسمونه الشعري الغميصاء.

= والمشهور أن الشعري لم يعبدها من قبائل العرب إلا خزاعة. وقال القرطبي عن =

هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿١﴾، التي ادعت فيها الربوبية^(١).

التجريد^(٢):

هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله؛ مبالغة في كمالها فيه^(٣)، نحو: لي من فلان صديق حميم. جرد من الرجل الصديق آخر مثله متصفاً بصفة الصداقة^(٤).

= السدي: أن جُمِيَ عبدوا الشعري. انظر: تفسير القرطبي: ١١٩/١٧ - ١٢٠، تفسير البغوي: ٢٥٦/٤، تفسير التحرير والتنوير: ١٥١/٢٧.

(١) انظر: المراجع السابقة. وانظر كذلك: بديع القرآن: ٢١٢، البديع في البديع، لابن منقذ: ٩٢، الإقتان: ٢٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٩٦/١.

(٢) التجريد في أصل اللغة هو: إزالة الشيء عن غيره في الاتصال. فيقال: جردت السيف عن غمده، وجردت الرجل عن ثيابه، إذا أزلتهما عنه.

اللسان: ١١٦/٣، مادة: (جرد)، المثل السائر: ١٦٩/٢، الطراز: ٧٢/٣ - ٧٣.

(٣) انظر في ذلك: التبيان، للطبيبي: ٢٨٨، التلخيص وشروحه: ٣٤٨/٤، الإيضاح: ٥١٢، حيث عرف القزويني التجريد فيهما بقوله: «هو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها فيه».

وانظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ٤٣٨/٢. وانظر: الإقتان: ٢٦٨/٣، معترك الأقران: ٣٩٦/١، مفتاح السعادة: ٣١٣/٢.

وقال ابن الأثير: «إن التجريد ينقسم قسمين: التجريد المحض: وهو أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك...». ثم قال: «وأما القسم الثاني: وهو غير المحض، فإنه خطاب لنفسك لا لغيرك، ولئن كان بين النفس والبدن فرق إلا أنهما كأنهما شيء واحد لعلاقة أحدهما بالآخر».

ثم قال بعد ذلك: وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر، وذاك أولى بأن يسمى تجريداً؛ لأن التجريد لائق به، وهذا هو نصف تجريد؛ لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئاً، وإنما خاطبت نفسك بنفسك، كأنك فصلتها عنك وهي منك». المثل السائر: ١٧٠/٢ - ١٧٣.

وانظر: الطراز: ٧٣/٣ - ٧٦، حيث ذكر التجريد كما أورد ابن الأثير، لكنه رجع أن اسم التجريد يطلق على التجريد غير المحض، مخالفاً في ذلك ابن الأثير وموافقاً لأبي علي الفارسي. وانظر: الفوائد المشوق: ٢٤٩ - ٢٥٠. أما أبو الفتح فقد قال إن معناه عند العرب: «أن تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه حقيقته ومحصوله». الخصائص: ٤٧٣/٢ - ٤٧٤.

وانظر: البرهان: ٤٤٨/٤، فقد عرفه الزركشي كتعريف أبي الفتح.

(٤) انظر: التلخيص وشروحه: ٣٤٩/٤ - ٣٥٠، الإيضاح: ٥١٢.

[و] (١) نحو: مررت بالرجل الكريم، والنسمة المباركة، جَرَدُوا مِنَ الرَّجْلِ الْكَرِيمِ آخِرُ مَثَلِهِ مُتَصَفًا/ بصفة البركة، وعطفوه عليه، كأنه غيره؛ وهو هو (٢).
 [٢٧٣/هـ] ومن أمثله في القرآن قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمُ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]، ليس المعنى أن النار فيها دار خلد وغير دار خلد، بل هي نفسها دار الخلد، فكأنه جرد من الدار [داراً] (٣). ذكره في «المحتسب» (٤).
 وجعل منه قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥]، على أن المراد بالميت النطفة (٥).

قال الزمخشري: وقرأ عبيد بن عمير (٦): ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالذِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] بالرفع، المعنى حصلت منها وردة كدهان، قال: وهو من التجريد (٧).
 وقرأ أيضاً: «يرثني وارث من آل يعقوب» (٨) [مريم: ٦] وهو الوارث نفسه،

(١) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٢) معارك الأقران: ٣٩٦/١، الإتيان: ٢٦٩/٣.

(٣) ساقط من الأصل ومن (ح) وصوبته من مصادره. انظر: المراجع السابقة.

(٤) لابن جني. انظر: ٣٨/٢. وانظر: التلخيص وشروحه: ٣٥١/٤ - ٣٥٢، الإيضاح: ٥١٢، الإتيان: ٢٦٩/٣، معترك الأقران: ٣٩٧/١.

(٥) الإتيان: ٢٦٩/٣، معترك الأقران: ٣٩٧/١.

(٦) في الكشاف: ٤٥٠/١. وقرأ: عمرو بن عبيد «وردة» بالرفع، بمعنى فصلت منها وردة، وهو من الكلام الذي يسمى: «التجريد».

وعبيد بن عمير سبق ترجمته في النوع الثالث والتسعون علم قراءة النبي ﷺ، حديث رقم (٤١).

أما ما ذكره الزمخشري فهو: عمرو بن عبيد بن باب التميمي، مولاهم، أبو عثمان البصري، المعتزلي المشهور، كان داعية إلى بدعته، اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً، من السابعة، (ت ١٤٣هـ). التقريب: ٤٢٤، (ت ٥٠٧هـ).

(٧) الكشاف: ٤٥٠/٤.

(٨) ذكر أبو الفتح ابن جني أنها قراءة علي بن أبي طالب، وابن عباس ؓ، وابن يعمر، وأبي حرب بن أبي الأسود، والحسن، والجحدري، وقادة، وأبي نهيك، وجعفر بن محمد. المحتسب: ٣٨/٢.

قال أبو الفتح: هذا ضرب من العربية غريب، ومعناه التجريد وذلك أنك تريد: فهب لي من لدنك ولياً يرثني منه أو به وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكأنه جرد منه وارثاً. المرجع السابق.

فكانه جرد منه وارثاً^(١).

التعديد:

هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد؛ وأكثر ما يوجد في الصفات^(٢)، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ...﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ...﴾ الآية [التوبة: ١١٢]. وقوله تعالى: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ...﴾ الآية [التحریم: ٥]^(٣).

الترتيب:

هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية، ولا يدخل فيها وصفاً زائداً^(٤)، ومثله عبد الباقي اليميني^(٥) بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي

(١) الإتقان: ٢٦٩/٣، معترك الأقران: ٣٩٧/١.

(٢) انظر: نهاية الإيجاز: ٢٩٠، البرهان: ٤٧٥/٣، حيث قال الزركشي بعد ذلك: «... ومقتضاها ألا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها، ويجريها مجرى الوصف في الصدق على ما صدق، ولذلك يقل عطف بعض صفات الله تعالى على بعض في التنزيل، وذلك كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وانظر: الإتقان: ٢٦٩/٣، معترك الأقران: ٣٩٧/١، مفتاح السعادة: ٣٤٣/٢، الفوائد المشوق: ٢٤٥.

وعرفه بقوله: «التعديد، ويسمى أيضاً: الأعداد هو إيقاع أسماء مفردة على سياق واحد» ثم قال: «فإن روعي في ذلك ازدواج أو لزوم تجنيس أو مطابقة أو نحوها، فذلك الغاية في الحسن...»، ثم قال: ومنه قول المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والحرب والطعن والقرطاس والقلم

وانظر: شرح الكافية البديعية: ٣٠٦.

(٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤) انظر: شرح الكافية البديعية، لصفي الدين الحلبي: ٢١٠، حيث قال: هذا النوع من استخراج شرف الدين التيفاشي ذكره في كتابه، وسمّاه بهذا الاسم وقال: هو أن يعمد الشاعر إلى أوصاف شتى في موصوف واحد، فيوردها في بيت أو أبيات على ترتيبها في الخلقة الطبيعية، حتى لا يدخل فيها وصفاً زائداً عما يوجد علمه في الذهن أو في العيان». وخزانة الأدب، لابن حجة: ٢٨٤/٢، الإتقان: ٢٦٩/٣ - ٢٧٠، معترك الأقران: ١/١

٣٩٧ - ٣٩٨، حيث سماه الترديد. مفتاح السعادة: ٣٤٣/٢.

(٥) لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر من ترجمه.

خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُوفٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ
ثُمَّ لِيَتَّكِفُوا سُبُوحاً ﴿[غافر: ٦٧]، وبقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَفَرُوها...﴾
[الشمس: ١٤] الآية.

الترقي (١) والتدلي (٢):

تقدما في نوع التقديم والتأخير (٣).

التضمين:

يطلق على أشياء:

أحدها: إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز تقدم
[الكلام] (٤) فيه (٥).

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم، وهو عبارة عنه، وهذا نوع
من الإيجاز (٦)، تقدم أيضاً (٧).

الثالث: تعلق ما بعد الفاصلة بها، وهذا يذكر في أنواع الفواصل (٨).

الرابع: إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى، أو ترتيب
النظم؛ وهذا هو النوع البديعي (٩).

(١) أي: الترقي من الأدنى إلى الأعلى.

(٢) أي: التدلي من الأعلى إلى الأدنى.

(٣) انظر: النوع الرابع بعد المائة «علم مقدمه ومؤخره».

(٤) زيادة مني يقتضيها المقام.

(٥) انظر: النوع التاسع بعد المائة: علم حقيقته ومجازه.

(٦) انظر: النكت، للرماني: ١٠٢، حيث إنه جعل التضمين من أقسام البلاغة فقال:

«تضمين الكلام: هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم، أو صفة هي عبارة عنه». ثم

قال: «والتضمين على وجهين: أحدهما: ما كان يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، والآخر:

ما يدل عليه دلالة قياس، فهو إيجاز في كلام الله تعالى خاصة...».

(٧) انظر ذلك في النوع الثامن عشر بعد المائة: علم إيجازه ومساواته وأطنابه.

(٨) انظر - فيما سلف - في النوع الثمانين علم فواصل الآي. ومن القسم الذي يقوم

بتحقيقه الأخ: فهد بن علي العندس.

(٩) الإتيان: ٢٧٠/٣، معترك الأقران: ٣٩٨/١. وانظر: نهاية الإيجاز: ٢٨٨، بديع

القرآن: ٥٢، حيث قال ابن أبي الإصبع فيه: «باب حسن التضمين: وهو أن يضمن =

قال ابن أبي الإصبع: ولم أظفر في القرآن بشيء منه إلا في موضعين تضمننا فصلين من التوراة^(١) والإنجيل قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾ [المائدة: ٤٥] الآية.

ومثله ابن النقيب^(٢)، وغيره بإيداع حكايات المخلوقين في القرآن، كقوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، وعن المنافقين: ﴿أَتُورُونَ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٢]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [البقرة: ١١٣]، ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى﴾ [البقرة: ١١٣].

= المتكلم كلامه لفظة من بيت أو جملة مفيدة منه، أو جزءاً عروضياً، أو ما زاد على ذلك، بشرط أن لا يبلغ المقدار المضمن نصف بيت يشير إلى ذلك البيت أو القصيدة التي حد منها، وفي المثور يشير إلى الكلام الذي هو منه... إلى آخر كلامه.

أما ابن الأثير فإنه ذكر أن هذا النوع - أي التضمن - فيه نظر بين حسن يكتسب به الكلام طلاوة، وبين معيب عند قوم، وهو عندهم معدود من عيوب الشعر، وقال: إن لكل من هذين القسمين مقاماً. ثم بين التضمن الحسن وأنه ما يكون المضمن فيه الآيات والأخبار النبوية، وهو يرد على وجهين: تضمين كلي وجزئي، أما التضمن المعيب فبينه بقوله: هو تضمين الإسناد، وذلك يقع في بيتين من الشعر، أو فصلين من الكلام المثور... إلخ.

ثم قال عن ذلك: وهو عندي غير معيب؛ لأنه إن كان سبب عيبه تعليق البيت الأول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيباً، إذ لا فرق في ذلك بين الشعر والنثر، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم... إلى آخر كلامه. انظر تفصيل ذلك في المثل السائر: ٢/٢٣٥ - ٢٣٨، ثم قال بعد ذلك: «الضرب الثاني من التضمن: وهو أن يضمن الشاعر شعره والنثر نثره كلاماً آخر لغيره، قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود، ولو لم يذكر ذلك التضمن لكان المعنى قائماً. المثل السائر: ٢/٢٣٨.

وانظر ذلك أيضاً في: البديع، لابن المعتز: ٦٤، الصناعتين: ٣٦، العمدة، لابن رشيق: ٨٤/٢ - ٨٥، البديع في البديع لابن متقذ: ٣٥٠، إعجاز القرآن، للباقلاني: ٢٧٢ - ٢٧٣.

وانظر أيضاً: التبيان، للطيب: ٤١٣، الفوائد المشوق: ٤٤ - ٤٥، خزنة الأدب، لابن حجة: ٤٥٥/٢، وذكره تحت اسم الاقتباس. وكذلك الإتيان، معترك الأقران، السابقين، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٣ - ٣٤٤. وانظر: معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة: ٣٥٤ - ٣٥٨. (١) في الأصل وفي (ح): «التورية» والصواب ما أثبت.

(٢) هو: محمد بن سليمان بن الحسن، جمال الدين، أبو عبد الله المفسر المعروف بابن النقيب البلخي، ثم القدسي. كان زاهداً عالماً فقيهاً من فقهاء الحنفية، قدم القاهرة، ودرس بها، ثم عاد إلى القدس. ولد (٦١١هـ)، وتوفي (٦٦٨هـ). الفوائد البهية: ١٦٨.

قال: وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية^(١).

الجناس^(٢):

هو تشابه اللفظين في اللفظ^(٣).

(١) الإتقان: ٢٧٠/٣ - ٢٧١، معترك الأقران: ٣٩٨/١ - ٣٩٩، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٤.

(٢) الجناس والمجانسة مصدران لمجانس؛ لأن فاعل مصدره: الفاعل والمفاعلة، كما تقول: قاتله مقاتلة وقتالاً وخاصمه مخاصمة وخاصماً.

ومن الناس من يقول فيه: «التجنيس»، وهو تفعيل من الجنس، والتجنيس مصدر جنس - وهو الضرب من كل شيء، وهو أعم من النوع - لأن فعل مصدره: التفعيل، كما تقول: سلم تسليمًا، وكلم تكليماً.

ومنهم من يقول: التجانس، وهو من التفاعل من الجنس أيضاً؛ لأنه مصدر من تجانس الشيطان إذا دخلا في جنس واحد، كما تقول: تحارب الرجلان تحارباً. انظر: ذلك وما يتعلق به من تصرف واشتقاق مادة: (لفظ الجناس وصيغها المختلفة) في كتاب جنان الجناس في علم البديع: لصلاح الدين بن أبيك الصفدي: ٢٣ وما بعدها.

وقال العلوي: «التجنيس - تفعيل - من التجانس وهو التماثل، وإنما سمي هذا النوع جناساً لأن التجنيس الكامل أن تكون اللفظة تصلح لمعنيين مختلفين...»، ثم قال: «وهو من أطف مجاري الكلام، ومن محاسن مداخله، وهو من الكلام كالغرة في وجه الفرس...».

الطراز: ٣/٣٥٥. وانظر: المثل السائر: ١/٣٧٩.

(٣) قال ابن المعتز في تعريفه: «التجنيس هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى». كتاب البديع: ٢٥.

وقال الرماني: «هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة». النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ضمن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٩٩. وانظر: إعجاز القرآن، للباقلاني: ٨٣. وانظر: تعريف الجناس أيضاً في العمدة، لابن رشيق: ١/٣٣٣، سر الفصاحة، للخفاجي: ١٩٣، المثل السائر: ١/٣٧٩ وما بعدها، البديع في البديع، لابن منقذ: ٢٦ وما بعدها، بديع القرآن: ٢٧ وما بعدها، المفتاح: ٢٠٢، التلخيص وشروحه: ٤/٤١٢، الإيضاح: ٥٣، التبيان، للطبيبي: ٤٨٠، الطراز: ٢/٣٥٦، جنان الجناس، لابن أبيك الصفدي، وقد تحدث فيه عن الجناس بالتفصيل، وأورد جملة من التعاريف للجناس، - منها ما ذكر آنفاً - ونقدها، ثم اختار تعريفاً للجناس قال فيه: «هو الإتيان بمتماثلين في الحروف، أو في بعضها، أو في الصورة، أو زيادة في أحدهما، أو بمتخالفين في الترتيب أو الحركات، أو بمماثل يرادف معناه مماثلاً آخر نظماً». ثم أخذ يشرح هذا التعريف... انظر ذلك بالتفصيل في: ٣٣ - ٤٣.

قال في كنز البراعة^(١): وفائدته الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تجدد ميلاً وإصغاء إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى، ثم جاء والمراد به آخر، كان للنفس تشوف إليه^(٢).

وأنواع الجناس كثيرة:

منها: التام، وهو بأن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها^(٣)، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾^(٤) [الروم: ٥٥]، قيل: ولم يقع منه في القرآن سواه^(٥).

واستنبط شيخ الإسلام ابن حجر موضعاً آخر؛ وهو قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَآ بَرْقِيهِ يَذُحُّ بِالْأَبْصَرِ﴾^(٦) [النور: ٤٣، ٤٤]. وأنكر بعضهم^(٧) كون الآية الأولى من الجناس، وقال: «الساعة» في الموضعين بمعنى واحد؛ والتجنيس هو أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازاً، بل يكونان حقيقتين، وزمان القيامة - وإن طال - لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة، فإطلاق الساعة

(١) لابن الأثير، كما نسبه له السيوطي في: مقدمة الإتيان: ٢٠/١، وقد بحث عنه فلم أجده.

(٢) انظر: كلام ابن الأثير بنصه في: الإتيان: ٢٧١/٣، معترك الأقران: ٣٩٩/١، مفتاح السعادة: ٣٤٤/٢.

(٣) انظر: كتاب البديع، لابن المعتز: ٢٥، المثل السائر: ٣٨٠/١، التلخيص وشروحه: ٤١٣/٤ - ٤١٥، الإيضاح: ٥٣٥، الطراز: ٣٥٦/٢، جناس الجناس: ٤٥، الإتيان: ٢٧١/٣.

(٤) وسماه القزويني مماثلاً لكونه جاء من نوع واحد، حيث اتفق ركننا الجملة في الاسمية. التلخيص وشروحه: ٤١٥/٤، الإيضاح: ٥٣٥ - ٥٣٦، جناس الجناس: ٤٥، بديع القرآن: ٢٨.

(٥) انظر: المثل السائر: ٣٨٠/١، حيث قال ابن الأثير بعد ذكره للآية السابقة: «وليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية فاعرفها». وانظر: الطراز: ٣٥٦/٢، جناس الجناس: ٤٥، حيث قال الصفدي: «ومن منع أن هذا النوع ليس من الجناس فليس من التحقيق في شيء».

(٦) ولم أجد كلام ابن حجر في مظاهره، فانظره بنصه في: الإتيان: ٢٧١/٣، معترك الأقران: ٣٩٩/١.

(٧) منهم ابن أبي الحديد. انظر: الفلك الدائر: ٤٧ - ٤٨.

على القيامة مجاز، وعلى الآخرة حقيقة، وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس،
كما لو قلت: ركبت حماراً ولقيت حماراً/ تعني بليداً^(١).

ومنها: الْمُصَحَّف؛ ويسمى جناس الخط، بأن تختلف الحروف في
النقط^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].

ومنها: المحرّف؛ بأن يقع الاختلاف في الحركات^(٣)، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿٧٧﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُّذَرِّينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الصفات].
وقد اجتمع التصحيف والتحريف في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

(١) البرهان: ٤٥١/٣، الإتيان: ٢٧١/٣، معترك الأقران: ٣٩٩/١.

(٢) انظر: العمدة، لابن رشيّق: ٣٢٧/١ - ٣٣٠. وانظر كذلك: سر الفصاحة
للخفاجي: ١٩٩، وقد قال فيه: «فأما مجانس التصحيف فهو أقل طبقات المجانس؛ لأنه
مبني على تجانس أشكال الحروف في الخط، وحسن الكلام وقبحه لا يستفاد من أشكال
حروفه في الكتابة، إذ لا علة بين صيغة اللفظ في الحروف وشكله في الخط».
وانظر أيضاً: البديع في البديع، لابن منقذ: ٣٤، وفيه قال: «اعلم أن تجنيس
التصحيف: هو أن تكون النقط فرقاً بين الكلمتين».

والمثل السائر: ٣٨٨/١، بديع القرآن: ٢٩، الطراز، للعلوي: ٣٦٥/٢، حيث قال
فيه: «المصحف: وهو عبارة عن الإتيان بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظاً، ويقال له:
تجنيس الخط أيضاً».

هذا وقد فصل القول في ذلك الصفدي في كتابه: جنان الجناس: ٦٧ - ٧١. وانظر:
البرهان: ٤٥٠/٣، الإتيان: ٢٧١/٣.

(٣) انظر: البديع في البديع، لابن منقذ: ٣٩، وقد قال فيه: «اعلم أن تجنيس
التحريف، هو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين».

ومثله قال ابن أبي الأصبغ في كتابه: بديع القرآن: ٢٩. وانظر: الإيضاح: ٥٣٧ -
٥٣٨، التلخيص وشروحه: ٤١٩/٤ - ٤٢٠. وانظر كذلك: الطراز: ٣٥٩/٢، وسماء
المختلف حيث قال: «المختلف، ويكون اختلافه بالحركات لا غير، فأما الأحرف فيه
فإنها متماثلة».

وكذلك انظر: جنان الأجناس، حيث قال الصفدي فيه: «وإما أن يتفق ركنا الجناس في
الحروف المركبة دون الحركات». ثم قال: «وهذا هو الجناس المغاير، ومنهم من يسميه:
تجنيس التحريف، ومنهم من يسميه: المختلف، ومنهم من يسميه: الناقص». ثم بين أنه
ينقسم بحسب الاستقراء إلى أنواع فصلها بعد ذلك....
انظر: ٤٨ وما بعدها.

ومنها: الناقص؛ بأن يختلفا في عدد الحروف، سواء كان الحرف المزيد أولاً أو وسطاً أو آخرًا^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْفَتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٦﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ [القيامة]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل: ٦٩].

ومنها المذيل: بأن يزيد أحدهما أكثر من حرف في الآخر أو الأول^(٣)، ويسمى بعضهم الثاني بالمتوج^(٤)، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْظَرِ إِلَى إِلْهِكَ﴾ [طه: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْكُنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥]، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ [العاديات: ١١]، ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣].

ومنها: المضارع: وهو أن يختلفا بحرف متقارب في المخرج، سواء كان في الأول أو الوسط أو الآخر^(٥)؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦].

(١) انظر: الإتيان: ٢٧٢/٣، معترك الأقران: ٤٠٠/١، مفتاح السعادة: ٣٤٤/٢.

(٢) انظر: بديع القرآن: ٣٠، وسماه تجنيس الترجيع قال: ويسمى التجنيس الناقص، وتجنيس التبديل. ثم عرفه بقوله: «وهو الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد في الأخرى...». ثم قال: «وهو على ثلاثة أقسام: قسم تقع الزيادة منه في أول الكلمة، وقسم في وسطها، وقسم في آخرها... ثم مثل لكل قسم... انظر ذلك بالتفصيل في: المرجع السابق. وانظر كذلك: الإيضاح: ٥٣٨، التلخيص وشروحه: ٤٢١/٤ - ٤٢٣، الطراز: ٣٦٦/٢ - ٣٦٧، وقال: إنه يسمى اللاحق والناقص. وجنان الجنس: ٥٩، الإتيان: ٢٧٢/٣، معترك الأقران: ٤٠٠/١.

(٣) انظر: الإيضاح: ٥٣٩ - ٥٤٠، التلخيص وشروحه: ٤٢٤/٤ - ٤٢٥، الطراز: ٢/٣٦٢ - ٣٦٣، جنان الجنس: ٦١ - ٦٢.

(٤) الإتيان: ٢٧٢/٣، معترك الأقران: ٤٠٠/١، مفتاح السعادة: ٣٤٤/٢.

(٥) انظر: الإيضاح، للقرظيني: ٥٤٠، حيث قال فيه: «وإن اختلفا في أنواع الحروف اشترط أن لا يقع الخلاف بأكثر من حرف. ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمي الجنس مضارعاً». ثم قال: «ويكونان إما في الأول، أو في الوسط، أو في الآخرة».

وانظر أيضاً: التلخيص وشروحه: ٤٢٥/٤ - ٤٢٦، الطراز: ٣٦٦/٢ - ٣٦٧، التبيان، للطبي: ٤٨٣، وسماه ابن منقذ في البديع في البديع: تجنيس التصريف، وقال في تعريفه: «هو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف». انظر: ٤١ - ٤٢.

ويمثل ذلك سماه ابن أبي الأصعب في بديع القرآن: ٢٩. وانظر: جنان الجنس، للصفدي: ٦٢ - ٦٧، الإتيان: ٢٧٢/٣، معترك الأقران: ٤٠٠/١.

ومنها: اللاحق: بأن يختلفا بحرف غير متقارب فيه كذلك^(١)، كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، ﴿وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [٧] وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، ﴿ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾ [النساء: ٨٣].

ومنها: المرفوع، وهو ما تركب من كلمة وبعض أخرى^(٢)، كقوله تعالى: ﴿جُرْفٍ هَاكِ فَاتَّهَارَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

ومنها: اللفظي، وهو بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية^(٣)، كالضاد والطاء، كقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يُّومِئِدٍ تَأْتِرَةٌ﴾ [٢٢] إِنْ رَّبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [٢٣] [القيامة].

ومنها: تجنيس القلب؛ بأن يختلفا في ترتيب الحروف^(٤)، نحو قوله تعالى: ﴿فَرَقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه: ٩٤].

(١) أي: غير متقارب في المخرج سواء كان في الأول أو الوسط أو في الآخر. انظر: التلخيص وشروحه: ٤٢٦/٤ - ٤٢٧، الإيضاح: ٥٤٠ - ٥٤١، الطراز: ٣٦٧/٢، الإتيان: ٢٧٢/٣، معترك الأقران: ٤٠٠/١.

(٢) انظر: الإيضاح، للقزويني: ٥٣٦، حيث ذكره ضمن أنواع الجناس التام وجناس التركيب فقال: «الجناس التام إن كان أحد لفظيه مركباً سمي جناس التركيب» ثم قال: «ثم إن كان المركب منهما مركباً من كلمة وبعض كلمة سمي مرفوعاً». وانظر كذلك: التلخيص وشروحه: ٤١٧/٤ - ٤١٩، الطراز: ٣٦٠/٣ - ٣٦١، وقد قال عنه: «الوجه الثاني: أن تكون المشابهة بينهما من جهة اللفظ والخط، وما هذا حاله فإنه يلقب بالمرفوع».

هذا وذكر وجه تسميته بقوله: «وإنما لقب به لأن المقصود هو الجمع بين كلمتين، أحدهما أقصر من الأخرى، فيضم إلى القصيرة ما يوازي الكلمة ويرفوها بذلك حتى يعتدل ركنها التجنيس».

وانظر تفصيل ذلك في: جنان الجناس، للصفدي: ٥٦ - ٥٨.

(٣) انظر: المثل السائر: ٣٨٦/١، جنان الجناس: ٧١، معترك الأقران: ٤٠١/١، الإتيان: ٣٧٣/٣، مفتاح السعادة: ٣٤٤/٢.

(٤) الإيضاح: ٥٤١ وفيه: «وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب». وانظر: التلخيص وشروحه: ٤٢٨/٤ - ٤٢٩، بديع القرآن: ٣٠، جنان الجناس: ٧١ - ٧٥، الإتيان: ٢٧٣/٣.

ومنها: تجنيس الاشتقاق؛ بأن يجتمعا في أصل الاشتقاق^(١)، ويسمى المقتضب، نحو قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩]، ﴿فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ أَلْفَيْمٍ﴾ [الروم: ٤٣]، ﴿وَجَهَّتْ وَجْهِي﴾ [الأنعام: ٧٩].

ومنها: تجنيس البطلان: بأن يجتمعا في المشابهة فقط^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَحَى الْجَنَّةِينَ﴾ [الرحمن: ٥٤]، ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]، ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارَى﴾ [المائدة: ٣١]، ﴿وَإِن يُرْذَكَ بِحَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾ [فصلت: ٥١] إلى قوله تعالى: ﴿فَذُو دُعَاةٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].

تنبيه:

لكون الجنس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ترك عند قوة المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، قيل: ما الحكمة في كونه^(٣) لم يقل: وما أنت بمصدق؛ فإنه يؤدي معناه مع رعاية التجنيس؟ وأجيب: بأن في «مؤمن لنا» من المعنى ما ليس في مصدق؛ لأن معنى قولك: «فلان^(٤) مصدق لي» قائل لي: صدقت، وأما «مؤمن» فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن، ومقصودهم التصديق وزيادة، وهو طلب الأمن، فلذلك عبّر به^(٥). وقد زل بعض الأدباء^(٦)، فقال في قوله تعالى: ﴿أَدْعُونَ بَعْلًا

(١) انظر: التلخيص وشروحه: ٤/٤٣٠، الإيضاح: ٥٤٢، التبيان للطبي: ٤٨٧ - ٤٨٨، الطراز: ٢/٣٥٩ - ٣٦٠. وسماه المطلق. وانظر: جنان الجنس: ٧٥ - ٧٨. وقد ذكر أنه يسمى: الجنس المقارب، والاشتقاق، والاقتضاب.

(٢) انظر: الإيضاح: ٥٤٣، التلخيص وشروحه: ٤/٤٣١ - ٤٣٢، الإتيان: ٣/٢٧٣، معترك الأقران: ١/٤٠١، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٤.

(٣) في الأصل وفي (ح): «قوله» والصواب ما أثبت لمناسبة السياق.

(٤) في الأصل وفي (ح): «مثلاً» والصواب ما أثبت لمناسبة السياق.

(٥) انظر ذلك في: البرهان: ٣/٤٥٤، الإتيان: ٣/٢٧٣، معترك الأقران: ١/٤٠٢.

(٦) ذكر أرازي في تفسيره: ٢٦/١٦١، أنه الكاتب الملقب بالرشيد ونقل كلامه. ولم أجد ذكر كاتب يلقب بالرشيد - في المراجع المتوفرة لدي - وأحسب أنه: راشد بن إسحاق بن راشد، أبا حليلة الكاتب، كان شاعراً ماجناً، وقد اتصل بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات وله معه أخبار حسان. انظر: معجم الأدباء: ١١/١٢٢ - ١٢٥، ترجمة رقم: (٣١).

وَنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿[الصفات: ١٢٥]، لو قال: وتدعون، لكان فيه مراعاة التجنيس^(١).

وأجاب الإمام فخر الدين؛ بأن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكيلفات، بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ^(٢).

وأجاب غيره؛ بأن مراعاة المعاني أولى من مراعاة الألفاظ، ولو قال: «تدعون» و«تدعون» لوقع الالتباس على القارئ، فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفاً^(٣). وهذا الجواب غير ناضج^(٤).

وأجاب ابن الزمكاني: بأن التجنيس^(٥) تحسين، وإنما يستعمل في مقام الوعد والإحسان، لا في مقام التهويل^(٦).

وأجاب الخويي^(٧): بأن «يدع» أخص من «يذر» لأنه بمعنى ترك الشيء مع

(١) انظر: تفسير الرازي: ١٦١/٢٦، البرهان: ٤٥٢/٣، الإتيان: ٢٧٤/٣، معترك الأقران: ٤٠٢/١.

(٢) انظر: تفسير الرازي: ١٦١/٢٦ - ١٦٢، قال ابن عاشور في تعليقه على كلام الرازي هذا: وهو جواب غير مقنع إذ لا سبيل إلى إنكار حسن موقع المحسنات البديعية، بعد استكمال مقتضيات البلاغة. التحرير والتنوير: ١٦٨/٢٣.

(٣) البرهان، للزركشي: ٤٥٢/٣ - ٤٥٣ وفيه قال بعد ذلك: «... وحينئذ فينخرم اللفظ إذ قرأ: «تدعون» الثانية بسكون الدال، لا سيما وخط المصحف الإمام لا ضبط فيه ولا نطق».

(٤) الإتيان: ٢٧٤/٣، معترك الأقران: ٤٠٢/١ للسيوطي. والظاهر أن هذا من تعليقه على كلام الزركشي.

(٥) في الأصل وفي (ح): «التحسين» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق له.

(٦) وقد نقله عنه الزركشي في البرهان: ٤٥٤/٣ وعلق عليه بقوله: «وفيه نظر، فإنه ورد في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ﴾ [الجاثية: ٢٧]. وكذلك نقله السيوطي في الإتيان: ٥٧٤/٣، معترك الأقران: ٤٠٢/١.

(٧) كذا في الأصل، وفي (ح). وكذا في الإتيان: ٢٧٤/٣، معترك الأقران: ٤٠٢/١. أما في البرهان: ٤٥٣/٣ فسماه: الجويني. والذي أميل إليه الأول.

والخويي يطلق على أعلام ثلاثة هم:

١ - ناصر بن أحمد بن بكر الخويي النحوي. أبو القاسم قرأ العربية على أبي طاهر الشيرازي، وكان شيخ الأدب في ديار أذربيجان بلا مدافعة. صنف «شرح اللمع» وغيره، (ت ٥٠٧هـ). بغية الوعاة: ٣١٠/٢.

٢ - يوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن، أبو يعقوب الخويي: عالم بالأدب، له نظم =

اعتنائه، بشهادة الاشتقاق نحو: الإيداع؛ فإنه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها، ولهذا يختار لها من هو مؤتمن عليها. ومن ذلك: الدعة بمعنى: الراحة. وأما «يذر» فمعناه: الترك مطلقاً، أو الترك مع الإعراض / [٢٧٤/هـ] والرفض الكلي^(١).

قال الراغب: يقال: فلان يذر الشيء، أي: يقذفه لقلّة الاعتداد به. ومنه: الوذرة قطعة من اللحم [وتسميتها بذلك]^(٢) لقلّة الاعتداد بها^(٣). ولا شك^(٤) أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول، فأريد هنا تشييع حالهم في الإعراض عن ربهم، وأنهم بلغوا الغاية في الإعراض. انتهى^(٥).

الإثبات^(٦):

هو مأخوذ من إثبات المتكلمين أحكام الدين بالأدلة القاطعة، والبراهين

= حسن، قتل في وقعة العرب بطوس سنة (٥٤٩هـ). له تصانيف منها: شرح سقط الزند، للمعري، فرائد الخرائد، في الأمثال على حروف المعجم. الأنساب، للسمعاني: ٥ / ٢٣٧، وسماه: يوسف بن محمد. معجم البلدان: ٤٠٨ / ٢.

٣ - محمد بن أحمد بن الخليل، شهاب الدين، أبو عبد الله، الخويي الشافعي، نشأ في دمشق وبرع في الفقه والنحو، والتفسير، والأصلين والمعاني والبيان. له المطلب الأسنى في إمامة الأعمى، نظم الفصيح، لثعلب وغيرهما. ولد (٦٢٦هـ)، وتوفي (٦٩٣هـ). شذرات الذهب: ٤٢٣ / ٥، فوات الوفيات: ٣١٣ / ٣ - ٣١٤، بغية الوعاة ٢٣ / ١ - ٢٤.

والخويي نسبة إلى خوي بلفظ تصغير خو، وخو: بفتح أوله وتشديد ثانيه، كل واد واسع في جو سهل يقال له خو وخوي، ويوم خو: من أيام العرب. والمراد هنا بـ«خوي». بلد مشهور من أعمال أذربيجان حسن كثير الخير والفواكه، ينسب إليها الثياب الخوية، وينسب إليها كثير من العلماء منهم الثلاثة السابقين. انظر: معجم البلدان: ٤٠٧ / ٢ - ٤٠٨، الروض المعطار: ٢٢٤، معجم ما استعجم: ٥٢٠ / ٢.

(١) انظر نص كلام الخويي في: البرهان: ٤٥٣ / ٣، الإتيان: ٢٧٤ / ٣، معترك الأقران: ٤٠٢ / ١، ٤٠٣.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من مفردات الراغب يقتضيها السياق.

(٣) انظر: المفردات، للراغب: ٥٥٥، مادة: (وذر).

(٤) عود لكلام الخويي.

(٥) انظره بنصه في المراجع السابقة.

(٦) هكذا عنون له المؤلف، بيد أن اسمه عند جمهور أهل هذا الفن: المذهب

الكلامي.

الساطعة، والمراد به: أن يأتي المتكلم - ناظماً أو ناثراً - بحجة قاطعة ترد
الخصم^(١)، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ
يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ [يس: ٨١]^(٢).

الترديد:

هو أن يأتي المتكلم بكلمة ثم يرددها في كلامه، لكنه يعلقها بمعنى
آخر^(٣)، كقوله تعالى: ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ

= قال ابن المعتز: «الباب الخامس من البديع: وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب
الكلامي. وهذا باب ما أعلم أنني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف،
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
البديع، لابن المعتز: ٥٣.

وعلق أبو هلال العسكري على قول ابن المعتز الآنف الذكر بقوله: «... فنسبه إلى
التكلف وجعله من البديع»، ثم بعد ذلك أورد أمثلة له. انظر: الصناعتين: ٤١٠.

وكذلك فعل ابن رشيق، فبعد أن أورد كلام ابن المعتز المذكور آنفاً قال: «قال صاحب
الكتاب: غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه
التسمية، وقدمها على غيرها». ثم إن ابن رشيق أورد بعد ذلك بعض الأمثلة التي ذكرها ابن
المعتز في كتابه. انظر: العمدة: ٧٨/٢ - ٧٩، البديع، لابن المعتز: ٥٣ - ٥٤.

أما ابن أبي الإصبع فإنه قال: «زعم ابن المعتز أنه لا يوجد منه شيء في القرآن،
والكتاب الكريم مشحون به». ثم أورد أمثلة على ذلك. انظر: بديع القرآن: ٣٧، إلا أن
الزركشي قال في البرهان: ٤٦٨/١: «والعجب من ابن المعتز في بديعه، حيث أنكر وجود
هذا النوع في القرآن، وهو من أساليبه».

(١) انظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ٣٧ - ٣٨ فإنه قال: «وتعريف هذا الباب هو
أن تقول: إنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته، بحجة تقطع المعاند له فيه، على طريقة
أرباب الكلام».

وكذلك انظر: الإيضاح، للقرظيني: ٥١٦ فقد قال في تعريفه: «أن يورد المتكلم حجة
لما يدعيه، على طريقة أهل الكلام»

وانظر أيضاً: التلخيص وشروحه: ٣٦٨/٤ - ٣٦٩. وأيضاً انظر: التبيان للطبيي: ٣١٦،
الفوائد المشوق: ٢٠٢ وسماه: الاحتجاج النظري. والبرهان، للزركشي: ٤٦٨/٣، وقد
سماه: إجماع الخصم بالحجة. وانظر: خزائن الأدب: ٣٦٤/١.

(٢) حيث أقحمهم بدليلي القدرة والعلم. انظر: التبيان، للطبيي: ٣١٦، البرهان: ٣/
٤٦٨، الفوائد المشوق: ٢٠٢.

(٣) انظر: العمدة، لابن رشيق: ٣٣٣/١ حيث قال في تعريف الترديد: «هو أن يأتي =

رسالتهم ﴿^(١)﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر].
ومثاله من الشعر قول أبي نواس ^(٢):
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سرء ^(٣)
وقال الصفي الحلبي:
له السلام من الله السلام وفي دار السلام تراه شافع الأمم ^(٤)

= الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردّها بعينها متعلّقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه.

وانظر كذلك: البديع في البديع، لابن منقذ: ٨٥، قال: ويسمى: التصدير.
كما عرفه ابن أبي الإصبع بقوله: «هو أن يعلق المتكلم لفظه من الكلام بمعنى، ثم يردّها بعينها، ويعلقها بمعنى آخر». بديع القرآن: ٩٦.
وبمثل ما عرفه به ابن أبي الإصبع عرفه كذلك ابن العلوي في الطراز: ٨٢/٣، والصفي الحلبي في شرح الكافية البديعية: ١٤٨، والزركشي في البرهان: ٣/٣٠١، وابن حجة في الخزانة: ٣٥٩/١.

(١) فلفظ الجلالة الأول: «رسل الله» مضاف إليه، والثاني: «الله أعلم». مبتدأ به.
انظر: بديع القرآن: ٩٦، البرهان: ٣/٣٠١.

(٢) هو: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، أبو نواس، ولد في الأهواز - من بلاد خوزستان - ونشأ في البصرة، ورحل إلى بغداد، فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، وإلى دمشق، ومصر، ثم عاد إلى بغداد. وأبو نواس عَلم كبير من أعلام الأدب والشعر، أخباره وأشعاره مفرقة في الدواوين الكبار. طبع ديوانه بمصر سنة (١٢٧٧هـ)، ثم طبع بعد ذلك... وألفت كتب كثيرة في أخباره. قيل إنه ولد سنة (١٣٠هـ - ١٣٦هـ، ١٤١هـ - ١٤٥هـ)، وقيل: إنه توفي سنة (١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٨هـ). الشعر والشعراء: ٧٩٦/٢ وما بعدها، خزانة الأدب: ١/١٦٨، وفيات الأعيان: ١/١٣٥، معاهد التنصيص: ٨٣/١.

(٣) البيت في الخمر، من قصيدة لأبي نواس مطلعها:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء
انظر: ديوانه: ٦، حلية المحاضرة: ١/١٥٤، نضرة الأغريض: ١٢٥، سر الفصاحة: ٢٨٥، شرح الكافية البديعية: ١٤٩. وقد ورد في الأصل و(ح) مصحفاً هكذا:
صفرا لا تنزل الإخوان ساحتها لو مسه حجر مسته سرا
والشاهد فيه: «مسها حجر مسكه» حيث ردد الشاعر كلمة «مس»، لكنها في كل موضع متعلقة في معنى غير الآخر.

(٤) انظر: شرح الكافية البديعية: ١٤٨، ديوان الحلبي: ٦٩٢.

الترصيع:

هو أن يقابل كل لفظة من صدر البيت، أو الفقرة بما يناسبه في الوزن والروي والإعراب^(١)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وكقول المعري:

(١) انظر: جواهر الألفاظ، لقدماء: ٣، فإنه قال: «الترصيع أن تكون الألفاظ متساوية البناء، متفقة الانتهاء، سليمة من عيب الاشتباه، وشين التعسف والاستكراه...». وانظر: الصناعتين: ٣٧٥، فقد قال أبو هلال العسكري في تعريفه: «هو أن يكون حشو البيت مسجوعاً ثم قال: «وأصله من قولهم: رصعت العقد، إذا فصلته». وقال الخفاجي في سر الفصاحة: ١٩٠: «هو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم، أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة». ثم قال: «وكأن ذلك شبه بترصيع الجواهر في الحلبي».

وانظر أيضاً: البديع في البديع، لابن منقذ: ١٧١، مفتاح العلوم للسكاكي: ٢٠٣، فإنه قال: «ومن جهات الحسن الترصيع: وهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز، أو متقاربتها».

وانظر: التبيان، للطبيبي: ٥٨١، الفوائد المشوق: ٣٤٩. وكذلك انظر: المثل السائر، لابن الأثير: ٣٩٧/١ - ٣٩٨، فقد عرفه بقوله: «هو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية». ثم قال: «وهذا لا يوجد في كتاب الله تعالى لما هو عليه من زيادة التكلف». ثم ذكر أنه في الشعر قليل، ومجيئه في النثر أحسن منه في الشعر.

أما يحيى بن حمزة العلوي فقد عرفه بمثل ما عرفه به ابن الأثير، ولكنه ذكر أنه يأتي على وجهين:

أحدهما: كامل وهو تساوي كل ألفاظ الفصل الأول مع ألفاظ الفصل الثاني من غير زيادة ولا نقصان، وهذا يعز وجوده، لصعوبة مأخذه، وضيق مسلكه.

أما الثاني: فهو الترصيع الناقص، وهو ما لا يشترط فيه ما يشترط في الأول، وهذا جاء في القرآن وفي الشعر وفي النثر.

ثم قال: فهذا وأمثاله هل يكون معدوداً من الترصيع أو لا؟ قال: الذي عليه الأكثر من أهل البلاغة أنه لا محالة معدود منه، وإن كان مخالفاً في الزنة.

أما ابن الأثير فقد أبى عده منه، وزعم أنه لا يعد في الترصيع إلا الوجه الأول. ثم قال: والمختار ما عليه الأكثر. انظر: الطراز: ٣٧٣/٢ - ٣٧٧. وانظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ٤٠٩/٢ - ٤١٠.

غيث بواكره مرجوة النعم ليث بوادره محذورة النقم

المماثلة:

وهي أن تتماثل الألفاظ في الوزن دون التقفية^(١)، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾ إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾^(٢) [الطارق].

وكقول الصفي الحلبي:

سهل خلائقه صعب عرائكه جم عجائبه في الحلم والحكم^(٣)
وكقول ابن المقري:
فامدح عوارفه واعرف مدائحه وانظم محاسنه بأحسن منتظم^(٤)

التزام ما لا يلزم:

وهو أن يلتزم الناظم أو الشاعر قبل حرف الروي، أو الفقرة حرفاً آخر^(٥)،

(١) انظر: نقد الشعر: ١٥٩ - ١٦٠، جواهر الألفاظ: ٧، إعجاز القرآن، للباقلاني: ٧٨، بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ١٠٧، فإنه عرّفها بقوله: «هو تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها في الزنة دون التقفية»، وقد عرّفها بمثل ما عرّفها به المؤلف الصفي الحلبي في شرح الكافية البديعية: ١٩٥، وابن حجة في الخزانة: ٢٩٣/٢. وقد تحدث القزويني عن المماثلة أثناء حديثه عن الموازنة فقال: «ومنه الموازنة، وهي: أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية»، ثم قال: «فإن كان ما في إحدى القريتين من الألفاظ - أو أكثره - مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن، خص باسم المماثلة».

الإيضاح: ٥٥٢. وانظر: التلخيص وشروحه: ٤٥٥/٤ - ٤٥٧، ولها تعريف آخر ذكره العسكري في الصناعتين: ٣٥٣.

(٢) فقوله: «الطارق» و«الثاقب» و«حافظ» تماثلات في الزنة دون التقفية. بديع القرآن: ١٠٧، شرح الكافية البديعية: ١٩٥.

(٣) البيت في شرح الكافية البديعية: ١٩٥، وفي ديوان الحلبي: ٦٩٥.

ومعنى: «عرائكه»: جمع عريكة، وهي العشرة والمعاملة. و«جم»: أي: كثير. والشاهد في البيت ظاهر.

(٤) من بديعته المسماة: «الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة». انظر فيما سبق: ١٥٥٥ من هذا النوع. والشاهد في البيت واضح أيضاً.

(٥) انظر: المثل السائر: ٤٠١/١ - ٤٠٢، الجامع الكبير: ٢٦٦، سر الفصاحة: ١٧٩، بديع القرآن: ٢٢٧، الأقصى القريب: ١١٦. وانظر أيضاً: التلخيص، ضمن، شروح =

مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٤﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٥﴾﴾ [الضحى]
فالتزام الهاء قبل الروي هو الالتزام، وهو من أنواع البديع. وهو في الشعر
كثير^(١).

التوزيع:

هو أن يوزع المتكلم حرفاً من حروف الهجاء على جملة من كلامه من غير
تكلف ولا تعسف^(٢)، كقوله تعالى: ﴿كَيْ سُسْحَكَ كَثِيراً ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَ كَثِيراً ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ
كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٣٣ - ٣٥] فكرر الكاف ثماني [مرات]^(٣) في [سبع]^(٤)
كلمات^(٥).

وكقول الصفي الحلبي^(٦):

= التلخيص: ٤/٤٦٣ - ٤٦٤، الإيضاح: ٥٥٣، حيث عرفه القزويني فيهما بقوله: «وهو أن
يجيء قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع».
وكذلك انظر: النبيان، للطبيي: ٥٠٧، قال: ويسمى: الإعنات. ثم عرفه بقوله: «وهو
أن يلتزم في الأعجاز قبل الروي ما ليس بلازم، وهو موافقة الحروف فيه». وكذلك انظر:
الطراز: ٢/٣٩٧، شرح الكافية البديعية: ٢٠٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ٤٣٣/٢،
الفوائد المشوق: ٣٥٩.

ولابن الرومي في ذلك اليد الطولى. كما أن أبا العلاء المعري قد اشتهر بهذا اللون في
شعر اللزوميات، أو لزوم ما لا يلزم. قال في: الأقصى القريب: ١١٦ - ١١٧: «ولم يشق
أحد للشيخ أبي العلاء المعري غباراً في لزوم ما لا يلزم ولم يعمل أحد فيه شيئاً له إلى
عمله نسبة تعتبر، ومع إكثاره من ذلك فكل ما عمله جيد...». وانظر حول ذلك: الجامع
الكبير، لابن الأثير: ٢٦٥ - ٢٦٦.

(١) انظر: المراجع السابقة.

(٢) شرح الكافية البديعية، لصفي الدين الحلبي: ٢٦٢ - ٢٦٣، حيث قال بعد أن عرفه:
«... وهذا النوع من مخترعاتي ومستخرجاتي التي كنت أفردتها عن هذه القصيدة، وإنما
جئت به هنا لتكملة العدد».

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في الأصل: «فكرر الكاف في ثماني كلمات» والصواب ما أثبت لدلالة السياق
عليه.

(٦) تقدمت ترجمته.

محمد المصطفى المختار من ختمت بمجده مرسلو الرحمن للأمم^(١)

الجمع:

هو أن يجمع بين شيئين أو/ أشياء متعددة في حكم^(٢)، كقوله تعالى: [١٧٢/ح] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، جمع المال والبنون في الزينة^(٣).

وكذا قوله جل شأنه: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: ٥، ٦].

الجمع والتفريق:

هو أن يدخل شيان في معنى، ويفرق بينهما من جهتي الإدخال^(٥). وجعل منه الطيبي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾ [الزمر: ٤٢] الآية. جمع النفسين في حكم/ التوفي، ثم فرق بين جهتي المتوفى [٢٧٥/ب/هـ] بالحكم بالإمساك والإرسال، أي الله يتوفى الأنفس التي تقبض والتي لم

(١) انظر: ديوانه: ٦٩٨. وانظر: شرح الكافية البديعية: ٢٦٢. والشاهد فيه: تكرار حرف الميم إحدى عشرة مرة في جميع كلمات هذا البيت.

(٢) انظر: مفتاح العلوم: ٢٠٠، التلخيص وشروحه: ٤/٤٣٥، الإيضاح للقرظيني: ٥٠٥، حيث عرفه بقوله: «هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد». وكذلك انظر: التبيان، للطبيبي: ٤٠١، الطراز: ٣/١٤٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ٢/٢٦٦، الإلتقان: ٣/٢٧٤ - ٢٧٥، معترك الأقران: ١/٤٠٣، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٥.

(٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤) انظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ٢/٢٦٦، الإلتقان: ٣/٢٧٥، معترك الأقران:

١/٤٠٣.

(٥) الإيضاح: ٥٠٧، التلخيص وشروحه: ٤/٣٣٨ - ٣٣٩. وانظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ٣١٣، فقد عنون له بـ«التفريق والجمع»، ثم عرفه بقوله: «هو أن يفرق المتكلم بين كلامين مرتبطين متلاحمين، بكلام يتلو به الأول من كلامه، يوهم السامع أنه غير مرتبط به، ليفيد بذلك معنى لا يفيد الكلام لو جاء على مقتضى وضع النظم ترتبيه، ثم يعود فيجمع ما تفرق من الكلام بما كان يجب أن يقدم لتأهيله لنفع الأول وملاءمته له... إلى آخر كلامه».

وانظر: التبيان، للطبيبي: ٤٠٤، الطراز: ٣/١٤٢، خزانة الأدب، لابن حجة: ٢/

٢٥٦، الإلتقان: ٣/٢٧٥.

تقبض، فيمسك الأولى، ويرسل الأخرى^(١).

الجمع والتقسيم:

وهو جمع متعدد تحت حكم، ثم تقسيمه^(٢)، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِنَانِ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

الجمع مع التفريق والتقسيم:

كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ...﴾ الآيات. فالجمع في قوله: ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾؛ لأنها متعددة معنى؛ إذ النكرة في سياق النفي تعم. والتفريق قوله جل شأنه: ﴿فَمِنْهُمْ سَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾. والتقسيم: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُودُوا﴾^(٣).

جمع المؤنث والمختلف:

هو أن يريد التسوية بين ممدوحين^(٤)، فيأتي بمعان مؤنثفة في مدحهما، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر؛ بزيادة فضل لا ينقص [مدح]^(٥) الآخر، فيأتي لأجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية^(٦)، كقوله تعالى:

(١) التبيان، للطبيبي: ٤٠٥، الإتيان: ٢٧٥/٣، معترك الأقران: ٤٠٣/١.

(٢) انظر: نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٩٦، الإيضاح: ٥٠٧، التلخيص وشروحه: ٤/٣٣٩، فقد عرفه القزويني فيهما بقوله: «هو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، أو العكس». وانظر: الطراز: ١٤٣/٣ - ١٤٤. التبيان، للطبيبي: ٤٠٥ - ٤٠٦، خزانة الأدب، لابن حجة: ٢٥٤/٢، الإتيان: ٢٧٥/٣، معترك الأقران: ٤٠٤/١، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٥.

(٣) التبيان، للطبيبي: ٤٠٧، الإيضاح، للقزويني: ٥٠٩، الإتيان: ٢٧٥/٣، معترك الأقران: ٤٠٤/١.

(٤) في الأصل وفي (ح): «الزوجين» والصواب ما أثبت.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل و(ح) وصوبته من مصادره.

(٦) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ١٢٧، حيث إن ما ذكره المؤلف هو نص تعريفه في كتاب البديع. وقد قال بعد ذلك: «وهذا الباب مما يحتاج فيه إلى التمثيل بالشعر، ليعلم حين تؤتى فيه بأي القرآن حقيقة معنى الباب في القرآن؛ لما يوضح الشعر من معناه»، ثم ضرب بعض الأمثلة من الشعر، ومنها قول بعضهم:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا، سَوَّى بَيْنَ الْحَكْمِ وَالْعِلْمِ، وَزَادَ [فِي] (١) فَضَلَ سُلَيْمَانَ بِالْفَهْمِ (٢).

حسن النسق (٣):

هو أن يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلائمات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً؛ بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها (٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْي مَاءَكَ وَنَسَمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] الآية. (فإنها جملة) (٥) معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة من الابتداء بالأهم/ الذي هو انحسار الماء عن الأرض [١٧٣ب/ح] المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة، من الإطلاق من سجنها، ثم انقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك، من دفع أذاه بعد الخروج، ومنع إخلاف (٦) ما كان بالأرض، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين

= خلقوا وما خلقوا لمكرمة فكانهم خلقوا وما خلقوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد فكانهم رزقوا وما رزقوا
فكل صدر من كل بيت مؤتلف المعنى، وكل عجز من كل بيت مختلف المعنى، وكل بيت جامع للمؤتلف والمختلف. بديع القرآن: ١٢٨.
وانظر: خزنة الأدب، لابن حجة: ٤٠٥/٢، فقد ذكر تعريف ابن أبي الإصبع ثم قال: وهو التعريف المحرر المطابق بالأمثلة الصحيحة.
وقال أبو هلال العسكري في تعريفه: «هو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة». الصناعتين: ٤٠١.

- (١) زيادة مني يقتضيها السياق.
(٢) انظر: بديع القرآن: ٢٨، خزنة الأدب، لابن حجة: ٤٠٥/٢، معترك الأقران: ١/٤٠٤، الإتيقان: ٢٧٥/٣ - ٢٧٦، مفتاح السعادة: ٣٤٥/٢.
(٣) في نسخة (ح) عنوان له «المختلف والمؤتلف» وما أثبت هنا هو الصواب؛ لأنه قد سبق الكلام على هذا الموضوع: ١٥٩٩.
(٤) انظر: بديع القرآن: ١٦٤، الفوائد المشوق: ٢٨٦، خزنة الأدب، لابن حجة: ٢/٣٨٨، الإتيقان: ٢٧٦/٣، معترك الأقران: ٤٠٤/١ - ٤٠٥.
(٥) في الأصل وفي (ح): «فإن الجملة» والأولى ما أثبتته.
(٦) في الأصل وفي (ح): «إخلاف» والأولى ما أثبتته.

الذي هو متأخر عنه قطعاً، ثم بقضاء الأمر الذي هو إهلاك من أريد هلاكه ونجاة من سبق نجاته، وأخر عما قبله لأن علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها، وخروجهم موقوف على ما تقدم، ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف، وحصول الأمن من الاضطراب، ثم ختم بالدعاء على الظالمين، لإفادة أن الغرق وإن^(١) عم الأرض فلم يشمل إلا من استحق العذاب لظلمه^(٢).

عتاب المرء [لنفسه]^(٣):

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧٧﴾... ﴿[الفرقان] الآيات...﴾

(١) ساقط من الأصل. وما أثبتته من (ح).

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) ساقط من الأصل. وما أثبتته من (ح).

وهذا النوع من أنواع البديع ذكره ابن أبي الإصبع ولم يعرفه، كما ذكر أنه من أفراد ابن المعتز. انظر: تحرير التحبير: ٦٦، بديع القرآن: ٦٣ - ٦٤. كذلك ذكره الحلبي في شرح الكافية البديعية: ٨١، ولم يعرفه، وقال: وهذا النوع أدخله ابن المعتز في البديع.

أما ابن حجة فقد ذكره وقال فيه: ولولا أن الشروع في المعارضة ملزم ما نظمت حصاه مع جواهر هذه العقود - يقصد أنواع البديع التي ذكره سوى هذا النوع - ثم قال: ونهاية أمره أنه صفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر. وقال: وهو من أفراد ابن المعتز، ولم يذكر فيه غير بيتين هما:

عصاني قومي في الرشاد الذي به أمرت ومن يعص المجرب يندم
فصبراً بني بكر على الموت إنني أرى عارضاً ينهل بالموت والدم
خزانة الأدب: ٣٢٠/١. وانظر: كتاب البديع، لابن المعتز: ٧٤. وقد علق ابن أبي الإصبع على هذين البيتين بقوله: «لم أر في هذين البيتين ما يدل على إعنات المرء نفسه...». تحرير التحبير: ٦٦.

وقد صوب ابن حجة تعليق ابن أبي الإصبع على هذين البيتين: المرجع السابق. قلت: الذي يظهر - والله أعلم - أن ابن المعتز أورد هذين البيتين في معرض كلامه عن إعنات المرء لنفسه. فقد قال: ومن إعنات المرء نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له، ثم أورد أمثلة على ذلك من الشعر، وفي أثنائها أورد ذاك البيتين أنفي الذكر... البديع، لابن المعتز: ٧٤ - ٧٥، وبالتالي يكون ابن المعتز لم يورد هذا النوع برمته في كتابه. هذا وقد ذكر أيضاً هذا النوع من أنواع البديع السيوطي في الإلتقان: ٢٧٦/٣، معترك الأقران: ٤٠٥/١، وطاش زاده في مفتاح السعادة: ٣٤٦/٢.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَيَّ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ...﴾
الآيات [الزمر: ٥٦]^(١).

العكس:

هو أن يأتي بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر، ثم يقدم المؤخر ويؤخر
المقدم^(٢)؛ كقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ
اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾
[الروم: ١٩]، ﴿هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا
هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^(٣) [المتحنة: ١٠].

وقد سئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ، فأجاب ابن المنير: بأن فائدته
الإشارة إلى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة^(٤).

وقال الشيخ بدر الدين ابن الصاحب^(٥): الحق أن كل واحد من أفعال

(١) وقد أورد هذه الآيات والتي قبلها في معرض التمثيل بها على هذا النوع من أنواع
البديع ابن أبي الإصبع في بديع القرآن: ٦٣ - ٦٤، والسيوطي، وطاش زاده في المراجع
السابقة.

(٢) انظر: الصناعتين: ٣٧١، فإنه عرفه بقوله: «أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء
الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول». ثم قال: «وبعضهم يسميه: التبديل».
وانظر كذلك: سر الفصاحة، للخفاجي: ٢٠٣ - ٢٠٤، وسماء: التبديل. والبديع في
البديع، لابن منقذ: ٧٨، حيث قال: «هو أن تأتي الجملتان إحداهما عكس الأخرى».
وبديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ١١١، إذ عرفه بقوله: «وهو أن يؤتي بكلام آخره
عكس أوله». وسماء: العكس والتبديل. وانظر: تحرير التحبير: ٣١٨، التلخيص
وشروحه: ٣١٨/٤ - ٣٢٠، الإيضاح: ٤٩٧ - ٤٩٨، التبيان، للطبيبي: ٤٩٤، البرهان،
للزركشي: ٤٦٧/٣ - ٢٩٢، ٢٩٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ١/٣٥٤، المثل السائر:
٢/٢٨٩، شرح الكافية البديعية، للصفى الحلبي: ١٤٥، الإقتان: ٣/٢٧٧، معترك الأقران:
٤٠٦/١.

(٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤) انظر: حاشية ابن المنير، ضمن، تفسير الكشاف: ٨٨/٤ - ٨٩.

(٥) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد. المعروف بـ«ابن الصاحب» بدر الدين،
أو شهاب الدين، محدث، فقيه، لغوي، عارف بعلم البلاغة. من تصانيفه: مختصر ل:
التلخيص - للقزويني - سماه: لطيف المعاني. كما شرح قطعة من مقامات الحريري. ولد =

المؤمن والكافر منفي عنه الحل، أما فعل المؤمنة فيحرم لأنها مخاطبة، وأما فعل الكافر فنفي عنه الحل باعتبار أن هذا الوطاء مشتمل على المفسدة، فليس الكفار مورد الخطاب، بل الأئمة ومن قام مقامهم مخاطبون بمنع ذلك؛ لأن الشرع أمر بإخلاء الوجود من المفسد؛ / فاتضح أن المؤمنة نفى عنها الحل باعتبار، والكافر نفى عنه الحل باعتبار^(١).

وقال ابن أبي الإصبع: ومن غريب أسلوب هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا ۗ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، فإن نظم الآية الثانية عكس نظم الأولى لتقديم^(٢) العمل على الإيمان، وتأخيره في الثانية عن الإسلام^(٣).

ومنه^(٤) نوع يسمى القلب، والمقلوب المستوي، وما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن تقرأ الكلمة من أولها إلى آخرها، كما تقرأ من آخرها إلى أولها^(٥)، كقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ﴿وَرَبِّكَ فَكَّرٍ﴾ [المدرثر: ٣] ولا ثالث لهما في القرآن^(٦).

= (٧١٧هـ)، (ت٧٨٨هـ). الدرر الكامنة: ١/٢٩٤ - ٢٩٦، شذرات الذهب: ٦/٣٠١، كشف الظنون: ١/٤٧٨، ٢/١٧٩٠.

(١) الإلتقان: ٣/٢٧٧، معترك الأقران: ١/٤٠٦.

(٢) في الأصل: «لتقدم» وما أثبتته من (ح).

(٣) بديع القرآن: ١١١ - ١١٢. ونقله السيوطي عنه في معترك الأقران: ١/٤٠٦، الإلتقان: ٣/٢٧٧.

(٤) أي: من أنواع البديع اللفظي.

(٥) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٢٠٣، الإيضاح، للقزويني: ٢٥٣، التلخيص وشروحه: ٤/٤٥٩ - ٤٦٠، شرح الكافية البديعية: ٢٥٧، الفوائد المشوق: ٣٦٦، وقال فيه: وهو ما يقرأ طرداً وعكساً من الجهتين». وانظر: الطراز: ٣/٩٤ - ٩٦، البرهان، للزركشي: ٣/٢٩٣، وسماء: المستوي، وعرفه بقوله: «وهو أن الكلمة أو الكلمات تقرأ من أولها إلى آخرها، ومن آخرها إلى أولها، لا يختلف لفظها ولا معناها». وانظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ٢/٣٦٦، الإلتقان: ٣/٢٧٧ - ٢٧٨، معترك الأقران: ١/٤٠٦ - ٤٠٧، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٦.

(٦) انظر: المراجع الثلاثة الأخيرة.

العنوان :

قال ابن أبي الإصبع: هو أن يأخذ المتكلم في غرض، فيأتي - بقصد^(١) تكميله وتأكيده - بأمثلة في ألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة، وقصص سالفة. ومنه نوع عظيم جداً، وهو عنوان العلوم؛ بأن يذكر في أول الكلام ألفاظ تكون مفاتيح لعلوم ومداخل لها^(٢)؛ فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥] الآية، فإنه قصة بلعام^(٣).

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿أَنْظِرُونَا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تِلْكَ شُعْبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِّ لِي...﴾^(٤) [المرسلات: ٣٠، ٣١] الآية. فيها عنوان علم الهندسة، فإن الشكل المثلث أول الأشكال، فإذا نصب في الشمس على أي ضلع من أضلاعه لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه، فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكماً بهم^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ [الأنعام: ٧٥] الآيات، فيها عنوان [علم]^(٦) الكلام^(٧)، وعلم.....

(١) ليس في الأصل وما أثبتته من (ح).

(٢) انظر: بديع القرآن: ٢٥٧، تحرير التحبير: ٥٥٣، شرح الكافية البديعية: ٢٤٧، خزنة الأدب، لابن حجة: ٣٠١/٢، الإتقان: ٢٧٨/٣، معترك الأقران: ٤٠٧/١.

(٣) هو: بلعام بن باعور، أو بلعم بن باعور، أو بلعم بن أبر، رجل من بني إسرائيل. وهذا أحد الأقوال في الرجل المذكور في آية الأعراف.

وقيل: هو أمية بن أبي الصلت. انظر تفصيل ذلك في: تفسير الطبري: ٢٥٢/١٣ وما بعدها، تفسير القرطبي: ٣١٩/٧ وما بعدها، تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٢، التعريف والإعلام، للسهيلى: ٦٠ - ٦٣.

(٤) انظر: بديع القرآن: ٢٥٧، الإتقان: ٢٧٨/٣، معترك الأقران: ٤٠٧/١، مفتاح السعادة: ٣٤٦/٢.

(٥) انظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٦) ساقط من الأصل، وأثبتته من (ح).

(٧) علم الكلام: هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها، وموضوعه ذات الله ﷻ وصفاته عند المتقدمين، وقيل: موضوعه الموجود من حيث هو موجود. وقيل: الكلام هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الأدلة. انظر: التعريفات، للجرجاني: ٢٣٦، كشف الظنون: ١٥٠٣/٢.

الجدل^(١)، وعلم الهيئة^{(٢)(٣)}.

الفرائد^(٤):

وهي تختص بالفصاحة دون البلاغة^(٥)؛ لأنها^(٦) الإتيان بلفظة تنزل منزلة الفريدة من العقد - وهي الجوهرية التي لا نظير لها - تدل^(٧) على عظم فصاحة الكلام وقوة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالة عرييته، بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء^(٨).

ومنه لفظ: «ححصص»^(٩) في قوله تعالى: ﴿الْفَنَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١].

(١) جدل جدلاً: اشتدت خصومته، وجادلته مجادلة وجدالاً ناقشه وخاصمه. وفي القرآن الكريم: ﴿وَحَدِّدْ لَهُم يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، والجدل في الأصل من الحوار والمناقشة. وأما هنا فهو: القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات. والغرض منه، إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، أو يقال: الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة. التعريفات: ١٠٦.

(٢) علم الهيئة: هو علم الفلك، وهو علم يبحث عن أحوال الأجرام السماوية وعلاقة بعضها ببعض وما لها من تأثير في الأرض. انظر: المعجم الوسيط: ١٠٠٢.

(٣) انظر: بديع القرآن: ٢٥٨ - ٢٥٩، الإتيان: ٣/٣٧٨، معترك الأقران: ١/٤٠٧، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٦.

(٤) هذا النوع مما سلم لابن أبي الإصبع ولم يسبق إليه.

(٥) لأن الفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد. فقال: «كلمة فصيحة»، ولا يقال: «كلمة بليغة»، الإيضاح، للقزويني: ٧٢. وانظر: التلخيص وشروحه: ١/٧٠ وما بعدها، وفي تحقيق القول في البلاغة والفصاحة. انظر: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٤٣ وما بعدها، سر الفصاحة، للخفاجي: ٥٨ وما بعدها.

(٦) هذا بداية لتعريف الفرائد باعتبارها نوعاً من أنواع البديع.

(٧) في الأصل وفي (ح): «يدل» والأولى ما أثبت لأنه أنسب للسياق.

(٨) انظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ٢٨٧، تحرير التجبير: ٥٧٦، شرح الكافية البديعية: ٢٤٥، خزنة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة: ٢/٢٩٧، الإتيان: ٣/٢٧٨ - ٢٧٩، معترك الأقران: ١/٤٠٧ - ٤٠٨، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٦ - ٣٤٧.

(٩) الححصصة: بيان الحق بعد كتمانها. وأصل الحصص: استئصال الشيء، ومعنى حصحص: انقطع عن الباطل بظهوره وثباته. وقيل: مشتق من الحصنة، فالمعنى: بانث حصة الحق من حصة الباطل. اللسان: ٧/١٣ - ١٦، مادة: (حصحص).

و«الرفث»^(١) في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ اللَّيْلِ وَالصَّيَاحِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾^(٢)
[البقرة: ١٨٧].

ولفظه: «فزع»^(٣) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾^(٤) [سبأ: ٢٣].

و«خائنة»^(٥) في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾^(٦) [غافر: ١٩].

وألفاظ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾^(٧) [يوسف: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٨) [الصفافات: ١٧٧].

(١) أصله: قول الفحش. والرفث كناية عن الجماع، أو هو الجماع. تفسير القرطبي: ٣١٥/٢، وقال الزجاج: الرفث: كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته. معاني القرآن وإعرابه: ٢٧٠/١.

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) قرأ الأكثرون: «فزع» بضم الفاء وكسر الزاي، قال ابن قتيبة: خفف عنها الفزع، تفسير غريب القرآن: ٣٥٨ وقال الزجاج: معناه كشف عن قلوبهم. معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٣/٤.

وقرأ ابن عامر بفتح الفاء والزاي «فزع» فضمير الفاعل عائد على اسم الله ﷻ والمعنى: جلى الله الفزع عن قلوب الملائكة، أي: أزاله. انظر: القراءتين في الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢٠٥/٢ - ٢٠٦. وانظر: معاني الزجاج: ٢٥٣/٤.

(٤) قال ابن أبي الإصبع: «فانظر إلى لفظة: «فزع» وتأمل غرابة فصاحتها لتعلم أن الفكر لا يكاد يقع عليها». بديع القرآن: ٢٨٨.

(٥) قال قتادة: هي همزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله». والخيانة والخائنة واحد. تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة: ٣٨٦.

(٦) قال ابن أبي الإصبع: «إن لفظة «خائنة» بمفردها سهلة مستعملة، كثيرة الجريان على الألسن، فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الوقع، بحيث لا يستطيع الإتيان بمثلها». بديع القرآن: ٢٨٨.

(٧) ومعنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾ أي: يسوا. «خلصوا نجياً»، أي: اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم. يتناجون ويتناظرون ويتسارون. يقال: قوم نجى؛ والجمع أنجية. تفسير غريب القرآن: ٢٢٠.

قال أبو هلال العسكري بعد أن أورد الآية السابقة: «تحير في فصاحته جميع البلغاء، ولا يجوز أن يوجد مثله في كلام البشر». الصناعتين: ١٧٦.

(٨) قوله تعالى: ﴿بِسَاحِهِمْ﴾ الساحة: الرحبة التي يدبرون أخبثتهم حولها، تحفة الأريب، لابن حيان: ١٥٦ - ١٥٧، قال الفراء: والعرب تجتزئ بالساحة والعقوة من القوم، ومعناها واحد. نزل بك العذاب وبساحتك سواء. معاني القرآن: ٣٩٦/٢ =

القسم:

هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء، فيحلف بما يكون فيه فخر له، أو تعظيم لشأنه، أو تنويه لقدره، أو ذم لغيره، أو جارياً مجرى الغزل والترفق^(١)، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد^(٢). كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، أقسم ﷻ بقسم يوجب الفخر، لتضمنه التمدح بأعظم قدرة، وأجل عظمة^(٣).

وكقوله ﷻ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، أقسم سبحانه بحياة نبيه ﷺ تعظيماً لشأنه وتنويهاً لقدره^(٤).

اللف والنشر:

[١٧٣/ح] هو أن يذكر شيئان أو أشياء، إما تفصيلاً بالنص على كل/ واحد أو إجمالاً؛ بأن يؤتى بلفظ مشتمل على متعدد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم، ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به^(٥). فالإجمالي كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ

= ومعنى: «فساء صباح» أي: فبئس صباح. معاني القرآن، للزجاج: ٣١٧/٤. وانظر: بدیع القرآن: ٢٨٨.

(١) في الأصل وفي (ح): «الترفق» وصوبته من مصادره.

(٢) بدیع القرآن: ١١٢، تحرير التحيير: ٣٢٧، الفوائد المشوق: ١٧١، البرهان: ٣/٤٠ وما بعدها. وانظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ١/٣٢٢، الإتيقان: ٣/٢٧٩، معترك الأقران: ١/٤٠٨، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٧، شرح الكافية البديعية: ١٢٤.

(٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) انظر: نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٨٩، مفتاح العلوم، للسكاكي: ٢٠٠، فقد عرفه بقوله: «ومنه اللف والنشر: وهو أن تلف بين شيئين في الذكر، ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد كلا منهما إلى ما هو له». وانظر: الإيضاح: ٥٠٣، التلخيص وشروحه: ٤/٣٢٩، التبيان للطبيبي: ٣٩٩، حيث عرفه بقوله: «وهو أن تضم متعدد ثم تتبعه ما لكل منه من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد كلاً منه إلى ما هو له».

وانظر كذلك: الطراز: ٢/٤٠٤ إذ قال حمزة العلوي بعد تعريفه لمعنى اللف والنشر: =

هُودًا أَوْ نَصْرَى» [البقرة: ١١١] أي: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا اليهود، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا النصارى، وإنما سوغ الإجمال في اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى، فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الآخر إلى الجنة، فوثق بالعقل في أنه يرد كل قول إلى فريقه لأمن/ اللبس^(١). وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران^(٢).

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - قلت: وقد يكون الإجمال في النشر لا في اللف^(٣)؛ بأن يؤتى بمتعدد، ثم بلفظ مشتمل على متعدد يصلح لهما، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، على قول أبي عبيدة: إن «الخيط الأسود» أريد به الفجر الكاذب، لا الليل^(٤). والتفصيلي قسман:

أحدهما: أن يكون على ترتيب اللف، كقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣]، فالسكون راجع إلى الليل، والابتغاء راجع إلى النهار^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، فاللوم راجع إلى البخل، ومحسوراً راجع إلى الإسراف؛ لأن معناه: منقطعاً لا شيء عندك^(٦).

= «... وهو في الحقيقة جمع ثم تفريق، واشتقاقهما من قولهم: لف الثوب إذا جمعه، ونشر الثياب إذا فرقها».

شرح الكافية البديعية: ٧٦. وكذلك انظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ١٤٩/١.

(١) انظر ذلك في: الإيضاح، للقزويني: ٥٠٤، التلخيص وشروحه: ٣٣٣/٤، التبيان، للطبيبي: ٤٠١، الطراز: ٤٠٥/٢، الإنتقان: ٢٧٩/٣ - ٢٨٠، معترك الأقران: ٤٠٨/١ - ٤٠٩.

(٢) انظر: أسباب النزول، للواحي: ٧١، أسباب النزول، للسيوطي، بهامش تفسير الجلالين: ٢٦.

(٣) في معترك الأقران: ٤٠٩/١، «في اللف لا في النشر».

(٤) الذي في مجاز القرآن: ٦٨/١، لأبي عبيدة غير هذا، فإنه قال: «الخيط الأبيض»، هو الصبح المصدق، و«الخيط الأسود» هو الليل، و«الخيط» هو اللون.

(٥) الإنتقان: ٢٨٠/٣، معترك الأقران: ٤٠٩/١. وانظر: التلخيص وشروحه: ٤/٣٣٠، الإيضاح: ٥٠٣.

(٦) الإنتقان: ٢٨٠/٣، معترك الأقران: ٤٠٩/١ - ٤١٠.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ﴾ [الضحى: ٦] الآيات، فإن قوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ﴾ راجع إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ﴾، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ﴾، فإن المراد السائل عن العلم، كما فسره مجاهد وغيره^(١). ﴿وَأَمَّا يَنْعَمَ بِرَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى -: رأيت هذا المثال في: «شرح الوسيط» للنووي^(٢) المسمى: «بالتنقيح»^(٣).

والثاني^(٤): أن يكون على عكس ترتيبه، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ...﴾ إلى آخر الآية. وجعل منه جماعة قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَأَلَّا إِنَّ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]؛ قالوا: «متى نصر الله»: قول الذين آمنوا، و﴿أَلَّا إِنَّ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾، قول الرسول^(٥).

وذكر الزمخشري له قسماً آخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَايَنَيْهِ مَتَأْمُرُ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الروم: ٢٣]. قال: هذا من باب اللف، وتقديره: ومن آياته منامكم وابتغؤكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين منامكم وابتغؤكم بالليل والنهار؛ لأنهما زمانان^(٦)، والزمان والواقع^(٧) فيه كشيء

(١) كالحسن. انظر: تفسير البغوي: ٥٠٠/٤، تفسير القرطبي: ١٠١/٢٠ - ١٠٢.

(٢) هو: الإمام الحافظ، محيي الدين، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي الشافعي. له: «شرح مسلم»، «الروضة»، «الأذكار» وغيرها كثير. ولد (٦٣١هـ) وتوفي (٦٧٦هـ).

تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١٤٧٠/٤، شذرات الذهب: ٣٥٤/٥، طبقات الشافعية، للسبكي: ١٦٥/٥ - ١٦٨، تذكرة الحفاظ، للسيوطي: ٥١٣.

(٣) انظر كلام السيوطي في: الإتيان: ٢٨١/٣، معترك الأقران: ٤١٠/١، وكتاب «شرح الوسيط» المسمى «بالتنقيح» من مؤلفات النووي التي بدأ فيها ولم يتمها، وقد وصل فيه إلى «كتاب شروط الصلاة».

(٤) عود إلى كلام السيوطي.

(٥) الإتيان: ٢٨١/٣، معترك الأقران: ٤١٠/١.

(٦) في الأصل: «زمان» وما أثبتته من (ح).

(٧) في الأصل وفي (ح): «واقع» وصوبته من الكشاف: ١١٤/١.

واحد مع إقامة^(١) اللف على الاتحاد^(٢).

وذكر في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قال: فقلوه: ﴿وَلْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ علة الأمر بمراعاة العدة. ﴿وَلْتَكْبِرُوا﴾ علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ علة الترخيص والتيسير.

وهذا النوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه^(٣) إلا النقب^(٤) المحدث من علماء البيان^(٥). انتهى.

وأورد عليه في «المطول» إشكالاً، وأجاب عنه وأطال عليه، فراجع^(٦).

المشكلة:

ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً، أو تقدير^(٧)؛ فالأول

(١) كذا في الأصل وفي (ح). وفي الكشاف: ٢٠١/٣ «وإعانة».

(٢) انظر: الكشاف: ٢٠١/٣. وانظر أيضاً: عروس الأفراح، ضمن، شرح التلخيص:

٣٣٤/٤.

(٣) في الأصل وفي (ح): «تنبيه» وصوبته من الكشاف.

(٤) في الأصل وفي (ح): «الالتفات» وصوبته من الكشاف.

(٥) انظر: الكشاف: ١١٤/١.

هذا وقال ابن المنير في تعليقه على كلام الزمخشري السابق: «ولقبه الخاص به في صناعة البديع رد أعجاز الكلام إلى صدره، ولقد أحسن الزمخشري في التنقيب عنه، فهو منظوم في سلك حسناته».

حاشية ابن المنير، ضمن، تفسير الكشاف: ١١٥/١.

(٦) انظر: المطول: ٤٢٧ - ٤٢٨، ومما قاله بعد أن أورد كلام الزمخشري: «...»

وعليه إشكال، وهو: أنه جعل من تفاصيل المعلمات أمر الشاهد بصوم الشهر، ولم يجعل شيئاً من العلل راجعاً إليه، وجعل «ولتكبروا» علة ما علم من كيفية القضاء، وهو مما لم يذكره في تفاصيل المعلمات، فيما ذكره في بيان تطبيق العلل غير موافق لما ذكره من تقدير الكلام».

ثم أجاب عنه بقوله: «ويمكن التقصي عنه بأن يقال: إن ذكر أمر الشاهد بصوم الشهر في تفصيل المعلمات ليس لأنه باستقلاله معلل بشيء من العلل المذكورة، بل هو توطئة وتمهيد ليفرغ الترخيص ومراعاة العدة وكيفية القضاء عليه... إلى آخر كلامه».

(٧) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٢٠٠، فإنه عرفه بقوله: «وهي أن تذكر الشيء =

كقوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُورًا وَمَكْرًا أَلَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]. فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنما هو لمشكلة ما معه^(١). وكذا قوله تعالى: ﴿وَجَزَّوُا سِنِينَ سِنِينَ مِثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠]؛ لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة^(٢). وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّكُمْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقوله جل شأنه: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوُا﴾ [الجاثية: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿فَيَسْحَرُونَ مِنْهُمْ سِحْرَ اللَّهِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٤﴾ الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

ومثال التقديري، قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، أي تطهير الله؛ لأن الإيمان يطهر النفوس. والأصل فيه: أن النصراري كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: إنه تطهير لهم^(٣). فعبر عن الإيمان بصبغة الله للمشكلة بهذه.....

= بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.

أما القزويني فقد قال في تعريفه: «وهي ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً». الإيضاح: ٤٩٣. وانظر: التلخيص وشروحه: ٣٠٩/٤ - ٣١٠. وانظر: شرح الكافية البديعية: ١٨١. وكذلك انظر: التبيان، للطبي: ٣٤٧ - ٣٤٨، خزانة الأدب، لابن حجة الحموي: ٢/٢٥٢، حيث قال: «المشكلة: في اللغة هي المماثلة، وفي الاصطلاح: هي ذكر الشيء بغير لفظه، لوقوعه في صحبته». وانظر: تحرير التحرير: ٣٩٣، الإبتقان: ٣/٢٨١، معترك الأقران: ١/٤١١، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٧.

(١) مذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة «النفس» و«المكر» ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرّفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى مع نفي تشبيهها بنفس ومكر المخلوقين.

انظر: كتاب التوحيد، لابن خزيمة: ١/١١ وما بعدها، الأسماء والصفات، لليهقي: ٧/١. وانظر: ٧٨١، فيما سبق في النوع السادس والتسعون علم المحكم والمتشابه.

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) انظر: معاني القرآن، للفراء: ١/٨٢ - ٨٣.

قال الإمام الطبري عند تفسيره لهذه الآية: «يعني - تعالى ذكره - ب«الصبغة» صبغة الإسلام، وذلك أن النصراري إذا أراد أن تنصّر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية». التفسير: ٣/١١٧ وما بعدها.

وقال أبو عبيدة: «صبغة الله» أي دين الله، وخلقتها التي خلقه عليها، وهي فطرته، =

المزاوجة:

هو أن يزواج بين معنيين في الشرط والجزاء، أو ما جرى مجراهما^(٢)،
كقوله: /

[٢٧٦/هـ]

إذا ما نهى الناهي فلجَّ بي الهوى أصاغت إلى الواشي فلج بها الهجر^(٣)
ومنه في القرآن قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ
فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]^(٤).

= من فاطر: أي خالق. مجاز القرآن: ٥٩/١.

وقال ابن قتيبة بعد ذكره للآية: «يريد الختان، فسماه صبغة؛ لأن النصراني كانوا
يصبغون أولادهم في ماء ويقولون: هذا طهرة لهم كالختان للحنفاء». تأويل مشكل القرآن:
١٤٩.

(١) انظر: الإيضاح، للقرظيني: ٤٩٥، التلخيص وشروحه: ٣١٢/٤ - ٣١٥، التبيان،
للطبي: ٣٤٨، الإتيان: ٢٨٢/٣، معترك الأقران: ٤١١/١.

(٢) انظر: نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٨٦، مفتاح العلوم، للسكاكي: ٢٠٠، حيث قال
في تعريفه: «هي أن تزواج بين معنيين في الشرط والجزاء». وانظر كذلك: الإيضاح،
للقرظيني: ٤٩٧، شرح الكافية البديعية: ٣٠٧، التلخيص وشروحه: ٣١٦/٤، التبيان:
٣٤٩، خزنة الأدب، لابن حجة: ٤٣٥/٢، الإتيان: ٢٨٢/٣، معترك الأقران: ٤١١/١،
مفتاح السعادة: ٣٤٧/٢.

(٣) البيت للبحثري من قصيدة في مدح الفتح ابن خاقان سنة (٢٤٦هـ) بمناسبة نجاته من
الغرق، ومطلعها قوله:

متى لاح برق أو بدا طلل قفر جرى مستهل لا بكيء ولا نزر

انظر: ديوانه: ٨٤٤/٢، شرح الكافية البديعية: ٣٠٧.

ومعنى قوله: «لج»، أي: تمادى وأوغل. وأصل اللجاج: كثرة الكلام والخصومة
والتزامها وإدمانها، ثم عبر به عن مطلق اللزوم الصادق بلزوم الهوى.
«أصاغت» أصغت باهتمام «الواشي» أي: التأم الذي يشي حديثه، أي: يزينه ويأتي به
على وجه يقبل حين ينقله على وجه الإفساد.

«فلج بها الهجر» أي: لزوم الهجر وهو التباعد عن الوصال.

انظر: شروح التلخيص: ٤١٦/٤ - ٤١٧.

والشاهد فيه هنا: أنه زواج بين نهي الناهي وإصاغتها إلى الواشي الواقعين في الشرط
والجزاء في أن يترتب عليهما لجاج شيء. معاهد التنصيص: ٢٥٥/٢ - ٢٥٦.

(٤) هذا وقال ابن أبي الإصبع، وابن مالك ومن تبعهما في المزاوجة: هي الإتيان =

المبالغة:

أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده^(١). وهي^(٢) ضربان:

= بمتماثلين في أصل المعنى والاشتقاق فحسب. انظر: بديع القرآن: ٢٧ - ٣٠، في باب التجنيس. والمصباح: ٨٤.

وما قاله ابن أبي الإصبع وابن مالك هو أيضاً رأي العسكري ومن تبعه، لكنهم سموه «المجاورة». انظر: الصناعتين: ٤١٣.

(١) انظر: نقد الشعر، لقدامة بن جعفر: ١٤٦، حيث قال: ومن أنواع نعوت المعاني: المبالغة، ثم قال: «وهي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ في ما قصد».

وانظر: جواهر الألفاظ: ٦٠ لقدامة أيضاً.

أما الرماني فإنه عرف المبالغة بقوله: «المبالغة: هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة». ثم أخذ يعدد أنواعها التي استخرجها من القرآن، فذكر أنها تأتي على وجوه عدة.

انظر: النكت في إعجاز القرآن، ضمن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٦.

أما أبو هلال العسكري في الصناعتين: ٣٦٥، فإنه قال في تعريفها: «المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه. والبالقاني في إعجاز القرآن: ١٠٢، عرفها بقوله: «المبالغة: تأكيد معاني القول».

وقال ابن رشيقي القيرواني: «المبالغة: ضروب كثيرة، والناس فيها مختلفون: منهم من يؤثرها ويقول بتفضيلها، ويراها الغاية القصوى في الجودة، ومنهم من يعيبها وينكرها، ويراها عيباً وهجنة في الكلام. إلى آخر كلامه...». انظر: العمدة: ٥٣/٢ وما بعدها. وانظر الكلام عن المبالغة أيضاً في: سر الفصاحة: ٢٧١ - ٢٧٧، وفي البديع في البديع، لابن منقذ: ١٥٥. وكذلك انظر: المثل السائر، لابن الأثير: ٢٧٩/٢.

وانظر: بديع القرآن: ٥٤، فقد سماها: الإفراط في الصفة. وكذلك انظر: تحرير التحبير: ١٤٧. وقال القزويني في الإيضاح: ٥١٤، التلخيص: ٣٧٠ - ٣٧١: ... والمبالغة: أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً، لئلا يظن أنه غير متناه فيه. ثم قال: وتنحصر في التبليغ والإغراق والغلو....

وانظر: شروح التلخيص: ٣٥٨/٤، الطراز، للعلوي: ١١٦/٣ - ١٢١، الفوائد المشوق: ٢٩٤، شرح الكافية البديعية: ١٥٠، خزانة الأدب: ٧/٣ - ٩، البرهان: ٥١/٣ وما بعدها، الإتيقان: ٢٨٢/٣، معترك الأقران: ٤١٢/١، مفتاح السعادة: ٣٤٧/٢ - ٣٤٨. (٢) في الأصل وفي (ح): «وهو» والأولى ما أثبت.

مبالغة بالوصف: بأن يخرج إلى حد الاستحالة^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]^(٣).

(١) انظر: النكت، للرماني، ضمن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٠٥. حيث قال: «الضرب الرابع: إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة». وانظر: التلخيص وشروحه: ٤/ ٣٦٢، الطراز: ٣/ ١٢٧، الإتيان: ٣/ ٢٨٢، معترك الأقران: ١/ ٤١٢، مفتاح السعادة: ٣٤٧/٢.

(٢) انظر: المراجع السابقة.

قال القزويني بعد تعريفه السابق للمبالغة: وتنحصر في التبليغ والإغراق؛ والغلو؛ لأن المدعى إن كان ممكناً عقلاً وعادة فتبليغ، وإن كان ممكناً عقلاً لا عادة فإغراق وهما مقبولان، وإلا فغلو. ثم قال: والمقبول منه أصناف: منها ما أدخل عليه ما يقربه إلى الصحة، ثم مثل بهذه الآية التي ذكرها المؤلف. انظر: التلخيص: ٣٧١ - ٣٧٣، الإيضاح: ٥١٤ - ٥١٥. قال ابن يعقوب المغربي معلقاً على قول صاحب التلخيص: قيل: وينبغي لمن مثل بالآية أن يقول: بدل قوله: يقربه إلى الصحة، لا يظهر معه الامتناع تأديباً قال: وهو كذلك. ثم قال أيضاً: «ثم إن ما ذكر من كون إضاءة الزيت محالاً عقلاً غير ظاهر، بصحة اتصاف كل جسم بما اتصف به الآخر، اللهم إلا أن يراد بالاستحالة العقلية الاستحالة في عقول العامة، أو يراد بالزيت الزيت بقيد كونه غير مضيء - كما هو المشاهد - وفي كل ذلك تمحل باعتبار إطلاقهم التفصيل؛ لأن الظاهر منه الاستحالة الحقيقية المتقررة على الإطلاق». مواهب الفتح، ضمن، شروح التلخيص: ٤/ ٣٦٢.

أما بهاء الدين السبكي فإنه قال في تعليقه على قول القزويني آف الذكر: «ولك أن تقول: المستحيل كيف يقرب من الصحة بـ«كاد» أو غيرها».

ثم قال أيضاً في تعليقه على أمثلة التلخيص: «وفي جميع هذه الأمثلة وكونها من المستحيل عقلاً نظر، إذ العقل لا يمنع أن يضيء الزيت، وأن يخرج الفرس عن ظله... إلى آخر كلامه».

عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٤/ ٣٦٢ - ٣٦٤.

قلت: والذي يضرب الله ﷻ له المثل في هذه الآية هو نوره ﷻ، والنور الإلهي نور شامل غمر الكون كله في قوله في أول الآية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وطالما أن هذا المثل المضروب لهذا النور الذي لا يمكن لنا إدراكه بالمشاهدة المحسوسة فقط، ما دام الأمر كذلك لا مجال للحكم بأن قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ﴾ من باب الغلو المقرب إلى الصحة بـ«كاد».

(٣) انظر: النكت، للرماني، ضمن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٠٤، المثل =

ومبالغة بالصيغة: وصيغ المبالغة: «فعلان» كالرحمن، و«فعليل» كالرحيم، [١٧٤ب/ح] و«فَعَال» كالتواب والغفار، والقهار، و«فَعُول» كغفور، وشكور، وودود/ و«فعل» كحذر، وفرح، و«فُعَال» بالتخفيف كعجاب، وبالتشديد ككُبَّار، و«فعل» كلبد وكبر، و«فُعَلَى» كالعليا، والحسنى، والشورى^(١).

فائدة:

الأكثر على أن «فعلان» أبلغ من «فعليل»، ومن ثم قيل: «الرحمن» أبلغ من «الرحيم»^(٢)، ونصره السهيلي بأنه ورد على صيغة التثنية، والتثنية تضعيف، فكأن البناء تضاعف فيه الصفة^(٣).

وذهب ابن الأنباري إلى أن «الرحيم» أبلغ من «الرحمن»^(٤). ورجحه ابن عساكر بتقديم «الرحمن» عليه، وبأنه جاء على صيغة الجمع، كعبيد، وهو أبلغ

= السائر: ٢٧٩/٢ - ٢٨١، بديع القرآن: ٥٤ - ٥٦، الخصائص، لابن جني: ٢٦٤/٣ - ٢٦٥، عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٣٦٧/٤ - ٣٦٨، الإتيان: ٢٨٢/٣، معترك الأقران: ٤١٢/١، مفتاح السعادة: ٣٤٨/٢.

(١) انظر: المراجع السابقة.

(٢) انظر: البرهان، للزركشي: ٥٠٢/٢، ٥٠٤، وفيه قال: أما «فعلان» فهو أبلغ من «فعليل»، ومن ثم قيل: «الرحمن» أبلغ من «الرحيم». ثم قال: وما ذكرناه من أن «الرحمن» أبلغ ذهب إليه أبو عبيد، والزمخشري، وغيرهما، وحكاه ابن عساكر في «التكميل والإفهام» عن الأكثرين. وانظر: قول الزمخشري حول ذلك في الكشاف: ٦/١. وانظر كذلك: التبيان، للعكبري: ٤/١، حيث قال: «الرحمن» من أبنية المبالغة، وفي «الرحيم» مبالغة أيضاً. إلا أن فعلاً أبلغ من فعليل.

وانظر: البحر المحيط: ١٦/١ - ١٧، وفيه قال أبو حيان: «الرحمن الرحيم» قيل: دلالتها واحد، نحو ندمان ونديم، وقيل: معناهما مختلف: الرحمن أكثر مبالغة. وقيل: الرحيم أكثر مبالغة، ثم قال: والذي يظهر أن جهة المبالغة مختلفة فلذلك جمع بينهما، فلا يكون من باب التوكيد، فمبالغة فعلان من غضبان وسكران من حيث الامتلاء والغلبة، ومبالغة فعليل من حيث التكرار والوقوع بمحال الرحمة.

(٣) انظر: رأي السهيلي في نتائج الفكر: ٥٤. وقد نقله عنه الزركشي والسيوطي في البرهان: ٥٠٥/٢، الإتيان: ٢٨٣/٣، معترك الأقران: ٤١٢/١.

(٤) انظر ذلك في: البرهان: ٥٠٥/٢، حيث حكى الزركشي ما ذهب إليه ابن الأنباري من أن الرحيم أبلغ من الرحمن، ونسبه إليه في كتابه «الزاهر». وكذلك انظر: الإتيان: ٢٨٣/٣، معترك الأقران: ٤١٣/١.

من صيغة الشنية^(١).

وذهب قطرب إلى أنهما سواء^(٢).

فائدة:

ذكر البرهان الرشيدى^(٣) أن صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز؛ لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها؛ لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما هو له، وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها^(٤).
وأيضاً: فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان، وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك^(٥). واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي^(٦).

(١) انظر: البرهان: ٥٠٥/٢، حيث حكى ترجيح ابن عساكر، ووجوه الترجيح، ثم قال: ولو كان أبلغ لكان متأخراً عنه؛ لأنهم في كلامهم إنما يخرجون من الأدنى إلى الأعلى. كذلك انظر: المرجعين الأخيرين.

(٢) انظر رأي قطرب في: تفسير القرطبي: ١٠٥/١، المراجع الثلاثة السابقة. قلت: قول قطرب وغيره إنهما سواء قول فاسد؛ لأنه لو كان كذلك لتساويا في التقديم والتأخير، وهو ممتنع، وأيضاً: فإن لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها. انظر تفصيل ذلك في: تفسير الطبري: ١٢٦/١ وما بعدها، البرهان: ٥٠٦/٢.

(٣) إبراهيم بن لاجين الأغرّي، فقيه شافعي نحوي، تفقه على علم الدين العراقي، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة. وذكره أبو المعالي فيمن توفي شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعماية. الوفيات: ١٠٥/٢، وطبقات الشافعية الكبرى: ٣٩٩/٩. (المدقق).

(٤) انظر ذلك في: البرهان، للزركشي: ٥٠٧/٢، عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٣٦٨/٤، الإتقان: ٢٨٣/٣، معترك الأقران: ٤١٣/١.

(٥) انظر ذلك أيضاً في المراجع السابقة.

(٦) انظر: عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٣٦٨/٤، حيث أورد بهاء الدين السبكي قول البرهان الرشيدى ثم قال: «... وعرضت هذا الكلام على الوالد فاستحسنه». قلت: ما ذكره البرهان الرشيدى، واستحسنه السبكي مبني على مفهوم معنى المبالغة وما يقترن بها من إفراط وادعاء وكذب، الأمر الذي حملهم على القول بأن ما جاء من صفات الله تعالى على صيغة المبالغة مجاز، وهو قول مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات، حيث يثبتون لله تعالى ما أثبتة لنفسه وما أثبتة له رسوله ﷺ من الصفات حقيقة على الوجه اللائق به تعالى.

علماً أن دلالة المبالغة في اللغة - على الوجه الصحيح - لا تعني ما اقترن بها من إفراط وادعاء وكذب وإسراف، وإنما يعني بها بلوغ الغاية والنهاية في تأدية المعنى المراد.

انظر: تهذيب اللغة: ١٣٩/٨، مادة: (بلغ)، اللسان: ٤١٩/٨ - ٤٢٠، مادة: (بلغ)، =

وقال الزركشي في «البرهان»: التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان:

أحدهما: ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل.

والثاني: بحسب تعدد المفعولات. ولا شك أن تعددها لا يوجب^(١) للفعل زيادة؛ إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين، وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى، ويرتفع الإشكال^(٢).

ولهذا قال بعضهم في «حكيم» معنى المبالغة في: تكرار حكمة^(٣) بالنسبة إلى الشرائع^(٤).

وقال في الكشف: المبالغة في «التواب» للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده، أو لأنه بليغ في قبول التوبة، نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه^(٥).

وقد أورد بعض الفضلاء سؤالاً على قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وهو أن «قدير» من صيغ المبالغة، فيستلزم الزيادة على معنى قادر؛ والزيادة على معنى قادر محال؛ إذ الإيجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد^(٦) فرد^(٧).

وأجيب: بأن المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد^(٨)، وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل السياق عليها؛ فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف^(٩).

= أساس البلاغة، مادة: (بلغ)، تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة: ١٦٧ - ١٦٨.

(١) في الأصل: «توجب» وما أثبتته من (ح).

(٢) انظر: البرهان: ٥٠٧/٢.

(٣) في الأصل: «حكمة» وما أثبتته من (ح).

(٤) ذكر ذلك: الزركشي في البرهان: ٥٠٧/٢، والسيوطي في الإتيان: ٢٨٣/٣،

معترك الأقران: ٤١٣/١.

(٥) الكشف: ٣٧٤/٤، في تفسير سورة [الحجرات: ١٢].

(٦) هكذا في الأصل، وفي (ح): بدون تكرار لفظ: «فرد».

(٧) البرهان، للزركشي: ٥٠٨/٢، الإتيان: ٢٨٣/٣، معترك الأقران: ٤١٣/١.

(٨) في الأصل فيه تكرار لفظ: «فرد» وما أثبتته من (ح).

(٩) انظر: المراجع السابقة. قلت: هذا جواب غير كاف. والأولى أن يقال: إن مفهوم

المبالغة هو الدلالة على الوصول إلى الغاية، والتناهي في أداء المعنى. وكل ما سبق من =

المطابقة :

وتسمى الطباق^(١)، وهي الجمع بين متضادين في الجملة^(٢)، وهو قسمان: حقيقي، ومجازي، والثاني يسمى التكافؤ ولكل منهما إما لفظي أو معنوي، وإما طباق إيجاب أو سلب^(٣).

فمن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [التوبة: ٨٢]^(٤)،

= كلام مبني على التناهي عن مفهوم المبالغة الأصلي في الدلالة على الوصول إلى الغاية والتناهي في أداء المعنى، إلى التجاوز بها عن النهاية، إلى الكذب والادعاء، والإسراف. وهذا مجانب للصواب.

(١) والتطبيق، والتضاد، والتكافؤ - أيضاً - قال الخليل بن أحمد: يقال: «طابقت بين الشئين» إذا جمعت بينهما على حذور واحد.

نقل ذلك عنه ابن المعتز في كتاب البديع: ٣٦، وفي العمدة: ٦/٢.

(٢) انظر: الصناعتين: ٣٠٧، حيث قال أبو هلال العسكري في تعريفهما: «قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي: الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة»، ثم قال: «وخالفهم قدامة فقال: المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى»، ثم قال: «وسمى الجنس الأول التكافؤ». وقال ابن رشيق في العمدة: ٥/٢: «المطابقة عند جميع الناس: جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر، إلا قدامة ومن اتبعه؛ فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً».

ثم نقل ابن رشيق تعريف الرماني للمطابقة وهو: «مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان»، وقال: «هذا أحسن قول سمعته في المطابقة وأجمعه من غيره، لفائدة وهي: اشتماله على أقوال الفريقين وقدامة جميعاً. انظر ذلك في: العمدة: ٦/٢ - ٧.

وقال الخفاجي في سر الفصاحة: «وقد سمي أصحاب صناعة الشعر المتضاد من معاني الألفاظ المطابق». ثم قال: «وسماه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب: المتكافئ، وأنكر ذلك عليه أبو القاسم الحسن ابن بشر... إلى آخر كلامه». انظر تفصيل ذلك في: ١٨٨.

المثل السائر، لابن الأثير: ١٧١/٣ وما بعدها، فقد فصل القول في ذلك. وفي الطراز أيضاً: ٣٧٧/٢ - ٣٧٨. وانظر أيضاً في ذلك: أسرار البلاغة للجرجاني: ١٥، البديع في البديع، لابن متقذ: ٦٣، مفتاح العلوم، للسكاكي: ٢٠٠، نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٨٥، شرح الكافية البديعية: ٧٢.

(٣) انظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ٣١ - ٣٣، تحرير التحبير: ١١١، وسماه الطباق. والإيضاح، للقزويني: ٤٨٠، التلخيص وشروحه: ٢٩٠/٤، الفوائد المشوق: ٢١٦، البرهان، للزركشي: ٤٥٥/٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ١٥٦/١ - ١٦٠، الإقتان: ٢٨٤/٣، معترك الأقران: ٤١٤/١.

(٤) فطابق بين الضحك والبكاء، والقليل والكثير. انظر: الطراز: ٣٧٩/٢، البرهان: ٤٥٥/٣.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم: ٤٣، ٤٤] (١)،
 ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] (٢)،
 ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيُّكَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].

ومن أمثلة المجاز قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي: ضالاً فهديناه (٣). ومن أمثلة طباق السلب (٤) قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] (٥)، ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤] (٦).

ومن أمثلة المعنوي، قوله تعالى: ﴿إِن آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يسر]. معناه: ربنا يعلم إنا لصادقون (٧). ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فُرُشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]، قال أبو علي الفارسي: لما كان البناء رفعا/ لها [٢٧٧ب/هـ] للمبنى قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء (٨).

(١) قال ابن أبي الإصبع: «فانظر إلى فضل هذا الطباق كيف جمع إلى الطباق البليغ، والتسجيع الفصيح، لمجيء المناسبة التامة في فواصل الآي».

بديع القرآن: ٣٣.

وقال أبو هلال العسكري بعد أن ذكر الآيتين: «وقد تنازع الناس هذا المعنى» ثم أورد أمثلة من الشعر على ذلك، ثم قال بعد ذلك: «فلم يقرب أحد من لفظ القرآن في اختصاره وصفاته، ورونقه وبهاؤه، وطلاوته ومائه، وكذلك جميع ما في القرآن من الطباق».

الصناعتين: ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٢) فقابل الفرح بالحزن في قوله: «تأسوا». انظر: المثل السائر: ١٧٢/٣، الطراز: ٣٧٩/٢.

(٣) انظر ذلك في: بديع القرآن: ٣٢، البديع في البديع، لابن منقذ: ٦٣، الإيضاح، للقرظيني: ٤٧٨.

(٤) طباق السلب: هو الجمع بين فعلي مصدر واحد، مثبت ومنفي، أو أمر ونهي.

الإيضاح، للقرظيني: ٤٨٠.

(٥) طابق بين «تعلم» المثبت، وبين «لا أعلم» المنفي.

(٦) هنا طابق بين «لا تخشوا» المنفي، وبين «أخشون» المثبت.

(٧) البرهان، للزركشي: ٤٥٦/٣، معترك الأقران: ٤١٤/١ - ٤١٥، الإيتقان: ٢٨٤/٣.

(٨) لم أجد قوله فيما رأيت من كتبه.

وقد نقله عنه الزركشي في البرهان: ٤٥٦/٣، والسيوطي في الإيتقان: ٢٨٤/٣، وفي معترك الأقران: ٤١٥/١.

ومنه نوع يسمى الطباق الخفي، كقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطَبْتِهِمْ أَغْرَقُوا فَأدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]^(١)؛ لأن الفرق من صفات [الماء]^(٢)، فكأنه جمع بين الماء والنار^(٣).

قال ابن منقذ^(٤): وهي أخفى مطابقة في القرآن^(٥).

وقال ابن المعتز^(٦): من أملح الطباق وأخفاه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]؛ لأن معنى القصاص: القتل، فصار القتل سبب الحياة^(٧).

وكذا قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة لكنها مبنية على اللين الذي هو ضد الشدة^(٨).

(١) الشاهد فيها: المطابقة بين: «أغرقوا»، و«أدخلوا ناراً».

(٢) في الأصل: «النار» وما أثبتته من (ح).

(٣) البرهان: ٤٥٧/٣، خزانة ابن حجة: ١٦٠/١، الإتيقان: ٢٨٥/٣، معترك الأقران: ٤١٥/١.

(٤) هو: أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكتاني، أبو الحارث، وأبو المظفر، شاعر، أديب متصرف في فنون النظم والنثر. له مصنفات عديدة، منها: كتاب الآداب، ط، البديع في البديع ط. وغيرهما. ولد (٤٨٨هـ، ت ٥٨٤هـ).

معجم الأديباء: ١٨٨/٥، تهذيب ابن عساكر: ٤٠٠/٢، الوفيات: ١٩٥/١ - ٢٠١.

(٥) البديع في البديع: ٦٤. وانظر: البرهان: ٤٥٧/٣، خزانة ابن حجة: ١٦٠/١، الإتيقان: ٢٨٥/٣، معترك الأقران: ٤١٥/١.

(٦) هو: عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع خليفة يوم وليلة. له مصنفات منها: كتاب البديع في نقد الشعر، ط، الآداب، الجامع في الغناء، طبقات الشعراء. ولد (٢٤٧هـ، ت ٢٩٦هـ).

الأغاني: ٣٧٤/١٠، تاريخ بغداد: ٩٥/١٠، فوات الوفيات: ٢٣٩/٢ - ٢٤٦، شذرات الذهب: ٢٢١/٢، أشعار أولاد الخلفاء: ١٠٧ - ٢٩٦، معاهد التنصيص: ٣٨/٢ - ٤٧.

(٧) انظر: البديع، لابن المعتز: ٣٦، لكنهم لم يذكر سوى الآية. وقد نسب هذا القول لابن المعتز: الزركشي في البرهان: ٤٥٧/٣. والسيوطي في الإتيقان: ٢٨٥/٣، معترك الأقران: ٤١٥/١. وانظر: العمدة: ٩/٢، لابن رشيق حيث قال فيها: وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾، لأن معناه: «القتل أنفى للقتل»، فصار القتل سبب الحياة، وهذا من أملح الطباق وأخفاه.

(٨) انظر: الإيضاح: ٤٨٣، التلخيص وشروحه: ٢٩٤/٤، خزانة الأدب لابن حجة:

١٥٩/١، الإتيقان: ٢٨٥/٣، معترك الأقران: ٤١٥/١.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣]، فإن ابتغاء الفضل وإن لم يكن مقابلاً للسكون، لكنه يستلزم الحركة المضادة للسكون^(١).

ترصيع الكلام^(٢):

ومنه^(٣) نوع يسمى ترصيع الكلام، وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك^(٤)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]، وجاء بالجوع مع العري، وبابه [أن]^(٥) يكون مع الظمأ، وبالضحى مع الظمأ، وبابه [أن]^(٦) يكون مع العري، [لكن الجوع]^(٥) والعري اشتركا في الخلو؛ فالجوع خلو البطن من الطعام، والعري خلو الظاهر من اللباس^(٧).

والضحى والظمأ اشتركا في الاحتراق، فالظمأ احتراق الباطن من العطش، والضحى احتراق الظاهر من حر الشمس^(٨).

المقابلة:

ومنه^(٩) نوع يسمى المقابلة؛ وهو أن يذكر

(١) انظر: الإيضاح: ٤٨٣، البرهان: ٤٥٦/٣، عروس الأفراح، ضمن، شروح التلخيص: ٢٩٤/٤ - ٢٩٥. وانظر: الإتيان: ٢٨٥/٣، معترك الأقران: ٤١٥/١.

(٢) راجع: ... من هذا النوع فقد تقدم الكلام عن الترصيع.

(٣) أي: من أنواع الطباق، ومعنى ذلك: أنه إذا اجتمع الترصيع مع الطباق كان ذلك زيادة حسنة. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]. ففي قوله: ﴿نَعِيمٍ﴾ و﴿جَحِيمٍ﴾ ترصيع ومطابقة.

انظر: التبيان، للطبيي: ٥٠١ - ٥٠٢، خزنة الأدب، لابن حجة: ٤٠٩/٢.

(٤) انظر: الإتيان: ٢٨٥/٣، معترك الأقران: ٤١٥/١، مفتاح السعادة: ٣٤٨/٢.

(٥) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٦) زيادة من (ح).

(٧) المراجع السابقة.

(٨) المراجع السابقة.

(٩) أي: من الطباق. هذا رأي لبعض علماء البلاغة.

انظر: العمدة، لابن رشيق: ١٥/٢، سر الفصاحة، للخفاجي: ٢٠٠، فإنه يرى أن =

لفظان^(١) فأكثر ثم يذكر أصدادها على الترتيب^(٢).

والفرق بين الطباق والمقابلة [أن]^(٣) الطباق لا يكون إلا بالأضداد،
والمقابلة بالأضداد وبغيرها^(٤).

= المقابلة تسمى مطابقة، والإيضاح، للقرظوني: ٤٨٥، فإنه يرى أن المقابلة داخلية في
المطابقة. والتلخيص وشروحه: ٤/٢٩٦، الطراز: ٢/٣٧٧ - ٣/٣٧٨، الإتيان: ٣/٢٨٥.
وبعضهم يرى خلاف ذلك. قال ابن حجة: أدخل جماعة المقابلة في المطابقة، وهو
غير صحيح، فإن المقابلة أعم من المطابقة، إلى آخر كلامه. انظر: خزانة الأدب، لابن
حجة: ١/١٢٩.

وابن الأثير جعل الطباق أحد أنواع المقابلة. انظر: المثل السائر: ٣/١٧٢، الجامع
الكبير: ٢١٢، وفيه قال: اعلم أن الأليق أن يسمى هذا النوع المقابلة... وقد حكاه عنه
في الفوائد المشوق: ٢٢٠، البرهان: ٣/٤٥٨.

(١) في الأصل وفي (ح): «نوع» والصواب ما أثبت لاقتضاء السياق ذلك.

(٢) انظر: الصنائع: ٢٣٧، العمدة، لابن رشيق: ٢/١٥، حيث قال: «المقابلة بين
التقسيم والطاق، وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب،
فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً...». ثم قال: «وأكثر ما تجيء
المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة». وانظر أيضاً: سر الفصاحة:
٢٩٩ - ٣٠٠، البديع في البديع، لابن منقذ: ١٨٨، نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٨٦، فإنه
قال في تعريفها: «هي أن تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما». ومفتاح العلوم: ٢٠٠،
المثل السائر: ٣/١٧٢، بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ٣١، تحرير التحبير: ١٧٩،
التلخيص وشروحه: ٤/٢٩٧، الإيضاح، للقرظوني: ٤٨٥، فإنه قال: «المقابلة: هي أن
يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم يقابلها أو يقابلها على الترتيب». ثم قال:
«والمراد بالتوافق خلاف التقابل».

وانظر أيضاً: التبيان، للطبيبي: ٣٤٦، الطراز: ٢/٣٧٨ وما بعدها، شرح الكافية
البديعية: ٧٥، الفوائد المشوق: ٢١٨، البرهان: ٣/٤٥٨، خزانة الأدب، لابن حجة: ١/
١٢٩، الإتيان: ٣/٢٨٥، معترك الأقران: ١/٤١٦، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٨.
(٣) زيادة مني يقتضيها السياق.

(٤) انظر: بديع القرآن: ٣٢، وذكر ابن أبي الإصبع وجهاً آخر في الفرق بينهما وهو:
أن الطباق لا يكون إلا بالجمع بين ضدّين فدّين فقط، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد على
الضدّين من الأربعة إلى العشرة.

وانظر وجهي الفرق بين الطباق والمقابلة أيضاً في: تحرير التحبير: ١٧٩، الفوائد
المشوق: ٢١٩ - ٢٢٠، البرهان: ٣/٤٥٨، خزانة الأدب، لابن حجة: ١/١٢٩، مفتاح
السعادة: ٢/٣٤٨.

قال السكاكي: ومن خواص المقابلة أنه إذا شرط في الأول أمر شرط في الثاني ضده^(١)، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾... ﴿٢﴾﴾ الآيات، قابل بين الإعطاء والبخل، والاتقاء والاستغناء، والتصديق والتكذيب، والعسر واليسر، ولما جعل التيسير في الأول مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء، والتصديق جعل ضده - وهو التعسير - مشتركاً بين أضدادها^(٣).

وقال بعضهم: المقابلة إما لواحد بواحد وذلك قليل جداً^(٤)، كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. أو اثنين باثنين، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [التوبة: ٨٢]^(٥)، أو ثلاثة بثلاثة، كقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]^(٦)، ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] أو [١٧٤/ح]

(١) مفتاح العلوم: ٢٠٠. وانظر ذلك أيضاً في: نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٨٦، حيث قال بعد تعريفه للمقابلة: «... ثم إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط». وكذلك انظر: التبيان، للطبي: ٣٤٦، الفوائد المشوق: ٢١٨.

(٢) في الأصل وفي (ح): «الآيتين» والصواب ما أثبت لاقضاء السياق ذلك.

والآيات بتكاملتها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

(٣) انظر: مفتاح العلوم: ٢٠٠، نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٨٦، فإنه قال بعد أن ذكر الآيات: «فلما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق، جعل ضده وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك الأمور، وهو المنع والاستغناء والتكذيب».

وانظر كذلك: الإيضاح: ٤٨٧ - ٤٨٨، التلخيص وشروحه: ٢٩٨/٤ - ٣٠١، خزانة الأدب، لابن حجة: ١٣١/١، معترك الأقران: ٤١٦/١، الإتيان: ٢٨٥/٣.

قلت: في الآيات: [الليل: ٥ - ١٠]: «التقابل بين الجمع ظاهر، إلا بين «اتقى» و«استغنى» وليس المراد بالاستغناء كثرة المال والغنى، بل الاستغناء والزهد فيما عند الله، وهو مقابل للتقوى، فإن الزهد فيما عند الله يستلزم عدم التقوى، فيكون عدم الاتقاء الذي تتم به المقابلة باعتبار لازمه.

(٤) الإتيان: ٢٨٦/٣، معترك الأقران: ٤١٦/١.

(٥) فهذا فيه مقابلتان: الضحك بالبكاء، والقليل بالكثير. انظر: الطراز: ٣٧٩/٢، الإيضاح، للقرظيني: ٤٨٥، البرهان: ٤٦٤/٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ١٣٠/١، الإتيان: ٢٨٦/٣.

(٦) المقابلات الثلاث هي: الأمر بالنهي، والمعروف بالمنكر، وتحليل الطيبات بتحريم الخبائث.

أربعة بأربعة، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى...﴾ [الليل: ٥] الآيات^(١).
 أو خمسة بخمسة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي...﴾ [البقرة: ٢٦]
 الآية وما بعدها^(٢). قابل بين «بعوضة فما فوقها»^(٣) وبين «فأما الذين آمنوا»
 و«أما الذين كفروا»، وبين «يضل» و«يهدي»، وبين «ينقضون» و«ميثاقه»، وبين
 «يقطعون» و«أن يوصل»^(٤).

أو ستة بستة، كقوله تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ...﴾ [آل عمران: ١٤]
 الآية، ثم قال: ﴿قُلْ أُوْتِيْتُكُمْ...﴾ [آل عمران: ١٥] الآية. قابل الجنات،
 والأنهار، والخلد، والأزواج، والتطهير، والرضوان، [إزاء]^(٥) النساء،
 والبنين، والذهب، والفضة، والخيال المسومة، والأنعام، والحرث^(٦).
 وقسم آخر المقابلة إلى ثلاثة أنواع: نظيري، ونقيضي، وخلافي^(٧).

مثال الأول: مقابلة السنة بالنوم في الآية الأولى^(٨)، فإنهما جميعاً من باب
 الرقاد المقابل باليقظة. في قوله تعالى: ﴿وَتَحَسَّبَهُمْ أَيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف:
 ١٨]، وهذا مثال الثاني^(٩)؛ فإنهما نقيضان^(١٠).

ومثال^(١١) الثالث: مقابلة الشر بالرشد. في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ
 أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فإنهما خلافيان^(١٢)

(١) في الأصل وفي (ح): «الآيتين» والأولى ما أثبت لمناسبة السياق له.

انظر: الإيضاح، للقرظيني: ٤٨٦، البرهان: ٤٦٤/٣، خزانة الأدب، لابن حجة: ١/

١٣١.

(٢) في الأصل وفي (ح): «الآيات» والأنسب ما أثبت.

(٣) للدلالة على الحقير والكبير، وهو من المقابلة الخفية، وهو الأول في الآية من

الخمسة.

(٤) انظر: البرهان: ٤٦٤/٣، الإتيان: ٢٨٦/٣، معترك الأقران: ٤١٦/١.

(٥) في الأصل وفي (ح): «بين» والأولى ما أثبت لمناسبة السياق له.

(٦) الإتيان: ٢٨٦/٣، معترك الأقران: ٤١٧/١، وانظر: البرهان: ٤٦٤/٣ - ٤٦٥.

(٧) انظر: البرهان: ٤٥٨/٣، الإتيان: ٢٨٦/٣، معترك الأقران: ٤١٧/١.

(٨) وهي قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٩) وهو النقيضي.

(١٠) انظر: البرهان: ٤٥٩/٣، الإتيان: ٢٨٦/٣، معترك الأقران: ٤١٧/١.

(١١) في الأصل وفي (ح): «ويقال» والصواب ما أثبت لمناسبة المقام.

(١٢) في الأصل وفي (ح): «خلافيان» والأولى ما أثبت.

مراعاة النظير^(٢) :

ويسمى التناسب والتوفيق^(٣)، وهو جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد^(٤)، نحو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، فجمع بين الشمس والقمر لأجل المناسبة^(٥).

قال في تلخيص المفتاح: ومنها ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف، وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى^(٦)، نحو: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال شارحه السعد في مطوله: فإن اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالآبصار والخبير يناسب كونه مدركاً للأشياء؛ لأن المدرك للشيء يكون خبيراً به^(٧).

قال^(٨): وقد يكون خفياً كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَا تُؤْهِمُ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فإن قوله: «إن تغفر لهم»، يوهم أن الفاصلة «الغفور الرحيم»، لكن يعرف^(٩) بعد التأمل، إن الواجب هو: «العزیز الحكيم»؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق [العذاب]^(١٠) إلا من ليس فوقه

(١) انظر: المراجع السابقة.

(٢) هذا النوع من أنواع البديع غير موجود في نسخة (ح).

(٣) والاتلاف والتلفيق أيضاً. انظر: شروح التلخيص: ٣٠١/٤، المطول: ٤٢٠.

(٤) تلخيص المفتاح، للقرظيني: ٣٥٤. وانظر: شروح التلخيص: ٣٠١/٤، الإيضاح:

٤٨٨، نهاية الإيجاز، للرازي: ٢٩١، مفتاح العلوم: ٢٠٠، التبيان، للطبيي: ٣٤٩، شرح

الكافية البديعية: ٢١٨، خزانة الأدب، لابن حجة: ٢٩٣/١.

(٥) انظر: شروح التلخيص: ٣٠٢/٤، شرح الكافية البديعية: ١٢٨.

(٦) تلخيص المفتاح: ٣٥٤. وانظر: الإيضاح: ٤٩٠، شروح التلخيص: ٣٠٣/٤.

(٧) المطول على التلخيص: ٤٢٠.

وانظر: مختصر السعد، ضمن، شروح التلخيص: ٣٠٤/٤، الإيضاح: ٤٩٠، بديع

القرآن: ١٤٦، ذكر ذلك في باب المناسبة. وقال: في هذه الآية اثنا عشر ضرباً من البديع

ثم تحدث عنها بعد ذلك. انظر: ١٤٧. وانظر: التبيان، للطبيي: ٣٥٤.

(٨) أي: السعد التفتازاني.

(٩) في الأصل: «حذف» وصوبته من المطول: ٤٢٠.

(١٠) ساقط من الأصل وأثبتته من المطول: ٤٢٠.

أحد يرد عليه حكمه. فهو^(١) «العزیز»، أي الغالب ممن أعز بعزه، ثم وجب أن یوصف بالحکیم علی سبیل الاحتراس، لثلا یتوهم أنه خارج عن الحکمة، إذا الحکیم من یضع الشیء فی محله، أي «إن تغفر لهم» مع استحقاقهم العذاب فلا اعتراض لأحد فی ذلك، والحکمة فیما فعلت^(٢)، انتهى.

ویلحق بمراعاة النظیر أن یذكر لفظ له معنی، ویذكر إلى جانبه لفظ غیر مناسب فی المعنی فی ذلك المقام - وإن كان مناسب فی كثير من المقامات^(٣) - كقوله تعالی: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ یَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، بعد قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، فإن (النجم) فی الآیة: هو ما لا ساق له من النبات، وهو غیر مناسب للشمس والقمر؛ لكن لما كان النجم أكثر أطلق علی الكوكب المضيء، كان له مناسبة، بذکره بعد الشمس والقمر^(٤). قال فی المطول: ولهذا یسمى: إیهام المناسبة^(٥).

المواربة:

براء مهملة وباء موحدة، أن یقول المتكلم قولاً یتضمن ما ینكر علیه، فإذا حصل الإنكار استحضر بحذقه وجهاً من الوجوه یتخلص به، إما بتحریر كلمة، أو تصحیفها، أو زیادة، أو نقص^(٦).

(١) فی الأصل: «وهو» والأولی ما أثبت.

(٢) المطول: ٤٢٠ - ٤٢١. وانظر: الإيضاح، للقزويني: ٤٩٠، مواهب الفتاح، لابن یعقوب، عروس الأفراح، للسبكي، ضمن، شروح التلخیص: ٣٠٤/٤ - ٣٠٥، التبیان، للطیبي: ٣٥٤.

(٣) انظر: التلخیص: ٣٥٤، الإيضاح: ٤٩١، المطول: ٤٢١، مختصر السعد، ومواهب الفتاح - ضمن - شروح التلخیص: ٣٠٤/٤ - ٣٠٥.

(٤) انظر: التلخیص وشروحه: ٣٠٤/٤ - ٣٠٥، المطول: ٤٢١.

(٥) المطول: ٤٢١، وفيه: ولهذا یسمى إیهام التناسب.

وانظر: التلخیص: ٣٥٥، الإيضاح: ٤٩١، حیث قال القزويني فیهما بعد أن ذکر الآيتين: «ویسمى إیهام التناسب».

(٦) شرح الكافية البديعية: ٨٣، الإیتقان: ٢٨٧/٣، معترك الأقران: ٤١٧/١.

وانظر: بديع القرآن: ٩٤، لابن أبي الإصبع، فقد قال فی تعريفها: وهي أن یقول المتكلم قولاً یتضمن ما ینكر علیه فی سببه، فیعد ما یتخلص به من ذلك الإنكار؛ إن فطن بنفسه له من غیر منبه علیه من خارج، أو یرتجل التلخیص إن جبة بالرد. وانظر: تحریر التحبير: ٢٤٩ =

قال ابن أبي الإصبع: ومنه قوله تعالى: حكاية عن أكبر أولاد يعقوب، ﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ أُنْتَك سَرَقٌ﴾ [يوسف: ٨١]، فإنه قرئ: «إن ابنك سرق»^(١)، ولم يسرق، فأتى بالكلام على الصحة، بإبدال ضمة من فتحة، وتشديد [في الراء]^(٢) وكسرتها^(٣).

المراجعة:

قال ابن أبي الإصبع: هي أن يحكى^(٤) المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين محاور [له]^(٥) بأوجز عبارة وأعدل سبك، وأعذب ألفاظ^(٦)؛ ومنه قوله

= وانظر كذلك: خزانة الأدب، لابن حجة: ٢٤٩/١، حيث قال: المواردية: براء مهملة وباء موحدة، وهي مشتقة من الأرب وهي الحاجة، ثم قال: لكن ذكر ابن أبي الإصبع: أنها مشتقة من ورب العرق - بفتح الواو والراء - إذا فسد، فهو ورب بكسر الراء. كأن المتكلم أفسد مفهوم ظاهر الكلام بما أبداه من تأويل باطنه. ثم عرّفها بمثل ما عرّفها به ابن أبي الإصبع.

(١) انظر: إعراب القرآن: ٣٤١/٢، للنحاس، وفيه قال: وقد روى هذا الحرف غير واحد، منهم محمد بن سعدان النحوي في كتابه: كتاب القراءات وهو ثقة مأمون، وذكر أنها قراءة ابن عباس.

ونسب القرطبي هذه القراءة إلى ابن عباس، والضحاك، وأبو رزين. انظر: تفسير القرطبي: ٢٤٤/٩.

وقال الزجاج: وقرئ: «سرق»، وهو يحتمل معنيين: «سرق» علم أنه سرق، و«سرق»: اتهم بالسرق. انظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٢٥/٣. قال الفراء: «ويقرأ: «سرق»، ولا أشتهيها لأنها شاذة. معاني القرآن: ٥٣/٢.

(٢) ما بين المعقوفين من (ح).

(٣) انظر ذلك في: بديع القرآن: ٩٥. وقد نقله عنه السيوطي في الإتقان: ٢٨٧/٣، معترك الأقران: ٤١٨/١. وطاش زاده في مفتاح السعادة: ٣٤٨/٢.

(٤) في الأصل وفي (ح): «يمكن» وصوبته من بديع القرآن: ٣٠٠.

(٥) ساقط من الأصل ومن (ح) وأثبتته من المرجع السابق.

(٦) بديع القرآن: ٣٠٠، تحرير التحبير: ٥٩٠، المصباح: ١٢١. وانظر كذلك: نهاية الإيجاز: ٢٩٤، وسماء: السؤال والجواب.

قال الطيبي: وتسمى السؤال والجواب، وهي ضربان: أحدهما: أن تكون بين اثنين، وثانيهما: أن يحكى محاوره جرت بين اثنين. التبيان: ٣٢٤ - ٣٢٦.

وانظر كذلك: الفوائد المشوق: ٢٥٢، شرح الكافية البديعية: ٩٩. خزانة الأدب: ١/ ٢١٨، حيث قال: «المراجعة ليس نحتها كبير أمر، ولو فوض إلي حكم في البديع =

تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، جمعت هذه القطعة - وهي بعض آية - ثلاث مراجعات فيها معاني الكلام، من الخبر والاستخبار، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، بالمنطوق والمفهوم^(١). قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - قلت: أحسن من هذا أن يقال: جمعت الخبر والطلب، والإثبات والنفي، والتأكيد والحذف، والبشارة والنذارة والوعد والوعيد^(٢).

النزاهة:

هي خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش حتى يكون - كما قال أبو عمرو بن العلاء - وقد سئل عن أحسن الهجاء: هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها^(٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور: ٤٨]، ثم قال: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا يَكُونَ مِنْكُمْ الْفَالِغُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٥٠]، فإن ألفاظ ذم هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر أتت منزهة عما يقبح في الهجاء من الفحش، وسائر هجاء القرآن كذلك^(٤).

= ما نظمتها في أسلاك أنواعه»، ثم قال: «وذكر ابن أبي الإصبع أنها من اختراعاته، وعجبت من مثله كيف قربها إلى الذي استنبطه من الأنواع البديعة الغربية، كالتحكم، والافتنان...» إلى أن قال: «ومنهم من سمى هذا النوع السؤال والجواب».

(١) انظر: بديع القرآن: ٣٠١ - ٣٠٢.

(٢) الإفتان: ٢٨٧/٣، معترك الأقران: ٤١٨/١.

(٣) انظر: قول أبي عمرو بن العلاء في العمدة: ١٧٠/٢. ومنها قول جرير:

لو أن تغلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا
وقوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
انظر: ديوانه: ٧٥، ٤٥٣.

وانظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ٢٩٢. وانظر: تحرير التخبير: ٥٨٤، شرح الكافية البديعية: ٩١. وانظر أيضاً: خزنة الأدب، لابن حجة: ١/١٧٢، الإفتان: ٣/٢٨٨، معترك الأقران: ٤١٨/١، مفتاح السعادة: ٣٤٩/٢.

(٤) انظر: بديع القرآن: ٢٩٣، خزنة الأدب: ١/١٧٢، الإفتان: ٣/٢٨٨، معترك الأقران: ٤١٨/١ - ٤١٩، مفتاح السعادة: ٣٤٩/٢.

الإبداع:

[٢٧٨ب/هـ]

بالباء الموحدة أن يشتمل الكلام/ على عدة ضروب من البديع^(١). قال ابن أبي الإصبع: ولم أر في الكلام مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَكْسِمَاءُ أَقْلَعِي﴾ [هود: ٤٤]، فإن فيها عشرين^(٢) ضرباً من البديع، وهي سبع عشرة لفظة. و[تفصيل]^(٣) ذلك:

[١] «المناسبة» التامة في «ابلعي» و«أقلعي».

[٢] و«الاستعارة» فيهما^(٤).

[٣] و«الطباق» بين «السماء» و«الأرض».

[٤] و«المجاز» في قوله: «ويا سماء أقلعي» فإن الحقيقة يا مطر السماء^(٥).

[٥] و«الإشارة»^(٦) في «وغيض الماء»، فإنه عبر به عن معان كثيرة؛ لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء، وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء، فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء^(٧).

[٦] و«الإرداف»^(٨) في «واستوت».

(١) انظر: بديع القرآن، لابن أبي الإصبع: ٣٤٠، فإنه قال: «الإبداع هو أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنة بديعاً أو بديعين بحسب قوة الكلام وما يعطيه معناه، بحيث يأتي في البيت الواحد، والجملة الواحدة عدة ضروب من البديع، ولا تخلو لفظة منه من بديع». وانظر تعريفه أيضاً في: تحرير التحبير: ٦١١، شرح الكافية البديعية: ٢٩٢. وانظر: خزانة الأدب، لابن حجة: ٢/٢٩١، الإتيقان: ٣/٢٨٨، معترك الأقران: ٤١٩/١، مفتاح السعادة: ٢/٣٤٩.

(٢) في بديع القرآن: ٣٤٠ «واحد وعشرون».

(٣) زيادة مني يقتضيها المقام.

(٤) أي: في قوله: «ابلعي» و«أقلعي».

(٥) انظر ذلك في: بديع القرآن: ٣٤٠، تحرير التحبير: ٦١١. وانظر أيضاً: شرح الكافية البديعية: ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٦) و«الإشارة» هي: أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معان كثيرة بإيماء إليها، ولمحة تدل عليها. الصناعتين: ٣٤٨.

وانظر: العمدة: ١/٣٠٢، البديع لابن منقذ: ١٤٨، بديع القرآن: ٨٢، تحرير التحبير: ٢٠٠، الفوائد المشوق: ٢٥٢، شرح الكافية البديعية: ١٦٠.

(٧) بديع القرآن: ٣٤٠.

(٨) والإرداف عند علماء البيان هو الكناية، ولكن علماء البديع أفردوه عنها. والمراد به =

- [٧] و«التمثيل»^(١) في «وقضي الأمر» .
- [٨] و«التعليل»، فإن «غيض الماء» علة الاستواء .
- [٩] و«صحة التقسيم»؛ فإن استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه؛ إذ ليس إلا احتباس ماء السماء والماء النابع من الأرض، وغيض الماء الذي على ظهرها^(٢) .
- [١٠] و«الاحتراس» في الدعاء^(٣)؛ لثلاث يتوهم أن الغرق - لعمومه - شمل من لا يستحق الهلاك، فإن عدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق^(٤) .
- [١١] و«حسن النسق» .
- [١٢] و«ائتلاف اللفظ مع المعنى» .
- [١٣] و«الإيجاز»^(٥)؛ فإنه تعالى قص القصة مستوعبة بأخصر عبارة .
- [١٤] و«التسهيم»: لأن أول الآية يدل على آخرها^(٦) .
- [١٥] و«التهديب»^(٧)؛ لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن، كل لفظة

= هنا: هو أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه» .

نقد الشعر: ١٥٧، بديع القرآن: ٨٣، تحرير التحبير: ٢٠٧، شرح الكافية البديعية: ١٩٩، خزانة الأدب، لابن حجة: ٣٠٩/٢ .

(١) التمثيل: مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وعرفه بقوله: «هو أن يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ قريب من لفظه، وإنما يأتي بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف، يصلح أن يكون مثلاً للفظ المعنى المذكور» .

نقد الشعر: ١٥٩، بديع القرآن: ٨٥، تحرير التحبير: ٢١٤، خزانة الأدب، لابن حجة: ٢٩٩/١ .

(٢) بديع القرآن: ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٣) والدعاء هو قوله تعالى: ﴿... وَقِيلَ بَعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] .

(٤) بديع القرآن: ٣٤١ .

(٥) سبق بحثه في النوع الثامن عشر بعد المائة .

(٦) المرجع السابق .

(٧) وهو أن يكون الكلام عذب المساق، حسن الاتساق، قريباً من فهم السامع، عذب المساق في اللهوات والمسامع، يدخل الأذن بغير إذن، ويتصور معناه في العقل بدقيق التدبير ولطيف التفكير . وفي الجملة هو تجنب عيوب النظم . انظر: بديع القرآن: ١٥٨، تحرير التحبير: ٤٠١، شرح الكافية البديعية: ٢٥٩، الفوائد المشوق: ٣٣٠، خزانة الأدب، لابن حجة: ٣١/٢ .

سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب^(١).

[١٦] و«حسن البيان»^(٢)، من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه^(٣).

[١٧] و«التمكين»^(٤)؛ لأن الفاصلة مستقرة في محلها، مطمئنة في مكانها، غير قلقة ولا مستدعاة^(٥).

[١٨] و«الانسجام»^(٦).

هذا ما ذكره ابن أبي الإصبع^(٧).

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله - قلت: وفيها أيضاً:

[١٩] «الاعتراض». انتهى^(٨).

(١) بديع القرآن: ٣٤٢.

(٢) وهو عبارة عن الإبانة عما في النفس، بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس.

بديع القرآن: ٢٠٣، تحرير التحبير: ٤٨٩، شرح الكافية البديعية: ٣٠٩، خزنة الأدب، لابن حجة: ٤٨٢/٢.

(٣) بديع القرآن: ٣٤٢.

(٤) وسماء قدامة بن جعفر ومن تابعه: «اتئلاف القافية مع ما يدل على سائر البيت.

انظر: نقد الشعر: ١٦٧، شرح الكافية البديعية: ٢٦٧، وسماء من بعده: التمكين.

وهو: أن تكون الفاصلة - في النثر - والقافية في الشعر متمكنة في موضوعها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضوعها، غير نائرة ولا قلقة، والاستدعاء مما ليس له تعلق بما تقدم من سائر الكلام.

انظر: بديع القرآن: ٨٩، شرح الكافية البديعية: ٢٦٧، خزنة الأدب، لابن حجة: ٢/

٤٤٦.

(٥) بديع القرآن: ٣٤٢.

(٦) وهو تحدر الكلام بسهولة وعذوبة سبك، مع جزالة لفظ، كما ينسجم الماء القليل

من الهواء، وهذا واضح في جميع ألفاظ الآية الكريمة.

(٧) في كتابه بديع القرآن: ٣٤٠ - ٣٤٢.

(٨) الإبتقان: ٢٨٩/٣، معترك الأقران: ١/٢٠.

قلت: قد بقي ثلاثة أنواع مما ذكره ابن أبي الإصبع مما في الآية السابقة من بديع،

وهذه الأنواع هي:

[٢٠] «الانفصال»، فإن لقائل أن يقول: إن لفظة القوم مستغنى عنها، فإنه لو قيل:

«وقيل بعداً للظالمين» لثم الكلام، والانفصال عن ذلك أن يقال: لما سبق في صدر الكلام =

= قبل الآية قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَا مَرْ عَلَى مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ...﴾ [هود: ٣٨]، وقال سبحانه قبل ذلك مخاطباً لنوح عليه السلام: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧] فافتضت البلاغة أن يؤتى بلفظة «القوم» التي آلة التعريف فيها للعهد، ليتبين أنهم القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَا مَرْ عَلَى مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ...﴾، ووصفهم بالظلم، وأخبر بسابق علمه أنهم هالكون بقوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ فحصل الانفصال عن الإشكال، وعلم أن لفظة «القوم» ليست فضلة في الكلام.

بديع القرآن: ٣٤١ - ٣٤٢.

[٢١] و«المساواة»، لأن لفظ الآية لا يزيد على معناه، ولا ينقص عنه.

[٢٢] و«الإبداع» وهو واقع في مجموع ألفاظ الآية الكريمة، إذ في كل لفظة في الآية بديع أو بديعان، لأنها - كما تقدم - سبع عشرة لفظة، تضمنت أحداً وعشرين ضرباً من البلاغة - سوى ما يتعدد من ضربوها - فإن الاستعارة - مثلاً - وقعت فيها في موضعين وهما: استعارة الابتلاع، والإقلاع في «أبلعي» و«أقلعي». وأمثال ذلك مما يستنبط بقوة النظر والاستقراء، ويعرفه الناقد البصير.

انظر: بديع القرآن: ٣٤٢ - ٣٤٣.



النوع العشرون بعد المائة

علم فواتح السور



النوع العشرون بعد المائة

علم فواتح السور^(١)

أفرده بالتصنيف^(٢) ابن أبي الأصبع في كتاب سماه «الخواطر السوانح في أسرار الفواتح»^(٣).

قال الحافظ السيوطي^(٤) - رحمه الله تعالى -: وأنا ألخص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره.

اعلم أن الله افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها:

الأول: الثناء^(٥) عليه - [سبحانه]^(٦) وتعالى -. والثناء قسمان: إثبات لصفاح المدح: ونفي وتنزيه من صفات النقص، فالأول: التحميد^(٧) في خمس

(١) هذا النوع منقول عن الإتيان: ٣١٦/٣ بعنوان: النوع الستون في فواتح السور، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، بدون التاريخ. واعتمد على هذا الكتاب في الإحالة، ونقله السيوطي عن البرهان للزركشي: ١٦٤/١، ومن هنا بداية النقل عن الإتيان.

(٢) في الإتيان: ٣١٦/٣: «أفردها بالتأليف».

(٣) وهو مطبوع بمصر سنة (١٩٦٠م) بتحقيق الدكتور حفني شرف.

(٤) قول المؤلف: «قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - يوهم أن ما قبله من كلام المؤلف، وهو ليس كذلك بل هو من كلام السيوطي أيضاً».

(٥) الثناء هو: ما اتصف به الإنسان من مدح. قال الجوهري: وأثنى عليه خيراً، والاسم الثناء.

انظر: الصحاح للجوهري مادة: (ثني): ٢٢٩٦/٦، والرائد لجبران مسعود: ٤٨٩.

(٦) ما بين القوسين ساقط من الإتيان: ٣١٦/٣.

(٧) والتحميد: تفعيل الحمد وهو نقيض الذم. فحمد الله الثناء عليه ويكون شكراً لنعمه التي شملت الكل، والحمد أعم من الشكر. قال الأزهرى: التحميد كثرة حمد الله سبحانه بالمحامد الحسنة، والتحميد أبلغ من الحمد.

اللسان لابن منظور، مادة: (حمد): ١٥٥/٣، ١٥٦.

سور^(١)، وتبارك^(٢) في سورتين^(٣) والثاني: التسبيح^(٤) في سبع صور^(٥).

قال الْكِرْمَانِي^(٦) في متشابه القرآن^(٧): التسبيح كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل^(٨)؛ لأنه الأصل، ثم بالماضي في (الحديد)^(٩) و(الحشر)^(١٠) و(الصف)^{(١١)(١٢)}؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمضارع في (الجمعة)^(١٣).....

(١) وهي: (الفاتحة)، و(الأنعام)، و(الكهف)، و(سبأ)، و(فاطر).

(٢) وفي اللسان، مادة: (برك): ٣٩٦/١٠: «وتبارك الله: تقدس وتنزه وتعالى وتعظيم». وقال الليث في تفسير تبارك الله: تمجيد وتعظيم.
(٣) وهما الفرقان، والملك.

(٤) هو تنزيه الله تعالى، وأصله: المر السريع في عبادة الله تعالى، وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشر. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: ٢٢١.

(٥) وهي: (الإسراء)، و(الحديد)، و(الحشر)، و(الصف)، و(الجمعة)، و(التغابن)، و(الأعلى).

(٦) هو: محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم الكرمانى النحوي المعروف بتاج القراء، صاحب التصانيف منها: «البرهان في متشابه القرآن»، توفي بعد المائة الخامسة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ٢/٢٩١، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/٣١٢، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: ٣٨٧.

والكرمانى: بكسر الكاف وقيل: بفتحها وسكون الراء وفتح الميم وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى ولاية كبيرة تشتمل على عدة بلدان، منها: الشيرجان وجبرفت وغيرهما. اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري: ٣/٩٣.

(٧) عنوان الكتاب الكامل: «البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» لبرهان الدين أبو القاسم الكرمانى وهو مخطوط بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم (٨٨١٨) التفسير وعلوم القرآن وقد حققه الدكتور ناصر العمرى رسالته العلمية المقدمة لتبيل درجة الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم القرآن وعلومه سنة (١٣٩٩هـ).

(٨) أي سورة الإسراء، وذلك في قوله تعالى ﴿سُبْحٰنَ الَّذِىْٓ اَسْرٰى...﴾ [١].

(٩) وذلك قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ...﴾ [١].

(١٠) وذلك قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ...﴾ [١].

(١١) كلمة «الصف» ساقطة من الإتيان: ٣/٣١٦.

(١٢) وذلك قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ...﴾ [١].

(١٣) وذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ...﴾ [١].

و(التغابن)^(١)^(٢)، ثم بالأمر في الأعلى^(٣)؛ استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها^(٤).

الثاني: حروف التهجي في تسع وعشرين سورة^(٥)، وقد مضى الكلام عليها مستوعباً في نوع المتشابه^(٦).

الثالث: النداء^(٧) في عشر سور: خمس بندااء الرسول ﷺ: (الأحزاب)^(٨)، و(الطلاق)^(٩)، و(التحریم)^(١٠)، و(المزمل)^(١١)، و(المدثر)^(١٢). وخمس بندااء

(١) كلمة «التغابن» ساقطة من (ج).

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [١].

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [١].

(٤) انتهى كلام الكرمانى في البرهان في متشابه القرآن مخطوط: ٧١، ورسالة الماجستير للدكتور ناصر العمر: ٤٥١ باختلاف يسير.

(٥) وهي: ١ - البقرة، ٢ - آل عمران، ٣ - الأعراف، ٤ - يونس، ٥ - هود، ٦ - يوسف، ٧ - الرعد، ٨ - إبراهيم، ٩ - الحجر، ١٠ - مريم، ١١ - طه، ١٢ - الشعراء، ١٣ - النمل، ١٤ - القصص، ١٥ - العنكبوت، ١٦ - الروم، ١٧ - لقمان، ١٨ - السجدة، ١٩ - يس، ٢٠ - ص، ٢١ - غافر، ٢٢ - فصلت، ٢٣ - الشورى، ٢٤ - الزخرف، ٢٥ - الدخان، ٢٦ - الجاثية، ٢٧ - الأحقاف، ٢٨ - ق، ٢٩ - القلم.

(٦) انظر: الإتيان، النوع الثالث والأربعين في المحكم والمتشابه: ٣/٣ وما بعدها. وخلاصته: أنها من المتشابه التي لا يعلمها إلا الله تعالى. وهذا القول أسلم الأقوال التي وردت في السور المبدوءة بحروف التهجي.

وانظر: النسخة المخطوطة من هذا الكتاب النوع (٩٦): ١٢٨ ب من نسخة حكيم أوغلي.

(٧) معناه رفع الصوت، وفي اصطلاح النحاة هو الدعاء بأحد حروف النداء الثمانية. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لأبي محمد عبد الله بن هاشم المصري: ٣/٤.

(٨) قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْقِ اللَّهُ وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [١].

(٩) قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِإِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [١].

(١٠) قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ رَبِّكَ وَأَنَّ اللَّهَ وَفَى رَجِيمٌ﴾ [١].

(١١) قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [١].

(١٢) قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [١].

الأمه: (النساء)^(١)، و(المائدة)^(٢)، و(الحج)^(٣)، و(الحجرات)^(٤)، و(المتحنة)^(٥).

الرابع: الجمل الخبرية^(٦)، نحو^(٧): ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال]، ﴿بِرَأۡةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة]، ﴿أَفَلَا أَمُرُ اللَّهَ﴾ [النحل]، ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون]، ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ [النور]، ﴿تَزِيلُ الْكِتَابِ﴾^(٨) [الزمر]، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [محمد]، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ [الفتح]، ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر]، ﴿الْحَيِّرِ﴾ [عَلَّمَ الْقُرْءَانَ] [الرحمن]، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ [المجادلة]، ﴿الْمَعَاذَةَ﴾ [الحاقة]، ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ [المعارج]، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [نوح]، ﴿لَا أَقِيمُ﴾ في موضعين [القيامة، والبلد]^(٩)، ﴿عَبَسَ﴾ [عبس]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [القدر]، ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ [البينة]، ﴿الْقَارِعَةَ﴾ [القارعة]، ﴿الْهَنَكُمْ﴾ [التكاثر]، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ [الكوثر]: فتلك ثلاث وعشرون سورة.

الخامس: القسم^(١٠) في خمس عشرة سورة^(١١): سورة أقسم فيها

- (١) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُوًا رَّبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.
- (٢) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْفَعِ إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَيْكُمْ عَدُوٌّ حِيْلِ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.
- (٣) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُوًا رَّبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.
- (٤) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.
- (٥) قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِ وَابْتِعَلَّةَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

(٦) هي التي تدل على شيء وقع.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبتته من الإتيان: ٣/٣١٦.

(٨) ساقطة من (هـ) و(ح) والصواب ما أثبتته، كما في الإتيان: ٣/٣١٧. وهي سورة

الزمر.

(٩) ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة]. ﴿لَا أَقِيمُ يَهْدَا أَبْكَرُ﴾ [البلد].

(١٠) هو: اليمين، وجمعه أقسام.

انظر: اللسان، مادة: (قسم): ٤٨١/١٢، والقاموس المحيط لفيروزآبادي، مادة:

(قسم): ٤/١٦٦.

(١١) في (هـ) و(ح) عشر سور، والصواب ما أثبتته كما في الإتيان: ٣/٣١٧.

بالملائكة، وهي: (والصافات). وسورتان بالأفلاك: (البروج) (والطارق). وست سور بلوازمها: فد(النجم) قسم بالثريا^(١)، (والفجر) بمبدأ النهار، [والشمس) بأية^(٢) النهار]^(٣)، (والليل) بشرط الزمان، (والضحى) بشرط النهار، (والعصر) بالشطر الآخر، أو بجملة الزمان. وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر: (والذاريات)^(٤) (والمرسلات)^(٥). وسورة بالتربة التي هي منها أيضاً^(٦)، وهي: (الطور). وسورة بالنبات: (والتين)، وسورة بالحيوان الناطق وهي: (والنازعات)^(٧)، وسورة بالبهيم^(٨) وهي: (والعاديات)^(٩).

(١) هي من الكواكب، سميت بذلك لغزارة نوثها، وقيل: لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها فكانها كثيرة العدد.

انظر: اللسان، مادة: (ثري): ١١٢/١٤، وهي ساقطة من الإتيان.

(٢) آية النهار تعني علامة النهار، فالآية هنا المقصود بها المعنى اللغوي وهو العلامة.

(٣) ما بين المقوفين ساقط من الإتيان: ٣١٧/٣.

(٤) الذاريات: هي الرياح.

انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ١١٥/٢٦ تحقيق محمد شاكر، وتخريج أحاديثه لأحمد شاكر، دار المعارف، مصر بدون تاريخ طبع ونشر. وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي: ١١١/٦.

(٥) والمرسلات: هي الرياح، وقيل: الملائكة التي أرسلت بالعرف.

انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري: ١٤٠/٢٩ - ١٤١، وانظر: الدر المنثور للسيوطي: ٣٠٣/٦.

(٦) كلمة «أيضاً» ساقطة من (هـ) و(ح)، والسياق يقتضي إثباتها، كما في الإتيان: ٣/٣١٧.

(٧) الحيوان الناطق معناه: الإنسان.

وفي حاشية الجمل على الجلالين قال صاحب الحاشية: الوجه الخامس في قوله تعالى: ﴿وَأَلْتَرَعَتِ﴾ يعني: حين تنزع في قسيها في الرمي فتبلغ غاية المد وهو قوله تعالى: ﴿غَرَقًا﴾ ﴿وَأَلْتَشِطَّتِ نَشَطًا﴾ أي: السهام في الرمي. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين لسليمان الجمل المعروف بحاشية الجمل: ٤٦٩/٤.

(٨) في (ح): «بالهوام»، وفي الإتيان: ٣١٧/٣: «بالبهيم».

بهم: جمع بهيمة، البهيمة: كل ذات أربع قوائم من دواب البر والماء جمعه: بهم. انظر: اللسان مادة: (بهم): ٥٦/١٢.

(٩) العاديات: هي الخيل. انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن لابن جرير الطبري، تفسير ابن جرير الطبري: ١٧٦/٣٠، والدر المنثور للسيوطي: ٣٨٦/٦.

السادس: الشرط^(١) في سبع سور^(٢): (الواقعة)^(٣)، و(المنافقون)^(٤)، و(التكوير)^(٥)، و(الانفطار)^(٦)، و(الانشقاق)^(٧)، و(الزلزلة)^(٨)، و(النصر)^(٩).

السابع: الأمر في ست سور: ﴿قُلْ أُوْحِي﴾ [الجن]، ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق]، ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ [الكافرون]، ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص]، و(المعوذتين)^(١٠).

الثامن: الاستفهام [في ست سور]^(١١): ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾ [الإنسان]^(١٢)، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾﴾ [النبأ]، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾ [الغاشية]، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح]، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [الفيل]، ﴿أَرَأَيْتَ﴾ [الماعون]،

التاسع: الدعاء في ثلاث: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ [المطففين]، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ [الهمزة]، ﴿تَبَّتْ﴾ [المسد]،

العاشر: التعليل^(١٣) في ﴿لَا يَلْبِثُ قُرَيْشٌ ﴿١﴾﴾ [قريش].

(١) هو: ما يوضع ليلتزم في بيع أو نحوه، وعند النحاة: ترتيب أمر على أمر آخر بأداة - وهو المراد هنا - وأدوات الشرط: الألفاظ الدالة على هذا الترتيب مثل: إن، ومَنْ، ومهما. المعجم الوسيط: ٤٨١/١.

(٢) في (ح): «سورة».

(٣) قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾.

(٤) قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَسْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾.

(٥) قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾.

(٦) قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾.

(٧) قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾﴾.

(٨) قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾.

ما بين المعقوفين ساقط من (ه) و(ح)، والصواب ما أثبتته كما في الإتيان: ٣١٧/٣.

(٩) قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾.

(١٠) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ه) و(ح)، وما أثبتته في الإتيان: ٣١٧/٣.

(١٢) ساقط من الإتيان: ٣١٧/٣.

(١٣) هو: تبين علة الشيء. انظر: المعجم الوسيط: ٦٢٩/٢.

هكذا جمع أبو شامة^(١).

قال: وما ذكرناه في (قسم)^(٢) الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الشاء كله خبر إلا ﴿سَجَّ﴾ فإنه في قسم الأمر، و﴿سُبْحَنَ﴾ يحتمل الأمر والخبر. ثم نظم ذلك في بيتين فقال:

أثنى على نفسه سبحانه بثبو ت الحمد والسلب لما استفتح السورا
والأمر شرط النداء والتعليل والقسم الد عا حروف التهجي استفهم الخبرا^{(٣)(٤)}

وقال أهل البيان^(٥): من البلاغة حسن الابتداء؛ وهو أن يُتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض^(٦) عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصح معني، وأوضحه وأخلاه من التعقيد، والتقديم، والتأخير الملبس، أو الذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء، وغير ذلك^(٧).

ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق

(١) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم شهاب الدين أبو القاسم - عرف بأبي شامة من أجل شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر - المقدسي الأصل الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي، وله تصانيف منها: «شرح القصيدة الشاطبية» ولد سنة (٥٩٩هـ)، وتوفي سنة (٦٦٥هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٣٦٣/١، وطبقات القراء لابن الجزري: ٣٦٥/١، وطبقات الشافعية للسبكي: ١٦٥/٨.

(٢) ساقط من الإتيان: ٣١٧/٣.

(٣) لم أهد على مرجع البيتين.

(٤) انتهى كلام الزركشي في البرهان: ١٦٤/١ - ١٨١ بتصرف.

(٥) ذكره السيد علي بن معصوم في كتاب «أنوار الربيع في أنواع البديع»: ٣٤/١.

(٦) في (هـ): «والأعراض»، وما أثبتته من (ح) والإتيان: ٣١٨/٣، كما في أنوار

الربيع: ٣٤/١.

(٧) انتهى الكلام من أنوار الربيع لابن معصوم: ٣٤/١.

الكلام لأجله؛ والعلم الأسن في ذلك سورة (الفتاحة)، التي هي مطلع القرآن، فإنها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي^(١) في «شعب الإيمان»^(٢): أخبرنا أبو القاسم بن حبيب^(٣)، أنبأنا محمد بن صالح بن هانى^(٤)، أنبأنا الحسين بن الفضل^(٥)، حدثنا عفان بن مسلم^(٦)، عن ربيع بن صبيح^(٧)،

(١) هو: أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي الشافعي من أئمة الحديث، وله تصانيف منها: السنن الكبرى وشعب الإيمان، ولد سنة (٣٨٤هـ)، وتوفي سنة (٤٥٨هـ).
انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٣/٣، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١١٣٢/٣، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان: ٣٠٤/١.

النسبة إلى (بيهق)، وهي قرية مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخاً منها. والمشهور بالنسبة إليها الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الفقيه الشافعي.
اللباب لابن الأثير: ٢٠٢/١.

(٢) عنوان الكتاب الكامل: «الجامع لشعب الإيمان» للإمام أحمد بن الحسين البيهقي، وهو مخطوط بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم (٤٨٦١).

(٣) هو: الحسن بن محمد بن حبيب أبو القاسم النيسابوري المفسر، صنف في القراءات والتفسير والآداب، توفي سنة ست وأربعمائة.
انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/١٤٠، وبغية الوعاة للسيوطي: ٢٢٧، والشذرات لابن العماد: ١٨١/٣.

(٤) هو: محمد بن صالح بن هانى أبو جعفر الوراق النيسابوري، توفي سنة أربعين وثلاثمائة.
انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٧٩/٣.

(٥) هو: الحسين بن الفضل بن عمير أبو علي البجلي الكوفي النيسابوري المفسر، وكان من العلماء الكبار العابدين، توفي سنة (٢٨٢هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/١٥٦، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني: ٢/٣٠٧، والشذرات لابن العماد: ١٧٨/٢.

(٦) هو: عفان بن مسلم بن عبد الله أبو عثمان الصفار البصري أحد الأعلام، ثقة متقن متين، توفي سنة (٢٢٠هـ) عشرين ومائتين هجرية. قال ابن حجر عنه: ثقة ثبت.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ١/٣٧٥، وتقريب التهذيب لابن حجر: ٢/٢٥٠، والشذرات: ٤٧/٢.

(٧) هو: الربيع بن صبيح أبو بكر السعدي البصري، أول من صنف بالبصرة، قال أبو حاتم: رجل صالح، وقال أبو زرعة: شيخ صالح صدوق. قال عنه ابن حجر: صدوق سيئ الحفظ، توفي سنة (١٦٠هـ).

عن الحسن^(١)، قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: «التوراة»، و«الإنجيل»، و«الزبور»، و«الفرقان». ثم أودع علوم «التوراة» و«الإنجيل» و«الزبور» و«الفرقان» [في «القرآن»]^(٢)، ثم أودع علوم «القرآن» المفصل، ثم أودع علوم المفصل (فاتحة الكتاب)، فمن علم تفسيرها، كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة^(٣).
وقد وجه ذلك بأن [العلوم]^(٤) التي احتوى عليها القرآن قامت بها الأديان أربعة:

١ - علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة بـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢، ٣]. ومعرفة النبوات، وإليه الإشارة بـ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]. ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة بـ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٤].

٢ - وعلم العبادات، وإليه الإشارة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

٣ - وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية، وإليه الإشارة بـ ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦].

٤ - وعلم القصص: وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون

= انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي: ٤٦٤/٣، وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٢٤٧/٣، وتقريب التهذيب لابن حجر: ٢٤٥/١.

(١) هو: الحسن بن يسار أبو سعيد البصري سيد التابعين، روى عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين. قال أنس بن مالك: سلوا الحسن فإنه حفظ ونسنا. قال العجلي عنه: تابعي ثقة رجل صالح صاحب السنّة، توفي سنة (١١٠هـ).

انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي: ٢٤٥/١، وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٢٦٣/٢.

(٢) ساقط من الإتقان: ٣١٨/٣.

(٣) شعب الإيمان لليهقي، مخطوط: ٣٥٦/٣.

درجة الحديث: إن الحديث ضعيف لأن في إسناده الربيع بن صبيح وهو صدوق سيئ الحفظ، كما قال ابن حجر في تقريب التقريب: ٢٤٥/١.

وانظر: رسالة الماجستير لسعود الدعجان، الشعبة التاسعة عشرة، باب في تعظيم القرآن: ٦٨١/٢، رقم الأثر (٣٨٠).

(٤) كلمة «العلوم» ساقطة من (هـ) و(ج)، وما أثبتته في الإتقان: ٣١٨/٣.

الماضية، ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله، وشقاوة من عصاه،
 وإليه الإشارة بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
 الضَّالِّينَ﴾ (٧) [الفاتحة: ٧]. فبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن؛ وهذا
 هو الغاية في براعة الاستهلال^(١)، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة،
 والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة.

وكذلك أول أول سورة ﴿أَقْرَأُ﴾ [العلق]، فإنها مشتملة على نظير^(٢) ما
 اشتملت عليه الفاتحة؛ من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل من القرآن^(٣)،
 فإن فيها الأمر بالقراءة والبدء فيها باسم الله^(٤)، وفيه الإشارة إلى علم
 الأحكام^(٥)، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات
 وصفة فعل^(٦). وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين. وفيها ما يتعلق بالأخبار
 من قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ (٥) [العلق: ٥]؛ ولهذا قيل إنها جديرة أن
 تسمى عنوان القرآن؛ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في
 أوله^(٧).

(١) في الإتيان: ٣/٣١٨: «في براعة الاستهلاك» وهو تصحيف، والصواب ما أثبتته.

(٢) كلمة «نظير» ساقطة من (هـ) و(ح)، والسياق يقتضي إثباتها، كما في الإتيان: ٣/

٣١٩.

(٣) كما في حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها قالت: أول ما بدئ به
 رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة، فجاهه الملك فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ
 مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③﴾.

صحيح البخاري، كتاب التفاسير، سورة العلق: ٨٧/٦.

(٤) وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾.

(٥) وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ④ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ⑤﴾.

(٦) وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ

الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ⑤ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا ⑥ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلْ ⑦

إِنَّ إِلَهًا لَكَ رَبُّكَ الرَّحْمَنُ ⑧﴾ [العلق: ١ - ٨].

(٧) انتهى كلام السيوطي في الإتيان: ٣/٣١٦ - ٣١٩.

النوع الحادي والعشرون بعد المائة

علم خواتم السور



النوع الحادي والعشرون بعد المائة



علم خواتم السور^(١)

هي أيضاً مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماء، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد؛ لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ووعد ووعيد إلى غير ذلك.

كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة (الفاتحة).

إذ المطلوب الأعلى: الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلal، ففصل جملة ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] والمراد المؤمنون^(٢)، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيد ليتناول كل إنعام؛ لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان، فقد أنعم عليه بكل نعمة؛ لأنها مستتبعة لجميع النعم، ثم وصفهم بقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسيبين عن معاصيه وتعدي حدوده.

(١) هذا النوع أيضاً منقول عن الإتيقان بعنوان: الحادي والستون: في خواتم السور: ٣/٣٢١، والسيوطي نقل عن البرهان للزركشي: ١/١٨٢ وما بعدها.

(٢) تفسير ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالمؤمنين تفسير عام، والأفضل أن تفسر هذه الآية بآية سورة النساء: (٦٩، ٧٠) قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿١١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿١٢﴾.

قال الضحاك عن ابن عباس: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصدّيقين والشهداء والصالحين. وذلك نظير ما قال ربنا تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية.

تفسير ابن جرير الطبري: ١/١٧٦، وتفسير ابن كثير: ١/٥٢.

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة (البقرة) (١).
 وكالوصايا التي ختمت بها سورة (آل عمران) (٢).
 والفرائض (٣) التي ختمت بها سورة (النساء) (٤)، وحسن الختم بها لما فيها
 من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي، ولأنها آخر ما نزل (٥) من
 الأحكام (٦).
 وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به (المائدة) (٧).
 وكالوعد والوعيد الذي ختمت به (الأنعام) (٨).
 [وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به
 (الأعراف) (٩)].

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾ لَا يُكَلِّمُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦].

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

(٣) أي: بعض أحكام الموارث.

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْعَلَةِ إِنْ امْرَأُ هَلَكَ لَيْسَ لَكَ وَلَدٌ وَلَكِنْ أَحْتَّ فَلَهَا يَصِفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ بِرَبِّهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّكْلَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء: ١٧٦].

(٥) في الإتيان: ٣/ ٣٢٠: «أنزل».

(٦) كما في البخاري عن البراء قال: آخر سورة نزلت (براءة)، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب يستفتونك: ١٨٥/٥، وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الفرائض، باب آخر آية نزلت آية الكلاله: ٦١/٥.

(٧) وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا جَهَنَّمَ وَكُلُوا وَشَابِعُوا مِنْ ثَمَرِهَا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْهَا وَلَا تَسْرِبُوا فِيهَا أَنْ يَسْحَبَهَا سَوْسَنًا وَلَا تَلْتَمِسُوا عَنْهَا مَسَافِرًا فَذُقُوا حَرْثَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسْرِبْ فَلَا غُرْبَ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُؤْتِي ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

(٨) وذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَعَكُمْ خَلْقًا مِنْ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَلَوَّكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعٌ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥].

(٩) وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وكالحض على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به (الأنفال)^(١).
 وكوصف الرسول ومدحه، والتهليل الذي ختمت به (براءة)^(٢).
 وتسليته - عليه الصلاة والسلام - الذي ختمت به (يونس)^(٣)، ومثلها خاتمة
 (هود)^(٤).

ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به (يوسف)^(٥).

والرد على من كذب الرسول الذي ختم به (الرعد)^(٦).

ومن أوضح ما آذن بالختم خاتمة (إبراهيم): ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ ...﴾
 الآية^(٧)، ومثلها خاتمة (الأحقاف)^(٨)، وكذا خاتمة (الحجر) بقوله - جلَّ

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَابِرُوا وَجَاهِدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولَئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال: ٧٥].

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) والسياق يقتضي إثباته كما في (ح) وفي الإتيان:
 ٣٢٠ / ٣

وذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
 عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
 تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [براءة (التوبة): ١٢٨، ١٢٩].

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا
 يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٣٨﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ
 حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَارِجِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [يونس: ١٠٨، ١٠٩].

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ
 عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ
 وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾
 [يوسف: ١١١].

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣].

(٧) وتمتها: ﴿وَلْيَسْتَدْرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلْيَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

(٨) وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ
 يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَآ يَلْتَمِتُونَ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَعَلْ بِهَذَا الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾
 [الأحقاف: ٣٥].

شأنه - (١): ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٦)، وهو مفسر بالموت (٢)؛ فإنها في غاية [البراعة] (٣).

وانظر إلى سورة (الزلزلة) كيف بدئت بأحوال القيامة (٤)، وختمت بقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨).

وانظر إلى براءة آخر آية نزلت، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] (٥)، وما فيها من الإشعار بالآخرة المستلزمة بالوفاة. وكذلك آخر سورة نزلت وهي سورة (النصر) (٦)، فيها الإشعار بالوفاة، كما

(١) ساقط من الإتيان: ٣/٣٢١.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَرَبِّكَ مِنَ الْمَصَلِينَ﴾ (٤٣) ﴿وَلَرَبُّكَ نَاعِمٌ لِّلسَّكَينَ﴾ (٤٤) ﴿وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْفَاطِمِينَ﴾ (٤٥) ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الْاِذِينَ﴾ (٤٦) ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ (٤٧) [المدثر: ٤٣ - ٤٧].

ولحديث البخاري: قوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾. قال سالم: الموت. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب واعبد ربك حتى يأتيك اليقين: ٥/٢٢٢.

(٣) كلمة «البراعة» ساقطة من (هـ)، والسياق يقتضي إثباتها كما في (ح) والإتيان: ٣/٣٢١.

(٤) وهو قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (٦١).

(٥) كما في حديث ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: آخر آية نزلت من القرآن على النبي ﷺ آية الربا. كذا ترجم البخاري بقوله: ﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ٥/١٦٤.

وأخرجه الطبري في تفسيره: ٣/٧٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

وهذان الحديثان ليس فيهما تناقض مع حديث البراء رضي الله عنه قال: آخر سورة نزلت (براءة) وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب يستفتونك... ٥/١٨٥، فإنها مقبدة بالمواريث، وهذه الآية إشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول، فقد حكى ابن عبد السلام أن النبي ﷺ عاش بعد نزول الآية واحداً وعشرين يوماً، وقيل: سبعمائة، وقيل: تسعمائة. وعلى هذا فإن هذه الآية: ﴿وَأَنْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ هي آخر آية نزلت كما ذهب إليه المؤلف.

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ٨/٢٠٥. وانظر: تفسير ابن جرير: ٦/٤٠.

(٦) إن المراد بآخرة نزول سورة (النصر) نزولها كاملة، بخلاف سورة (براءة) فالمراد بآخرة نزولها: بعضها، أو معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك أن أول (براءة) نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر. وقد =

أخرج البخاري^(١) من طريق سعيد بن جبير^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عمر رضي الله تعالى عنه - سأله عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر] فقالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا عباس؟ قال: أجل ضرب لمحمد، نعت له نفسه^(٣).

وأخرج أيضاً عنه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر^(٤)، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟! فقال عمر: إنه من حيث قد علمتم. ثم دعاهم ذات يوم فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا^(٥) وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أذكلك

= نزل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [المائدة: ٣]. وهي في (المائدة) سنة عشر. فعلى هذا ليس هنا تعارض بين آخرة سورة (النصر) وآخرة سورة (براءة).

انظر: فتح الباري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [براءة: ١] [٣١٦/٨]، وباب سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾: ٧٣٤/٨. (١) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري، ولد سنة (١٩٤هـ)، وتوفي سنة (٢٥٦هـ).

انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ١٤٤/٢، وفيات الأعيان لابن خلكان: ١٨٨/٤. البخاري: بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة والراء بعد الألف، هذه النسبة إلى البلد المعروف بما وراء النهر يقال له: (بخاري). اللباب لابن الأثير: ١٢٥/١.

(٢) هو: سعيد بن جبير بن هشام أبو عبد الله الكوفي، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وغيرهما، ثقة ثبت فقيه، قتل بين يدي الحجاج سنة (٩٥هـ) وهو ابن (٤٩) سنة. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ١١/٤ وما بعده، وطبقات المفسرين للدودي: ١/١٨١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢]: ٩٣/٦.

نعت: من نعى الميت ينعاه نعيًا إذا أذاع موته وأخبر به. انظر: اللسان مادة: (نعا): ٣٣٤/١٥.

(٤) موضع بين (مكة) و(المدينة) وهي التي كانت بها الواقعة المباركة المشهورة أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل وهي الآن قرية عامرة.

انظر: معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي: ٣٥٧/١.

(٥) في (هـ) و(ج): «إذا جاء نصرنا» والصواب ما أثبتته، كما في الإتيان: ٣٢١/١، وصحيح البخاري: ٩٤/٦.

تقول يا بن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه به، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾ فقال عمر - رضي الله تعالى عنه -: لا أعلم منها إلا ما تقول^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾: ٩٤/٦ وإلى هنا انتهى كلام السوطي: ٣/٣٢٠، ٣٢١.

النوع الثاني والعشرون بعد المائة

علم مناسبات الآيات والسور



النوع الثاني والعشرون بعد المائة

علم مناسبات^(١) الآيات والسور^(٢)

أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر ابن الزبير^(٣) شيخ أبي حيان^(٤) في كتاب

(١) في الإتيان: ٣/٣٢٢: «مناسبة» بالإنفراد.

(٢) هذا النوع أيضاً منقول عن الإتيان: ٣/٣٢٢ - ٣٣٨ بعنوان «النوع الثاني والستون في مناسبة الآيات والسور» ومن هنا بداية النقل.

المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة.

وفي الاصطلاح: علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها إثر بعض. البرهان للزركشي: ٣٥/١.

ثمرتها: الاطلاع على المرتبة العليا التي يستحقها الجزء بما له من ارتباطات سابقة ولاحقة وما تعلق بهما كلحمة النسب. نظم الدرر بتصرف: ٣/١.

من كتب التفسير التي تذكر فيها المناسبات:

- ١ - مفاتيح الغيب لأبي عبد الله الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ).
- ٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة (٦٨٥هـ) وقيل: (٦٩١هـ).
- ٣ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين التيسابوري المتوفى سنة (٧٢٨هـ).
- ٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الألوسي المتوفى (١٢٧٠هـ).

٥ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم لأبي سعود المتوفى (٩٨٢هـ).

بعض المؤلفات في علم المناسبات:

١ - نظم الدرر في تناسب الآية والسور لبرهان الدين البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ) ويعتبر مرجعاً أساسياً في هذا الفن.

٢ - تناسق الدرر في تناسب السور لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ).

٣ - النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز، تحدث فيه عن المناسبة في سورة (البقرة).

(٣) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير أبو جعفر الأندلسي، صاحب «ملاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل»، ولد سنة (٦٢٧هـ)، وتوفى سنة (٧٠٨هـ).

انظر: طبقات القراء لابن الجزري: ٣٢/١، وطبقات المفسرين للداودي: ٢٦/١، والدرر الكامنة لابن حجر: ٨٩/١.

(٤) هو: محمد بن يوسف بن حيان أبو حيان الأندلسي المفسر المؤرخ، صاحب تفسير =

سماه: «البرهان في مناسبة ترتيب سورة القرآن»^(١)، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي^(٢) في كتاب سماه: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور»^(٣).

[قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى -]^(٤) وكتابي الذي صنعه في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات؛ مع تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف، سميته «تناسق الدرر في تناسب السور»^(٥).

وعلم المناسبة علم شريف، قل اعتناء المفسرين به لدقته. وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين^(٦)، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات

= البحر المحيط، ولد سنة (٦٥٤هـ)، وتوفي بالقاهرة سنة (٧٤٥هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/٢٨٦، وبغية الوعاة للسيوطي: ١٢١.

(١) وهو مطبوع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مجلد بتحقيق الدكتور سعيد الفلاح عام (١٤٠٨هـ). وذكره صاحب كشف الظنون: ١/٢٤١ باختلاف يسير في اسم الكتاب ونسبه إلى ابن الزبير.

(٢) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن أبو الحسن برهان الدين البقاعي، توفي سنة (٨٨٥هـ).

انظر: البدر الطالع من بعد القرن السابع للشوكاني: ١٩/١.

والبقاعي: منسوب إلى البقاع من بلاد سوريا، وهي أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق. معجم البلدان: ١/٤٧٠.

(٣) وهو مطبوع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند عام (١٣٨٩هـ).

قال صاحب كشف الظنون: ٢/١٩٦١: «وهو كتاب لم يسبقه إليه أحد، جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير منه العقول...».

(٤) هذا الكلام من زيادة المؤلف، وهو يوهم أن ما قبله من كلامه، وهو ليس كذلك، بل هو من كلام السيوطي.

(٥) وهو مطبوع حققه عبد القادر أحمد عطاء، ولكنه غير عنوان الكتاب إلى «أسرار ترتيب القرآن».

(٦) هو: محمد بن عمر بن حسن أبو عبد الله الإمام فخر الدين الرازي، صاحب تفسر مفاتيح الغيب، ولد سنة (٥٤٣هـ) وقيل: (٥٤٤هـ)، وتوفي سنة (٦٠٦هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٨/٨١ وما بعده، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/٢٤٨، وشذرات الذهب لابن العماد: ٥/٢١.

والروابط^(١).

وقال ابن العربي^(٢) في «سراج المرديدن»^(٣): ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المباني منتظمة المعاني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة (البقرة)، ثم فتح الله ﷻ لنا فيه؛ فلما^(٤) لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه^(٥).

وقال غيره^(٦): أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري^(٧)، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب؛ وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة

(١) هذا الكلام ورد في التفسير الكبير للفخر الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]: [١٠/١١٣، دار الكتب العلمية، ط ١، (٢٠٠٠م). (المدقق)

(٢) هو: محمد بن عبد الله بن محمد القاضي أبو بكر بن العربي الأندلسي المالكي، من كتبه: «أحكام القرآن»، و«عارضة الأحوذى على كتاب الترمذي»، كان من أهل التفنن في العلوم متقدماً في المعارف كلها متكلماً في أنواعها، أحد من بلغ مرتبة الاجتهاد، ورحل إليه للسمع والأخذ عنه، توفي سنة (٥٤٣هـ).

انظر: الديباج المذهب لابن فرحون: ٥٢٢/٢، وشذرات الذهب: ١٤١/٤، وطبقات المفسرين للدودي: ١٦٢/٢.

(٣) قال صاحب كشف الظنون: ٩٨٤/٢: سراج المرديدن للقاضي أبي بكر ابن العربي، ذكره القرطبي في تذكرته.

(٤) في (هـ) و(ح): «فلم»، والصواب ما أثبتته، كما في الإتيان: ٣٢٢/٣.

(٥) انتهى كلام ابن العربي، - ولم أعثر عليه - ولكن أجده منقولاً عن البرهان للزركشي: ٣٦/١.

(٦) هو: أبو الحسن الشهرباني، صرح بذلك الزركشي في البرهان: ٣٦/١.

والشهرباني: منسوب إلى (شهربان) قرية شرقي بغداد، ينسب إليها كثير من العلماء.

انظر: معجم البلدان: ٣٧٤/٣.

(٧) هو: عبد الله بن محمد بن زياد أبو بكر النيسابوري الشافعي الحافظ، ولد سنة (٢٣٨هـ)، وتوفي (٣٢٤هـ). انظر: طبقات الشافعي للسبكي: ٣١٠/٣، وطبقات القراء لابن الجزري: ٤٤٩/١، وشذرات الذهب لابن العماد: ٣٠٢/٢.

والنيسابوري: بفتح النون وسكون الياء، هذه النسبة إلى (نيسابور)، وهي أحسن مدن (خراسان) وأجمعها للخيرات. اللباب لابن الأثير: ٣٤١/٣.

إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري^(١) على علماء بغداد لعدم علمهم
بالمناسبة^(٢).

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(٣): المناسبة علم حسن، لكن يشترط
في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط بأوله بآخره؛ فإن وقع على
أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه
إلا بربط^(٤) ركيك يسان عن مثله حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه؛ فإن
القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، وفي أحكام مختلفة، شرعت لأسباب
مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض^(٥).

أقول^(٦): ليس الأمر كذلك، بل مناسبة الآيات بعضها لبعض من أول
المصحف إلى آخره حاصلة تامة على أحسن وجه وأكمل منوال ولكن الناس
تختلف أفهامهم في وجه المناسبة، فبعضهم يظهر له معنى بعيد ضعيف،
وبعضهم يظهر له معنى حسن قوي، فالمناسبة بين الآيات حاصلة، وحسن
ذلك وضعفه راجع إلى حسن الأفهام والله أعلم^(٧).

وقال الشيخ ولي الدين الملوي^(٨): قد وهم من قال: لا يطلب

(١) يزري: بمعنى يعتب أو يعيب.

انظر: اللسان لابن منظور ٣٥٦/١٤، والمعجم الوسيط ٣٩٤/١.

(٢) انتهى كلام أبي الحسن الشهرباني، نقلاً عن البرهان للزركشي: ٣٦/١.

(٣) هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم المشهور بالعز الشافعي صاحب التصانيف،
منها: «تفسير القرآن»، و«كتاب المجاز»، ولد سنة (٥٧٧هـ) أو (٥٧٨هـ)، وتوفي سنة (٦٦٠هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٢٠٩/٨، وطبقات المفسرين للداودي: ٣٠٨/١،
وفوات الوفيات لمحمد بن شاکر الكتبي: ٣٥٠/٢.

(٤) في (هـ) و(ح): «برباط»، وما أثبتته من الإتيان: ٣٢٢/٣.

(٥) نقله عن البرهان للزركشي: ٣٧/١.

(٦) القائل هو المؤلف.

(٧) إلى هنا انتهى كلام المؤلف.

(٨) هو: محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو عبد الله المعروف بابن المنفلوطي الملوي
الشافعي، ولد سنة (٧١٣هـ)، وتوفي سنة (٧٧٤هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٧/٩، وطبقات المفسرين للداودي: ٥٨/٢.

والمملوي نسبة إلى (ملوى) بفتح الميم واللام المشددة والواو المفتوحة وهي اليوم إحدى
مدن محافظة (المنيا).

للآي (١) الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع [المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع] (٢) تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة؛ ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها (٣) مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور، يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له. انتهى (٤)

وقال الإمام الرازي (٥) في سورة (البقرة): ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن (٦) هذه اللطائف غير متبهرين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر (٧)

أقول (٨): ومن نظر في ترتيب هذه السورة الشريفة، أعني سورة (البقرة)، رأى لطائف وحسن ترتيب عجيب؛ لأنها من أول ما نزل على النبي ﷺ بالمدينة، وكان الساكنون بها على ثلاثة أقسام: قسم مؤمنون (٩) بالنبي ﷺ

= القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة (١٩٤٥م).

(١) في (هـ) و(ح): «للآيات»، وما أثبتته من الإتيان: ٣/٣٢٢.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) ومثبت في الإتيان: ٣/٣٢٣.

(٣) في (هـ) و(ح): «عن كونه»، والصواب ما أثبتته، كما في الإتيان: ٣/٣٢٣.

(٤) نقله عن البرهان: ١/٣٧.

(٥) في التفسير الكبير: ٧/١٢٨.

(٦) في الإتيان: ٣/٣٢٣: «على».

(٧) انتهى كلام الرازي، التفسير الكبير: ٧/١٢٨ وهذا البيت مشهور لا يعلم قائله.

(٨) من هنا يبدأ كلام المؤلف.

(٩) الذين حصلوا فضيلة التقوى بركنيتها العلمي والعملية، وسبب ذلك استمسكهم

بالهدى وإمدادهم بالتوفيق من ربهم «ومأل أمرهم» الفوز والفلاح.

النبا العظيم، د. محمد عبد الله دراز: ١٦٧.

وقسم كفار من اليهود^(١)، وقسم منافقون^(٢)، والسورة مشتملة على خطاب الثلاثة أقسام.

فخطاب المؤمنين في ابتدائها^(٣)، ثم ذكر اليهود^(٤)، ثم (المنافقين)^(٥)، وبين كل فريق من هؤلاء ثم الخطاب في هذا المعنى^(٦).....

(١) أنهم مجردون من أساس التقوى وهو الإيمان، وأنهم مصرون على ذلك إصراراً لا ينفع معه إنذار، والسبب عدم انتفاعهم بما وهبهم الله من وسائل العلم، فلهم قلوب لا يفقهون بها وعاقبة أمرهم العذاب العظيم.

انظر: النبأ العظيم: ١٦٧.

(٢) أنهم يتصفون بصفة مركبة من ظاهر خير وباطن سوء فهم يقولون بألسنتهم: إنهم مؤمنون وليس في قلوبهم من الإيمان شيء، ولكل من الوصفين (سبب) و(جزاء)، أما دعواهم الإيمان فسيبها قصد المخادعة، وجزاء الخداع عائد إليهم، وأما إسرارهم الكفر فسيبه مرض قلوبهم، وجزاؤه زيادة المرض والعذاب الأليم.

انظر: النبأ العظيم: ١٦٧.

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَبَدَأُوا الصَّلَاةَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَدِيثِ الَّذِي نَزَّلْنَا بِكُنُوزٍ مِمَّا يَمْشُونَ عَلَى الْأُتْرَاقِ وَرَبُّهُمْ فِي السَّمَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَعْلَمُ الْغُيُوبَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وإن هاتين الآيتين ليستا لليهود خاصة وإنما هما للكفار عامة: اليهود وغيرهم.

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٠].

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ عَبْدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

قال الدكتور محمد دراز في النبأ العظيم: ١٧٤: «في هذه الآيات الخمس تسمع نداء قوياً موجهاً إلى العالم كله - الناس جميعاً - بثلاثة مطالب:

أ - أن لا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً.

ب - أن آمنوا بكتابه الذي نزل على عبده.

[ثم] ^(١) أورد الحق سبحانه [آيات] ^(٢) من المواعظ، وبيان الأحكام؛ لينبه السامعين أنها هي المقصود الأعظم من إيراد القصص والأخبار. ثم شرع الحق سبحانه في بيان الأحكام في هذه السورة مرتباً على الأهم، والأصلح، والأنفع للعباد.

فقال في أولها: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. فأمر بإقامة الصلاة؛ لأنها أعظم الأركان وأهمها ^(٣)، ثم الزكاة؛ لأنها من أركان الدين المهمة ^(٤).

ثم بين أحوال الصوم، قال: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وبين أحوال الصوم ^(٥) ثم الاعتكاف ^(٦)، ثم الحج بقوله: ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ثم النكاح ^(٧) ومن تحل مناكحتهم ^(٨) ومن

= ج - أن اتقوا أليم عذابه، وابتغوا جزيل ثوابه.

هذه المطالب الثلاثة هي الأركان الثلاثة للعقيدة الإسلامية تراها قد بسطت مرتبة على ترتبها الطبيعي. من المبدأ إلى الوسطة إلى الغاية...
(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في (هـ): «آية»، والصواب ما أثبتته؛ لأن المواعظ في (البقرة) آيات كثيرة وليست آية واحدة.

(٣) ففي الحديث: «رأس الأمر كله الإسلام، وعموده الصلاة» رواه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة: ١١/٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٢٣١/٥، ٢٣٧.

(٤) وقد قرن الله ﷻ الزكاة بالصلاة في سورة (البقرة) فقط خمس مرات، وفي القرآن كله ست وعشرين مرة. وهي: في سورة (البقرة): ٤٣، ٨٣، ١١٠، ١٧٧، ٢٧٧، سورة النساء: ٧٧، ١٦٢، سورة المائدة: ١٢، ٥٥، سورة التوبة: ٥، ١١، ١٨، ٧١، سورة مريم: ٣١، ٥٥، سورة الأنبياء: ٧٣، سورة الحج: ٤١، ٧٨، سورة النور: ٣٧، ٥٦، سورة النمل: ٣، سورة لقمان: ٤، سورة الأحزاب: ٣٣، سورة المجادلة: ١٣، سورة المزمل: ٢٠، سورة البينة: ٥. وهذا يدل على أن الزكاة من أركان الدين المهمة.

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٨٧] أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ... إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٧].

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْتَغُوا رِبْحًا وَأَنشُرْ عَلَيْكُمُ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(٧) فقد ذكر الله ﷻ النكاح وما يتعلق به في سورة (البقرة): الآيات (٢٢١ - ٢٤٢).

(٨) لم أجد في سورة (البقرة) آية تتحدث عن تحل مناكحتهم، وأجدها في سورة =

تحرم^(١)، ونكاح الأمة^(٢) ونكاح الحرة^(٣)، إلى غير ذلك.

ثم بين الطلاق قبل الدخول وبعد الدخول، وإذا سمي لها شيئاً من المهر أو لم يسم^(٤)، وبيان أحكام العدة والنفقة^(٥)، ومن تحل قبل زوج آخر ومن لا تحل^(٦)، وبين أحكام الرضاع^(٧)، والإيلاء^(٨)، والخلع^(٩)، والربا والبيع،

= [النساء: ٢٤]. والمؤلف - رحمه الله تعالى - يتحدث عنها في سورة (البقرة).

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبِدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

هذه الآية هي التي تتحدث عن من يحرم منكاحتها في سورة (البقرة) ولم أجد غيرها، إلا ما كان في سورة [النساء: ٢٢، ٢٣]. والمؤلف - رحمه الله تعالى - يتكلم عنها في سورة (البقرة).

(٢) وذلك قوله تعالى في سورة البقرة: الآية (٢٢١): ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، ﴿وَلَعَبِدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾. ونكاح الأمة ذكر في سورة (النساء) صريحاً. انظر: الآية (٢٥)، وانظر: سورة النور: الآية ٣٢ (٢٥).

(٣) انظر: سورة النساء: الآية (٢٤)، وسورة النور: الآية (٣٢).

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْجِبِ قَدَرُوهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [٢٢١] وَإِن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِيمَنْ فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ الْإِنْسَانُ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاءِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبٌ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٦، ٢٣٧].

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَاقُ ثَلَاثَةٌ يَرْبِضُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعْلَمْنَ أَحَدَهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادَا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاحًا يَرَيَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿إِن طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ طَلَّأَ أَنْ يُعِيَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

(٧) وذلك قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُمُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ وَوَالِدٌ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُمُ بَوْلِدٌ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِن أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِن أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا هَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَانْفُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

(٨) وذلك قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِن نِّسَابِهِمْ تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِن قَامُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧].

(٩) وذلك قوله تعالى: ﴿... فَإِن حَقِمْتُمُوهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا فِيمَا أَفْدَتْ بِهٖ...﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وتحريم الربا وحل البيع^(١)، ثم بين أحوال الدين والمدانة بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَهَ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]^(٢)، ثم بين الشهادة والإشهاد، وكتمان الشهادة، ونصاب الشهادة^(٣).

فإذا نظر المتأمل إلى ما اشتملت عليه هذه السورة الشريفة من الأحكام المترتبة، وذكر الأهم فالأهم من الأحكام على حسن [هذه]^(٤) المناسبة في الآيات.

ومن حسن هذه المناسبة أخذ الفقهاء ترتيب كتب الفقه، فبدءوا بالصلاة، ثم الزكاة، ثم الصوم والاعتكاف، ثم الحج، ثم النكاح، ثم الطلاق، والإيلاء، والخلع، والرضاع، ثم البيوع، والربا، والديون والشهادات. فانظر أيها المتأمل إلى هذا الترتيب الحسن، ثم ما وقع من الفصل بالمواعظ والقصص بين هذه الأحكام، فله مناسبة بالأوائل والأواخر - والله أعلم^(٥) - .

فصل (٦)

المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه.

(١) وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَمِينِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٨١].

(٢) وهذه الآية تسمى بآية الدَّيْنِ، وهي أطول آية في القرآن الكريم.

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقُومَتَهُ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

(٤) ساقطة من (ح).

(٥) انتهى كلام المؤلف.

(٦) بداية كلام السيوطي في الإتيان: ٣/٣٢٤.

وفائده جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء. فنقول: ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط، لتعلق الكلام^(١) بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل؛ وهذا القسم لا كلام فيه.

وإما ألا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به. فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا.

فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه^(٢) كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَفْقِصُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، للتضاد بين القبض والبسط، والولوج والخروج، والنزول والعروج، وشبه التضاد بين السماء والأرض.

ومما فيه التضاد^(٣) ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة؛ وقد جرت عادة القرآن^(٤) إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعداً، ليكون باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الأمر والناهي، وتأمل سورة (البقرة) و(النساء) و(المائدة) تجده كذلك.

وإن لم تكن معطوفة، فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام؛ وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط^(٥).

(١) في الإتيان: ٣/٣٢٤: «الكلم».

(٢) المراد به: معنى رابط: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلوم، والنظيرين والضدين ونحوه.

(٣) في (هـ) و(ح) والإتيان: ٣/٣٢٤: «ومما الكلام فيه التضاد...» فيها زيادة كلمة «الكلام» والجملة أصبحت غير مفهومة، ولعل الصواب بدون الزيادة كما أثبتته.

(٤) كلمة «العظيم» ساقطة من الإتيان: ٣/٣٢٤.

(٥) في (هـ) و(ح) بدون الباء، وما أثبتته في الإتيان: ٣/٣٢٤.

وله أسباب:

أحدها: التنظير، فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء، كقوله تعالى^(١): ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ عقب قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤، ٥]؛ فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه^(٢)، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كازهون، والقصد أن كراحتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراحتهم للخروج، وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام، وكذا^(٣) يكون فيما فعله في القسمة، فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم.

الثاني: المضادة، كقوله تعالى^(٤) في سورة (البقرة): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية [البقرة: ٦٦]^(٥)، فإن أوّل السورة كان حديثاً عن القرآن^(٦)، وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين^(٧)، فبينهما جامع [وهمي]^(٨) [ويسمى]^(٩) بالتضاد^(١٠) من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل: وبضدها نتبين الأشياء^(١١).

(١) ساقطة من الإتيان: ٣/٣٢٤.

(٢) حيث قال بعضهم: يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر، فقالوا: أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالاً فنستعد له. تفسير ابن كثير: ٣/٢٨١.

(٣) في الإتيان: ٣/٣٢٤: «فكذا» بالفاء.

(٤) ساقط من الإتيان: ٣/٣٢٥.

(٥) وتمامها: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١، ٢].

(٧) وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦، ٧].

(٨) ساقط من (هـ) و(ح)، مثبت في الإتيان: ٣/٣٢٥.

(٩) ساقط من الإتيان: ٣/٣٢٥.

(١٠) من الضد، وضد الشيء خلافه، والمتضادان اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان

كالسواد والبياض.

انظر: لسان العرب لابن منظور: ٣/٢٦٣، والمعجم الوسيط: ١/٥٣٨.

(١١) انظر: التفسير الكبير للرازي: ٤/٢٠٤.

فإن قيل: هذا جامع بعيد؛ لأن كونه حديثاً عن المؤمنين، بالعرض لا بالذات، والمقصود بالذات الذي هو جامع^(١) مساق الكلام، إنما هو الحديث عن القرآن لأنه مفتتح القول.

قيل: لا يشترط في الجامع ذلك، بل يكفي التعلق على أي وجه كان، ويكفي وجه الربط ما ذكرنا؛ لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به، والحث على الإيمان، ولهذا لما فرغ من ذلك قال [جل شأنه]^(٢): ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، فرجع إلى الأول^(٣).

الثالث: الاستطراد^(٤)، كقوله تعالى: ﴿يَنْبَغِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤْرَىٰ سَوَاءً تَكْمُ وَرَيْدًا وَيَلِاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

قال الزمخشري^(٥): هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليهما إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى^(٦).

قال السيوطي رحمته الله^(٧): وقد خرجت على الاستطراد، قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، فإن أول الكلام ذكر للرد [على النصارى الزاعمين بنوة^(٨) المسيح، ثم استطراد

(١) ساقط من الإتيان: ٣/٣٢٥.

(٢) ساقط من الإتيان: ٣/٣٢٥.

(٣) يقصد الحديث عن القرآن.

(٤) هو: ذكر الشيء في غير محله لمناسبة، بأن يخرج المتكلم عن الكلام الذي هو مسترسل فيه إلى غيره باستدعاء مناسبة، ثم يرجع إلى ما كان فيه.

زهر الربيع في المعاني والبيان والبدیع لأحمد الحملاوي: ١٦٧.

(٥) هو: محمود بن عمر جار الله أبو القاسم الزمخشري النحوي اللغوي المفسر المعتزلي، صاحب التصانيف منها: «تفسير الكشاف»، و«أساس البلاغة»، ولد سنة (٤٦٧هـ)، وتوفي سنة (٥٣٨هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/٣١٤، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٥/٢٦٨.

(٦) الكشاف للزمخشري للداودي: ٢/٧٤.

(٧) هذا الكلام يوهم أن ما قبله من كلام المؤلف، وهو ليس كذلك، بل هو من كلام

السيوطي. انظر: الإتيان: ٣/٣٢٥.

(٨) في الإتيان: ٣/٣٢٥: «بنوة».

للرد^(١) على العرب الزاعمين بنوة الملائكة.

ويقرب من الاستطراد حتى لا يكادان يفترقان. حسن التخلص^(٢)، وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاصاً، دقيق المعنى؛ بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني، لشدة الالتئام بينهما.

وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم^(٣) في قوله: لم يقع منه في القرآن شيء لما فيه من التكلف. وقال: إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب^(٤) الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم^(٥). وليس كما قال، ففيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول. وانظر إلى سورة (الأعراف)، كيف ذكر فيها الأنبياء^(٦) والقرون الماضية والأمم السالفة^(٧)، ثم ذكر موسى إلى أن قص حكاية السبعين رجلاً^(٨) ودعائه لهم، ولسائر أمته بقوله: ﴿وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) مثبت في (ح) والإنتقان: ٣/٣٢٥.

(٢) ففي «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لابن الأثير: ٤١٨: هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه أخذاً برباب بعض من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاماً آخر.

(٣) هو: محمد بن غانم أبو العلاء المعروف بالغانمي، من شعراء نظام الملك ولد سنة أربع وستين وأربعمائة هجرية.

انظر: اللباب لابن الأثير: ٢/٣٧٤.

(٤) هو: قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه. المثل السائر لابن الأثير: ٣٢٧.

(٥) انظر: المثل السائر لابن الأثير: ٤٢١.

(٦) هم: آدم: الآية (١١)، نوح: الآية (٩٥)، هود: الآية (٦٥)، صالح: الآية (٧٣)، لوط: الآية (٨٠)، شعيب: الآية (٨٥)، موسى: الآية (١٠٣)، هارون: الآية (١٢٢)، محمد ﷺ: الآية (١٥٧).

(٧) قوم نوح: الآيات (٥٩ - ٦٤)، قوم عاد: الآيات (٦٥ - ٧٢)، قوم ثمود: الآيات (٧٣ - ٧٩)، قوم لوط: الآيات (٨٠ - ٨٤)، قوم شعيب: الآيات (٨٥ - ١٠٢)، فرعون وقومه: الآية (١٠٣)، أصحاب السبت: الآية (١٦٣).

(٨) كلمة «رجلاً» ساقطة من (هـ) مثبتة في (ح) والإنتقان: ٣/٣٢٦. والآية في سورة الأعراف، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مُوْسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَائْتِي أَهْلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّهْمَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَرِيْرُ الْعَفْوِيْنَ ﴿٥٥﴾﴾.

الْآخِرَةَ ﴿الأعراف: ١٥٦﴾، وجوابه تعالى عنه، ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله: [عز وجل] (١): ﴿قَالَ عِدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ [الأعراف: ١٥٦] فسأكتبها للذين من صفاتهم كيت وكيت، وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي. وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله (٢).

وفي سورة (الشعراء) حكى قول إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾، فتخلص منه إلى وصف الميعاد بقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾...﴾ إلخ.

وفي سورة (الكهف) حكى قول ذي القرنين (٣) في السد: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٩٨]، فتخلص منه إلى وصف [حالهم] (٤) بعد دكّه الذي هو من أشرط الساعة (٥)، ثم النفخ في الصور وذكر الحشر (٦)، [ووصف مآل الكفار (٧) والمؤمنين (٨)] (٩).

(١) ساقطة من الإتيان: ٣/٣٢٦.

(٢) والآية هي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي الْوَادِعِ الْمُحَرَّمِ وَإِذَا يُدْعَاهُمْ يَخِرُّونَ لِأَسْفَافِهِمْ يُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعْنَ عَنْهِنَّ إِصْرَهُمْ وَالْأَثْمَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلْمِذَابُ نَارًا أَلْمِذَابُ وَسِعَتْهُ وَأَنبَعُوا النَّورَ الَّذِي أَنزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(٣) تأتي ترجمته في قصة ذي القرنين. انظر صفحة (٧٨٣).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الإتيان: ٣/٣٢٦.

وكلمة «حالهم» ساقطة من (هـ)، وما أثبتته من (ح).

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ وَرَكَعًا بَعْضُهُمْ بِيَوْمِهِ يُعْرَجُ فِي بَعْضٍ ﴿[الكهف: ٩٨، ٩٩].﴾

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٩].

(٧) وذلك قوله تعالى: ﴿وَعَرْضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنجِدُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أُولَئِكَ إِنَّا نَعْلَمُونَ جَهَنَّمَ لَكَاظِمِينَ نَرُؤُا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا سَعْيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُرُوقًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٠ - ١٠٦].

(٨) وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ الْغَيْبُ مَا لَأَنزِلَنَّ إِلَهُكَ مِنَ السَّمَاءِ تَبَارِكُ اسْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١١٠].

(٩) ما بين المعقوفين من الإتيان: ٣/٣٢٦، حيث إن في (هـ) و(ح) هكذا: «ووصف

ما للكفار وللمؤمنين»، والصواب ما أثبتته.

وقال بعضهم^(١): الفرق بين التخلص والاستطراد؛ أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية، وأقبلت على ما تخلصت إليه، وفي الاستطراد [تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه]^(٢) مروراً كالبرق الخاطف، ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده، وإنما عرض عروضاً^(٣).

قيل: وبهذا يظهر أن ما في سورتي (الأعراف) و(الشعراء) من باب الاستطراد لا التخلص، لعوده في (الأعراف) إلى قصة موسى بقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ...﴾ إلى آخره [الأعراف: ١٥٩]، وفي (الشعراء) إلى ذكر الأنبياء والأمم^(٥).

ويقرب من حسن التخلص: الانتقال من حديث إلى آخر؛ تنشيطاً للسامع، مفصلاً بهذا، كقوله: [تعالى]^(٦) في سورة (ص) بعد ذكر الأنبياء: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾﴾، فإن هذا القرآن نوع من الذكر، لما انتهى ذكر الأنبياء^(٧)، وهو نوع من التنزيل، أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها^(٨)، ثم لما فرغ قال: ﴿هَذَا وَإِلِىَ الظَّالِمِينَ لَشَرٌّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾﴾ [ص: ٥٥] فذكر النار وأهلها^(٩).

(١) ذكره ابن معصوم في أنوار الربيع: ٢٢٩/١.

(٢) في أنوار الربيع لابن معصوم: «يمر ذكر الأمر الذي استطردت به».

(٣) انتهى ما في أنوار الربيع لابن معصوم: ٢٢٩/١.

(٤) وتمتها: ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

(٥) هم: إبراهيم ؑ وقومه، الآيات (٦٩ - ١٠٤)، نوح ؑ وقومه، الآيات (١٠٥ - ١٢٢)، وهود ؑ وقومه، الآيات (١٢٣ - ١٤٠)، وصالح ؑ وقومه، الآيات (١٤١ - ١٥٩)، ولوط ؑ وقومه، الآيات (١٦٠ - ١٧٥)، وشعيب ؑ وقومه أصحاب الأيكة، الآيات (١٧٦ - ١٩١)، ونبينا محمد ﷺ وأمه، الآيات (١٩٢ - ٢٢٧).

(٦) ساقط من الإتيان: ٣٢٧/٣.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣٢٧/٣.

(٨) وذلك قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأَنْزَابُ ﴿٥١﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَنَكِهِمْ كَثِيرٍ وَشُرَآبٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ الْأَرْبَابُ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَكُمْ مِنْ قَنَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٠ - ٥٤].

(٩) وذلك قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسَّوْنَهَا لِيَهَادُ ﴿٥١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ [ص: ٥٦ - ٦٤].

قال ابن الأثير^(١): هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من
الوصل وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر^(٢).

ويقرب منه أيضاً حسن المطلب، قال الزنجاني^(٣) والطبي^(٤): وهو أن
يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة، كقوله [تعالى]^(٥): ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال الطبي^(٦): ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معاً قوله تعالى
حكاية عن إبراهيم [عليه السلام]^(٧): ﴿فَأَنبَأَهُمُ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الَّذِي
خَلَقَنِي فَهُوَ يُهْدِينِ﴾ [٧٨] إلى قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾
[الشعراء: ٧٧ - ٨٣].

قاعدة:

قال بعض المتأخرين: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في
جميع القرآن، [هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقته له السورة، وتنظر ما
يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر]^(٨) إلى مراتب تلك المقدمات
في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار^(٩) الكلام في المقدمات

(١) هو: نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير
صاحب كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وكان وزير الملك الأفضل
نور الدين بن صلاح الدين، توفي سنة (٦٣٧هـ).

انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣٨٩/٥، والشذرات لابن العماد: ١٨٧/٥.

(٢) المثل السائر لابن الأثير: ٤٢٧.

(٣) هو: محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الخزرجي الزنجاني، من علماء العربية
صاحب شرح الهادي، والمؤلفات في العروض، توفي سنة (٦٥٥هـ). بغية الوعاة: ٣١٨.

(٤) هو: الحسن بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطبي، صاحب كتاب «البيان في
المعاني والبيان»، و«شرح مشكاة المصابيح»، أخذ عن أبي حفص السهرودي، توفي سنة
(٧٤٣هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١٤٣/١، وبغية الوعاة للسيوطي: ٢٢٨.

(٥) ساقط من الإقتان: ٣٢٧/٣.

(٦) لم أعثر على مرجع قوله.

(٧) ساقط من الإقتان: ٣٢٧/٣.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإقتان: ٣٢٨/٣.

(٩) يعني انجذاب الكلام. انظر: اللسان مادة: (جرر): ١٢٥/٤.

إلى ما يستتبعه من استشراف^(١) نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة. انتهى.

تنبيه:

من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها، من ذلك: قوله تعالى في سورة (القيامة): ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ (١٦) . . . ﴿الآيات، [القيامة: ١٦]، فإن وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عسير جداً، فإن السورة كلها في أحوال القيامة؛ حتى زعم بعض الرافضة^(٢) أنه سقط من السورة شيء، وحتى ذهب القفال^(٣) فيما حكاه الفخر الرازي: [أنها نزلت في الإنسان المذكور قبل في قوله [تعالى] (٤): ﴿يُبَيِّنُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَ يُدْعَىٰ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]. قال: يعرض عليه كتابه، فإذا أخذ^(٥) في القراءة تلجلج^(٦) خوفاً فأسرع في القراءة، فيقال له: ﴿لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ (١٦) إن علينا أن^(٧) نجتمع عملك، وأن نقرأ عليك ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَمِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٧) بالإقرار بأنك فعلت، ثم إن علينا

(١) استشراف: التطلع والنظر. انظر: اللسان مادة: (شرف): ١٧٢/٩.

(٢) الرافضة: فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي بن حسين عليهما السلام، وسموا الرافضة لرفضهم زيد بن علي حينما توجه لقتال هشام بن عبد الملك، وقيل: سموا الرافضة لرفضهم أكثر الصحابة وإمامة أبي بكر وعمر عليهما السلام. رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد محمد المقدسي، تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن: ٦٥.

(٣) هو: محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر المعروف بالقفال الكبير الشافعي صاحب المصنفات منها: دلائل النبوة، ومحاسن الشريعة، ولد سنة (٢٩١هـ)، وتوفي سنة (٣٦٥هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٢٠١/٣ وما بعده، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/١٩٦، وشذرات الذهب لابن العماد: ٢٥١/٣.

(٤) ساقطة من الإتيان: ٣٢٨/٣.

(٥) في (ح): «اتخذ».

(٦) التلجلج: التردد في الكلام. انظر: مختار الصحاح للرازي: ٥٩٢.

(٧) «أن» ساقطة من (ح).

بيان أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته^(١). انتهى.

وهذا يخالف ما [ثبت]^(٢) في الصحيح^(٣) أنها نزلت في تحريك النبي ﷺ لسانه حالة نزول الوحي عليه.

وقد ذكر الأئمة لها مناسبات: منها: أنه تعال لما ذكر القيامة، وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يتعرض على هذا المطلوب ما هو أجل منه؛ و[الإصغاء]^(٤) إلى الوحي، وتفهم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك، فأمر بأن لا يبادر إلى التحفظ؛ لأن تحفيظه مضمون على ربه وليصغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما [يشتمل]^(٥) عليه. ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المبتدأ بذكره ومن هو [على]^(٦) جنسه، فقال: ﴿كَلَّا﴾، وهي كلمة ردع كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل^(٧) تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة.

ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة، عملاً وتركاً، كما قال في (الكهف): ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا

(١) التفسير الكبير للرازي: ٢٢٣/٣٠ بتصرف.

(٢) ساقطة من (هـ) و(ح) مثبتة في الإتيان: ٣٢٨/٣.

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك لسانه - ووصف سفيان يريد أن يحفظه - فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَكَلَّمَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقَوْلَهُ ﴿القيامة: ١٦، ١٧﴾. رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ...﴾: ٧٦/٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة: ٣٥/٢.

قوله: «ووصف سفيان» أي كيفية التحريك، وسفيان أحد الرواة في سند الحديث.

(٤) في الإتيان: ٣٢٩/٣: «الإصغاء».

(٥) في الإتيان: ٣٢٩/٣: «اشتمل».

(٦) في الإتيان: ٣٢٩/٣: «من».

(٧) كما قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٣٧) [الأنبياء: ٣٧].

الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ... ﴿الآية^(١)﴾ [الكهف: ٤٩ - ٥٤]. وقال في (سبحان)^(٢): ﴿فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَأَوْلَتْكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ...﴾ [الإسراء: ٧١ - ٨٩]^(٣). وقال في (طه): ﴿يَوْمَ يُفْتَحُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ إلى أن قال: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١٠٢ - ١١٤].

ومنها أن أول السورة^(٤) لما نزل إلى [قوله تعالى]^(٥): ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ [١٥] ﴿القيامة: ١٥﴾ صادف أنه ﷺ في تلك الحالة، بادر إلى حفظ^(٦) الذي نزل، وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته، فنزل [قوله تعالى]^(٧): ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [١١] ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٥ - ١٩]، ثم عاد إلى الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به.

قال الفخر الرازي^(٨): ونحوه ما لو ألقى المدرس على الطالب مثلاً مسألة فتشاغل الطالب بشيء عرض له، فقال [له]^(٩): ألق إلي بالك وتفهم ما أقول، ثم كمل المسألة؛ فمن لا يعرف السبب يقول: ليس هذا الكلام مناسباً للمسألة، بخلاف من عرف ذلك^(١٠).

ومنها: أن النفس لما تقدم ذكرها في أول السورة، عدل إلى ذكر نفس المصطفى، كأنه قيل: هذا شأن النفوس، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس، فلتأخذ بأكمل الأحوال^(١١).

(١) وتمتها: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

(٢) هي سورة الإسراء.

(٣) وتمتها: ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [٨٩].

(٤) يعني سورة القيامة.

(٥) ساقطة من الإتيان: ٣/٣٢٩.

(٦) في (هـ) و(ح) والإتيان: ٣/٣٢٩: «تحفظ»، والذي يناسب السياق ما أثبت.

(٧) ما بين القوسين ساقط من الإتيان: ٣/٣٢٩.

(٨) في التفسير الكبير: ٣٠/٢٢٢.

(٩) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٣٠.

(١٠) انتهى كلام الرازي.

(١١) الإتيان: ٢/٣٣٠.

أقول^(١): ويحتمل وجه المناسبة غير ما ذكر، وهو أن الله تبارك وتعالى لما ذكر في هذه السورة: ﴿يَبْتَأُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، أي بخير، ثم قال: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤] أي معرفة وخبر، ﴿وَلَوْ أَلْفٌ مَّآذِيرُهُ﴾ [القيامة: ١٥]. فنبهت الآية الكريمة أنه ينبغي أن يتبعه الإنسان ويتفهم ما فيه نفعه وصلاحه.

فلما فهم هذا المعنى أرشد الحق نبيه ﷺ بأنك لا تعجل بحفظ القرآن ولا تحرك به لسانك بذلك، بل تأمل ما فيه من الفوائد، وتبصر وتفهم حتى يلقي إليك، ولا تخشى أنك لا تحفظه فنحن متكفلون^(٢) لك بجمعه وتقييده في صدرك، وبهذا المعنى تكون مناسبة حسنة - والله أعلم -^(٣) انتهى.

ومن ذلك^(٤) قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ...﴾ [البقرة: ١٨٩]^(٥) الآية، ثم قال أي رابط بين أحكام الأهله وبين حكم إتيان البيوت؟ وأجيب: بأنه من باب الاستطراد، لما ذكر أنها مواقيت الحج، وكان هذا من أفعالهم - كما ثبت في سبب نزولها^(٦) - ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال. كما سئل^(٧) عن ماء البحر فقال: «هو الطهور

(١) هذا كلام المؤلف.

(٢) في (هـ) و(ج): «متكلفين»، والصواب ما أثبت.

(٣) انتهى كلام المؤلف.

(٤) عود إلى كلام السيوطي.

(٥) وتمتها: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِكُمْ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

(٦) عن البراء يقول: كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل فدخل من قبل باب فكأنه غير ذلك، فنزلت هذه الآية... صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِكُمْ﴾: ١٥٦/٥. وانظر: تفسير ابن جرير: ٥٥٦/٣.

(٧) الذي سئل هو رسول الله ﷺ، والحديث وقع جواباً عن سؤال كما في الموطأ، كتاب الصيد، باب ما جاء في صيد البحر: ٣٣١، وفي مسند الإمام أحمد: ٢/٢٣٧، ٣٦١، ٣٧٨، ٣٩٣، ٣٧٣/٣، ٣٦٥/٥. أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ به - وفي لفظ أبي داود: بماء البحر - فقال رسول الله ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته». سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للصنعاني: ٢٤/١.

ماؤه الحل ميتته»^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...﴾ الآية^(٢) [البقرة: ١١٥]، فقد يقال: ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ الآية^(٣) [البقرة: ١١٤].

وقال الشيخ أبو محمد الجويني^(٤) في تفسيره: سمعت أبا الحسين الدهان^(٥) يقول: وجه اتصاله، هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق، أي فلا يجرمنكم ذلك، واستقبلوه فإن الله المشرق والمغرب^(٦).

أقول^(٧): وظهر لي وجه آخر، وهو: أن الله تعالى لما قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤]^(٨)، ربما فهم الفاهم أن ذكر الله وتعظيمه متقيد بالمساجد، فأرشده بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١١٥]^(٩) إلى أنه حيثما توجهتم إليه، وذكرتم علوه وعظمة شأنه فثم وجهه فلا تظنوا التقيد بالمساجد، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور: ١/ ٤٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأبو داود في سننه، كتاب الطهارة، الوضوء بماء البحر: ٦٤/١.

(٢) وتتمتها: ﴿فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(٣) وتتمتها: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٤) هو: عبد الله بن يوسف بن عبد الله أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين الجويني، كان يلقب بركن الإسلام، صاحب التصانيف، منها: «الفروق»، و«السلسلة»، و«شرح رسالة الشافعي» وله تفسير كبير، توفي سنة (٤٣٨هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٢٥٣، وفيات الأعيان: ٣/ ٤٧.

(٥) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٣/ ٣٣٠: «أبو الحسن»، وما أثبتته من البرهان: ١/ ٤٥، ولم أعر على ترجمته.

(٦) انتهى كلام أبي محمد الجويني، نقلاً عن البرهان: ١/ ٤٥.

(٧) القائل هو المؤلف.

(٨) وتتمتها: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٩) وتماها: ﴿فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَهُ اللَّهُ﴾.

وجه آخر: يعني إذا منعتم من المساجد بتخريب الظالمين لها عن الذكر فلا تهتموا، فإن الله المشرق والمغرب، فاذكروه في كل مكان فهو حاضر قريب عالم. انتهى^(١).

فصل (٢):

من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها، قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى^(٢) - وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سميته: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع»^(٤).

وانظر إلى سورة (القصص)، كيف بدئت بأمر موسى ونصرته^(٥)، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، وخروجه من وطنه^(٦)، وختمت بأمر النبي ﷺ بأن لا يكون ظهيراً للكافرين^(٧)، وتسليته عن إخراجه من مكة)، ووعده بالعود إليها^(٨) لقوله في أول السورة: ﴿إِنَّا رَأَوْهُ﴾ [القصص: ٧]. وقال الزمخشري^(٩): وقد جعل الله فاتحة سورة ((المؤمنون)): ﴿قَدْ أَفْلَحَ

(١) انتهى كلام المؤلف.

(٢) عود إلى كلام السيوطي، الإتيان: ٣/٣٣٠.

(٣) هذا الكلام يوهم أن ما قبله من كلام المؤلف وهو ليس كذلك بل هو من كلام السيوطي.

(٤) لم أعر عليه.

قال صاحب كشف الظنون: ٢/١٦٥٢: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» لجلال الدين السيوطي ذكر في إتيانه أنه ألفه في مناسبة فواتح السور وخواتمها. في كشف الظنون، تقديم المطالع على المقاطع، هكذا «مراصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع».

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مِوسَىٰ وَوَعَدَتِ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ٣ - ١٧].

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ مَّا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢١ - ٢٨].

(٧) وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

(٨) وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيْنَا فَإِن تَوَلَّىٰ مِن فَتْنٍ أُولَٰئِكَ سَأَلْنَا أَن يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَظِيمٌ﴾ [القصص: ٨٥].

(٩) في الكشف: ٣/٤٥.

الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾، وأورد في خاتمتها: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فستان ما بين الفاتحة والخاتمة^(١).

وذكر الكرمانى في العجائب مثله.

وقال في سورة (ص): بدأها بالذكر^(٢)، وختمها به في قوله: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧].

وفي سورة (ن)^(٣) بدأها بقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ﴿٢﴾ [القلم: ٢] وختمها بقوله: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي^(٤) قبلها، حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظاً، كما في [قوله تعالى]^(٥): ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ﴿٥﴾ [الفيل: ٥] ﴿لِيَلَيَنَّ قُرَيْشٍ﴾ ﴿١﴾ [قريش: ١]، فقد قال الأخفش^(٦): اتصالها بها من باب: ﴿فَالْقَطْعُ: أَلِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

وقال الكواشي^(٧) في تفسير (المائدة): لما ختم سورة (النساء) [أمر]^(٨) بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

(١) انتهى كلام الزمخشري.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿صَ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ ﴿١﴾.

(٣) تعني سورة القلم.

(٤) في الإتيان: ٣٣١/٣: «ما».

(٥) ساقطة من الإتيان: ٣٣١/٣.

(٦) هو: سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط المجاشعي البلخي البصري، صاحب معاني القرآن، والمقاييس في النحو وغيرهما، وكان أجلع - والأجلع الذي لا تنضم شفتاه إلى أسنانه -، توفي سنة (٢١٥هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١٨٥/١، وأنباء الرواة: ٣٦/٢، وبغية الوعاة: ٢٥٨، والشذرات: ٣٦/٢.

(٧) هو: أحمد بن يوسف بن حسن أبو العباس الكواشي المفسر الشافعي، صاحب التفسير الكبير والصغير، ولد سنة (٥٩٠هـ)، وتوفي سنة (٦٨٠هـ).

انظر: طبقات المفسرين: ٩٨/١، وطبقات القراء: ١٥١/١، وطبقات الشافعية للسبكي: ٤٢/٨، والشذرات: ٣٦٥/٥.

(٨) في الإتيان: ٣٣١/٣: «أمرأ».

وقال غيره^(١): إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى، كافتتاح سورة (الأنعام) بالحمد، فإنه مناسب لختام (المائدة) من فصل القضاء، كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، وكافتتاح سورة (فاطر) بالحمد [أيضاً]^(٢) فإنه مناسب لختام قبلها من قوله [تعالى]^(٣): ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤]، كما قال تعالى: ﴿فَقَطَّعَ ذَا بُرِّ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، وكافتتاح سورة (الحديد) بالتسبيح، فإنه مناسب لختام سورة (الواقعة) بالواقعة بالأمر به. وكافتتاح سورة (البقرة) بقوله: ﴿الْمَ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ١، ٢]، فإنه إشارة إلى الصراط في قوله [تعالى]^(٤): ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، كأنهم [لما]^(٥) سألوا الهداية إلى الصراط، قيل لهم ذلك: الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حسن يظهر ارتباط سورة (البقرة) بالفاتحة.

ومن لطائف سورة (الكوثر) أنها كالمقابلة للتي قبلها^(٦)؛ لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور: بالبخل^(٧)، وترك الصلاة^(٨)، والرياء فيها^(٩)، ومنع الزكاة^(١٠)، فذكر فيها في مقابلة البخل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿فَصَلِّ﴾

(١) القائل هو: الزركشي. حيث يقول في البرهان: ٣٨/١: «قلت أي الزركشي: وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي، وهذا الراجح كما سيأتي، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لم ختم به السورة قبلها...».

(٢) ساقط من الإتيان: ٣٣١/٣.

(٣) ساقط من الإتيان: ٣٣٢/٣، ومن البرهان: ٣٨/١.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الإتيان والبرهان.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣٣٢/٣.

(٦) هي سورة الماعون.

(٧) وذلك قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْتِيَهَ ﴿١﴾ وَلَا يُحِصُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ٢، ٣].

(٨) وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون].

(٩) وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٣﴾﴾ [الماعون].

(١٠) وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

[الكوثر: ٢] أي دم عليها، وفي مقابلة الرياء ﴿لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: ٢] أي لرضاه، لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون ﴿وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي^(١).

وقال بعضهم: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم:

أحدها: بحسب الحروف، كما في (الحواميم)^(٢).

الثاني: لموافقة أول السورة آخر ما قبلها، كآخر (الحمد)^(٣) في المعنى وأول (البقرة)^(٤).

الثالث: للوزن^(٥) في اللفظ كآخر (تبت) وأول (الإخلاص).

الرابع: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى ك(الضحى) و(ألم نشرح).

قال بعض الأئمة: وسورة (الفاتحة) [اتضمنت الإقرار بالربوبية]^(٦) والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية، وسورة (البقرة) تضمنت قواعد الدين، و(آل عمران) مكملة لمقصودها، ف(البقرة) بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، و(آل عمران) بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى. وأوجب الحج في (آل عمران)^(٧)، وأما في (البقرة) فذكر أنه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه^(٨)، وكان خطاب النصارى في (آل عمران) أكثر، كما أن خطاب اليهود في

(١) انتهى كلام الزركشي في البرهان: ٣٨/١، ٣٩.

(٢) الحواميم أو آل حم أو ذوات حم سبع سور هي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

(٣) هي: الفاتحة.

(٤) إن آخر الفاتحة تضمن الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ... الآية [الفاتحة: ٦، ٧]. فإن الصراط هو الكتاب المذكور في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلتَّقِيينَ﴾ [البقرة: ٢]. فعلى هذا حصلت الموافقة بين آخر الفاتحة وأول البقرة.

(٥) في (هـ) و(ج) والإتقان: ٣٣٢/٢: «للوزان».

(٦) ما بين المعقوفين من الإتقان: ٣٣٢/٣.

(٧) وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِمَّنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٨) وذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحِجُّ﴾ [البقرة: ١٨٩]. =

(البقرة) أكثر؛ لأن التوراة أصل، والإنجيل فرع لها، والنبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخطوب به جميع الناس^(١)، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخطبوا ﴿يَأْهَلْ أَلْكَلْبِ﴾^(٢)، ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٣)، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٤). وأما سورة (النساء) فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس، وهي نوعان: مخلوقة لله [تعالى]^(٥)، ومقدورة لهم كالنسب والصهر، ولهذا افتتحت بقوله [تعالى]^(٦): ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا

= وقوله تعالى: ﴿وَأْتِيُوا لِحُجِّ وَالْمُرَّةِ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

(١) فقد خاطب الله جميع الناس بقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ إحدى وعشرين مرة: سورة البقرة: الآيات (٢١، ١٦٨)، وسورة النساء: الآية (١، ١٣٣، ١٧٠، ١٧٤)، وسورة الأعراف: (٥٨)، وسورة يونس: الآيات (٢٣، ٥٧، ١٠٤، ١٠٨)، وسورة الحج: الآيات (١، ٥، ٤٩، ٧٣)، وسورة النمل: الآية (١٦)، وسورة لقمان: الآية (٣٣)، وسورة فاطر: الآيات (٣، ٥، ١٥)، وسورة الحجرات: الآية (١٣).

(٢) فقد خاطب الله من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب في القرآن الكريم بقوله: ﴿يَأْهَلْ أَلْكَلْبِ﴾ اثنتي عشرة مرة: سورة آل عمران: الآيات (٦٤، ٦٥، ٧٠، ٧١، ٩٨، ٩٩)، وسورة النساء: الآية (١٧١)، وسورة المائدة: الآيات (١٥، ١٩، ٥٩، ٦٨، ٧٧).

(٣) فقد خاطب الله من أقر بالأنبياء من بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خمس مرات: سورة البقرة: الآيات (٤٠، ٤٧، ١٢٢)، وسورة طه: الآية (٨٠)، وسورة الصف: (٦).

(٤) وخاطب الله من أقر بالأنبياء بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تسعين مرة: في البقرة: إحدى عشرة مرة، وفي آل عمران: سبع مرات، وفي النساء: عشر مرات، وفي المائدة: ست عشرة مرة، وفي الأعراف: مرة واحدة الآية (٤٥)، وفي الأنفال: خمس مرات، وفي التوبة: ست مرات، وفي الحج مرة واحدة الآية (٧٧)، وفي النور: ثلاث مرات، وفي الأحزاب: سبع مرات، وفي محمد: مرتان، وفي الحجرات: خمس مرات، وفي الحديد: الآية (٢٨)، وفي المجادلة: ثلاث مرات، وفي الحشر: الآية (١٨)، وفي الممتحنة: ثلاث مرات، وفي الصف: ثلاث مرات، وفي الجمعة: الآية (٦)، وفي المنافقون: الآية (٩)، وفي التغابن: الآية (١٤)، وفي التحريم: مرتان.

(٥) ساقط من الإتيان: ٣/٣٣٣.

(٦) ساقط من الإتيان: ٣/٣٣٣.

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴿١﴾ [النساء: ١]، فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح، وبراعة الاستهلال، حيث تضمنت الآية المفتوح بها، ما أكثر السورة في أحكامه: من نكاح النساء ومحرماته، والموارث المتعلقة بالأرحام؛ وأن [ابتداء] (١) هذا الأمر كان بخلق آدم (٢)، ثم خلق زوجه منه (٣)، ثم بث منهما رجالاً ونساء في غاية الكثرة (٤).

وأما (المائدة) فسورة العقود، تضمنت بيان تمام الشرائع، ومكملات الدين، والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة، وبها تم الدين، فهي سورة التكميل؛ لأن فيها تحريم الصيد على المحرم (٥) الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر (٦) الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال (٧)، وإحلال الطيبات (٨) الذي هو من تمام عبادة الله.....

(١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/ ٣٣٣.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾.

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

(٥) وذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْتَنِ إِلَّا مَا يُتْلَى

عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ١، ٢].

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ

صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٤ - ٩٦].

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْفَحْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَدْلَمُ يَحْسَبُ مِنْ عَمَلِ

الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٦﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْمَدَاةَ وَالْبَغْضَةَ فِي الْفَحْرِ

وَالْمَيْسِرِ وَبِصَدِّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩٦﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩٣].

(٧) وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ

يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُقْفَلُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ

جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُ عَلَيْهِمُ

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ

رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩].

(٨) وذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ إلى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٤، ٥]. =

[تعالى] (١)، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ كالوضوء والتميم (٢)،
والحكم بالقرآن على كل [ذي] (٣) دين (٤)، ولهذا كثر فيها من لفظ الإكمال
والإتمام (٥)، وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه (٦) ولا يزال هذا الدين
كاملاً، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل (٧)، لما فيها من إشارات الختم والتمام (٨).

وهذا الترتيب بيّن هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب. وقال أبو
جعفر ابن الزبير: حكى الخطابي (٩) أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن،
وضعوا سورة (القدر) عقب (العلق)، استدلووا بذلك على أن المراد بهاء

= وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مُؤْمِنَاتِكُمْ ﴿٨٨﴾

[المائدة: ٨٧، ٨٨].

(١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٣٣.

(٢) وذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ...﴾
[المائدة: ٦].

(٣) ساقط من الإتيان: ٣/٣٣٣.

(٤) وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَاكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّئْنَا عَلَيْهِ فَآحِكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلْنَا اللَّهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُورِ
يُوقِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

(٥) في مثل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ
دِينًا...﴾ [المائدة: ٣].

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْرٍ جِدْدٍ
وَيُحْجِثُونَ﴾... [المائدة: ٥٤].

(٧) أخرج الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة: ٥/٢٦١ عن
عبد الله بن عمر ؓ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة: ٢/٣١١.
وأخرج في نفس الموضوع عن عائشة ؓ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٨) وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ
الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(٩) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان الخطابي، صاحب التصانيف منها:
أعلام السنن في شرح البخاري، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، توفي سنة
(٣٨٨هـ).

انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي: ٤٠٣، وفيات الأعيان: ٢/٢١٤.

الكنية^(١) في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿١﴾ الإشارة إلى قوله: ﴿أَقْرَأَ﴾، قال القاضي أبو بكر ابن العربي: وهذا بديع جداً.

فصل:

قال في «البرهان»^(٢): ومن ذلك^(٣) افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدئت به، حتى لم تكن لترد ﴿الْعَمَّ﴾ ﴿١﴾ في موضع ﴿الرَّ﴾ ولا ﴿حَدَّ﴾ ﴿١﴾ في موضع (طس). قال: وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له، فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الواردة فيها، فلو وضع ﴿قَ﴾ موضع ﴿تَ﴾ [لم يكن]^(٤) لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله، وسورة (ق) بدئت به، لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف، من ذكر القرآن والخلق، وتكرير القول ومراجعته مراراً^(٥)، والقرب من ابن آدم، وتلقى الملكين، وقول العتيد، والرقيب، والسائق، والإلقاء في جنهم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين، والقلب والقرون، والتقيب في البلاد، وتشقق الأرض، وحقوق الوعيد وغير ذلك^(٦). وقد تكرر في سورة (يونس) من الكلم الواقع فيها (الراء) مائتا كلمة، أو أكثر^(٧) فلهذا افتتحت بـ﴿الرَّ﴾.

واشتملت سورة (ص) على خصومات متعددة، فأولها خصومة النبي ﷺ مع الكفار، وقولهم: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَحِدًا﴾ [ص: ٥]، ثم اختصام الخصمين عند

(١) وهي هاء الضمير، وسميت هاء الكناية لأنها يكنى بها عن الاسم الظاهر الغائب نحو: به وله وعليه، وتسمى بهاء الضمير أيضاً، والمراد بها الإيجاز والاختصار وأصلها الضم.

سراج القارئ المبتدئ لأبي القاسم علي بن عثمان العذري وهو شرح على الشاطبة:

٦٢.

(٢) البرهان للزركشي: ١٦٩/١ - ١٧١ بتصرف.

(٣) يعني مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها.

(٤) ساقط من الإتيان: ٣٣٤/٣.

(٥) تأمل السورة لترى مدى تكرار ذلك في ثنايا آياتها الكريمة.

(٦) تأمل كل ذلك في ثنايا الآيات الكريمة في سورة (ق).

(٧) ساقط من «هـ» و«ح» مثبت في الإتيان: ٣٣٤/٣.

داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام الملائة الأعلى، ثم تخاصم إبليس في شأن آدم، ثم في شأن بنيه وإخوانهم.

و﴿آلَمَ﴾ جمعت المخارج الثلاثة: الحلق، واللسان، والشفتين على ترتيبها، وذلك إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق، والنهاية التي هي بدء المعاد^(١)، والوسط الذي هو المعاش من [التشريع]^(٢) بالأوامر والنواهي، وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الأمور الثلاثة.

وسورة (الأعراف) زيد فيها الصاد^(٣) على ﴿آلَمَ﴾، لما فيها من شرح القصص، قصة آدم فمن بعده من الأنبياء^(٤)، ولما فيها من ذكر ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف: ٢]، ولهذا قال بعضهم: [معنى]^(٥) ﴿آلَمَ﴾ [الأعراف: ١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

وزيد في (الرعد) «راء» لأجل قوله: ﴿رَفَعْنَا سَنَاطِرَ﴾ [الرعد: ٢]، ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما^{(٦)(٧)}.

واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله: ﴿آلَمَ﴾ [ذَلِكَ الْكِتَابُ] [البقرة: ١، ٢] ﴿آلَمَ﴾ [اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْقَيُّومُ] [زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ] [آل عمران: ١ - ٣]، ﴿آلَمَ﴾ [كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ] [الأعراف: ١، ٢]، ﴿الرُّبُّ تَعَالَى الْكِتَابُ﴾ [يوسف: ١]،

(١) الإتيان: ٣/٣٣٥.

(٢) في (هـ) و(ح): «الشرائع» وما أثبتته من الإتيان: ٣/٣٣٥ وهو أنسب لما بعده.

(٣) ذكره الكرمانى في «البرهان في مشابهة القرآن» تحقيق الدكتور ناصر العمر: ٧٨.

(٤) الأنبياء الذين ذكرت فيها قصتهم هم:

١ - آدم ﷺ انظر: الآيات (١١ - ٢٥).

٢ - نوح ﷺ انظر: الآيات (٥٩ - ٦٤).

٣ - هود ﷺ انظر: الآيات (٦٥ - ٧٢).

٤ - صالح ﷺ انظر: الآيات (٧٣ - ٧٩).

٥ - لوط ﷺ انظر: الآيات (٨٠ - ٨٤).

٦ - شعيب ﷺ انظر: الآيات (٨٥ - ١٠٢).

٧ - موسى ﷺ انظر: الآيات (١٠٣ - ١٧١).

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٣٥.

(٦) كالصواعق مثلاً.

(٧) انتهى كلام الكرمانى في البرهان في مشابهة القرآن: ٧٨ بتصرف.

﴿طه﴾ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ [طه: ١، ٢]، ﴿طس﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴿[القصص: ١، ٢]، ﴿يس﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ [يس: ١، ٢]، ﴿ص﴾ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ [ص: ١]، ﴿حم﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ ﴿[غافر: ١، ٢]، ﴿ق﴾ وَالْقُرْآنِ ﴿[ق: ١]، إلا سورة ثلاث^(١)، (العنكبوت)، و(الروم)، و[ن]^(٢)، ليس فيها ما يتعلق به^(٣). وقد ذكرت حكمة ذلك في «أسرار التنزيل»^(٥).

وقال الحراي^(٦) في معنى حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف: زاجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه وأمثال»^(٧): اعلم أن القرآن منزل

(١) في الإتيان: ٣/٣٣٥.

(٢) ساقط من (هـ) مثبت في (ح) والإتيان: ٣/٣٣٥.

(٣) انتهى كلام الزركشي في البرهان: ١/١٦٩ - ١٧١ بتصرف.

(٤) هذا كلام السيوطي في الإتيان: ٣/٣٣٥.

(٥) لم أعر على «أسرار التنزيل» للسيوطي، وإنما عثرنا على «أسرار التنزيل» للفخر الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ). قال صاحب كشف الظنون: «أسرار التنزيل وأنوار التأويل» مجلد، للإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ). كشف الظنون: ١/٨٣، وقد توفي الرازي عن الجزء الأول من أسراره ولم يكمله، وهو مخطوط، بدار الكتب المصرية. ولم يشر إليه السيوطي رغم إعجابه بالفخر الرازي، فالظاهر أن السيوطي أراد أن يكمل «أسرار التنزيل» للرازي، أو يكتب كتاباً باسمه، ينهج فيه منهجاً بعيداً عن إتمامه، رغم أنه أشار إلى مسائل في الإتيان: ٣/٣٣٥ أنه ذكرها في أسرار التنزيل، مثل: تحليل خروج سورة (الروم) و(القلم) عن سنن السور المفتحة بالحروف المقطعة في اتباع تلك الحروف بذكر القرآن أو وصفه. قاله عبد القادر أحمد عطا في: أسرار ترتيب القرآن «تناسق الدرر في تناسب السور» للسيوطي: ٥٩، ٦٠ الذي حققه.

(٦) هو: علي بن أحمد بن الحسن أبو الحسن الحراي، صاحب «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل» وكتاب «العروة لهذا المفتاح يذكر فيه وجه إنزال الأحرف السبعة، توفي سنة (٦٣٧هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/٣٨٦، وشذرات الذهب لابن العماد: ٥/١٨٩.

ما قاله الحراي أجدّه نقلاً عن نظم الدرر للبقاعي: ١/٦١ - ٦٨.

(٧) لم أجدّه بهذا اللفظ. وذكره السيوطي في الجامع الصغير وحكم عليه بالضعف، وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير، بلفظ: «أنزل القرآن على عشرة أحرف: بشير ونذير، وناسخ ومنسوخ، وعظمة، ومثل، ومحكم ومتشابه، وحلال وحرام».

انظر: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي: ١/١٠٨. وانظر: ضعيف

الجامع الصغير وزيادته محمد ناصر الدين الألباني: ٢/١٧.

عند انتهاء الخلق، وكمال كل الأمر، [بدأ^(١)] فكان المتخلق به جامعاً لانتهاء كل الخلق، وكمال كل أمر، فلذلك هو ﷺ قثم^(٢) الكون، - وهو الجامع الكامل -، ولذلك كان خاتماً، وكتابه كذلك، وبدأ المعاد من حين ظهوره، فاستوفى صلاح هذه الجوامع الثلاث التي قد خلت في الأولين بدايتها وتمت عنده^(٣) غايتها: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٤) وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها قوله عليه [الصلاة]^(٥) والسلام: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي»^(٦) وفي كل إصلاح إقدام وإحجام، فتصير الثلاثة الجوامع ستة هي حروف القرآن الستة، ثم وهب حرفاً جامعاً سابعاً فرداً، [لا زوج له]^(٧)، فتمت سبعة^(٨). فأدنى تلك الحروف هو حرفا صلاح الدنيا، فلها حرفان: حرف الحرام [الذي]^(٩) لا تصلح النفس والبدن إلا بالتطهر منه لبعده عن تقويمها. والثاني: حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها، وأصل هذين الحرفين في التوراة وتامهما في القرآن.

ويلي ذلك حرفا [صلاح]^(١٠) المعاد، أحدهما: حرف الزجر والنهي، الذي لا تصلح الآخرة إلا بالتطهر منه لبعده عن حسناتها.

(١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٣٥.

(٢) من قثم الشيء بمعنى جمعه وأخذه كله. انظر: لسان العرب لابن منظور: ١٢/٤٦١، والمعجم الوسيط: ٢/٧٢٢.

(٣) في (ح): «عند».

(٤) رواه مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق: ٦٥٠. وانظر: شرح الزرقاني على الموطأ: ٤/٩٧.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٣٥.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل: ٨/٧٩.

(٧) في (هـ): «لأزواج له» وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ٣/٣٣٦.

(٨) ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف». صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: ٦/١٠٠.

(٩) في (هـ): «الذين» وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ٣/٣٣٦.

(١٠) في (ح): «إصلاح».

والثاني: حرف الأمر الذي تصلح الآخرة عليه لتفاضيه لحسناها، وأصل هذين الحرفين في الإنجيل وتامهما في القرآن. ويلى ذلك حرفا صلاح الدين أحدهما: حرف المحكم^(١) الذي بان للبعد فيه خطاب ربه.

والثاني: حرف المتشابه^(٢) الذي لا يتبين للبعد فيه من جهة قصور عقله عن إدراكه.

فالحروف الخمسة للاستعمال، وهذا^(٣) الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالعجز، وأصل هذين الحرفين في الكتب المتقدمة كلها وتامهما في القرآن، ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع وهو حرف المثل المبين للمثل الأعلى، ولما كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله [جل شأنه]^(٤) به أم القرآن، وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التي بثها في القرآن. [فآية]^(٥) الأولى تشتمل على حرف الحمد السابع.

والثانية: تشتمل على حرف الحلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا، والرحيمية الآخرة.

[والثالثة]^(٦): تشتمل على أمر الملك القيم على حرفي [الأمر]^(٧) والنهي اللذين يبدأ أمرهما في الدين.

(١) المحكم: فأصله لغة المنع؛ تقول: أحكمت بمعنى رددت ومنعت، والحاكم لمنعه الظالم من الظلم، وحكمة اللجام هي التي تمنع الفرس من الاضطراب.
وأما في الاصطلاح: فهو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام. البرهان للزركشي: ٦٨/٢.

(٢) والمتشابه: فأصله أن يشبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني، كما قال تعالى في وصف ثمر الجنة: ﴿وَأَنْتُمْ بِهِ مُتَشَبِهُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] أي متفق المناظر، مختلف الطعوم.

وأما المتشابه من القرآن فهو يشابه بعضه بعضاً في الحق والصدق والإعجاز والبيارة والندارة، وكل ما جاء به وأنه من عند الله، فذم سبحانه الذين يتبعون ما تشابه منه عليهم افتناناً وتضليلاً. البرهان للزركشي: ٧٠/٢.

(٣) في (ح): «وهذه».

(٤) ساقط من الإتيان: ٣٣٦/٣.

(٥) ساقط من الإتيان: ٣٣٦/٣.

(٦) في (هـ) و(ح): «والثالث» وما أثبتته في الإتيان: ٣٣٦/٣.

(٧) ساقط من الإتيان: ٣٣٦/٣.

[والرابعة^(١)]: تشتمل على حرفي المحكم في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] والمتشابه في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ولما افتتح أم القرآن بالسابع الجامع الموهوب^(٢) ابتدأت البقرة بالسادس المعجوز عنه وهو المتشابه^(٣).

انتهى كلام الحرالي^(٤).

[قال الحافظ السيوطي^(٥)] [والمقصود منه هو الأخير^(٦)، وبقيته ينبو^(٧) عنه السمع، وينفر منه القلب، ولا تميل إليه النفس]^(٨) وأنا أستغفر الله من حكايته، على أنني أقول في مناسبة ابتداء (البقرة) بـ﴿الْم﴾ أحسن ما قال، وهو أنه لما ابتدأت (الفاتحة) بالحرف المحكم الظاهر لكل أحد بحيث لا يعذر أحد في فهمه، ابتدأت (البقرة) بمقابلته، وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل أو المستحيل^(٩).

فصل:

ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى^(١٠) - وقد تقدم في النوع السابع عشر الإشارة إلى ذلك^(١١)

(١) في (هـ) و(ح): «الرابع».

(٢) وهو حرف المثل الممين للمثل الأعلى وهو الحمد.

(٣) يعني الحروف المقطعة (الْم).

(٤) لم أجد ما قاله الحرالي، وهذا منقول من نظم الدرر للبقاعي: ٦١/١ - ٦٨.

(٥) هذا القول يوهم أن ما قبله من كلام المؤلف، وهو ليس كذلك بل من كلام

السيوطي.

(٦) يعني: لما افتتح أم القرآن بالسابع الجامع الموهوب (الحمد) ابتدأت البقرة

بالمشابه (الْم).

(٧) ينبو عنه: تجافى وتباعد وبابه: سما يسمو. انظر: مختار الصحاح للرازي: ٦٤٤

مادة: (ن ب ا).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٣٦.

(٩) في الإتيان: ٣/٣٣٧: «المستحيلة».

(١٠) هذا القول أيضاً يوهم أن ما قبله من كلام المؤلف، وهو ليس كذلك بل هو من

كلام السيوطي.

(١١) انظر: قوله: «تنبيه...». الإتيان: ١/١٦٠.

وفي عجائب الكرمانى: إنما سميت السور السبع^(١) (حم) على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به؛ وهو أن كل واحد منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام^(٢).

فوائد منثورة في المناسبات:

في تذكرة الشيخ تاج الدين السبكي^(٣) [ومن خطه نقلت]^(٤) [سئل]^(٥) الإمام ما الحكمة في افتتاح سورة (الإسراء) بالتسيح^(٦)، و(الكهف) بالتحميد^(٧)؟
[وأجاب]^(٨) بأن التسيح - حيث جاء - مقدم على التحميد، نحو: ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨، النصر ٣] «سبحان الله والحمد لله»^(٩)^(١٠).
وأجاب ابن الزمكاني^(١١): بأن سورة.....

(١) هي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

(٢) وفي تفسير روح البيان للبرسوي: ٢٢٥/٨: «وإنما سميت هذه السورة السبع بحم لاشتراكها في الاشتمال على ذكر الكتاب والرد على المجادلين في آيات الله والحث على الإيمان بها والعمل بمقتضاها ونحو ذلك».

(٣) هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر السبكي الشافعي، صاحب طبقات الشافعية الكبرى، ولد سنة (٧٢٧هـ)، وتوفي سنة (٧٧١هـ).

انظر: شذرات الذهب لابن العماد: ٢٢١/٦، والبدر الطالع للشوكاني: ٤١٠/١، وطبقات الشافعية لأبي بكر المصنف: ٥٥.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣٣٧/٣.

(٥) في الإتيان: ٣٣٧/٣: «سأل».

(٦) التسيح: هو تنزيه الله تعالى، وأصله المر السريع في عبادة الله تعالى، وجعل ذلك في فعل الخير، كما جعل الإبعاد في الشر. المفردات للراغب: ٢٢١.

(٧) التحميد: تفعيل من الحمد. والحمد ضد الذم وهو الثناء بالفضيلة، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر.

انظر: المفردات للراغب: ١٣١، ومختار الصحاح الرازي: ١٥٣ مادة: (ح م د).

(٨) في (هـ) و(ح) بدون الواو وهي مثبتة في الإتيان: ٣٣٧/٣.

(٩) هذه الجملة جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلّى...: ٢٢٩/٧.

(١٠) انتهى كلام السبكي. انظر: البرهان: ٣٩/١ باختصار.

(١١) هو: محمد بن علي بن عبد الواحد أبو المعالي المعروف بابن الزمكاني الشافعي، =

(سبحان)^(١) لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي ﷺ، وتكذيبه تكذيب لله [سبحانه]^(٢) وتعالى، أتى بـ(سبحان) لتنزيه الله تعالى^(٣) [عما نسب إلى نبيه]^(٤) من الكذب، وسورة (الكهف) لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب (الكهف) وتأخر الوحي^(٥)، نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين، بل أتم عليهم النعمة [بإزالة الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة]^(٦)^(٧). قلت^(٨): وقد لاح لي وجه في افتتاح سورة (الإسراء) [هو تنزيه الله تعالى]^(٩)، وذلك لأن الإسراء هو الذهاب ليلاً وهو [التوجه]^(١٠) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقد يتوهم انحصار المطلوب والمقصود في جهة من الجهات^(١١) أو مكان من الأماكن فلذا افتتحت السورة بالتنزيه عن انحصار فضله وفيضه في جهة أو زمان أو مكان - والله أعلم -^(١٢).

= صاحب البرهان في إعجاز القرآن، ولد سنة (٦٦٧هـ)، وتوفي سنة (٧٢٧هـ).
انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٩٠/٩، والبدر الطالع للشوكاني: ٢١٢/٢، والشذرات: ٧٨/٦.

والزملكاني: نسبة إلى زملكا أو زملكان قرية بدمشق وقد ضبطها الياقوت وابن الأثير بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام. انظر: معجم البلدان: ١٥٠/٣، واللباب: ٧٥/٢.
(١) هي سورة الإسراء.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣٣٧/٣.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣٣٧/٣.

(٤) في (هـ) و(ح): «عما نسب إليه ونبيه» وما أثبتته في الإتيان: ٣٣٧/٣ وهو أنسب للمقام.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٣٦٥/٤، ٣٦٦.

(٦) ساقطة من (هـ) مثبت في (ح)، كما في الإتيان: ٣٣٧/٣، والبرهان: ٣٩/١.

(٧) انتهى كلام ابن الزملكاني، نقلاً عن البرهان للزركشي: ٣٩/١ بتصرف.

(٨) القائل هو المؤلف.

(٩) في (هـ) و(ح): «تنزيهه» والسياق يقتضي البيان.

(١٠) في (ح): «الروحة».

(١١) هذا الكلام يشير إلى أن المؤلف - رحمه الله تعالى - ينفي جهة العلو لله تعالى،

وتأتي مناقشته في النوع الحادي والأربعين بعد المائة. انظر صفحة (٨٩٤).

(١٢) انتهى كلام المؤلف.

وفي تفسير^(١) الخويي^(٢) ابتدأت (الفاتحة) بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، فوصف بأنه مالك جميع المخلوقين، وفي (الأنعام) و(الكهف) و(سبأ) و(فاطر) لم يوصف بذلك، بل بفرد من أفراد صفاته، وهو خلق السماوات والأرض والظلمات والنور في (الأنعام) [وإنزال الكتاب]^(٣) في (الكهف)، وملك ما في السماوات وما في الأرض في (سبأ)، وخلقهما في (فاطر)؛ لأن (الفاتحة) أم القرآن ومطلعه، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها.

وفي العجائب^(٤) للكرماني: إن قيل: كيف جاء ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أربع مرات بغير واو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٩]، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ الْحَرَّاءِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ثم جاء ثلاث مرات بالواو: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؟ قلنا: لأن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقاً، وعن الحوادث الأخر وقع في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك.

فإن قيل: كيف جاء ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ﴾ [طه: ١٠٥] وعادة القرآن مجيء ﴿قُلْ﴾ في الجواب بلا فاء. أجاب الكرماني بأن التقدير: «لو سئلت عنها فقل».

فإن قيل: كيف جاء ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بـ«قل»؟ قلنا: حذفت للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء في أشرف المقامات لا واسطة بينه وبين مولاه.

(١) عود إلى الكلام السيوطي في الإتيان: ٣/٣٣٧ بدون الواو.

(٢) هو: أحمد بن خليل بن سعادة أبو العباس شمس الدين الخويي الشافعي، وهو إمام فقيه مناظر وأستاذ في الطب والحكمة، ولد سنة (٥٨٣هـ)، وتوفي سنة (٦٣٧هـ). انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ١/٨٧، والشذرات: ٥/١٨٣.

والخويي: بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء الأولى نسبة إلى خوي مدينة بأذربيجان. انظر: اللباب: ١/٤٧٢، والشذرات: ٥/١٨٣.

(٣) في (هـ) و(ح): «وأنزل الكتاب» وما أثبتته في الإتيان: ٣/٣٣٨.

(٤) في الإتيان: ٣/٣٣٨ بدون الواو.

ورد في القرآن سورتان: أولهما ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ [النساء، والحج] في كل نصف سورة، فالتى في النصف الأول تشتمل [على شرح المبدأ والتي في الثاني على شرح^(١) المعاد]^(٢).

(١) ما بين القوسين ساقط من (ح).

(٢) هذا النوع منقول من الإتيان: ٣/٣٣٢ - ٣٣٨ مع زيادة قليلة من المؤلف.

النوع الثالث والعشرون بعد المائة

علم الآيات المتشكلات المتقاربات



النوع الثالث والعشرون بعد المائة

علم الآيات المتشاكلات المتقاربات^(١)

[ونذكر في هذا النوع ما تشابه من الآيات وما قارب بعضها بعضاً، ويكون بزيادة ونقص يدركها أهل الفهم الثاقب]^(٢).

وقد أفرد^(٣) هذا النوع بالتصنيف خلق، منهم^(٤) [فيما أحسب]^(٥) الكسائي^(٦)، ونظمه السخاوي^(٧)، وألف في توجيهه الكرمانى كتابه «البرهان [في]^(٨) متشابه القرآن»^(٩) (وأحسن منه)^(١٠) «درة التنزيل وغرة

(١) في (ح): «علم الآيات المتشابهات المتشاكلات»، وفي الإتيان: ٣/٣٣٩: «في الآيات المتشابهات». وهذا النوع أيضاً منقول من الإتيان: ٣/٣٣٩ - ٣٤٤.

(٢) ما بين القوسين كلام المؤلف، وهو ساقط من (ح).

(٣) بداية النقل من الإتيان: ٣/٣٣٩.

(٤) في الإتيان: «أفردته بالتصنيف خلق أولهم».

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٣٩.

(٦) هو: علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن الكسائي الكوفي إمام في اللغة والنحو والقراءة، صاحب معاني القرآن ومختصر في النحو، توفي سنة (١١٨٩هـ).

انظر: طبقات القراءة: ١/٥٣٥، وبغية الوعاة: ٣٣٦، وفيات الأعيان: ٣/٢٩٥، سير أعلام النبلاء: ١٦/٤٦٥.

(٧) هو: علي بن محمد بن عبد الصمد أبو الحسن علم الدين السخاوي المقرئ المفسر، صاحب «هداية المرتاب في المتشابه»، ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة، وتوفي سنة (٦٤٣هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/٤٢٥، وطبقات القراء لابن الجزري: ١/٥٦٨، نظم السخاوي في كتابه «هداية المرتاب في المتشابه».

(٨) كلمة «في» ساقطة من الإتيان: ٣/٣٣٩.

(٩) عنوان الكتاب الكامل: «البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبرهان» لمحمود الكرمانى، وهو مطبوع حققه عبد القادر عطاء، دار الاعتصام، ط٣، سنة (١٣٩٨هـ)، لكنه غير عنوان الكتاب إلى «أسرار التكرار في القرآن».

(١٠) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٣٩.

التأويل»^(١) لأبي عبد الله الرازي^(٢)، [وأحسن من هذا]^(٣) «ملاك التأويل»^(٤) لأبي جعفر ابن الزبير [ولم أقف عليه]^(٥)، وللقاضي بدر الدين ابن جماعة^(٦) في ذلك [كتاب]^(٧) لطيف سمّاه: «كشف المعاني في متشابه المثنائي»^(٨)، [قال السيوطي - رحمه الله تعالى -]^(٩): وفي كتابي أسرار التنزيل المسمى «قطف الأزهار في كشف الأسرار»^(١٠) من ذلك الجم الغفير.

(١) عنوان الكتاب الكامل: «درة التأويل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز» لأبي عبد الله الرازي المعروف بالخطيب الإسكافي، وهو مطبوع بدار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٣، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني.

(٢) هو: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الرازي المعروف بالخطيب الإسكافي، مؤدب لغوي صاحب مبادئ اللغة، ودرة التنزيل وغرة التأويل، المتوفى سنة (٤٢٠هـ). انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ٦٣.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت من الإتيان: ٣/٣٣٩.

(٤) العنوان الكامل: «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل» لأحمد بن إبراهيم بن الزبير، حققه سعيد الفلاح، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، بإشراف الأستاذ عبد الله الأصيل عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، في مجلدين، دار الغرب الإسلامي.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٣٩.

(٦) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بدر الدين أبو عبد الله الشافعي، صاحب غرر البيان لمبهمات القرآن، والتعريف والأعلام، سمع من شيخ شيوخ الأنصار ومن والده، ولد سنة (٦٣٩هـ)، وتوفي سنة (٧٣٣هـ). انظر: فوات الوفيات للكتبي: ٣/٧٩٧، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/٤٨، وطبقات الشافعية: ٩/١٤٦.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) ذكره صاحب كشف الظنون: ٤/٣٦٧ بعنوان: «كشف المعاني عن متشابه المثنائي»، هكذا بـ«عَنْ» بدل «فِي» وكذلك المؤلف، وهو محقق حققه عبد الوهاب المشهداني بإشراف الدكتور مصطفى مسلم، قدّمه لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ).

(٩) هذا الكلام يوهّم أن ما قبله من كلام المؤلف وهو ليس كذلك، بل هو من كلام السيوطي.

(١٠) وهو مخطوط في برلين رقم (٦/٧٢٣).

انظر: حسن المحاضرة للسيوطي: ١/١٤٢، ودليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها صفحة (٣٠).

وقال ابن الجوزي^(١) في كتابه «المدهش»^(٢) له: فصول في عيون المتشابه، فصل: في الحروف المبدلات: في (البقرة) ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [٢٩]، وفي (حم السجدة): [١٢]^(٣): ﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ﴾. في (البقرة): ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ [٣٥]، وفي (الأعراف): ﴿وَيَتَكَادُمْ أَسْكُنْ﴾ [١٩].

في (البقرة): ﴿وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [٥٧]، وفي (الأعراف): ﴿عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ [١٦٠]، في (البقرة): ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ [٦٠]، وفي (الأعراف): ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ﴾^(٤) [١٦٠]، في (البقرة): ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ [١٢٥]، وفي (الحج): ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ [٢٦].

في (البقرة): ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا﴾ [١٣٦]، وفي (آل عمران): ﴿عَلَيْنَا﴾ [٨٤]. في (البقرة): ﴿أَوَّلُو كَاتِبًا وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ [١٧٠]، وفي (المائدة): ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٠٤].

في (آل عمران): ﴿لِكَيْلًا تَحْزَنُوا﴾ [٢٣]، وفي الحديد: ﴿لِكَيْلًا تَأْسَوْا﴾ [٢٣]. في سورة (النساء): ﴿إِنْ يُبَدُوا خَيْرًا﴾ [١٤٩]، وفي (الأحزاب): ﴿شَيْئًا﴾ [٥٤].

في (الأنعام): ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [١٥١]^(٥)،

(١) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد جمال الدين أبو الفرج الجوزي البغدادي صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة (٥٥٠٨هـ) تقريباً، وتوفي سنة (٥٩٧هـ). طبقات المفسرين للداودي: ٢٨٠/١، وطبقات القراء لابن الجزري: ٣٧٥/١. الجوزي: بفتح الجيم وسكون الواو في آخرها الزاي هذه النسبة إلى الجوز ويبعه. اللباب لابن الأثير: ٣٠٩/١.

(٢) كتاب المدهش لابن الجوزي: ١٨ - ٢١، تحقيق الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، سنة (١٤٠١هـ).

(٣) تعني سورة فصلت.

(٤) معناها: انفجرت والفرق بينهما: أن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع. مفردات الراغب: ٦٧.

(٥) الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ أن الأولى ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ خطاب للفقراء المقولين، أي: لا تقتلوهم من فقر بكم، فحسن ﴿مَنْ رَزَقُكُمْ﴾، ما يزول به إملاقكم، ثم قال: ﴿وَأَيَّاهُمْ﴾، أي: نرزقكم جميعاً. والثانية خطاب للأغنياء، أي: خشية فقر يحصل لكم بسببهم، ولذا حسن ﴿مَنْ رَزَقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

وفي بني إسرائيل^(١): ﴿خَشِيَ إِمْلَقٌ﴾ [الإسراء: ٣١].
في (الأعراف): ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [١٠٥]، وفي (طه): ﴿مَعَنَا﴾ [٤٧].

في (الأعراف): ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [١١١]، وفي (الشعراء):
﴿وَأَبْعَثْ﴾ [٣٦].
في (الأعراف): ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ﴾ [١٢٤]، وفي (الشعراء) ﴿وَأَصْلَبَنَّاكُمْ﴾ [٤٩]^(٢).

في (التوبة): ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا﴾ [٢٢]، وفي (الصف): ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ [٨].
في (يونس): ﴿فَأَنْبَعَثَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ [٩٠]، وفي (طه): ﴿يَجْنُودُهُ﴾ [٧٨].
في (هود): ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [٨٢]، وفي (الحجر): ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [٧٤].
[في الحجر]^(٣) ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ [١١]، وفي (الزخرف): ﴿مِنْ نَبِيِّ﴾ [٧].

في (الحجر): ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ﴾ [١٢]، وفي (الشعراء): ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ [٢٠٠].

في (الكهف): ﴿وَلَيْنَ رُودَتْ﴾ [٣٦]، وفي (حم): ﴿وَلَيْنَ رُجِعَتْ﴾ [فصلت: ٥٠].

في (الكهف): ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [٥٧]، وفي (الم السجدة): ﴿فَرَأَى أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [٢٢].

في (طه): ﴿وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [٥٣]، وفي (الزخرف): ﴿وَجَعَلَ﴾ [١٠].
في (الأنبياء): ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٧)، وفي
(الصافات): ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٧٨).

= ذكره السيوطي في الإتقان: ٣/٣٤٣، ويأتي صفحة (٤٩٨).

(١) هي سورة الإسراء، وبنو إسرائيل هم: أولاد يعقوب عليه السلام نسبة إلى أبيهم، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام و«إسرائيل» كلمة عبرانية مركبة من «إسرا» بمعنى عبد أو صفوة، ومن «إيل» وهو الله، فيكون معنى الكلمة عبد الله أو صفوة الله.

بنو إسرائيل في القرآن والسنّة، د. محمد طنطاوي: ٦، ط ١، سنة (١٣٨٨هـ).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ح).

(٣) ساقط من (هـ) مثبت في (ح) كما في المدهش: ١٨.

في (الأنبياء): ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [٩٣]، وفي (المؤمنين): ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ [٥٣].

في (النمل): ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [٨٧].

وفي (الزمر): ﴿فَصَبَقَ﴾ [٦٨]. في (القصص): ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ [٩] وفي (حم) (عسق): ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ [الشورى: ٣٦]^(١).

في (العنكبوت): ﴿لِتُشْرِكَ بِي﴾ [٨]، وفي (لقمان): ﴿عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ [١٥].

في (العنكبوت): ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً﴾ [٣٥]، وفي (القمر): ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ [١٥].

في (حم السجدة): ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ [فصلت: ٥٣]^(٢)، وفي (الأحقاف): ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ [١٠].

فصل في آخر الحروف الزوائد والنواقص

في (البقرة): ﴿فَأَتُوا سُورَةَ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [٢٣]. وفي (يونس): ﴿بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [٣٨]^(٣).

في (البقرة): ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَنَّى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [٣٤]. وفي (ص): ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾ [٧٤].

في (البقرة): ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [٣٨]. وفي (طه): ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ﴾ [١٢٣].

في (البقرة): ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ﴾ [٤٩]. وفي (الأعراف): ﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ﴾ [١٤١].

في (البقرة): ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [٥٨]. وفي (الأعراف): ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا﴾ [١٦١].

في (البقرة): ﴿وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٨].

(١) هي سورة الشورى.

(٢) هي سورة فصلت.

(٣) وجود: «من» في سورة البقرة تدل على أن الله تعالى لا يطالبهم بكلام يشبه القرآن تماماً، ولكن بكلام من مثله يعني يقاربه ولا يشابهه تماماً. انظر: النبا العظيم للدكتور محمد دراز: ٧٦، ١٠٠.

وفي (الأعراف): ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٦١].
 في (البقرة): ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا﴾ [٥٩]. وفي (الأعراف): ﴿مِنْهُمْ قَوْلًا﴾ [١٦٢].
 في (البقرة): ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [٨٣]. وفي (النساء): ﴿وَيَذَى الْقُرْبَىٰ﴾ [٣٦].
 في (البقرة): ﴿وَمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أَوْفَىٰ النَّبِيُّونَ﴾ [١٣٦]. وفي (آل عمران): ﴿وَالنَّبِيُّونَ﴾ [٨٤].
 في (البقرة): ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [١٩٣]. وفي (الأنفال): ﴿كَلِمَةً لِلَّهِ﴾ [٣٩].
 في (آل عمران): ﴿تَبَعُونَهَا عِوَجًا﴾ [٩٩]، وفي (الأعراف): ﴿بِهِ وَتَبَعُونَهَا عِوَجًا﴾ [٨٦].
 في (آل عمران): ﴿إِلَّا بُشِّرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ﴾ [١٢٦]، وفي (الأنفال): ﴿إِلَّا بُشِّرَىٰ وَلِنُظْمِينَ بِهِ قُلُوبِكُمْ﴾ [١٠].
 في (النساء): ﴿فَنَجِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [٢٢]، وفي بني (إسرائيل) [الإسراء]: ﴿فَنَجِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [٣٢].
 في (الأنعام): ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [٥٠]، وفي (هود): ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [٣١].
 في (الأعراف): ﴿رِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [١١]، وفي (الشعراء): ﴿بِسِحْرِي﴾ [٣٥].
 في (الأعراف): ﴿وَإِنَّا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [١١٤]، وفي (الشعراء): ﴿وَإِنَّا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [٤٢].
 في (الأعراف): ﴿قَالَ الْفَوَّارُ﴾ [١١٦]، وفي (طه): ﴿بَلِ الْفَوَّارُ﴾ [٦٦].
 في (الأعراف): ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ [١٥٠]، وفي (طه): ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ [٩٤].
 في (براءة): ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ [التوبة: ٣٩]، وفي (هود): ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ﴾ [٥٧].
 في (هود): ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ [٧٧]، وفي (العنكبوت): ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ﴾ [٣٣].
 في (يوسف): ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ عَاقَبْتَهُ حَكْمًا وَعِلْمًا﴾ [٢٢]، وفي (القصص): ﴿وَأَسْتَوَىٰ﴾ [١٤].
 في (النحل): ﴿لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمِ شَيْئًا﴾ [٧٠]، وفي (الحج): ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا﴾ [٥].

في (النحل): ﴿وَبِئَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [٧٢]، وفي (العنكبوت): ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [٦٧].

في (النحل): ﴿وَلَا تَلُكْ فِي صَيقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [١٢٧]، وفي (النمل): ﴿وَلَا تَكُنْ﴾ [٧٠].

في (الحج): ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا﴾ [٢٢]، وفي (السجدة): ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا﴾ [٢].

في (الحج): ﴿وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [٦٢]، وفي (لقمان): ﴿مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [٣٠].

في (الشعراء): ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [٧٠]، وفي (الصفات): ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [٨٥].

في (النمل): ﴿وَمَنْ شَكَرْ﴾ [٤٠]، وفي (لقمان): ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ﴾ [١٢].

في (القصص): ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [٨٢]، وفي (العنكبوت): ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [٦٢].

في (النازعات): ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ [١٥]، وفي (الفجر): ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ [٢٣]. انتهى (١).

وقال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في نوع المتشابهات: والقصد (٢) به إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، بل تأتي في موضع واحد مقدماً، وفي آخر مؤخراً كقوله في (البقرة): ﴿وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سُجْدَاكُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [٥٨]، وفي (الأعراف): ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا أَبْوََابَ سُجْدَاكُمْ﴾ [١٦١]، وفي (البقرة): ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [١٧٣]، وسائر (القرآن): ﴿وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣، والأنعام: ١٤٥، والنحل: ١١٥].

أو في موضع بزيادة، وفي آخر بدونها، نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [٦] [في البقرة] (٣)، وفي (يس): ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [١٠]. [في البقرة] (٤): ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [١٩٣]، وفي (الأنفال): ﴿كَلِمَةً لِلَّهِ﴾ [٣٩].

أو في موضع معرفاً، وفي آخر منكرأً، أو مفرداً وفي آخر جمعاً، أو بحرف

(١) انتهى كلام ابن الجوزي في المدهش: ١٨ - ٢١.

(٢) من هنا يبدأ النقل من الإتيان: ٣٣٩/٣.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣٣٩/٣.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣٣٩/٣.

وفي آخر بحرف آخر، أو مدغماً وفي آخر مفكوكاً، وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات.

وهذه أمثلة منه بتوجيهاتها:

قوله تعالى في (البقرة): ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٢]، وفي (لقمان): ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [٣]... ﴿...﴾؛ لأنه لما ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب ﴿الْمُتَّقِينَ﴾، ولما ذكر ثم الرحمة ناسب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا قَوْمِ اسْكُنُوا أَسْكُنُوا أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾ [البقرة: ٣٥]، وفي (الأعراف): ﴿فَكَلَّا﴾ [١٩] بالفاء، قيل: لأن السكنى في (البقرة) الإقامة، وفي (الأعراف) اتخاذ المسكن فلما نُسب القول إليه تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا قَوْمِ اسْكُنُوا﴾ زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل، ولذا قال [فيه]^(١): ﴿رَعَدًا﴾، وقال: ﴿حَيْثُ شِئْنَا﴾؛ لأنه أعم وفي (الأعراف): ﴿وَيَكَادُمُ﴾ فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها؛ لأن الأكل بعد الاتخاذ، و﴿مِنْ حَيْثُ﴾ لا تعطي عموم معنى: ﴿حَيْثُ شِئْنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْقُضُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقال بعد ذلك: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] فيه تقديم العدل وتأخره، والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى، و[ذكر]^(٢) في حكمته أن الضمير في «منها» راجع في [الأولى]^(٣) إلى النفس الأولى، وفي [الثانية]^(٤) إلى النفس الثانية، فبين في الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل، وقدمت الشفاعة لأن الشافع [يقدم الشفاعة على العدل]^(٥)، وبين في الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنفعها شفاعة شافع منها، وقدم العدل لأن الحاجة إلى الشفاعة إنما تكون عند رده.

(١) ساقطة من (هـ) و(ج) مثبت في الإتيان: ٣/٣٤٠.

(٢) ساقط من (هـ) و(ج) مثبت في الإتيان: ٣/٣٤٠.

(٣) في (هـ) و(ج): «الأول» وما أثبتته من الإتيان: ٣/٣٤٠.

(٤) في (هـ) و(ج): «النفس» وما أثبتته من الإتيان: ٣/٣٤٠.

(٥) في (هـ) و(ج): «يقدم الشافعة على بدل العدل عنها»، وما أثبتته في الإتيان: ٣/٣٤٠.

ولذلك قال في الأولى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾، وفي الثانية: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾؛ لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له.
 قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ﴾ [البقرة: ٤٩]، وفي (إبراهيم): ﴿وَيَدَّبَّحُونَ﴾ [٦] بالواو؛ لأن الأولى من كلامه تعالى [لهم]^(١)، فلم يعدد عليهم المحن تكرماً في الخطاب، والثانية من كلام موسى فعدها. وفي (الأعراف): ﴿يُقِيلُونَ﴾ [١٤١] وهو من تنويع الألفاظ المسمى بالتفنن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ...﴾ الآية [البقرة: ٥٨]^(٢)، وفي آية (الأعراف) اختلاف ألفاظ^(٣)، ونكته [أن]^(٤) آية (البقرة) في معرض ذكر النعم عليهم حيث قال: ﴿يَنْبِئُ إِسْرَائِيلَ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ سَمَوَاتِنَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٤٠، ٤٧، ١٢٢]، إلى آخره، فناسب نسبة القول إليه تعالى، وناسب قوله: ﴿رَعْدًا﴾^(٥) لأن النعم به أتم، وناسب تقديم ﴿وَأَدْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدَا﴾ [البقرة: ٤٧]، وناسب ﴿حَطَبَاتِكُمْ﴾ لأنه جمع كثرة، وناسب الواو في ﴿وَسَزِيدٌ﴾ لدالاتها على الجمع بينهما، وناسب الفاء في ﴿فَكُلُوا﴾ لأن الأكل مترتب على الدخول. وآية (الأعراف) افتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ثم اتخذهم العجل، فناسب ذلك، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦١]، وناسب ترك ﴿رَعْدًا﴾ والسكنى (لجامع)^(٦) الأكل فقال: ﴿فَكُلُوا﴾، وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا وترك الواو في ﴿سَزِيدٌ﴾.

ولما كان في (الأعراف) تبعيض الهادين بقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ

(١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٤١.

(٢) وتتمتها: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَعْدًا وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدَا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَنْزِلَ لَكُمْ حَطَبَاتِكُمْ وَسَزِيدٌ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(٣) وهي بتمامها: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا أَبْوَابَ سُجْدَا نَقُفِرْ لَكُمْ حَطَبَاتِكُمْ سَزِيدٌ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١].

(٤) في (هـ) و(ح): «إذا» وما أثبتته في الإتيان: ٣/٣٤١.

(٥) رعداً: كثيراً واسعاً. يقال: عيش رعد ورغيد، طيب كثير واسع.

انظر: المفردات للراغب: ١٩٨، وتفسير الشوكاني: ٨٩/١.

(٦) في الإتيان: ٣/٣٤١: «تجامع».

يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴿١٥٩﴾ ناسب تبعيض الظالمين بقوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [١٦٢] ولم يتقدم في (البقرة) مثله فترك.

وفي (البقرة) إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا [لتصريحه^(١)] بالإنزال على المتصفين بالظلم^(٢)، والإرسال أشد وقعاً من الإنزال، فناسب سياق ذكر النعمة في (البقرة) ذلك، وختم آية (البقرة) بـ ﴿يَفْسُقُونَ﴾ [٥٩]، ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق^(٣)، فناسب كل لفظة منها سياقها.

وكذا في (البقرة): ﴿فَأَنْجَرْتُمْ﴾ [٦٠] وفي (الأعراف): ﴿فَأَنْجَسْتُمْ﴾ [١٦٠] لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء^(٤)، فناسب سياق ذكر النعم التعبير به.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا الْكَلْبُ إِلَّا أُنكَاةً مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وفي (آل عمران): ﴿مَعْدُودَتٍ﴾ [٢٤] قال ابن جماعة: لأن [قائل]^(٥) ذلك فرقتان من (اليهود)^(٦)، إحداهما قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا^(٧)، والأخرى قالت: إنما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم

(١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٤١.

(٢) قال الراغب في مفرداته: ٣١٥: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه. ويقال: في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر، وفيما يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير.

(٣) الفسق: خروج عن حجر الشرع. يقال: فسق فلان: خرج عن حجر الشرع، من قولهم: فسق الرطب إذا خرج عن قشره. وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، ولكن تعرف فيما كان كثيراً.
المفردات للراغب: ٣٨٠.

(٤) قال الراغب في مفرداته: ٦٧: إن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع.

(٥) في (هـ) و(ح): «قائلي» وما أثبتته في الإتيان: ٣/٣٤٢.

(٦) هم أمة موسى ﷺ وكتابتهم التوراة إنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى ﷺ: ﴿إِنَّا هُنَا بِإِيَّاكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: رجعنا وتضرعنا.
الملل والنحل: ٢/٢١٠.

(٧) عن ابن عباس ؓ أن اليهود كانوا يقولون: إن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودة فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا الْكَلْبُ إِلَّا أُنكَاةً مَعْدُودَةً﴾ إلى قوله: ﴿تَخْلُدُونَ﴾.

أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢/٢٧٦، وذكره ابن كثير في تفسيره: ١/٢٠٦.

العجل^(١)، فأية (البقرة) تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة، و(آل عمران) بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة^(٢).

وقال أبو عبد الله الرازي^(٣): إنه من باب التفتن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة: ١٢٠]. وفي (آل عمران): ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ [٧٢]؛ لأن الهدى في (البقرة) المراد به تحويل القبلة، وفي (آل عمران) المراد به الدين لتقدم قوله: ﴿لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [٧٢] ومعناه إن دين الله الإسلام.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، وفي (إبراهيم): ﴿هَذَا بَلَدٌ ءَامِنٌ﴾ [٣٥]، لأن الأول دعا به قبل مصيره بلداً عند (نزول)^(٤) هاجر وإسماعيل به، وهو وادٍ، فدعا بأن يصير بلداً، والثاني دعا به بعد عوده وسكنى جرهم^(٥) به ومصيره بلداً فدعا بأمنه^(٦).

قوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامِنًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي (آل عمران): ﴿قُلْ ءَامِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [٨٤]؛ لأن الأولى خطاب للمسلمين، والثانية خطاب للنبي ﷺ، و«إلى» ينتهى بها من كل جهة، و«على»

(١) عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ اليهود قالوا: لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة، زاده غيره وهي مدة عبادتهم العجل.

وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يعني الأيام التي عبدنا فيها العجل.

أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٢٧٦/٢، ٢٧٧، وذكره ابن كثير في تفسيره: ٢٠٦/١.

(٢) لأن جمع المؤنث السالم يفيد القلة.

(٣) هو محمد بن عبد الله الإسكافي - سبقت ترجمته - (المدقق).

(٤) في الإتيان: ٣/٣٤٣.

(٥) هم: جرهم الثانية، أي: جرهم القحطانيون، فينسبهم بعض أهل الأخبار إلى (جرهم بن قحطان بن هود) وهم أصهار إسماعيل.

أما جرهم الأولى: أنهم من طبقة العرب البائدة، وأنهم كانوا يقيمون بمكة ويرجعون أنسابهم إلى (عابر).

انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٤٤/١.

(٦) وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [١٢٦]. [إبراهيم: ٣٧].

لا ينتهي بها إلا من جهة واحدة وهي العلو^(١)، والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مبلغه إياهم منها وإنما أتى النبي ﷺ من جهة العلو خاصة، فناسب قوله: ﴿عَلَيْنَا﴾، ولهذا أكثر ما جاء في جهة النبي ﷺ بـ«على»، وأكثر ما جاء في جهة الأمة بـ«إلى».

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال بعد ذلك: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ لأن الأولى وردت بعد نواه فناسب النهي عن قربانها، والثانية بعد أوامر فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها.

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٣]، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] لأن الكتاب أنزل منجماً فناسب الإتيان بـ«نَزَّلَ» الدال على التكرير بخلافهما فإنهما أنزلا دفعة^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وفي (الإسراء): ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [٣١]؛ لأن الأولى خطاب للفقراء المقلين، أي لا تقتلوهم من فقر بكم، فحسن ﴿فَخُنُّ نَزْزُقُكُمْ﴾، ما يزول به إملاقكم، ثم قال: ﴿وَأِيَّاهُمْ﴾ أي: نرزقكم جميعاً و[الثانية]^(٣) خطاب للأغنياء، أي خشية فقر

(١) وهذا فرق بين «إلى» و«على» لأن من معاني «على» الاستعلاء. أما معنى إلى انتهاء الغاية وهو حرف يحد به النهاية من الجوانب الست.

انظر: المفردات للراغب: ٢٢، وأوضح المسالك لابن هشام: ١١٧/٢.

(٢) هذا فرق بين «نزل» و«أنزل» لكن أبا الحسن كما ذكره صاحب لسان العرب: ١١/٦٥٦ أنه لا يفرق بينهما حيث قال: لا فرق عندي بين «نزلت» و«أنزلت» إلا صيغة التكثير في «نزلت» في قراءة ابن مسعود: «وأنزل الملائكة تنزيلاً».

وهذا القول لا تطمئن إليه النفس؛ لأن الله ﷻ عندما يفرق بينهما فلا بد هناك من فروق.

والصواب ما ذكره المؤلف ويؤيده ما قاله جماعة من أهل التحقيق، أن التنزيل تدريجي، والإنزال دفعي، وقال الراغب وتبعه صاحب البصائر: الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشعر إلى إنزاله متفرقاً ومنجماً ومرة بعد أخرى، والإنزال عام.

المفردات للراغب: ٤٨٩، والبصائر: ٤٠/٥، وتاج العروس للزبيدي: ١٣٣/٨.

(٣) في (هـ) و(ح): «والثاني»، وما أثبتته في الإتيان: ٣٤٣/٣.

يحصل لكم بسببهم، ولذا حسن ﴿تَحْنُ نَزْفُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].
 قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وفي
 (فصلت): ﴿فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٣٦] قال ابن جماعة: لأن
 آية (الأعراف): نزلت أولاً، وآية (فصلت): [نزلت]^(١) ثانياً فحسن التعريف،
 أي هو السميع العليم الذي تقدم ذكره أولاً عند نزوغ الشيطان^(٢).
 قوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال في
 (المؤمنين): ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وفي (الكفار): ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]؛ لأن المنافقين ليسوا متناصرين على دين
 معين وشريعة ظاهرة؛ فكان بعضهم أولياء (يهود)، وبعضهم مشركين، فقال:
 ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾، أي: في الشك والنفاق، والمؤمنون متناصرون على دين
 الإسلام، وكذلك الكفار المعلنون بالكفر كلهم أعوان بعض ومجتمعون على
 التناصر، بخلاف المنافقين، كما قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾
 [الحشر: ١٤].

فهذه أمثلة يستضاء بها، وقد تقدم منها كثير في نوع التقديم والتأخير^(٣)،
 وفي نوع الفواصل^(٤)، وفي أنواع آخر^(٥).
 انتهى^(٦)، والله أعلم.

(١) ساقطة من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٣٤٣.

(٢) أي: المذكور أول آية الأعراف (٢٠٠) بقوله تعالى: ﴿وَأِنَّمَا يَنْزَغُنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ...﴾.

ينزغناك: يصرفناك عما أمرت، نزغ: صارف.

(٣) انظر: الإتيان، النوع الرابع والأربعين: ٣/٣٣.

(٤) انظر: الإتيان، النوع التاسع والخمسين: ٣/٢٩٠.

(٥) انظر: الإتيان، النوع التاسع والأربعين في مطلقه ومفيده: ٩١ - ٩٨، والنوع السابع والخمسين في الخبر والإنشاء: ٢٢٥ - ٢٤٨ وغيرهما.

(٦) انتهى كلام السيوطي. الإتيان: ٣٣٩ - ٣٤٤.

النوع الرابع والعشرون بعد المائة

علم لطائف القرآن
وأسراره ونكته وفوائده



النوع الرابع والعشرون بعد المائة

علم لطائف القرآن وأسراره ونكته وفوائده

ولم يذكره الحافظ السيوطي في الإتيان^(١)، وعلامة أن الجواب لي في الآية أن أقول: قلت: الجواب كذا، وإذا كان الجواب مما قيل أقول: والجواب.

وقد أَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ تَأْلِيفًا حَسَنًا وَكُتِبَ التَّفْسِيرُ مَشْحُونَةً^(٢) بِذَلِكَ خُصُوصًا التَّفْسِيرَ الْكَبِيرَ^(٣) لِلْإِمَامِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ.

والمقصود في هذا النوع بيان سر التقديم والتأخير، والتعبير بالمجاز دون الحقيقة وإظهار أسرار ذلك ونكته ولطائفه، وقد تقدم في نوع الآيات المتشابهات المتشاكلات^(٤) جانب من ذلك، وفي غيره من الأنواع مفرقاً.

وهذا النوع نذكر فيه اللطائف لا المتشابهات. وقد أَلَفَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيُّ^(٥) فِي ذَلِكَ كِتَابًا سَمَّاهُ: «أَسْئَلَةُ الْقُرْآنِ»^(٦)، وَاخْتَصَرَهُ الْقَاضِي

(١) لم يذكره مفرداً، ولكنه ذكر بعضاً منه مثل: قاعدة في الأفراد والجمع. انظر: الإتيان: ٣٠٠/٢.

(٢) مشحونة: أي مملوءة. قال تعالى: ﴿إِذْ أَتَىٰ إِلَىٰ أَلْمَلِكِ الْمَشْحُونُ﴾ [الصفافات: ١٤٠].

انظر: المفردات للراغب: ٢٥٦، واللسان: ٢٣٤/١٣.

(٣) هو: مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير.

(٤) انظر: النوع الثالث والعشرين بعد المائة (١٢٣) صفحة (٤٨٤)، والإتيان، النوع

الثالث والستين: ٣٣٩/٣، ٣٤٤.

(٥) هو: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، لغوي، فقيه، صوفي، مفسر،

أديب، أصله من الري، من تصانيفه: مختار الصحاح، ودقائق الحقائق، وأسئلة القرآن وأجوبتها، توفي سنة (٦٦٠هـ).

انظر: كشف الظنون: ٩٢/١، وإيضاح المكنون: ٤٤٥/١، وهديّة العارفين: ١٢٧/٢.

(٦) قال صاحب كشف الظنون: أسئلة القرآن وأجوبتها لشمس الدين أبي بكر محمد بن

أبي بكر صاحب مختار الصحاح، المتوفى سنة (٦٦٠هـ)، وهي ألف ومائتا سؤال، ثم لخصها زكريا بن محمد الأنصاري وزاد عليها. كشف الظنون: ٩٢/١.

زكريا الأنصاري^(١)، وليس هذا الرازي هو الفخر بل غيره^(٢)، وسنورده من عيون هذا النوع نبذة من سورة (الفتاححة). فإن قيل: المراد بـ﴿الْصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الإسلام أو القرآن، أو طريق الجنة، والمؤمنون مهتدون إلى ذلك، فما معنى ﴿أَهْدِينَا﴾ مع كونهم مهديين؟

الجواب معناه: ثبتنا عليه وأدمننا على ذلك، كما تقول العرب للواقف: قف حتى آتيك، أي: دُم على وقوفك واثبت^(٣).

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] وكم مراتب من الخلق؟

فالجواب: هو في ذاته بلغ الرتبة العليا من الكمال، بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه وإن وجد ريب فلا يعتدُّ به، أو لا ريب فيه عند أهل المعرفة والبصيرة والتفكير فمن سواهم لا يعتدُّ به. فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] أجاب الرازي أنه تأكيد^(٤).

(١) هو: زكريا بن محمد بن أحمد زين الدين أبو يحيى الأنصاري الشافعي، صاحب غاية الوصول شرح لب الأصول، ومختصر أسئلة القرآن وأجوبتها، توفي سنة (٩٢٦هـ). انظر: شذرات الذهب: ١٣٤/٨، ومعجم المؤلفين: ١٨٢/٤. الأنصاري: النسبة إلى الأنصار، قيل لهم: الأنصار لنصرتهم رسول الله ﷺ. اللباب لابن الأثير: ٨٩/١.

(٢) هو: الرازي صاحب مختار الصحاح كما ذكرته قريباً صفحة (٥٠٢). (٣) هذا التوجيه قيم جداً، ويؤيده ما قاله الرازي في تفسيره: تفسير ﴿أَهْدِينَا﴾ أي: ثبتنا على الهداية التي وهبتها منا، ونظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: ثبتنا على الهداية. فكم من عالم وقعت له شبهة ضعيفة في خاطره فزاغ وذل وانحرف عن الدين القيم والمنهج المستقيم. مفاتيح الغيب: ٢٥٧/١.

قلت: ولذلك نرى رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك». رواه ابن ماجه في سننه في المقدمة، باب (١٣): ٦٣/١.

(٤) لم أعر على في التفسير الكبير للفخر الرازي، فإذا هذا القول في «أسئلة القرآن» للرازي صاحب مختار الصحاح ولم أعر على كتابه هذا. قال أبو حيان في البحر المحيط: ٣٤٨/١ باختصار: انتصاب حسداً على أنه مفعول من أجله والعامل فيه «وداً»، وجوزوا فيه أن يكون مصدرأ منصوباً على الحال والعامل فيه فعل محذوف يدل عليه المعنى، التقدير: حسدوكم حسداً، والأظهر الأول لأنه اجتمعت فيه شرائط المفعول من أجله، وعلى كلا التقديرين يكون توكيداً.

وأقول: إنه لما كانت النفس تطلق ويراد بها مجموع الخصال الذميمة ذكر من عند أنفسهم للإشارة إلى أن هذه الصفة القبيحة إنما نشأت من النفس، ولو أنهم تبصروا بنور العقل والفكر، وبصيرة القلب لما وقعوا في الحسد.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَرْبَابًا﴾ [البقرة: ٢٧٠] والحق والذم والوعيد على أكل الربا، والربا ينتفع به في وجوه من اللباس، والنكاح، والمسكن، والفراش، والأثاث، وغير ذلك؟.

الجواب: لما كان أكثر الانتفاع من المال بالأكل أطلق عليه^(١). والمقصود سائر الانتفاعات كما يقال: أكل فلان مال فلان، إذا انتفع بسائر الانتفاعات.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْقَيُّومُ﴾ [٢] نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿آل عمران: ١ - ٣﴾. ثم قال: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] الجواب: أن نزل يقتضي التكرار، والقرآن نزل منجماً مفرقاً مرة بعد أخرى، والتوراة والإنجيل أنزلت جملة، فناسب (أنزل)؛ فإن (أنزل) لا يقتضي التكرار^(٢).

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿وَأَتَوْا أَلْيَتَهُمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢]، واليتيم^(٣) لا يعطى ماله حتى يبلغ، وإذا بلغ لا يسمى يتيماً، فهو يقتضي إعطائهم أموالهم قبل البلوغ؟.

الجواب: لا يعطى إلا بعد البلوغ، وتسميته يتيماً مجازاً عن ما كانوا عليه من اليتيم^(٤).

(١) قال الرازي: وخص الأكل لأنه معظم الأمر كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ أَلْيَتِهِمْ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]، وكما لا يجوز أكل مال اليتيم لا يجوز إتلافه، ولكنه نبه بالأكل على ما سواه.

التفسير الكبير: ٨٥/٧.

(٢) قال الراغب وتبعه صاحب البصائر: الفرق بين (الإنزال) و(التنزيل) في وصف القرآن والملائكة، أن (التنزيل) يختص بالموضع الذي يشعر إلى إنزاله متفرقاً ومنجماً ومرة بعد أخرى، و(الإنزال) عام.

انظر: المفردات: ٤٨٩، والبصائر: ٤/٥.

(٣) قال الراغب في المفردات: ٥٥٠: اليتيم: انقطاع الصبي عن أبيه. وفي البصائر للفيروز: ٣٨٠/٥. اليتيم واليتيم: فقدان الأب، وهو يتيم ما لم يبلغ الحلم.

(٤) هذا الجواب لا بأس به من حيث تسميته يتيماً بعد البلوغ مجازاً عن ما كانوا عليه من اليتيم لقرب عهدهم باليتيم.

فإن قلت: كيف صح قول اليهود فيما حكاه الله عنهم: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ مَهْتَنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦] وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴿ [النساء: ١٥٦، ١٥٧].

فكيف قالوا: رسول الله وهم لا يقولون برسالته ولا يؤمنون به؟
والجواب: قد تقدم في نوع: «المفصول معنى الموصول لفظاً»^(١) من هذا النوع آيات، وهذا لأنه منه، فيكون قولهم انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٥٧]، واستأنف الكلام فقال تعالى: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾^(٢) تشنيعاً عليهم وتعظيماً لافتراءهم (فيكون)^(٣) من قول الله تعالى، لا من قولهم^(٤).

فإن قلت: كيف قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]^(٥)، والغفران إنما يكون في عمل السيئات لا في عمل الحسنات؟

الجواب: لما كانت أعمال الحسنات يدخلها التقصير (من عدم التوجه الكامل)^(٦) في الطاعة، ودخول الرياء والغفلة، فكان قوله تعالى: ﴿لَهُمْ

= وهناك جواب آخر تطمئن إليه النفس وهو الذي ذكره الرازي في التفسير الكبير: ١٦٨/٩ حيث قال: إن قوله: «وأتوا» أمر، والأمر إنما يتناول المستقبل، فكان المعنى: أن هؤلاء الذين هم يتامى في الحال أتوهم بعد زوال صفة اليتيم عنهم أموالهم، وعلى هذا زالت المناقضة.

(١) انظر: النوع التاسع والسبعين «علم الموصول لفظاً والمفصول معنى» في (ح): ٩٦ب، والإتقان النوع التاسع والعشرين «في بيان الموصول لفظاً والمفصول معنى»: ٢٥٢/١ - ٢٥٤.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) إن هذا القول لم أجد ما يؤيده من أن كلمة «رَسُولَ اللَّهِ» استئناف من كلام الله تعالى، وأنا مع الرازي أن هذه الآية من قول اليهود وأنهم قالوا: (إن عيسى رسول الله) استهزاء كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُتِيبَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]. وكقول كفار قريش لمحمد ﷺ: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

انظر: التفسير الكبير: ٩٩/١١.

(٥) وفي سورة الفتح: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ﴾.

(٦) في (ح): «بياض».

مَغْفِرَةً ﴿﴾، أي: ستر وتجاوز عن ما وقع من تقصير في الطاعة، وقوله: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي جزاء على الطاعة.

فإن قلت: قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] كيف جمع الظلمات وأفرد النور؟.

الجواب: الأنوار لصفاتها كشيء واحد، فلذا أفردت، والظلمات لكثافتها وتباعدها بعضها عن بعض متكررة، فلهذا جمعت.

وأيضاً فإن الأنوار قريبة إلى العالم الأعلى وعالم القدس فالأنسب بها الأفراد. والظلمات مناسب للعالم الأدنى والأنسب بها الكثرة فلهذا جمعت^(١).

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام، ١٤٧] كيف ناسبه أن يقال: ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ والمقام يقتضي ذو عذاب شديد أو صاحب عقاب شديد حيث إنهم كذبوا الرسل؟

قلت: الجواب عن ذلك أن الله تعالى ذو رحمة واسعة لم يعجل العقوبة ولم يسارع بالנקمة على من عصى وتجراً وكذب الرسل، بل يهمل ثم يكون عاقبة الإهمال الانتقام كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

فإن قلت: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا^(٢) مَا كَانَتْ يَصْغَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْشَوْنَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقوله تعالى:

(١) هذا القول: حمل الظلمات والنور على الأمرين المحسوسين. وقريب من هذا ما ذكره الرازي في تفسيره: أن النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية، ثم إنها تقبل التناقض قليلاً، وتلك المراتب الكثيرة، فلهذا السبب عبر عن الظلمات بصيغة الجمع. وإذا كان المراد بالظلمات الكفر والضلال، وبالنور الإيمان والهدى، فالتعبير بالأفراد في (النور)، والجمع في الظلمات؛ لأن الحق واحد، والباطل كثير متعدد. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

انظر: التفسير الكبير: ١٥١/١٢، وروح المعاني: ٨٢/٧، والإتقان: ٣٠٠/٢.

(٢) قال الراغب في المفردات: ١٧٢.

التدمير: إدخال الهلاك على الشيء، ويقال: ما بالدار تدمري.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧، ٥٩]، فهذه الآية تقتضي بقاء آثارهم وبيوتهم، والآية السابقة تقتضي إهلاك آثارهم وذهابها؟

الجواب: أن الآية الأولى محمولة على المجاز ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من التدبير والإضلال ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الحيلة وغير ذلك، والآية الأخرى على الحقيقة، أو أن التدبير في الآية السابقة راجع إلى ما اخترعه فرعون وجبابرة قومه من المساكن الهائلة والأبنية الشامخة^(١) كقوله تعالى: ﴿يَهَيِّئْ لِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ دُورِ الْقَبْطِ وَمَسَاكِنَهُمُ الَّذِينَ هُمْ قَوْمُ فِرْعَوْنَ، فَلَا تَعَارِضُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «نَفِي مَا يُوْهُمُ التَّعَارِضُ»^(٢) جَانِبٍ مِنَ الْآيَاتِ تَشْبَهُ هَذِهِ الْآيَةِ.

فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠]^(٣)، والقول لا يكون إلا بالأفواه؟ فالجواب: الإعلام بأن ذلك مجرد قول لا أصل له، وظهر من ألسنتهم لم يستندوا فيه إلى عقل راجح ولا نقل^(٤).

فإن قلت: كيف قال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [يونس: ١٦]، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال في آية أخرى: ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، وأنكر على من قال ذلك في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ

(١) قال ابن كثير في تفسيره: ٢١٥/٣ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ أي: خربنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع وما كانوا يبنون.

وانظر: تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب: ٢١٠/٤.

(٢) انظر: الإتيان، النوع الثامن والأربعين في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض: ٣/

٧٩.

(٣) يضاهاون: أي يشابهون. قاله ابن كثير في تفسيره: ٣٨٥/٣.

(٤) ونظيره قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ يَا أُولَئِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وقال ابن كثير في تفسيره: ٣٨٥/٣ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افتراءهم واختلافهم.

فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَسُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ [النحل: ٣٥].

قلت: لم أر لأحد من أهل العلم عن هذا السؤال جواباً شافياً، وقد فتح الله علي بجواب حسن إن شاء الله تعالى، وهو أن الاحتجاج بالقدر مذموم إذا قصد به المتكلم تنزيه نفسه، وأن المعاصي والكفر لم يقع منه إلا بمشيئة الله وقدرته، فهذا مذموم لأنه يريد بذلك براءة نفسه، ونسبة المعصية إلى قضاء الله وقدره، فردّ الله على من قال ذلك من الكفر؛ لأنهم يريدون أن لا تثبت لله عليهم حجة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وحجة الله ثابتة على كل مخلوق، ومن قصد بإسناد القضاء والقدر إلى الله توحيد الصانع وبيان الأشياء راجعة إلى علم الله وإرادته وقدرته في كل حال، وهو يعتقد قيام حجة الله عليه، فهذا مذهب محمود وهو الذي ذكره الله في الآية السابقة [الأنعام: ١٤٩] فتحفظ بهذا الجواب. والله أعلم.

فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] والشك منتف عنه ﷺ؟

الجواب: أن هذا [خطاب للنبي] ^(١) ﷺ والمراد به أمته، وقد ذكروا لهذه الآية نظيراً ^(٢)، قالوا: إن الخطاب فيه للنبي ﷺ والمقصود به غيره.

فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿خَلْقَكُمْ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧]، والسموات والأرض تفتني؟

والجواب: أن ذلك خرج على عادة العرب في قولهم: (لا أفعل ما دام الجديدان) ^(٣)، عبارة عن عدم الفعل أبداً، فالمعنى على الدوام ^(٤).

(١) ساقط من (هـ) مثبت في (ح).

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِغِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

وكقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ...﴾ [الطلاق: ١].

ويدل على صحة ما ذكره المؤلف قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي﴾

[يونس: ١٠٤].

(٣) الجديدان: الليل والنهار؛ وذلك لأنهما لا يبيليان أبداً، ويقال: لا أفعل ذلك ما

اختلف الجديدان؛ أي: الليل والنهار.

ذكره ابن منظور في اللسان: ١١١/٣ مادة: (جدد).

(٤) وقيل: المراد بالسموات والأرض في الآية سماوات الآخرة وأرضها، والدليل

على أن في الآخرة سماوات وأرضاً قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عِبْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ =

فإن قلت: ما معنى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] ^(١)؟
قلت: والحال أن الله أخبر في كثير من الآيات أن أهل النار خالدون فيها وأهل الجنة خالدون فيها.

قلت: الجواب أن ذلك تعليماً من الله تعالى لعباده الأدب، وأن لا يذكروا الأشياء إلا ويقرونها بمشيئة الله، وبياناً أن الله تعالى له في ملكه ما لا تحصره القيود وأنه فعال لما يريد ^(٢).

فإن قلت: لما ذكر زاد في ذكر أهل الجنة: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ ولم يقل في أهل النار كذلك.

قلت: للإشارة إلى أن إنجاز الوعد فضل وإنجاز الوعيد مفوض إلى الرب جل شأنه ^(٣).

فإن قلت: كيف قال يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ [يوسف: ٥٥]، وفيه الرغبة في الدار الفانية، والأنبياء أعظم الناس زاهداً فيها.

= [إبراهيم: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَأَوْزِنَّا الْأَرْضَ نَبْؤًا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤].
لكن هذا القول لا تميل إليه النفس؛ لأن القرآن يخاطب الناس بما يفهمونه وبعض الناس لا يعتقدون وجود الآخرة وكيف المراد سماوات الآخرة وأرضها.
وأنا مع المؤلف من أن المراد بقوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ على الدوام. ويؤيد هذا ما ذكره الرازي في مفاتيح الغيب: ٦٣/١٨ أن العرب يعبرون عن الدوام والأبد بقولهم: ما دامت السماوات والأرض.

(١) والآية التي قبلها ذات علاقة بها في الاستثناء هي: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَمْ فِيهَا زَوْجٌ وَشَهِيْقٌ﴾ (١٦٦).

(٢) وذكر الرازي جواباً آخر وهو: هذا الاستثناء يفيد إخراج أهل التوحيد من النار؛ لأن قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ﴾ يفيد أن جملة الأشقياء محكوم عليهم بهذا الحكم، ثم قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ يوجب أن لا يبقى ذلك على ذلك المجموع، ويكفي في زوال الخلود عن المجموع زواله عن بعضهم، فوجب أن لا يبقى حكم الخلود ببعض الأشقياء، ولما ثبت أن الخلود واجب للكفار وجب أن يقال: الذين زال حكم الخلود عنهم هو الفساق من أهل الصلاة.

التفسير الكبير: ٦٦/١٨.

(٣) ونظيره قوله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾ [الواقعة: ٣٣].

الجواب: فعل ذلك ليوصل به إلى إمضاء أحكام الله وإظهار أوامره وإقامة العدل، وعلم أن أحداً لا يقوم بذلك فما طلب إلا خيراً^(١).

فإن قلت: كيف جاز ليوسف أن يأمر المؤذن أن يقول: ﴿أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، والحال أنهم لم يسرقوا ولم يكونوا واسمين^(٢) في هذه الحالة بالسرقة؟

قلت: لعل يوسف ﷺ اطلع عليه في أيام الصغر، أي بسرقة ما لا يعد نقصاً ولا يخلو عنه الأطفال فأراد ذلك، كما نقل في قولهم: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧]^(٣).

قيل: كان يوسف ﷺ في صغره يخفي بعض كسيرة العيش ليتصدق بها فسمى^(٤) ذلك إخوته سرقة.

فإن قلت: لما قال يوسف ﷺ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل: أخرجني من الجب ونعمة خروجه من الجب أعظم؟ الجواب: أن معصية السجن كانت عنده أعظم لطول مدتها ولمصاحبة غير الجنس، ولهذا قيل: عذاب الروح الحبس مع غير الجنس، بخلاف الجب فإن المؤنس له جبريل ﷺ^(٥).

(١) أجاب الرازي في تفسيره: ١٦١/١٨ حيث يقول: إن يوسف ﷺ كان رسولاً حقاً من الله تعالى إلى الخلق والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان.

(٢) في (ح): «موسمين».

(٣) قال الرازي: إن المراد أنكم لسارقون يوسف من أبيه إلا أنهم ما أظهروا هذا الكلام، والمعارض لا تكون إلا كذلك.

وقيل: ليس في القرآن أنهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف ﷺ والأقرب إلى ظاهر الحال أنهم فعلوا ذلك من أنفسهم؛ لأنهم طلبوا السقاية وما وجدوها، وما كان هناك أحد إلا هُم، غلب على ظنونهم أنهم هم الذين أخذوها.

التفسير الكبير للرازي: ١٧٩/١٨.

قلت: إن القول الأخير هو الذي اطمأنت إليه النفس.

(٤) في (هـ) و(ح): «فسموا» وهو خطأ.

(٥) قال الرازي في تفسيره: ٢١٤/١٨: إنه ﷺ قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ﴾ [يوسف: ٩٢]، ولو ذكر واقعة البئر لكان ذلك تثريباً لهم فكان إهماله جارياً جارياً مجرى الكرم.

فإن قلت: كيف قدم الله تعالى الإراحة في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦] والسرْح مقدم؟
 الجواب: لأنها تُقبَلُ مائة البطون حافلة الضروع متهادية في مشيها، بخلاف وقت سروحها، فحالة ورودها حالة جميلة حسنة تنبسط بها نفوس أهلها^(١).

فإن قلت: ما معنى قول موسى ﷺ فيما حكاه الله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَنِي مَا أَنْزَلَ هَذِهِمْ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وفرعون كافر يدعي الربوبية؟

قلت: الجواب: أن موسى علم أن فرعون يعلم الحق، ولكن يتعامى عنه ويعاند فيه، فأراد موسى عليه أن يبيته بذلك^(٢).

فإن قلت: لأي شيء قال تعالى في قصة الخضر مع موسى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، وقال الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾ [الكهف: ٧٢] كل ذلك في أمر السفينة، وقال في أمر الغلام: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]^(٣)، وقال الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾ [الكهف: ٧٥].

قلت: لما كان خرق السفينة أهون من قتل الغلام؛ لأنه ما كل خرق يوجب هلاك أهل السفينة، وقتل الغلام (الصغير)^(٤) أمر شديد، ولذا قال له الخضر: ﴿أَقُلْ لَكَ﴾ فزاد بالرد عليه بالخطاب الكاف^(٥).

(١) ومثل هذا الجواب وزاد عليه ما قاله الرازي. انظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٢٨/١٩.

(٢) ويؤيد ما ذكره المؤلف قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [النمل].

قال الرازي في التفسير الكبير: ٦٥/٢١: إن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى ﷺ.

(٣) أوقع آخر الفاصلة هنا ﴿نُكْرًا﴾ تصريحاً بأنه منكر لقباحته، وقال في الفاصلة الأولى ﴿إِمْرًا﴾ لأنه يمكن تلافيه بالسد، وإن كان الأمر بمعنى الداهية العظيمة؛ لأن هذا صريح في كونه منكرًا، ولذا فسر بأمراً ﴿نُكْرًا﴾.

حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكناية الرازي: ١٢٤/٦.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) وفي تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب: ١٢٤/٦: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥]: زاد فيه: «لك» مكافحة - أي مكاملة شفاهاً - =

فإن قلت: ما وجه إنكار موسى ﷺ على الخضر: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧]، فإن إقامة جدار يريد أن ينقض أمر حسن لا يخالف الشرع، بخلاف (المسألتين المتقدمتين)^(١)؟.

قلت: الجواب - والله أعلم - أن موسى والخضر لما [لم يضيفهما]^(٢) أهل القرية صاروا في شدة، ووصلا إلى حد الإضرار، ولما كان الخضر قادراً على أن ينتفع [بنفسه]^(٣) بأن يتكلم مع أهل الجدار ويأخذ منهم أجراً على إقامة الجدار ويقنطت به هو وموسى ﷺ وترك هذا الأمر، توجه إنكار موسى ﷺ^(٤).

فإن قلت: لم عبر الخضر فيما حكاه الله عنه في قوله لموسى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، فنسب الإرادة [إلى نفسه]^(٥)، وقال في حق الغلام: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]، وقال في حق الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]؟.

قلت: لما كان ظاهر خرق السفينة إفساداً وإضراراً، نسبة إلى نفسه، وهكذا ينبغي أن يكون الأدب مع الله تعالى في نسبة المقذورات المذمومة إلى النفس على وجه التعظيم والتزويه لله تعالى، وكذلك لما كان قتل الغلام من الإفساد والإضرار الظاهر. نسبة إلى نفسه، وأتى بضمير المتكلم ومعه غيره أو التعظيم نفسه للإشارة إلى قوته وجسارته^(٦) وإقدامه على الأمور وهو شأن الرجل القوي.

= بالعتاب على رفض الوصية، مرة بعد أخرى، والوسم بعدم الصبر؛ وهذا كما لو أتى إنسان بما نهته عنه فلمته وعنفته، ثم أتى به مرة أخرى، فإنك تزيد في تعنيفه. وكذا هنا، فإنه قيل أولاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾، ثم قيل ثانياً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ﴾.

(١) في (ح): «المسألة المتقدمة».

(٢) في (هـ) و(ج): «لم يضيفوهما».

(٣) في (ح): «فيه».

(٤) وقريب من هذا الجواب ما ذكره الرازي. انظر: التفسير الكبير للرازي عند تفسير

هذه الآيات.

(٥) في (هـ): «لنفسه» والصواب ما أثبتته كما في (ح).

(٦) جسارته: أي نفوذه. وفي اللسان: ١٣٦/٤ مادة: (جسر).

جسر يجسر جسوراً وجسارة: مضى ونفذ.

وقال في حق الجدار ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ لكونه غير مخض وإصلاح ليس فيه فساد، فنسبه إلى جناب الرب لأن الأدب ينبغي كذلك^(١).

فإن قلت: لما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿ [الشعراء: ٧٩]، ثم قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]؟

الجواب: هو من باب الأدب مع الله تعالى، وتنزيه جناب الرب عن نسبة الضرر إليه في اللفظ، وإن كان يجب على المؤمن اعتقاد أن الخير والشر والضرر والنفع كل من عند الله تعالى^(٢).

فإن قلت: لم قال بعد: ﴿وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي﴾ [الشعراء: ٨]، فنسب الإمامة إلى الله تعالى وهي إعدام؟ الجواب: أنها وإن كانت إعداماً لكنها راحة المؤمن وسبب إلى لقاء الله تعالى، فكانت نعمة لا نقمة^(٣).

ما فائدة ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمْرًا مِّنْ أَمْرِ مَوْسَىٰ أَن أَرْضِعِيهَا﴾ [القصاص: ٧] مع أنها ترضعه بالطبع؟

الجواب: لو لم يوح الله إليها ربما استأجرت له من يرضعه (فلا يألف)^(٤) برضاها فيفوت الأمر المطلوب، وهو أن لا يقبل ثدي امرأة غيرها فترضعه في دار فرعون.

فإن قلت: ما معنى: ﴿فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ فَاقْلِبْهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ﴾^(٥) [القصاص: ٧].

الجواب: وإذا خفت عليه القتل فألقه في اليم ولا تخافي عليه الغرق. فإن قلت: كيف قال سليمان عليه السلام: ﴿وَهَبَّ لِي مَلَكًا لَا يَبْعِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] «مع أنه شبه الحسد»؟

(١) قلت: هذا تعليم رباني ينبغي لكل مسلم أن يتأدب مع الله تعالى في إسناد الشر إلى نفسه، وإسناد الخير إلى الله تعالى، مع الاعتقاد اليقين أن الشر والخير كله من الله تعالى.

وانظر لذلك: تفسير روح البيان للبروسوي: ٢٨٧/٥.

(٢) انظر للمزيد في ذلك: الكشاف: ١١٧/٣، والتفسير الكبير: ١٤٤/٢٤، وروح المعاني: ٩٦/١٩.

(٣) للمزيد انظر: روح المعاني: ٩٧/١٩.

(٤) في (ح): «فلا يخالف».

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

قلت: الجواب: لما كانت النعم توجب الشكر لله تعالى، وعلم سليمان أن الله تعالى جعل فيه استعداداً كاملاً على شكر النعم، فطلب العظيمة لأجل أن يشكر الله تعالى، وطلب من شدة حبه للنعم أحب [أن ينفرد]^(١) بشكره ولا يصل أحد إلى المقام الذي أعطيه، فهو باب [غير المحيين]^(٢) على المحبوب لا من باب الطمع في الملك الفاني^(٣).

فإن قلت: لأي شيء قال تعالى في سورة (الزمر): ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [٧٣] في حق أهل الجنة بالواو، وفي حق أهل النار ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١] بدون الواو؟

الجواب: أن الواو في أهل الجنة واو الحال، والمعنى والحال أنها قد فتحت أبوابها قبل مجيئهم، بخلاف أبواب النار فإنها إنما تفتح عند مجيئهم، و[السبب]^(٤) في ذلك زيادة الفرح والسرور وتعجيل الكرامة لهم قبل وصولهم، حتى لا يتعوقوا ولا يقفوا على الأبواب، بل يدخلوها بلا مانع، بخلاف أهل النار ليقفوا على الباب موقف الذل و[الصغار]^(٥) ويكون أشد حرارة ويلفح وجوههم لهيبتها.

فإن قلت: لم قدم تعالى الإناث وحقهن التأخير في قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ [الشورى: ٤٩]؟

الجواب: أن الآية سيقت لبيان عظمة الله وأنه يفعل ما يشاء، لا ما يشاء خلقه (ولما كان مشيئة الإنسان أن يكون له)^(٦) ذكور لا إناث كان الأولى

(١) في (هـ): «أن يتمم» والصواب ما أثبتته كما في (ح).

(٢) في (ح): «غير المحب» بالإفراد.

(٣) وللرازي جواب آخر وهو: أن الملك هو القدرة فكان المراد: أقدرني على أشياء لا يقدر عليها أحد البتة؛ ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي.

والدليل على صحة هذا الكلام أنه تعالى قال عقبه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [٣٦]. التفسير الكبير: ٢٥/٢٠٩.

(٤) في (ح): «والسر».

(٥) في (ح): «والإصفار».

(٦) في (ح): «فكان مشيئة الإنسان لا يكون له».

تقديم الإناث للإشارة إلى أنه جل شأنه يفعل ما يختاره لا ما يختاره العباد^(١)، ثم بين تعالى فضل الذكور بتعريف لفظ الذكور للإفهام برفع درجاتهم وإن قدم الإناث عليهم لفائدة في هذا المقام، ثم بعد أن علم المقصود وعاد الخطاب إلى أصله، فقال: ﴿أَوْ يُرْجُوهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا﴾ [الشورى: ٥٠]. فقدم الذكور؟.

فإن قلت: لأي شيء عبر الحق بالوجه في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [٢٦، ٢٧]. والمقصود بالوجه الذات، فلاي شيء عبر بالذات أو ما يعبر عنها؟

قلت: لما كان في الوجه حاجة البصر وهي في حق الحق جل شأنه راجعة إلى صفة العلم والإحاطة بالمبصرات والمعلومات عبر بالوجه للإشارة إلى أنه جل شأنه في حال عدم الخلق وإفنائهم، عالم بهم محيط بحقائقهم كلياتها وجزئياتها، ليعيدهم إلى دار البقاء، فكان التعبير بالوجه نكتة لطيفة.

وقال الرازي في «تفسيره» وتبعه البيضاوي^(٢): المراد بالوجه في هذه الآية من باب وجه المسألة يعني: كل من عليها فان ويبقى الوجه الدال على بقاء الحق ويثبت ولا ترد عليه شبهة تبطله، هذا ملخص ما ذكروه^(٣).

فإن قلت: لأي شيء عبر في سورة (الحديد) و(الحشر) و(الصف) بلفظ: (سبح) بالماضي، وفي (الجمعة) و(التغابن) بالمضارع، وبالأعلى بالأمر، وفي (الإسراء) بالمصدر؟

الجواب: القصد استعاب الجهات المشهورة لهذه الكلمة، وبدأ بالمصدر في (الإسراء) لأنه الأصل، ثم بالماضي لسبق زمانه، ثم بالمضارع لشموله

(١) تقديم الإناث على الذكور في هذا المقام تنبيه على أن الأنثى ضعيفة ناقصة عاجزة كما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار». صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات: ٦١/١.

وانظر أيضاً: التفسير الكبير: ١٨٥/٢٧.

(٢) التفسير الكبير: ١٠٥/٢٩، أنوار التنزيل للبيضاوي: ١١٠/٥.

(٣) وقال الرازي أيضاً: إنه مأخوذ من عرف الناس، فإن الوجه يستعمل في العرف لحقيقة الإنسان، ألا ترى أن الإنسان إذا رأى وجه غيره يقول: رأيت، وإذا رأى غير الوجه من اليد والرجل مثلاً لا يقول: رأيت. التفسير الكبير: ١٠٦/٢٩.

للحال والاستقبال، ثم بالأمر لخصوصه بالحال^(١).

فإن قلت: لأي شيء نكرت «نفس» في قوله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] (ولم يقل)^(٢): ولتنظر النفوس أو نفوسكم؟

الجواب: التنكير يأتي كتقليل، ومنه هذه الآية، فتنكير «النفس» للإشارة إلى أن النفس الناظرة في أمر المعاد قليلة، كأنه قيل: وأين تلك النفس^(٣).

فإن قلت: لأي شيء نكر الغد في قوله تعالى: ﴿مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾؟

الجواب: نكر للإبهام والتعظيم أي ليوم عظيم وغد مهول شديد^(٤).

فإن قلت: ما وجه المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، والمقام يقتضي القاهر الشديد المنتقم؟

الجواب: فائدة اللطف بعبده وتلقيه حجته وعذره ليقول: غرني كرمك وعفوك وفضلك^(٥).

فإن قلت: لم عطف «الليالي» في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيْلِ عَشْرِ ﴿٢﴾﴾ [الفجر: ١، ٢]؟

قلت: للإشارة إلى أن هذه الليالي المعظمة^(٦) في غاية الإشراق والبهاء والنور، فكأنها نهار، فناسب عطفها على الفجر وخروجها عن الليل في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئْهُمْ إِذَا نَسُوا﴾ [الفجر: ٤].

(١) هذا كلام الكرمانى في «البرهان في متشابه القرآن». انظر: المخطوط: ٧١، ورسالة الماجستير، للدكتور ناصر العمر: ٤٥١، وسبق ذكره.

وانظر أيضاً قول الرازى في: تفسيره: ٢٠٦/٢٩.

(٢) في (هـ) و(ح): «ولم يقال».

(٣) قال صاحب الكشاف: أما الفائدة في تنكير نفس فاستقلال للأنفس التي تنظر فيما قدمت للأخرة كأنه قال: فلتنظر نفس واحدة في ذلك. الكشاف: ٨٦/٤.

(٤) انظر: الكشاف: ٨٦/٤، والتفسير الكبير: ٢٩١/٢٩.

(٥) قال القاسمى في تفسيره: ذكر «الكريم» للمبالغة في المنع عن الاغترار؛ لأنه بمعنى العظيم الجليل الكامل في نعمته، ومن كان كذلك فجدير بأن يرهب عقابه ويخشى انتقامه وعذابه، لا سيما وله من النعم العظيمة والقدرة الكاملة ما يزيد في الرهبة، كما قال: ﴿أَلَيْسَ خَلْقَكَ فَسَوْنَكَ فَعَدْلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]. محاسن التأويل: ٨١/١٧.

(٦) إن هذه الليالي على قول ابن عباس ومجاهد، عشر ذي الحجة؛ لأنها أيام الاهتمام بنسك الحج. انظر: روح المعاني: ١١٩/٣٠، ومحاسن التأويل: ١٤٠/١٧.

فإن قلت: ما وجه عطف قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦﴾ [الماعون]، فعطفت جملة «يمنعون» على جملة «يراؤون»، وشرط العطف أن يكون بين الجملتين (جامع مناسب لعطف أحدهما على الآخر)^(١)؟.

قلت: لما كان الرياء أبطل الأعمال الصالحة العظيمة الجليلة التي توجب للعبد الهلاك والذهاب والبعد عن حضرة الله تعالى، ومع هذا تساهل المرئى فيها وأضاعها، وهي جواهر ونفائس وذخائر ولم يبخل بها، وبخل بشيء حقير لا يضره وهو إعادة الماعون: مثل القدر والسكين، فكان بينهما (كمال المناسبة بشبه التضاد وهو أحسن الجوامع)^(٢). وهذا الجواب مما فتح الله به علي.

فإن قلت: ما وجه التكرار في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③﴾ [الناس]؟.

الجواب: التنويه بشأن الناس (وأنة عالم جليل)^(٣) مشتمل على إتقان الحكيم جل شأنه^(٤)، ولذا قال القائل^(٥):

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
ولا ذرة منك إلا غدا بها يوزن الكون أو أكثر
والحمد لله رب العالمين - وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم - .

(١) في (ح): «كمال الانقطاع أو شبه الانقطاع».

(٢) في (ح): «كمال الانقطاع».

(٣) في (هـ): «وأنة علم جليل» وما أثبتته في (ح).

(٤) انظر: التفسير الكبير: ١٩٨/٣٢، ومحاسن التأويل: ٣٠٩/١٧.

(٥) لم أعثر على قائله.

النوع الخامس والعشرون بعد المائة

علم أسرار تكرار قصص القرآن
وبيان الحكمة والسرف في ذلك



النوع الخامس والعشرون بعد المائة

علم أسرار تكرار قصص القرآن وبيان الحكمة والسر في ذلك^(١)

ولم يفرد هذا النوع الحافظ السيوطي رحمته الله في الإتيان، بل ذكر مسائله في نوع الإيجاز والإطناب^(٢)، وقد تقدم الاعتراض^(٣) عليه في جعله في باب الإطناب، [وقد]^(٤) ألف^(٥) في هذا النوع البدر بن جماعة كتاباً سَمَّاهُ: «المقتص في فوائد تكرار القصص»^(٦)، (ولم أقف عليه، نقل عنه الحافظ السيوطي في الإتيان)^(٧).

منها^(٨): أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال

(١) للمزيد حول هذا الموضوع انظر:

١ - البرهان في علوم القرآن للزركشي.

٢ - تفسير المنار للشيخ رشيد رضا.

٣ - القصص القرآني في منطوقه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب.

٤ - التصوير الفني في القرآن لسيد قطب.

٥ - قضايا التكرار في القصص القرآني للدكتور القصبي محمود زلط.

٦ - قصص القرآن لجار الله الخطيب.

(٢) وذلك في النوع السادس والخمسين. الإتيان: ٢٠٤/٣.

(٢) تقدم في النوع الثامن عشر بعد المائة علم إيجازه وإطنابه. انظر: نسخة (ح):

١٦٢ ب.

(٤) ساقط من (هـ) مثبت في (ح) كما في الإتيان: ٢٠٤/٣.

(٥) من هنا بداية النقل من الإتيان: ٢٠٤/٣.

(٦) وفي كشف الظنون: ١٧٩٣/٢: المقتص في فوائد تكرار القصص لبدر الدين بن

جماعة.

(٧) ما بين القوسين كلام المؤلف.

(٨) من هنا منقول من البرهان للزركشي.

كلمة بأخرى لنكته^(١) (وهذه عادة البلغاء)^(٢).

ومنها: أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن، ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور من تقدمهم؛ فلولا تكرار القصص لوقعت قصة (موسى) إلى قوم آخرين؛ وكذا سائر القصص، فأراد الله اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين^(٣). انتهى^(٤).

قلت^(٥): وهذه الحكمة والسر في تكرار القصص فائدة عظيمة؛ فإن القرآن كان ينزل شيئاً فشيئاً وتتلقاه العرب إلى مواطنها فكان في التكرار عموم الانتفاع به^(٦).

قال: ومنها^(٧) (أن في إبراز الكلام الواحد)^(٨) في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة.

ومنها: أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على (نقل)^(٩) الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام.

ومنها: (أن الله تعالى)^(١٠) أنزل هذا القرآن، وعجز القوم عن الإتيان بمثله، [بأى نظم جاءوا]^(١١)، ثم أوضح الأمر في عجزهم، بأن كرر ذكر القصة في

(١) وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَيْنَهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسَعَى﴾ [طه].

فإنه تعالى ذكر «الحية» في عصا موسى ﷺ في هذه الآية، وذكرها «ثعباناً» في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧، الشعراء: ٣٢].
انظر: البرهان للزركشي: ٢٦/٣.

(٢) في (ح): «وهذا شأن البلغاء».

(٣) الإتيان: ٢٠٤/٣ نقله عن البرهان للزركشي: ٢٦/٣.

(٤) لا يزال المؤلف ينقل عن الإتيان إلا ما كان من قوله: «قلت - إلى قوله -: عموم الانتفاع به».

(٥) القائل هو المؤلف.

(٦) انتهى كلام المؤلف.

(٧) بداية النقل عن الإتيان: ٢٠٤/٣.

(٨) في (ح): «أن إبراز الكلام واحد».

(٩) في (ح): «تعلق».

(١٠) في الإتيان: ٢٠٥/٣: «أنه تعالى».

(١١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٢٠٥/٣.

مواضع، إعلماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، أي بأي نظم جاءوا، وبأي عبارة عبروا^(١).

ومنها: أنه لما تحداهم قال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، فلو ذكرت القصص في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي: ايتونا أنتم بسورة من مثله، فأنزلها سبحانه و[تعالى]^(٢) في تعداد السور دفعاً لحجتهم من كل وجه.

ومنها: أن القصة (الواحدة)^(٣) (لو كررت)^(٤) كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب (غير أسلوب الأخرى)^(٥)، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم وجذب النفوس إلى سماعها لما جلبت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاها بها، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرار ذلك فيه هجئة^(٦) في اللفظ، ولا ملل عند سماعه، فباين ذلك كلام المخلوقين^(٧). انتهى.

قلت^(٨): وقد ظهر لي وجه في أسرار تكرار القصص غير ما تقدم، وقد أشرت إليه فيما سبق في نوع أسماء السور^(٩)، وهو أن الله تعالى ذكر كل قصة في سورة من سور القرآن لغير المعنى الذي ذكره في السورة الأخرى، فإن القصة الواحدة تشير إلى معان متعددة، فيكون في بعض السور مساق الكلام: صبر النبي ﷺ على إيذاء الكفار، والتسليية له بذكر قصص الأنبياء ﷺ وأنهم صبروا وأوذوا أذى عظيماً، فتساق القصص على هذا المعنى، وفي بعض

(١) قال ابن فارس: وهذا هو الصحيح. فقه اللغة: ١٧٨.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٢٠٥/٣.

(٣) ساقط من الإتيان: ٢٠٥/٣.

(٤) في الإتيان: «لما كررت».

(٥) في (هـ) و(ح): «غير الآخر» وما أثبتته في الإتيان: ٣٠٥/٣.

(٦) الهجئة في اللفظ: العيب والقيح فيه. انظر: اللسان: ٤٢١/١٣ مادة: (هجن).

(٧) نقلاً عن البرهان للزركشي: ٢٥/٣ وما بعدها.

(٨) القائل هو المؤلف.

(٩) النوع الحادي والثلاثين صفحة (٢٤) من مخطوط الكتاب نسخة (ح).

السور يكون مساق الكلام: الإخبار عن إهلاك المعاندين والظالمين، وأن عاقبة أمرهم الهلاك في الدنيا والخزي في الآخرة، فتساق القصص على هذا المعنى^(١).

وفي بعض السور يكون مساق الكلام الإخبار عن التوحيد، وتبليغ الرسالة، وإرشاد الخلق إلى الله تعالى فتقص القصص على هذا المساق؛ للإشارة إلى أنهم على وتيرة واحدة ومنهج واحد داعون إلى توحيد الله تعالى وإرشاد الخلق إلى الله تعالى^(٢).

وتارة يكون مساق في بعض السور إثبات البعث والنشور، وأن الخلق مبعوثون مجزون محاسبون، فتساق قصص الأنبياء ﷺ لإثبات هذا المعنى^(٣)، وأنهم دعوا إلى هذا الأمر.

ومن هذا الأسلوب استنبط بعض أهل العلم كالبخاري في صحيحه تكرار الحديث الواحد إذا كان يشير إلى معان كثيرة، وقد أثنى الناس^(٤) على البخاري ﷺ في هذا الصنيع ولم يعدوا كثرة تكراره تكراراً.

وقال بعضهم^(٥): فقه البخاري في تراجمه قصد به على باب غير المقصود الذي قصده في الباب الآخر، فكذلك قصص الأنبياء ﷺ.

وجه آخر في سر تكرار القصص، وهو أن القرآن مشتمل على جملة كتب الله المنزلة على الأنبياء ﷺ كما دل على ذلك جملة من الأحاديث: منه ما أخرجه الحاكم^(٦) والبيهقي في شعب الإيمان عن معقل بن.....

(١) فمن أمثلة ذلك قصة هلاك عاد، وثمود، وقارون، وفرعون، وهامان التي ذكرها الله تعالى في سورة العنكبوت: الآيات (٣٨ - ٤٠).

(٢) فمن أمثلة ذلك ما ذكره الله تعالى في قصة شعيب ﷺ في سورة الأعراف: الآيات (٨٥ - ٩٣)...

(٣) فمن أمثلة ذلك قصة أهل الكهف. انظر: سورة الكهف: الآيات (٩ - ٢٦).

(٤) منهم: الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي. ذكره الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري: ١٢. وانظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأبي العباس أحمد القسطلاني: ٢٤/١.

(٥) قاله أبو العباس أحمد القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ٢٤/١.

(٦) هو: محمد بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الحاكم النيسابوري الإمام الحافظ، صاحب المستدرک علی الصحیحین، ولد سنة (٣٢١هـ)، وتوفي سنة (٤٠٥هـ).

يسار^(١) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أعطيت سورة من الذكر الأول، وأعطيت (طه) والطواسين والحواميم، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش والمفصل نافلة»^(٢).

وأخرج البيهقي في الشعب^(٣)، والطبراني^(٤) في الكبير^(٥) عن [واثلة]^(٦)^(٧) رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال^(٨)، وأعطيت مكان الزبور المئين^(٩)، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني^(١٠)،

= انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي: ٤٠٩، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١٠٣٩/٣، وتاريخ بغداد: ٤٧٣/٥.

(١) هو: معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر أبو عبد الله، صحابي جليل، توف آخر خلافة معاوية، وقيل: في أيام يزيد بن معاوية.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٤٤٧/٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣٩٨/٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب من سورة البقرة: ٢٥٩/٢.

قال الذهبي في التلخيص: في إسناده عبيد الله بن أبي حميد. قال أحمد: تركوا حديثه. ورواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي.

(٤) هو: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الشامي صاحب المعاجم

الثلاثة: الكبير، والأوسط، والصغير، ولد سنة (٢٦٠هـ)، وتوفي سنة (٣٦٠هـ).

انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٣٠٢/١١، وتذكرة الحفاظ: ٩١٢/٣، ووفيات

الأعيان: ٤٠٧/٢.

(٥) رواه الطبراني في الكبير بنحوه: ١٨٨/٢.

(٦) في (هـ) و(ح): «واصلة» وما أثبتته في المعجم الكبير للطبراني: ١٨٨/٢.

(٧) هو: واثلة بن الأسقع بن عبد العزى والد أبي الطفيل عامر بن واثلة أبو الأسقع،

كان ينزل الشام بدمشق، وهو صحابي جليل.

انظر: الإصابة: ٦٢٧/٤، وأسد الغابة: ٧٨/٥.

(٨) هي: (البقرة)، و(آل عمران)، و(النساء)، و(المائدة)، و(الأنعام)، و(الأعراف)،

واختلفوا في السابعة أهي: (الأنفال وبراءة) معاً لعدم الفصل بينهما بالبسملة، أم هي سورة (يونس).

انظر: جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي: ٣٤/١، والإتقان: ١٧٩/١،

ومناهل العرفان: ٣٧/١.

(٩) هي: السور التي تزيد آياتها على مائة أو يقاربها. المصدر السابق.

(١٠) هي التي تلي المئين في عدد الآيات، وقال الفراء: هي السور التي أيها أقل من =

وفضلت بالمفصل^(١). انتهى^(٢).

فإذا علم أن القرآن اشتمل على التوراة والزبور والإنجيل. ولا شك أن التوراة والإنجيل فيها أخبار الأنبياء وقصصهم، فيجب في السور التي هي مكان التوراة أن يذكر فيها قصص الأنبياء الذين ذكروا في التوراة. والسور التي مكان الإنجيل قصص الأنبياء الذين ذكروا في الإنجيل، فلم يكن التكرار حينئذ تكراراً، بل هو تلخيص لما في التوراة والإنجيل والزبور وزيادة خصّ الله ﷻ بها النبي ﷺ وهي المفصل والله الموفق^(٣).

(فصل: فإن سأل سائل)^(٤): ما الحكمة^(٥) في عدم تكرار قصة

= مائة آية لأنها تثنى - أي تكرر - أكثر مما تثنى الطوال والمؤون. المصدر السابق.

(١) هو أواخر القرآن، سمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة. واختلفوا في تعيين أوله، فقيل: أوله «ق» وقيل غير ذلك، وصحح النووي أن أوله (الحجرات). والمفصل ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار. فطواله من أول الحجرات إلى سورة (البروج)، وأوساطه من سورة (الطارق) إلى سورة (لم يكن) أي (البينة)، وقصاره من سورة (إذا زلزلت) إلى آخر القرآن. المصدر السابق.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في الكبير: ٧٦/٢٢، ورواه الإمام أحمد في مسنده: ١٠٧/٤.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٥٨/٧: رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وقد ضعفه جماعة ويعتبر بحديثه، وبقية رجاله رجال صحيح.

(٣) انتهى كلام المؤلف.

وبعد أن عرضنا لأقوال العلماء في سر تكرار القصص القرآني وكلها لها وجهاتها ويمكن أن نزيد عليها فنقول:

أ - أن القصة المتكررة يكمل بعضها بعضاً، وهو تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه إشارة سريعة لموضع العبرة فيها، وأنها في مجموعاتها تصور موضوعاً واضحاً كاملاً.

ب - ترشيح غيرها في النفس، فإن الشيء إذا كرر يكون أبلغ في النفس، فالتكرار من أنواع المؤكدات وأمانة من أمارات الاهتمام، فقصة موسى وفرعون مثلاً فهي أشد القصص في القرآن تكراراً، ووردت هذه القصة في حوالي الثلاثين موضعاً فهي تمثل الصراع المرير بين الحق والباطل أتم تمثيل، والنتيجة دمج الباطل وسطع الحق ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ج - من أسرار تكرار القصص القرآني تنبيه وإظهار على عجز العرب عن الإتيان بمثله مبتدأ ومكرراً بعد توسيع مجال المعارضة.

انظر: التصوير الفني لسيد قطب: ١٢١، وقصص القرآن لجار الله الخطيب: ٥٩.

(٤) في الإتيان: ٢٠٥/٣: «وقد سئل».

(٥) نقلاً عن البرهان: ٢٩/٢ بتصرف.

يوسف ﷺ^(١) وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد^(٢) دون غيرها من القصص؟ (أجابوا عن ذلك بأوجه)^(٣):

أحدها: أن فيها تشبيب^(٤) النسوة به، وحال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالاً، فناسب عدم تكرارها لما (فيها)^(٥) من الإغضاء^(٦) والستر، وقد صحح الحاكم في مستدركه حديث النهي عن تعليم النساء سورة (يوسف)^(٧).

ثانيها:^(٨) [أنها]^(٩) اختصت بحصول الفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص، فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس، وقوم نوح [وقوم هود وقوم صالح]^(١٠) وغيرهم، [فلما]^(١١) اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص.

ثالثها: قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني^(١٢): إنما كرر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب، كأن النبي ﷺ قال لهم:

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) في (هـ) و(ح): «وسوقها سوقاً واحداً في محل واحد»، وما أثبتته في الإتيان: ٣/٢٠٥، كما في البرهان: ٣/٢٩.

(٣) في الإتيان: ٣/٢٠٥: «وأجيب بوجوه».

(٤) تشبيب النسوة به: أي تعريض بهوهن وحبهن به وتعلقهن به.

انظر: اللسان: ١/٤٨١ مادة: (شبه)، والمعجم الوسيط: ٢/٩٢٤.

(٥) في الإتيان: ٣/٢٠٥: «فيه».

(٦) الإغضاء: في أصل اللغة إدناء الجفون، والمقصود به: السكوت.

انظر: اللسان: ١٥/١٢٨ مادة: (غضا).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) في الإتيان: ٣/٢٠٥: «ثانياً».

(٩) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٢٠٥.

(١٠) كلمة «قوم» ساقط من الإتيان: ٣/٢٠٥.

(١١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣/٢٠٥.

(١٢) هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الإسفراييني الشافعي ركن الدين، صاحب جامع المحلى في أصول الدين والرد على الملحدين، ومسائل الدرر، توفي سنة (٤١٨هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٤/٢٥٦، وفيات الأعيان: ١/٢٨. والأسفراييني: نسبة

إلى (أسفرايين): بليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، وينسب

إليها خلق كثير من أعيان الأئمة منهم: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني

المشهور. معجم البلدان لياقوت: ١/١٧٨.

إن كان من تلقاء نفسي، فافعلوا في قصة (يوسف) ما فعلت في سائر القصص^(١). قلت^(٢): وظهر لي جواب رابع، وهو أن سورة (يوسف) نزلت (بسبب)^(٣) طلب الصحابة أن يقص عليهم، كما رواه الحاكم في مستدركه^(٤) فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والإحاطة بطرفيها. وجواب خامس: وهو أقوى ما يجاب به، أن قصص الأنبياء إنما كررت؛ لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله ﷺ، فكلما كذبوا أنزلت قصة منذرة بحلول العذاب، كما حصل على المكذبين، ولهذا قال تعالى في آيات: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [الأنعام: ٦] وقصة (يوسف) لم يقصد منها ذلك. وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب (الكهف) وقصة ذى القرنين وقصة (موسى) مع الخضر وقصة الذبيح^(٥). فإن قلت^(٦): قد تكررت [قصة]^(٧) ولادة يحيى وعيسى مرتين، وليست من قبيل ما ذكرت.

قلت: الأولى في سورة (كهيعص) [مريم] وهي مكية أنزلت خطاباً لأهل مكة، والثانية في سورة (آل عمران) [٤٥ - ٤٧]، وهي مدنية أنزلت خطاباً لليهود [و] ^(٨) لنصارى نجران^(٩) حين قدموا، ولهذا اتصل بها ذكر المحاجة والمباهلة^(١٠). انتهى^(١١).

(١) انتهى النقل عن البرهان: ٢٩/٣.

(٢) القائل هو السيوطي في الإتقان: ٢٠٦/٣.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) المستدرک، کتاب التفسیر، باب سورة يوسف ﷺ: ٣٤٥/٢.

(٥) هو نبي الله إسماعيل بن إبراهيم ﷺ (المدقق).

(٦) القائل هو السيوطي في الإتقان: ٢٠٦/٣.

(٧) ساقط من (هـ) في (ح) كما في الإتقان: ٢٠٦/٣.

(٨) في (هـ): «أو» وما أثبتته في (ح) كما في الإتقان: ٢٠٦/٣.

(٩) نجران: بالفتح ثم السكون وآخره نون، وهي في عدة مواضع منها: نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة - وهي المراد بها هنا -، واليوم من مدن المملكة العربية السعودية. انظر: معجم البلدان: ٢٦١/٥.

(١٠) انظر تفسير ابن كثير: ٤٧/٢.

(١١) انتهى نقل المؤلف عن الإتقان: ٢٠٤/٣ - ٢٠٦.

النوع السادس والعشرون بعد المائة

إعجاز القرآن



النوع السادس والعشرون بعد المائة

إعجاز القرآن^(١)

اعلم - أيدينا الله وإياك - أن الله تبارك وتعالى تجلى بصفة الكلام^(٢) الذاتي على قلب سيدنا محمد ﷺ وأنزل عليه القرآن، فاستغرق في حال الخطاب، وذهبت بشريته، وتلاشت جسمانيته، وانتعشت^(٣) صفات روحانيته^(٤)، فسمع الخطاب الإلهي والحديث الرباني بلفظه ومعانيه وحقيقته ومبانيه، فلما رجع إلى عالم البشرية، وعاد إلى مدارك الكون، نطق بها ألقى إليه، وتكلم بما أنزل عليه، فجاء كلامه بخلعة القدسي الرحماني، وخطابه بلسان الوصف السبحاني، فلماذا يفنى الدهر وحلاوته باقية، وتذهب العصور وطلاوته دائمة^(٥) تزداد فصاحة كلما تكرر، وتتجدد بلاغة كلما تقرر، تخشع الأجسام لهيبته، وتخضع النفوس لجلالته، وتركع العقول لبهائه، وتسجد الأفكار لعلائه، وتسرح الأرواح في رياض جلاله، وتمر الأسرار في ميادين جماله، كيف لا؛ وهو في حضرة الفيض والنور، ومن مقام القدس والسرور، فلن يستطيع متكلم أن يلبس كلامه القدسي، ومن أين الناطق أن يكسو نطقه البهاء والثناء، فلما ألبسه الحق جل شأنه من الجلالة والهيبة والعلو والرفعة والكمال ترى له صولة^(٦) ودولة^(٧) في المنطق أي دولة، كلما قرئ استفيد منه المعاني النفيسة،

(١) هذا النوع منقول من الإتقان: ٣/٤ - ٢٣، وهذه مقدمة المؤلف فيه.

(٢) في (هـ): «كلام».

(٣) انتعش: نشط ونهض. انظر: اللسان: ٣٥٦/٦، والمعجم الوسيط: ٩٤٢/٢.

(٤) في (هـ): «روحانية» والصواب ما أثبتته لدلالة السياق عليه.

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب سورة

المدرثر: ٥٠٦/٢ يأتي ذكره صفحة (٢٣٥).

(٦) صولة: سطوة في الحرب ونحوها، ويقال: هو ذو صولة مقدم وذو صولة على

الطعام يأكله وينهكه ويبالغ فيه. انظر: اللسان: ٣٨٨/١١، والمعجم الوسيط: ٥٣١/١.

(٧) الدولة: العقبة في الماء والحرب سواء. اللسان: مادة: (دول): ٢٥٢/١١.

كلما تلي استخرجت منه الدقائق الرئيسية^(١)، يغوص المتفكر فيه فتستخرج درر الحكم ويلج المتأمل فيه إلى بحار القدم ويدخل الناظر فيه إلى مدائن المعاني، ويعبر المتفكر فيه إلى قصور المباني فياض بالحقائق، زخار بالرقائق، متلاطم بأمواج اللاهوت^(٢)، متراكم بهوامع^(٣) الجبروت، نفاح^(٤) بعطر الحضرات العلية، نتاج^(٥) بأقفال المقامات البهية، مهيم^(٦) لأرباب الذوق، مغلق لأرباب الشوق لا يكل^(٧) السمع منه، ولا يمل ولا يحزن، ولا يقلق، ولا يعطش، ولا يدهش، وكلما تلى اتسع الفكر، وانبسط السر، وانكشف الغطاء، وارتفعت الروح إلى عالم الصفا، واتصلت بعالم الاجتباء، وشربت من كؤوس التجلي الذاتي، وارتدت من بحار الكلام الصفاتي، وسكرت بالرحيق^(٨) السبوحى وطربت بالهدام القدوسى.

واعلم - أيدنا الله وإياك - أن كل متكلم له رونق^(٩) وصفة وكيفية في كلامه، وذلك لقوة فكرته، ومن إدراكه وتعقله لما يقوله، وإعراجه عما في ضميره، فإن كان بليغاً أورد ما في ضميره بنوع من البلاغة عالياً أو نازلاً، وإن كان فصيحاً فكذلك، وإن كان ركيكاً أو ضعيف الفكرة والمدركة خرج على مقدار ركائبه. والقرآن كلام الله جل شأنه نزل لفظه ومعناه على محمد ﷺ^(١٠)،

(١) وفي الصحاح للجوهري: ٩٣١/٢. الرئيس: الشيء الثابت.

(٢) اللاهوت: «الله» كما يقال: الناسوت للإنسان. انظر: المعجم الوسيط: ٨٤٧/٢.

(٣) هوامع جمع همع: فهو سحاب ذو مطر.

(٤) نفاح من نفح نفحاً: كثير الانتشار، يقال: نفح الطيب: انتشرت رائحته وفي المصباح

المنير لأحمد الفيومي: ٢٨٦/٢، نفحت الريح نفحاً من باب نفح: هبت، وله نفحة طيبة.

(٥) نتاج: رشاح.

(٦) مهيم لأرباب الذوق: أي مشغوف حباً لهم أي شديد حبهم به.

(٧) كل يكل كلولاً: يضعف ويثقل عليه.

(٨) الرحيق: من أسماء الخمر معروف، وقيل: صفوة الخمر. اللسان: ١١٤/١٠ مادة:

(رح ق).

(٩) رونق السيف: ماؤه وصفائه وحسنه. اللسان: ١٢٨/١٠، المعجم الوسيط: ١/٨

٣٧٧

(١٠) وهذا هو الفارق بين القرآن والحديث القدسي؛ لأن الحديث القدسي هو ما كان

لفظه من عند الرسول ﷺ ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام.

انظر: علوم الحديث ومصطلحاته للدكتور صبحي الصالح: ١٣.

والمعلومات كلها حاضرة عند الحق جل شأنه بإشراق قدسه، فلذا ترى من لا يفهمه يخضع لسماعه، وتأثر به أشد التأثير.

ومما يقرب من هذا المعنى ما نقل عن الإمام أحمد^(١) رضي الله عنه أنه حضر مجلس بعض أهل الحقيقة مختلفياً، فتكلم ذلك العارف بأنواع من العرفان والحقائق، فسأل الإمام أحمد رضي الله عنه فقال: لم أفهم مما يقول شيئاً غير أن على كلامه صولة ليس بصولة مبطل، فالقرآن الشريف معجز بألفاظه الفصيحة، ومعانيه البليغة وصولة متكلمه، وهذا الوجه في إعجازه عندي والله أعلم^{(٢)(٣)}.

فصل:

وإنما كان القرآن العزيز معجزاً لأن لفظه الكلام العربي البليغ الراقى في درجة الفصاحة والبلاغة والبراعة إلى الغاية القصوى، ومعناه المعاني الجليلة الفائقة العظيمة التي لا تكون في غيره من الكلام، والمرمى الأعظم هو ما فيه من صولة المتكلم وجلالته وبهائه وأشرافه وحلاوته وطلاوته، وأخذه بالقلوب ولذته للنفوس، بحيث لا تمل منه على كثرة [التكرار]^(٤) ولا يخلق على مر الدوام^{(٥)(٦)}.

وقال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في الإتيان: اعلم^(٧) أن المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة؛ وهي إما حسية وإما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية

(١) هو: أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني البغدادي أحد الأئمة الأربعة صاحب المسند، ولد سنة (١٦٤هـ)، وتوفي سنة (٢٤١هـ).

انظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفرج ابن الجوزي: ١٣، ٣٠٣، ٤٠٩، ووفيات الأعيان: ٦٣/١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٣) لم أعثر على مرجع كلام الإمام أحمد.

(٤) في (هـ): «التكرار».

(٥) كما أخرجه الترمذي في سننه: ١٧٢/٥ يأتي ذكره صفحة (٢٦٦).

(٦) من أول النوع إلى هنا كلام المؤلف.

(٧) بداية النقل من الإتيان: ٣/٤.

لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصت بالمعجزة العقلية الباقية؛ ليراها [ذوو البصائر]^(١)، كما قال ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر؛ وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً». أخرجه البخاري^(٢)، قيل^(٣): إن معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته، وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون؛ يدل على صحة دعواه.

وقيل: المعنى أن المعجزات الماضية^(٤) كانت حسية تشاهد بالأبصار كناية صالح وعصا موسى، و[معجزة القرآن]^(٥) تشاهد بالبصيرة^(٦) فيكون من يتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق، يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً.

قال في «فتح الباري»^(٧): ويمكن نظم القولين في كلام واحد؛ فإن محصلهما لا ينافي بعضه بعضاً).

ولا خلاف^(٨) بين العقلاء، أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر [واحد]^(٩) على معارضته بعد تحديدهم بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ

(١) في (هـ) و(ح): «ذو البصائر» وما أثبتته في الإتيان: ٣/٤.

(٢) في صحيحه بنحوه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي: ٩٦/٦، وكتاب الاعتصام، باب بعثت بجوامع الكلم: ١٣٨/٨.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي: ٧/٩.

(٤) في الإتيان: ٤/٤ زيادة كلمة «الواضحة» هكذا: «أن المعجزات الواضحة الماضية»، والصواب ما أثبتته لأن المعنى أوضح بدونها كما في فتح الباري: ٧/٩.

(٥) في (هـ) و(ح): «ومعجزات القرآن» وما أثبتته في الإتيان: ٣/٤، وفتح الباري: ٩/٧.

(٦) أي: تدرك بالعقل والفكر والقلب، ولذا فهي قائمة في كل زمان ومكان.

(٧) كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل: ٧/٩.

(٨) كلام السيوطي في الإتيان: ٤/٤.

(٩) ساقط من (هـ) مثبت في (ح) كما في الإتيان: ٤/٤.

فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ﴿التوبة: ٦﴾، فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا يكون إلا وهو معجزة.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴿العنكبوت: ٥٠، ٥١﴾ فأخبر بأن الكتاب آية من آياته، كاف في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الأنبياء، ولما جاء به النبي ﷺ إليهم، وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء^(١)، وتحداهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدرُوا، [كما قال تعالى]^(٢): ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٣٤]، ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنزَّلَهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴿هود: ١٣﴾، الآية. ثم تحداهم بسورة في قوله (تعالى)^(٣): ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنزَّلَهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ...﴾ [يونس: ٣٨]. ثم كرر في قوله (عز من قائل)^(٤): ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ...﴾ الآية [البقرة: ٢٣]، فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشببه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء، نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن، فقال [عز من قائل]^(٥): ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

هذا وهم الفصحاء اللد^(٦)، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره، وإخفاء أمره، فلو كان في مقدورتهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه شيء من ذلك ولا رامه^(٧)، بل عدلوا إلى

(١) مصاقع: جمع مصقع. يقال: خطيب مصقع أي بليغ. انظر: اللسان: ٢٠٢/٨ مادة: (صقع).

(٢) في (هـ) و(ح) في قوله تعالى، وما أثبتته في الإتيان: ٤/٤.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) اللد: جمع ألد ولدود، وهو الشديد الخصومة. انظر: اللسان: ٣٩١/٣ مادة: (لد).

(٧) رام الشيء: قصده وطلبه.

العناد تارة^(١)، وإلى الاستهزاء^(٢) أخرى، فتارة قالوا: «سحر»^(٣)، وتارة قالوا: «شعر»^(٤)، وتارة قالوا: ﴿أَسْطِطِرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الفرقان: ٥]^(٥)، كل ذلك من التحير والانقطاع، ثم رضوا [بتحكيم السيف]^(٦) في أعناقهم وسبي ذراريهم وحرمتهم واستباحة أموالهم، وقد كانوا آنف شيء وأشدّه حمية، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه؛ لأنه كان أهون عليهم، كيف وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٧): قال: جاء الوليد بن المغيرة^(٨) إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل^(٩)، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون^(١٠) أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه؛ فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله^(١١)، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره

(١) كما فعل ذلك العاص بن وائل.

(٢) كما فعل ذلك أبي بن خلف عندما مشى بعظم بال إلى النبي ﷺ.

(٣) كما قال الوليد بن المغيرة.

(٤) كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْكُلُ لَبَنًا لَسَاءٍ لِّسَانٍ﴾ [الصافات: ٣٦]،

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرْتِضُ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الطور: ٣٠].

(٥) كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسْطِطِرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمْلَأُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

[الفرقان: ٥].

فقد ذكر الله تعالى كلمة ﴿أَسْطِطِرُ الْأَوَّلِينَ﴾ في القرآن الكريم تسع مرات: انظر: سورة الأنعام: الآية (٢٥)، وسورة الأنفال: الآية (٣١)، وسورة النحل: الآية (٢٤)، وسورة المؤمنون: الآية (٨٣)، وسورة الفرقان: الآية (٥)، وسورة النمل: الآية (٦٨)، وسورة الأحقاف: الآية (١٧)، وسورة القلم: الآية (١٥)، وسورة المطففين: الآية (١٣).

(٦) في (هـ) و(ح): «بحكم السيف» وما أثبه من الإتيان: ٥/٤.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن كعب بن لؤي أبو عبد شمس كان

ذا سن في قريش، وهو الذي أنزل الله فيه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١ - ٢٥].

انظر: سيرة ابن هشام: ٢٨٣/١، ٢٨٩.

(٩) هو: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن لؤي. انظر: سيرة ابن

هشام: ٢٨٣/١، ٣٨٨.

(١٠) في (ح): «يريدون» كما في الإتيان: ٥/٤، والصواب ما أثبتته كما في المستدرك:

٥٠٦/٢.

(١١) أي: لتنال شيئاً مما عنده من المال ونحوه.

له^(١) قال: وماذا أقول: فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر^(٢) مني، ولا برجزه^{(٣)(٤)}، ولا بقصيده^(٥) ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة^(٦)، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وأنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته^{(٧)(٨)}، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: دعني^(٩) حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره^{(١٠)(١١)}.

قال الجاحظ^(١٢): بعث الله محمداً ﷺ أكثر ما كان العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها، وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر، وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية، دون الجهل والحيرة^(١٣)،

(١) في (هـ) زيادة وهي: «إنك منكر له أو أنك كاره له».

(٢) في (هـ): «بالأشعار».

(٣) في (هـ): «ولا برجز».

(٤) الرجز: نوع من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات، سمي بذلك لتقارب أجزائه، وقلة

حروفه.

القاموس المحيط للفيروزآبادي: ١٨٢/٢.

(٥) القصيد من الشعر: هو المنقح الموجود منه. القاموس المحيط: ٣٤٠/١.

(٦) أي: رونقاً وحسناً. انظر: اللسان: ١٤/١٥ مادة: (طلى).

(٧) في (هـ): «فاتحته» والصواب ما أثبتته كما في (ح) والإتقان: ٥/٤، والمستدرک:

٥٠٦/٢.

(٨) وإنه ليحطم ما تحته: ليحكم عليه، ويقرر هل هو حق فيعتبر، أم هو باطل فيترك.

(٩) في (هـ): «فدعني» وما أثبتته من (ح) كما في الإتقان: ٥/٤.

(١٠) أي: ينقله عن غيره.

(١١) المستدرک للحاكم، كتاب التفسير، باب سورة المدثر: ٥٠٦/٢.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(١٢) هو: عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان المعروف بالجاحظ لبروز عينيه من

حدقتيه الواسعتين، صاحب كتاب «الحيوان»، والبيان والتبيين، ولد سنة (١٥٩هـ)، وتوفي

سنة (٢٥٥هـ).

انظر: وفيات الأعيان: ٤٩١/١، وبغية الوعاة: ٣٦٥، وتاريخ بغداد: ٢١٢/١٢.

(١٣) الحيرة مصدر حار يحار حيرة وحيراً: لم يهتد لسبيله.

انظر: اللسان: ٢٢٢/٤ مادة: (حير).

حملهم على حظههم بالسيف، فنصب لهم الحرب، ونصبوا له، وقتل من عليتهم^(١) وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة، أو بآيات يسيرة^(٢)، فكلما ازداد تحدياً لهم بها وتقريراً لعجزهم عنها تكشف من نقصهم ما كان مستوراً، وظهر منه ما كان خفياً، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال: فهاتوها مفتريات، فلم يرم^(٣) ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه^(٤) لتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكايد فيه، ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض. فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم، واستحالة لغتهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه، وخطباء أمنه؛ لأن سورة واحدة آيات يسيرة كانت أنقض لقلوبه، وأفسد لأمره، وأبلغ في تكذيبه، وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس، والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال.

وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج^(٥)، واللفظ

(١) عليّة: جمع عليّ؛ أي شريف، يقال: فلان من عليّة الناس؛ أي من أشرفهم وجلّتهم لا من سفلتهم.
اللسان: ٨٦/١٥ مادة: (علا).

(٢) قال القاضي أبو بكر الباقلاني: إن قدر معجز القرآن يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة، فإذا كانت آية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة (الكوثر).

انظر: إعجاز القرآن للباقلاني: ١٩٨.

(٣) يرم: يطلب.

(٤) في (هـ) و(ج) والإتقان: ٥/٤: «ولا طمع فيه» وما أثبتته من الحيوان للجاحظ: ٨٩/٤.

(٥) أسجاع: جمع سجع، وهو الكلام الذي له فواصل وقوافي كالشعر، ولم يكن موزوناً كالشعر.

والمزدوج من الأزدواج: وهو تجانس اللفظين المتجاورين كقولهم: من جد وجد.
انظر: اللسان: ١٥٠/٨ مادة: (سجع): ٢٩٣/٢، مادة: (زوج)، وأنوار الربيع لابن معصوم: ٢٤٩/٦.

المشور. ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم، فمحال - أكرمك الله - أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر، والخطأ المكشوف البين، مع التقريع بالنقص، والتوقيف على العجز، وهم أشد الخلق أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم، وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر!

وكما أنه محال أن يطبقوا ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر [الجليل]^(١) المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه، وهم يعرفونه، ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه^(٢)!. انتهى.

فصل (٣) :

لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا ﷺ وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز، وقد خاض الناس في ذلك كثيراً، فبين محسن ومسيء.

فزعم قوم أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وأن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق، وبه وقع عجزها. وهو مردود؛ لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به، والصواب ما قاله الجمهور أنه وقع بالدال القديم، وهو الألفاظ^(٤).

ثم زعم النظام^(٥) أن إعجازه بالصفة^(٦)، أي أن الله صرف العرب عن

(١) في (هـ): «الجليلة» والصواب ما أثبتته كما في (ج) والإتقان: ٦/٤.

(٢) لم أعر على كلام الجاحظ كاملاً، وإنما وجدت بعضاً منه في كتابه «الحيوان»: ٤/٨٩ بموضوع «صرف العرب عن معارضة القرآن».

(٣) تابع كلام السيوطي في الإتقان: ٦/٤.

(٤) فلما عجز العرب - وهم الفصحاء مع شدة العداوة عن الإتيان بسورة مثله تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله.

وإعجازه من جهة نظره ومعناه لا من جهة أحدهما فقط.

شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لابن أبي العز الحنفي: ١٣٣.

(٥) هو: إبراهيم بن يسار أبو إسحاق النظام أحد رؤوس المعتزلة، وإليه تنسب فرقة النظامية، من شيوخه: أبو الهذيل العلاف، ومن تلاميذه: الجاحظ، توفي سنة بضع وعشرين ومائتين.

انظر: النجوم الزاهرة: ٢/٢٣٤.

(٦) هذا رأي إبراهيم النظام، وهو مبتدع هذا القول، وتبعه الجاحظ، والشريف المرتضى، وابن سنان الخفاجي وغيرهم.

معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي^(١)، فصار كسائر المعجزات. وهذا قول فاسد بدليل (قوله تعالى)^(٢): ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ...﴾ الآية [الإسراء: ٨٨]، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى^(٣)، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع^(٤) منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة إعجاز؛ بل المعجز هو الله تعالى، حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله.

وأيضاً فيلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة، أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة سوى القرآن.

قال القاضي أبو بكر^(٥): ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون بالمنع معجزاً، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه.

قال: وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم: إن الكل قادرين على الإتيان بمثله^(٦)؛ وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به، ولا بأعجب من قول آخرين: إن العجز وقع منهم؛ وأما من بعدهم ففي قدرته

(١) الملل والنحل: ١٤٢/١.

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) انظر: الملل والنحل: ١٤٣/١، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني: ٥٣.

(٤) في (هـ) و(ج): «الاجتماع» والصواب ما أثبتته كما في الإتيان: ٧/٤.

(٥) هو: محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر الباقلائي، القاضي البصري المتكلم الأشعري المالكي، من تصانيفه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، وإعجاز القرآن، والاتصار، ولد سنة (٥٣٣٨هـ)، وتوفي سنة (٤٠٣هـ).

انظر: الديباج: ٢٦٧، والبداية والنهاية: ٣٥٠/١١، والشذرات: ١٦٩/٣.

(٦) قال الباقلائي رداً على هذا القول: إنا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله فمن بعدهم أعجز؛ لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفنون فيه من القول مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم، وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم فلا.

إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلائي: ١٩٥.

الإتيان بمثله؛ وكل هذا لا يعتد به^{(١)(٢)}. وقال قوم وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية^(٣) ولم يكن ذلك من شأن العرب. وقال آخرون: ما تضمنه من الإخبار عن قصص الأولين وسائر^(٤) المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها^(٥).

وقال آخرون: ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل^(٦) كقوله [تعالى]^(٧): ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]^(٨). ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨].

(١) ومما يبطل القول بالصرفة: أن القرآن - وهو كلام الله - لا يمكن أن يوزن به كلام، فهو لهذا معجز لذاته، ولو كان قد أعجز الناس بقوة خارجه عنه لما كان كلام الله، ولما كان معجزة، وإنما كانت الصرفة هي المعجزة التي استند إليها، ولكان بهذا في عداد المعجزات الحسية.

(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني: ٣٣ بتصرف.

(٣) وهذا القول الذي ذكره الباقلاني في إعجاز القرآن: ٣٣، وخالفه الخطابي والزركشي.

انظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي: ٢٣، والبرهان للزركشي: ٩٦/٢.

قلت: إن كل سورة معجزة بنفسها لا يمنع أن يكون من وجوه الإعجاز ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية؛ لأنه من دلائل صدق الرسول ﷺ حيث أخبر عن المستقبل فجاء كما ورد، فمن ذلك قوله تعالى في أهل بدر في سورة الأنفال: الآية (٧): ﴿وَإِذْ يَبْعِدُكُمْ اللَّهُ إِسْمَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ﴾ وهذا وعد من الله - والله لا يخلف الميعاد - فوفى لهم بما وعد.

(٤) في (هـ) و(ح) والإتيان: ٧/٤: «سائر» وما أثبتته من إعجاز القرآن للباقلاني: ٥٣.

(٥) نقلاً عن إعجاز القرآن للباقلاني: ٥٣. وهذا القول رده الزركشي كالذي قبله. انظر: البرهان: ٩٦/٢.

ولكنني ذهبت إلى ما ذهب إليه الباقلاني. ولذلك قال الله تعالى في سورة العنكبوت: الآية (٤٨): ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِمِصْرِكَ إِذَا لِأَرْثَابِ الْمُبِلُونِ﴾ (٦) نقلاً عن البرهان للزركشي: ٩٦/٢.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) والطائفتان: هم بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر يوم الأحد، والهـم من الطائفتين كان بعد الخروج، لما رجع عبد الله بن أبي بن معمر من المنافقين، فحفظ الله قلوب المؤمنين فلم يرجعوا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهِنَّ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

انظر: تفسير ابن كثير: ٤٠١/١، وتفسير الشوكاني: ٣٧٧/١.

الفضل: الجبن ذكره الشوكاني في تفسيره: ٣٧٧/١.

وقال القاضي أبو بكر^(١): وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، ومباين لأساليب خطاباتهم. قال: ولهذا لم تمكنهم معارضته.

قال: ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي أودعوها في الشعر؛ لأنه ليس مما يخرق العادة، بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به، كقول الشعر، ووصف^(٢) الخطب، وصناعة الرسالة، والحدق^(٣) في البلاغة، وله طريق تسلك، فأما شأن نظم القرآن فليس له مثال يحتذى، ولا إمام يقتدى به، ولا يصبح وقوع مثله اتفاقاً. قال: ونحن نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر، وفي بعضه أدق وأغمض^(٤).

وقال الإمام فخر الدين: وجه الإعجاز الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسلامة من كل العيوب.

وقال الزملكاني: وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به، لا مطلق التأليف، بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة، وعلت مركباته معنى، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى^(٥).

وقال ابن عطية^(٦): الصحيح والذي [ذهب]^(٧) عليه الجمهور والحدائق في وجه إعجازه، أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه^(٨)؛ وذلك أن الله

(١) هو القاضي أبو بكر محمد الباقلاني.

(٢) رصف يرصف رصافة: صار محكماً، وجواب رصيف محكم. انظر: اللسان لابن منظور: ١٢١/٩.

(٣) الحدق والحدائق: المهارة في كل عمل. اللسان لابن منظور: ٤٠٠/١٠.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني: ٣٣، وهذا الوجه هو اختياره.

(٥) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني: ٥٤، تحقيق الدكتور خديجة الحديثي، والدكتور أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، سنة (١٣٩٤هـ).

(٦) هو: عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عطية أبو محمد الغرناطي القاضي، صاحب تفسير الجامع المحرر الصحيح الوجيز في تفسير القرآن العزيز، ولد سنة (٤٨١هـ)، وتوفي سنة (٥٤١هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/٢٦٠، وبغية الوعاة: ٢٩٥.

(٧) ساقط من الإتيان: ٨/٤.

(٨) وهذا الذي يقرره ابن عطية ليكشف به عن سر الإعجاز في نظام القرآن، هو رأي =

أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم بإحاطته أي لفظة [تصلح]^(١) أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول^(٢)، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله، فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط.

ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً، ثم ينظر فيها فيغير فيها^(٣) وهلم جرا.

وكتاب الله ﷻ^(٤) لو نزعته منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد. ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة^(٥)، وقامت الحجة على العالم بالعرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة، ومظنة المعارضة، كما قامت الحجة في معجزة موسى ﷺ^(٦) بالسحرة، و[في]^(٧) معجزة عيسى ﷺ^(٨) بالأطباء؛ فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء

= دقيق حكيم، فإحاطة الله سبحانه بكل شيء علماً، وإحاطته بجميع الألفاظ التي تجري على السنة أرباب اللغة هي التي أعطت القرآن الكريم هذا النظم الرائع المعجب المعجز. فوضعت اللفظ المناسب للمعنى المناسب، في دقة وإحكام.

إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب: ٣٢٣.

(١) في (هـ) و(ح) بالواو: «وتصلح» في الإتيان: ٨/٤ بدونها وهو الصواب.

(٢) الذهول: ترك الشيء أو تناسيه على عمد أو شغله عنه شغل. انظر: اللسان: ١١/

٢٥٩ مادة: (ذهل).

(٣) كما كان يفعل الشاعر زهير بن أبي سلمى صاحب الحوليات.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) القريحة من كل شيء: أوله، والقريحة من الإنسان ملكة يستطيع بها ابتداء الكلام

وإبداء الرأي، وجمعها قرائح.

انظر: لسان العرب: ٥٥٨/٢، والمعجم الوسيط: ٧٣١/٢.

(٦) زيادة من المؤلف.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٩/٤.

(٨) زيادة من المؤلف.

بالوجه الشهير أسرع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره، فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته؛ وكذلك الطب في زمن عيسى عليه السلام (١) والفصاحة في زمن محمد عليه السلام (٢).

وقال حازم (٣) في «منهاج البلغاء» (٤): وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاءها في جميعه؛ [استمراراً] (٥) لا توجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحاءها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعرضت الفترات الإنسانية فينقطع (٦) طيب الكلام ورونقه، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه (٧)(٨).

وقال المراكشي (٩) في شرح المصباح (١٠): الجهة المعجزة في القرآن تعرف

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) انتهى كلام ابن عطية. انظر: مقدمتان في علوم القرآن، مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية للدكتور آرثر جفري: ٢٧٧ - ٢٧٩ باختصار.

(٣) هو: حازم بن محمد بن حسين بن حازم أبو الحسن القرطاجني الأنصاري النحوي، صاحب منهاج البلغاء وسراج الأدباء، كان إماماً بليغاً ريان من الأدب، ولد سنة (٦٠٨هـ)، وتوفي سنة (٦٨٤هـ). انظر: بغية الوعاة: ٢١٤، والشذرات: ٣٨٨/٥.

(٤) عنوان الكتاب الكامل: منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني، وهو مطبوع، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط ١، سنة (١٩٦٦م).

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٩/٤.

(٦) في (هـ): «فتقطع».

(٧) منهاج البلغاء: ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٨) إن هذا الوجه من وجوه الإعجاز لا ينكشف إلا بعد النظر في القرآن الكريم كله، وهو لا يكون إلا بعد أن يتم نزوله جميعه على الرسول الكريم، ولقد تحدى القرآن الكريم العرب وأعجزهم، ولم يكن قد نزل منه إلا قدر يسير، فالمعجزة والإعجاز قائمان في القرآن الكريم في أقصر سورة منه.

إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب: ٣٦٠.

(٩) هو: محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله المراكشي الضرير النحوي المعروف بابن أبي زيد المراكشي، توفي سنة (١٣٣٨هـ). انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة: ١٧٠٧/٢، وهدية العارفين: ١٥٠/٢.

(١٠) هو: ضوء المصباح على ترجيح المصباح لابن أبي زيد المراكشي، ولم أعثر عليه. انظر: هدية العارفين لإسماعيل البغدادي: ١٥٠/٢.

بالتفكر في علم البيان، وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحترز [به]^(١) عن الخطأ في تأدية المعنى، وعن تعقيدته، (وتعرف به)^(٢) وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال؛ لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه، وإلا لكانت قبل نزوله معجزة، ولا مجرد تأليفها؛ وإلا لكان تأليف معجزاً، ولا إعرابها؛ وإلا لكان كل [كلام]^(٣) معرب معجزاً، ولا مجرد أسلوبه؛ وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً، [والأسلوب الطريق]^(٤)، ولكان هذيان^(٥) مسيلمة^(٦) معجزاً، ولأن الإعجاز يوجد دونه، أي الأسلوب في نحو: ﴿فَلَمَّا آسَفْتُمُوهُ مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]، ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، ولا بالصرف عن معارضتهم؛ لأن تعجبهم كان من فصاحته، ولأن مسيلمة وابن المقفع^(٧) والمعري^(٨) وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجحه الأسماع، وتنفرد منه الطباع، ويضحك منه في أحوال تركيبه^(٩)، وبها، أي

(١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٩/٤.

(٢) في (هـ) و(ح): «ويعرف» وما أثبتته من الإتيان: ٩/٤ وهو الأوجه.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٩/٤.

(٤) في (ح): «وإلا بأسلوب الطريق».

(٥) هذيان: من هذي فلان يهذي هذياً وهذياناً: تكلم بغير معقول لمرض أو غيره.

انظر: اللسان: ٣٦٠/١٥ مادة: (هذي).

(٦) هو: مسيلمة بن حبيب أبو ثمامة الحنفي الكذاب، تنبأ باليمامة في بني حنيفة على عهد رسول الله ﷺ، توفي سنة (١٢هـ) في معركة اليمامة اشترك في قتله وحشي الحبشي قاتل حمزة.

انظر: سيرة ابن هشام: ١٨/٣، ٣٠٩/٤.

(٧) هو: عبد الله بن المقفع بن المبارك البغدادي الكاتب الشاعر، من تصانيفه: الأدب الصغير، وترجمة كليلة ودمنة من الفارسي إلى العربي، والدرة اليتيمة والجوهرة الثمينة في الأدب، توفي قتيلاً بالبصرة سنة (١٤٥هـ) على الأرجح.

انظر: البداية والنهاية: ٩٦/١٠، وهدية العارفين: ٤٣٨/١، ولسان الميزان: ٣٦٦/٣.

(٨) هو: أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو علاء المعري، من مؤلفاته: رسالة الغفران، وعبث الوليد، ولزوم ما لا يلزم، ولد سنة (٣٦٣هـ)، وتوفي سنة (٤٤٩هـ).

انظر: تاريخ بغداد: ٢٤٠/٤، إنباه الرواة: ٨١/١.

(٩) مثال كلام مسيلمة الكذاب وما زعم أنه قرآن فهو أحسن من أن نشتغل به. انظر:

بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي: ٧٤، وإعجاز القرآن للباقلاني: ١٢٨.

بتلك الأحوال أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء. فعلى إعجازه دليل إجمالي، وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها، فغيرها أخرى، ودليل تفصيلي مقدمته التفكير في خواص تركيبه، ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علماً^(١). وقال الأصبهاني^(٢) في تفسيره^(٣): اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين:

أحدهما: إعجاز يتعلق بنفسه، والثاني: بصرف الناس عن معارضته، فالأول.

إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته [أو بمعناه]^(٤) أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره؛ الذي هو اللفظ والمعنى؛ فإن ألفاظه ألفاظهم، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ١] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، ولا بمعانيه فإن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّمْ لِي زُيْرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]؛ وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد، (إخباره)^(٥) بالغيب؛ فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم، ويكون الإخبار بالغيب

(١) والمراكشي في هذا الرأي يعد من القائلين: بأن الإعجاز هو في نظم القرآن، والمراد بالنظم - عنده - هو محاميل هذا النظم وما ينطلق منه من إشارات مضيئة تشير إلى ألوان من المعاني تعلن بعضه وتكتم بعضه.

إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب: ٣٦١ باختصار.

(٢) هو: حسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم المعروف بالراغب الأصبهاني، صاحب المفردات في غريب القرآن، كان من أئمة أهل السنة واختلف تاريخ وفاته فعند المتأخرين سنة (٥٠٢هـ).

انظر: كشف الظنون: ٤٤٧/١، وهدية العارفين: ٣١١/١، وبغية الدعاة: ٣٩٦. والأصبهاني: بكسر الألف أو فتحها، نسبة إلى أصفهان وهي مدينة عظيمة مشهورة وأصفهان اسم مركب لأن (الأصب) البلد بلسان فارس، و(ها)، اسم الفارس، فكأنه يقال: بلاد الفرسان.

انظر: معجم البلدان: ٢٠٦/١، وتهذيب الأنساب لابن الأثير: ٦٩/١.

قلت: إن بعض الناس يقول: في (الأصفهاني) بالفاء بدل الباء (الأصبهاني).

(٣) تفسير الأصبهاني ما زال مخطوطاً بتركيا. انظر: كشف الظنون: ٤٤٧/١.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيقان: ١٠/٤.

(٥) في الإتيقان: ١٠/٤: «والإخبار».

إخباراً بالغيب؛ سواء كان بهذا النظم، أو بغيره، مورداً بالعربية أو بلغة أخرى، بعبارة أو إشارة فإذن^(١) النظم صورة القرآن، واللفظ والمعنى عنصره، وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره، كالخاتم، والقرط^(٢)، والسور؛ فإنه باختلاف صورها [اختلفت]^(٣) أسماؤها، لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد، فإن الخاتم المتخذ من الذهب ومن الفضة ومن الحديد يسمى خاتماً، وإن كان العنصر مختلفاً، وإن اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها، وإن كان العنصر واحداً.

قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص.

وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه، فنقول: مراتب تأليف الكلام خمس: الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض، لتحصل الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحروف.

والثانية: تأليف هذه الكلمات لتحصل الجمل المفيدة، وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم، وقضاء حوائجهم، ويقال له المنشور من الكلام.

والثالثة: ضم بعض ذلك إلى بعض ضمّاً له مبادئ ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له المنظوم.

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له المسجع. والخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن، ويقال له الشعر والمنظوم، إما محاورة ويقال له الخطابة، وإما مكاتبة ويقال له الرسالة؛ فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكل من ذلك نظم مخصوص، والقرآن جامع

(١) لعلّ هنا كلمة ساقطة من المخطوطات، ومن الإتيان: ١٠/٤ يقتضيهما السياق وهي: «فالمراد».

(٢) القرط: ما يتعلق في شحمة الأذن من در أو ذهب أو فضة أو نحوها جمعه أقراط. انظر: اللسان: ٣٧٤/٧ مادة: (قرط).

(٣) في (هـ): «اختلاف» وفي (ح): «اختلف» والصواب اختلفت كما في الإتيان: ١٠/٤.

لمحاسن الجميع، على نظم غير نظم شيء منها؛ يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له، رسالة، أو خطابة، أو شعر، أو سجع، كما يصح أن يقال: هو (كلام)^(١)، والبلغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم، ولهذا قال [تعالى]^(٢): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَظِيمُونَ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، تنبيها على أن (نظمه)^(٣) ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر، فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخرى.

قال: وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته، فظاهر أيضاً إذا اعتبر؛ وذلك أنه ما من صناعة، محمودة كانت أو مذمومة؛ إلا وبينها وبين قوم مناسبات خفية، واتفاقات حملية؛ بدليل أن الواحد يؤثر حرفة من الحرف، فيشرح صدره بملاستها، وتطبعه قواه في مباشرتها، فيقبلها بانسراح صدره، ويزاولها باتساع قلبه، فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمنون في كل واد من المعاني بسلطة لسانهم^(٤) إلى معارضة القرآن، وعجزهم عن الإتيان بمثله، ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولى الألباب أن صارفاً إليها صرفهم عن ذلك، وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء [عجزة]^(٥)، في الظاهر عن معارضته، مصروفة في الباطن عنها. انتهى^(٦).

قلت^(٧): هذا الكلام يوهم أن عجزهم كان بصرف الله لهم عن معارضته، والحق خلاف ذلك، فالإعجاز أنه كان وحصل وتحقق من ذات القرآن وجوه

-
- (١) في (هـ) و(ح): «الكلام» والصواب كلام كما في الإتيان: ١١/٤.
 - (٢) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ١١/٤.
 - (٣) في الإتيان: ١١/٤: «تأليفه».
 - (٤) سلطة لسانهم: طويل لسانهم من سلط فلان سلطة: طال لسانه. انظر: اللسان: ٣٢٠/٧ مادة: (سلط)، والمعجم الوسيط: ٤٤٥/١.
 - (٥) في (هـ) و(ح): «عجزت» والصواب ما أثبتته كما في الإتيان: ١١/٤.
 - (٦) انتهى كلام الأصهباني في تفسيره وهو مخطوط في تركيا. انظر: معترك الأقران للسيوطي: ٤/١ - ٦.
 - (٧) القائل هو المؤلف.

اللفظ وبلاغة المعنى وحسن النسق وما كساه الله تعالى من البهاء والرونق^(١).
 وقال^(٢) السكاكي^(٣) في «المفتاح»^(٤): إن إعجاز القرآن يدرك، ولا يمكن
 وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصلها وكالملاحه^(٥)^(٦)، وكما
 يدرك^(٧) طيب النغم العارض لهذا الصوت، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي
 الفطرة السليمة إلا [بإتقان]^(٨) على المعاني والبيان والتمرين فيهما^(٩).
 وقال أبو حيان التوحيدي^(١٠): سئل بندار الفارسي^(١١) عن موضع الإعجاز
 من القرآن؟.

-
- (١) انتهى كلام المؤلف وهذا الرد قيم جداً.
 (٢) كلام السيوطي في الإتيان: ١٢/٤.
 (٣) هو: يوسف بن أبي بكر محمد بن علي أبو يعقوب السكاكي، صاحب مفتاح العلوم
 في البلاغة، ولد سنة (٥٥٥هـ)، وتوفي سنة (٦٢٦هـ).
 انظر: بغية الوعاة: ٤٢٥، وشذرات الذهب: ١٢٢/٥.
 (٤) عنوان الكتاب الكامل: «مفتاح العلوم» لأبي يعقوب يوسف السكاكي وهو مطبوع،
 حققه أكرم عثمان يوسف، ط١، سنة (١٤٠٠هـ).
 (٥) ملاحه من ملح يملح ملوحة وملاحه: أي حسن، وفي حديث جويرية: وكانت
 امرأة ملاحه؛ أي شديدة الملوحة، وهو من أبنية المبالغة.
 اللسان: مادة (ملح): ٦٠١/٢.
 (٦) مفتاح العلوم: ٨٣ بتصرف.
 (٧) تكملة من المفتاح: ٨٣.
 وعبارته: ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين
 العلمين؛ نعم للبلاغة وجوه مثلثة ربما تيسرت إمطة اللثام عنها، أما ما نفس وجه الإعجاز فلا.
 (٨) في (هـ) و(ح): «بالإتيان» وما أثبتته من الإتيان: ١٢/٤.
 (٩) وما قاله السكاكي يوافق مع الحديث الذي يقول فيه الرسول ﷺ إن القرآن:
 «مأدبة الله». رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، ينال كل منها بقدر ما تصل إليه
 يده، وتمتد إليه عيناه، وتشتبهه نفسه فالتاس فيه متفاوت.
 انظر: إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب: ٣٥٨.
 (١٠) هو: علي بن محمد العباس المعروف بأبي حيان التوحيدي الصوفي المعتزلي
 الأديب، صاحب الإمتاع والمؤانسة، ورسالة الصديق والصدقة، توفي سنة (٣٨٠هـ).
 والتوحيدي: نسبة إلى نوع من النمر يسمى التوحيدي، وقيل: إلى التوحيد الذي هو
 الدين، فإن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد.
 انظر: معجم الأدباء: ٣٨٠/٥، وبغية الوعاة: ٣٤٨، وطبقات الشافعية: ٢٨٦/٥.
 (١١) لم أعثر على ترجمته.

فقال: هذه مسألة فيها حيف^(١) على المعنى، وذلك أنه شبيه بقولك: ما موضع الإنسان من الإنسان؟. فليس للإنسان موضع من الإنسان؛ بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته، ودلت على ذاته، كذلك القرآن، لشرفه لا يشار إلى شيء فيه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه، ومعجزة لمحاوله، وهدى لقائله، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض [الله]^(٢) [جل شأنه]^(٣) في كلامه وأسراره في كتابه؛ فلذلك حارت العقول، وتاهت البصائر عنده^(٤).

وقال الخطابي^(٥): ذهب الأكثرون من علماء النظر، إلى أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة، لكن صعب عليهم تفصيلها، وصغوا [فيه]^(٦) إلى حكم الذوق^(٧).

قال: والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في درجات البيان متفاوتة؛ فمنها البليغ الرصين^(٨) الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائر الطلق الرسل؛ وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود؛ فالأول أعلاها، والثاني أوسطها، والثالث أدناها وأقربها، فجازت بلاغة^(٩) القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصّة، وأخذت من كل نوع شعبة، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعدوبة، وهما على الانفراد

(١) الحيف: الجور والظلم. انظر: اللسان: ٦٠/٩ مادة: (حيف).

(٢) لفظ الجلالة ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ١٢/٤.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) نقلاً عن البرهان للزركشي: ١٠٠/٢. وانظر معترك الأقران للسيوطي: ١١/١.

(٥) قاله في إعجاز القرآن: ٢٤ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، ود. محمد سلام، ط ٢، دار المعارف بمصر، سنة (١٣٨٧هـ).

(٦) لعلّ هنا كلمة ساقطة من المخطوطات ومن الإتيان: ١٢/٤ يقتضيها السياق وهي:

«فيه».

(٧) أخذ الخطابي على العلماء أن عجزهم عن الوقوف على إعجاز القرآن؛ لأنهم احتكموا في هذا إلى أذواقهم ووجدانهم، ولم يحتكموا إلى الرأي والمنطق.

إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب باختصار: ١٨٨.

(٨) الرصين: المحكم الثابت. انظر: اللسان: ٨١/١٣ مادة: (رصن).

(٩) في الإتيان: ١٢/٤: «بلاغات».

في نعتيهما كالمضادين؛ لأن العذوبة نتاج السهولة؛ الجزالة^(١) والمثانة تعالجان نوعاً من الزعورة^{(٢)(٣)}، فكان اجتماع الأمرين في نظمه، مع نبو^(٤) كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن، ليكون آية بينة لنبيه ﷺ.

وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمر: منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني، [ولا تدرك]^(٥) أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه [النظوم]^(٦) التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حاصل، ومعنى به قائم، وربط^(٧) لهما ناظم.

وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظ؛ ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه. وأما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في أبوابه، والترقي إلى أعلى درجاته.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام؛ فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه، فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، [مضمناً أصح]^(٨) المعاني من توحيد الله تعالى [وتنزيه

(١) الجزالة في الكلام ضد الركالة. انظر: اللسان: ١٠٩/١١ مادة: (جزل).

(٢) في (هـ): «الوعرة» وما أثبتته من (ح) والإتقان: ١٢/٤.

(٣) الزعورة: تشتت المعنى وصعوبته، من قولك: زعر الشعر إذا قلّ وتفرّق.

انظر: اللسان: ٣٢٣/٤ مادة: (زعر) فعمل المراد: أن الجزالة والمثانة تجعلان الكلام سهلاً مجتمع المعنى.

(٤) النبو: العلو والارتفاع. انظر: اللسان: ٣٠٢/١٥ مادة: (نبا).

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتقان: ١٣/٤.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتقان: ١٣/٤.

(٧) في الإتقان: ١٣/٤: «رباط».

(٨) في (هـ) و(ح): «متضمناً أفصح» وما أثبتته من الإتقان: ١٣/٤.

له^(١) في [حفظ]^(٢) صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لطريق عبادته، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء [منها]^(٣) موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يتوهم من صورة العقل أمر أليق به منه، مودعاً أخبار القرون الماضية، وما نزل من مثلات^(٤) الله بمن مضى، منبئاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الآتية من الزمان، جامع في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه؛ ليكون ذلك أكد للزوم ما دعا عليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه.

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه [قدرتهم]^(٥)، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، أو مناقضته في شكله. ثم صار المعاندون له يقولون مرة: إنه شعر لما رأوه منظوماً، ومرة إنه سحر^(٦) لما رأوه معجزاً عنه، غير مقدور عليه، وقد كانوا يجدون له وقعاً في القلوب، وقرعاً في النفوس، يرببهم ويحيرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف، ولذلك قالوا: إن له حلاوة، وإن عليه لطلاوة^(٧)، وكانوا مرة لجهلهم^(٨) يقولون: ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولَىٰ أَكْتَبْتَهَا فَمِى ثَمَلٌ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥]^(٩)، مع

(١) في الإتيان: ١٣/٤: «وتنزيهية له».

(٢) ساقط من (هـ) والإتيان: ١٣/٤ مثبت في (ح).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) المثلات: جمع مثلة، وهي العقوبة الفاضحة التي يتمثل بها. قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّتْ﴾ [الرعد: ٦].

انظر: اللسان: ١١/٦١٤ مادة: (مثل)، والمفردات للراغب: ٤٦٣.

(٥) في (ح): «قدرته».

(٦) كما قال الوليد بن المغيرة. المستدرك، كتاب التفسير، باب سورة المدثر: ٥٠٦/٢.

(٧) كما حصل على الوليد بن المغيرة حين أتى النبي ﷺ وقرأ عليه القرآن كما أخرجه الحاكم في مستدرکه بسند صحيح. مضى ذكره صفحة (٢٣٥).

(٨) في الإتيان: ١٤/٤: «بجهلهم».

(٩) إن هذه الآية، وكل ما ذكر فيه أساطير الأولين في القرآن نزلت في النصر بن الحارث وهي ثماني آيات.

علمهم أن صاحبهم أمي، وليس بحضرته من يملي أو يكتب في نحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز^(١).

ثم قال: وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس، وهو صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً، ولا منشوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب؛ من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال آخر، ما يخلص منه إليه، قال عز من قائل^(٢): ﴿لَوْ أَرْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال (جل شأنه)^(٣): ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]^(٤). انتهى.

وقال ابن سراقه^(٥): اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره^(٦)، فقال قوم: هو الإيجاز مع البلاغة.

وقال آخرون: هو البيان والفصاحة.

وقال آخرون: هو الرصف والنظم.

وقال آخرون: هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم، والنشر، والخطب، والشعر، مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم، وهو بذاته قبيل^(٧) غير قبيل كلامهم، وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم؛ حتى أن من اقتصر على معانيه، وغيّر حروفه أذهب

= انظر: تفسير ابن جرير: ١٣٧/١٨، وانظر: سيرة ابن هشام: ٣٨٣/١.

(١) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل: ٢٤ وما بعدها مختصراً.

(٢) في الإتقان: ١٤/٤: «تعالى».

(٣) زيادة المؤلف.

(٤) لم أعر عليه، ولكن وجدته منقولاً عن البرهان للزركشي: ١٠٦/٢.

(٥) هو: محمد بن أحمد أبو بكر محيي الدين الأنصاري الشاطبي المعروف بابن

سراقه، ولد سنة (٥٩٢هـ)، وتوفي سنة (٦٦٢هـ).

انظر: البداية والنهاية: ٢٢٧/١٣، والشذرات: ٣١٠/٥.

(٦) المعشار: جزء من عشرة. انظر: اللسان: ٥٧٠/٤ مادة: (عشر).

(٧) قبيل: أي نوع وصنف.

رونقه، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته؛ فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه.

وقال آخرون: هو كون قارئه لا يكمل، وسامعه لا يمل، وإن تكررت عليه تلاوته.

وقال آخرون: هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية.

وقال آخرون: هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع.

وقال آخرون: هو كونه جامعاً لعلوم يطول شرحها، ويشق حصرها. انتهى^(١).

وقال الزركشي في البرهان^(٢): أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال، لا بكل واحد على انفراد؛ فإنه جمع ذلك كله، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده، مع اشتماله على الجميع، بل وغير ذلك مما لم يسبق؛ فمنها الروعة التي في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقر والجاحد^(٣). ومنها أنه لم يزل ولا يزال غضاً طرياً في جمعه بين أسماع السامعين، وعلى السنة القارئين. ومنها جمعه بين صفتي الجزالة^(٤) والعدوية، وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالباً في كلام البشر. ومنها جعله آخر الكتب غنياً عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]^(٥).

وقال الرماني^(٦): وجوه إعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة، مع

(١) لم أعر عليه.

(٢) البرهان: ١٠٦/٢، ١٠٧ مختصراً.

(٣) في البرهان: ١٠٦/٢: «المقرين والجاحدين».

(٤) الجزالة: ضد الركالة. انظر: اللسان: ١٠٩/١١ مادة: (جزل).

(٥) انتهى كلام الزركشي في البرهان: ١٠٦/٢، ١٠٧ مختصراً.

(٦) هو: علي بن عيسى بن علي أبو الحسن الرماني المعتزلي الوراق، صاحب شرح

أصول ابن السراج، وإعجاز القرآن، توفي سنة (٣٨٤هـ).

والرُماني: بضم الراء، وتشديد الميم، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى الرمان وبيعه، وإما إلى قصر الرمان وهو قصر بواسط معروف.

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٤١٩/١، وإنباء الرواة: ٢٩٩/٢، ومعجم الأدباء:

٧٣/٤، وفيات الأعيان: ٢٩١/٣.

توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرقة^(١)، والبلاغة، والإخبار عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.

قال: ونقض العادة هو أن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنشور الذي يدور بين الناس في الحديث؛ فأتى القرآن، بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة، وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام.

قال: وأما قياسه بكل معجزة؛ فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة؛ إذ كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية، وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحداً في الإعجاز، إذ خرج عن العادة، وقعد الخلق فيه عن المعارضة^(٢).

وقال القاضي عياض^(٣) في الشفا^(٤): اعلم أن القرآن^(٥) منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه^(٦):

أولها: حسن تأليفه والتثام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه^(٧)، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام، وأرباب هذا الشأن^(٨).

(١) إن هذه الكلمة غير متوافقة مع السياق، إذ معنى الصرقة: هو أن الله تعالى صرف الناس عن معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم لكن عاقبهم أمر خارجي، وهو قول النظام وتبعه الجاحظ، والشريف المرتضى وابن سنان الخفاجي، وهو مردود كما مر.

(٢) انتهى كلام الرماني في النكت في إعجاز القرآن ضمن رسائل ثلاثة في إعجاز القرآن: ١٠٩، ١١٠ باختصار.

(٣) هو: عياض بن موسى بن عياض أبو الفضل المالكي المعروف بالقاضي عياض، من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، والألماع في أصول الرواية والأسماع، ولد سنة (٤٧٦هـ)، وتوفي سنة (٥٤٤هـ).

انظر: هدية العارفين: ٥٠٦/١، وفيات الأعيان: ٤٨٣/٣، والشذرات: ١٣٨/٤.

(٤) وهو مطبوع مع شرح شهاب الدين الخفاجي المصري بعنوان «نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض»، ط١، المطبعة الأزهرية، سنة (١٣٢٦هـ).

(٥) في الأصل: ٤٧٣/٢: «كتاب الله العزيز».

(٦) في الأصل: ٤٧٣/٢: «أوجه».

(٧) في الأصل: ٤٧٣/٢: «إعجازه» وهو خطأ.

(٨) في الأصل: ٤٧٣/٢: «وذلك لأنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام».

الثاني: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب، المخالف لأساليب كلام العرب، ومنها نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته^(١)، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له. قال: وكل واحد من هذين النوعين: الإيجاز والبلاغة بذاتها، والأسلوب الغريب بذاته نوع إعجاز على التحقيق، لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما، إذ كل واحد خارج عن قدرتها، مباين لفصاحتها وكلامها، خلافاً لمن زعم أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب.

الثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن، فوجد كما ورد^(٢).

الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة؛ مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ^(٣) من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده ﷺ على وجهه ويأتي به على [نصه]^(٤)؛ وهو أُمي لا يقرأ ولا يكتب.

قال: فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة [لا نزاع]^(٥) فيها.

ومن الوجوه في إعجازه غير ذلك أي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، فما فعلوا ولا قدروا على ذلك، كقوله: [تعالى]^(٦) لليهود: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَكَانَ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٤، ٩٥]، فما تمناه [واحد]^(٧) منهم، وهذا الوجه داخل في الوجه الثالث.

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم، والهيبة التي تعترهم عند تلاوته، وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه، كما وقع لجبير بن

(١) في الأصل: ٤٧٣/٢: «وانتهت فواصل كلماته إليه».

(٢) في الأصل: ٤٧٣/٢: «على الوجه الذي أخبر».

(٣) الفذ: هو الفرد والشاذ وهما بمعنى. انظر: اللسان: ٥٠٢/٣ مادة: (فذذ).

(٤) في (هـ) و(ج): «نعته» وما أثبتته من الإلتقان: ١٦/٤.

(٥) في (هـ) و(ج): «لا نزع» والصواب ما أثبتته كما في الأصل: ٤٧٣/٢، والإلتقان:

١٦/٤.

(٦) زيادة من المؤلف.

(٧) في الإلتقان: ١٦/٤: «أحد».

مطعم^(١) أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، قال: فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) إلى قوله قوله: ﴿الْمَصْبُورُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٧]، كاد قلبي أن يطير، قال: وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي^(٢). وقد مات جماعة^(٣) عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف.

ثم قال: ومن وجوه إعجازه كونه آية باقية، لا يعدم^(٤) ما بقيت الدنيا؛ مع تكفل الله (تعالى)^(٥) بحفظه^(٦).

ومنها: أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجّه^(٧)، بل الإكباب^(٨) على تلاوته يزيد حلاوة، وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يُعَادَى إذا أعيد، ويميل مع التردد، ولهذا وصف ﷺ القرآن بأنه: «لا يخلق على كثرة الرد»^{(٩)(١٠)}، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف متعددة^(١١).

(١) هو: جبير بن مطعم بن عدي أبو محمد القرشي النوفلي الصحابي الجليل، توفي سنة (٥٥٧هـ) وقيل: (٥٥٨هـ) وقيل: (٥٥٩هـ). انظر: الإصابة: ١/٢٢٥، وأسد الغابة: ١/٢٧١.

(٢) كما في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة غزوة بدر: ٢٠/٥.

(٣) منهم زرارة بن أوفى عندما قرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَنَزَّلَ فِي السَّمَوَاتِ﴾ (٨) [المدثر: ٨] خرّ ميتاً. انظر: تفسير القرطبي: ٧٠/١٩، وتفسير ابن كثير: ١٥٥/٧، والدر المنثور: ٦/٢٨٢، وروح المعاني: ١٢١/٢٩.

(٤) في الأصل: ٤٧٣/٢: «لا تعدم».

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) حيث قال في سورة الحجر: الآية (٩): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وقال في سورة فصلت: الآية (٤٢): ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾.

(٧) لا يكره على مسامعه، يقال: مجج الشراب ونحوه إذا رماه من فيه. نسيم الرياض: ٥٣١/٢.

(٨) هو: ملازمة قراءته وتكراره فهو مجاز من الإكباب وهو الوقوع على الوجه. المصدر السابق.

(٩) في الإتيان: ١٧/٤: «على كثرة التردد».

(١٠) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن: ٥/١٧٢.

(١١) كيف لا فقد قال تعالى: ﴿مَا فَزَّنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. فقد أخرج البيهقي في الشعب عن الحسن قال: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب أودع =

قال: وهذا الوجه داخل في بلاغته، فلا يجب أن يعد فناً مفرداً في إعجازه.

قال: والأوجه التي قبله تعد في خواصه وفضائله، لا إعجازه. وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة الأولى فليعتمد عليها. انتهى^(١).

تنبيهات:

الأول: اختلف في قدر المعجز من القرآن، فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلق بجميع القرآن، والآيتان السابقتان ترده.

وقال القاضي^(٢): يتعلق الإعجاز بسورة؛ طويلة كانت أو قصيرة تثبتاً^(٣) بظاهر قوله: ﴿سُورَةٌ﴾.

وقال في موضع آخر: يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام، بحيث يتبين فيه تفاضل قوي البلاغة؛ قال: فإذا كانت آية بقدر حروف سورة، وإن كانت كسورة (الكوثر) فذلك معجز.

قال: ولم يقدّم دليل على عجزهم عن المعارضة من هذا القدر.

وقال قوم: لا يحصل الإعجاز بآية، بل يشترك الآيات الكثيرة^(٤).

وقال آخرون: يتعلق بقليل القرآن وكثيره؛ لقوله [تعالى]^(٥): ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ

مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ [الطور: ٣٤]، قال القاضي: ولا دلالة في الآية؛ لأن الحديث التام لا تحصل^(٦) حكايته في أقل من كلمات سورة [قصيرة]^(٧).

= علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزيور، والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة في الفرقان.

شعب الإيمان لليهقي، مخطوط: ٣/٣٥٦، ورسالة الماجستير لسعود الدعجان - الشعبة

التاسعة، باب في تعظيم القرآن: ٢/٢٨١، رقم الأثر (٣٨٠).

(١) انتهى كلام القاضي عياض. انظر: نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض: ٢/٤٧٣.

(٢) يعني القاضي الباقلاني. إعجاز القرآن: ١٩٨.

(٣) تثبتاً: أي تمسكاً بما جاء من قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...﴾ [البقرة: ٢٣].

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني: ١٩٨ بتصرف.

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) في (هـ) و(ح): «لا تحصل» وما أثبتته من الإلتقان: ٤/١٨ كما في الأصل ص:

١٩٨.

(٧) إعجاز القرآن للباقلاني: ١٩٨.

الثاني: اختلف في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة؟. قال القاضي^(١): فذهب أبو الحسن الأشعري^(٢) إلى أن ظهور ذلك على النبي ﷺ يعلم ضرورة، وكونه معجزاً يعلم بالاستدلال^(٣). قال: والذي نقوله: إن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً، وكذلك من ليس ببليغ^(٤)، فأما البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العرب^(٥) وغرائب الصنعة؛ فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله^(٦).

الثالث: اختلف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة^(٧) بعد اتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة^(٨)، بحيث لا يوجد في التركيب ما هو أشد تناسباً ولا اعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منه؛ فاختار القاضي المنع^(٩)، وأن كل كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا^(١٠)؛ وإن كان بعض الناس أحسن

(١) في إعجاز القرآن: ٢٠١.

(٢) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر أبو الحسن الأشعري، صاحب الأصول، كان معتزلياً ثم تاب، وعاد إلى مذهب أهل السنة، وقام بنصرة مذهبهم، من تصانيفه: الإبانة في أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، توفي سنة (٣٢٤هـ).

انظر: وفيات الأعيان: ٢٨٤/٣، وتاريخ بغداد: ٣٤٦/١١، وطبقات الشافعية: ٣٤٧/٣.

(٣) في الأصل: ٢٠١: «باستدلال».

(٤) في الأصل: ٢٠١: «من لم يكن بليغاً».

(٥) في الأصل: ٢٠١: «العربية».

(٦) إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٠١ بتصرف.

(٧) الفصاحة: في اللغة البيان والظهور.

وفي الاصطلاح: سلامة الكلام من الغرابة في الألفاظ، والتنافر في الألفاظ والحروف.

انظر: اللسان: ٥٥٤ مادة: (فصح)، وشروح التلخيص للفتنازاني: ٩٥/١.

(٨) البلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء، يقال: بلغ غايته إذا وصل إلى مراده.

وفي الاصطلاح: هو استعمال الكلام الفصيح بما يوافق حال المخاطب وما يستلزمه المقام.

انظر: اللسان: ٤١٨/٨ مادة: (بلغ)، وشروح التلخيص: ١٢٢/١.

(٩) أي: منع أن يكون متفاوتاً في مراتب الفصاحة.

(١٠) وذهب هذا المذهب الإمام الغزالي حيث قال: وكلام الله منزّه عن هذه

الاختلافات، فإنه على منهاج واحد وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة يأتي ذكره: ٢٧٤.

انظر: الإتيان: ٢٠/٤.

إحساساً له من بعض^(١).

واختار أبو نصر القشيري^(٢) وغيره التفاوت، فقال: لا ندعي أن كل ما في القرآن أرفع الدرجات في الفصاحة، وكذا قال غيره: في القرآن الأوضح والفصيح.

وإلى هذا نحا الشيخ عز الدين عبد السلام، ثم أورد سؤالاً وهو أنه: لم لم يأت القرآن جميعه بالأفصح؟.

وأجاب عنه الصدر موهوب الجزري، بما حاصله: أنه لو جاء القرآن على ذلك، لكان على النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأوضح والفصيح، فلا تتم الحجة في الإعجاز، [فجاء]^(٣) على نمط كلامهم المعتاد، [ليتّم ظهور الإعجاز]^(٤) عن معارضته ولا يقولوا مثلاً: أتيت بما لا قدرة لنا على جنسه؛ كما لا يصح من البصير أن يقول للأعمى: قد غلبتك بنظري؛ لأنه يقول له: إنما تتم لك الغلبة، لو كنت قادراً على النظر، وكان نظرك أقوى من نظري، فأما إذا فقد أصل النظر، فكيف [يصح]^(٥) مني المعارضة^(٦).

قلت^(٧): وما ذكره غير متجه، بل الوجه ما ذكره القاضي: أنه كله في أعلى طبقات الفصاحة، وأرفع مراتب البلاغة، فليس منه الفصيح والأفصح بل كله بلغ أعلى رتب الفصاحة والبلاغة، متناسب ومتشاكله ألفاظه بحسب المقام الذي سيقت، ويرشده إلى ذلك ما أخذ العلماء في نكت القرآن. وكون بعض الألفاظ جاءت في بعض المواضع معرفة، وفي بعضها منكرة، وفي بعض

(١) نقلاً عن البرهان للزركشي: ١٢١/٢.

(٢) هو: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن أبو نصر القشيري الشافعي، صاحب كتاب المرشد، توفي سنة (٥١٤هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٥٩/٧، والبداية والنهاية: ٢٠١/١٢، وشذرات الذهب: ٤٥/٤.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ١٨/٤.

(٤) في (هـ) و(ح): «لتتم ظهور الإعجاز» بالتاء، وما أثبت من الإتيان: ١٨/٤.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) الإتيان: ١٩/٤، نقلاً عن البرهان للزركشي: ١٢٢/٢ وما بعدها بتصرف.

(٧) القائل هو المؤلف.

الجمل أتى فيها بحرف زائد، وفي بعضها حذف ذلك الحرف، أو غير لفظ بلفظ آخر، كل ذلك لفوائد، وأسرار، ونكات يقتضي أن هذا اللفظ في هذا المقام هو الأولى والأحرى، كما أنه في المقام الآخر فوائد^(١).

الرابع^(٢): قيل: الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون، مع أن الموزن من الكلام رتبته فوق رتبة غيره، أن القرآن منبع الحق، ومجمع الصدق، وقصارى أمر الشاعر [التخيل]^(٣) بتصور الباطل في صورة الحق والإفراط في الإفراط والمبالغة في الذم والإيذاء دون إظهار الحق، [وإثبات الصدق]^(٤)، ولهذا نزه الله نبيه عنه، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمي أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية.

وقال بعض الحكماء: لم ير [متدين]^(٥) صادق للهجة، مفلق في شعره^(٦).

وأما ما وجد في القرآن مما صورته صورة [الشعر]^(٧) الموزون.

فالجواب عنه: أن ذلك لا يسمى شعراً؛ لأن شرط الشعر القصد، ولو كان شعراً لكان كل من اتفق له في كلامه شيء موزون شاعراً، فكان الناس كلهم شعراء؛ لأنه قل أن يخلو كلام أحد عن ذلك، وقد ورد ذلك على السنة الفصحاء، فلو اعتقدوه شعراً لبادروا إلى معارضته والطنن عليه؛ لأنهم كانوا أحرص شيء على ذلك، وإنما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القصوى في الانسجام.

وقيل: البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعراً^(٨)، وأقل الشعر

(١) انتهى كلام المؤلف، وهو ساقط من (ح).

(٢) عود إلى كلام السيوطي. الإتيان: ١٩/٤.

(٣) في الإتيان: ١٩/٤: «التخيل».

(٤) في (ب) زيادة كلمة «لهذا الصدق» والسياق يقتضي عدمها.

(٥) في (هـ) و(ح) بياض، وما أثبتته من الإتيان: ١٩/٤.

(٦) أي: بارع يأتي بالعجيب فيه. وفي اللسان: ٣١١/١٠ مادة: (فلق) وشاعر مفلق:

مجيد يجيء بالعجائب في شعره.

(٧) ساقط من الإتيان: ١٩/٤.

(٨) والشعر هو كما قال ابن فارس في فقه اللغة: ٢٢٩: «كلام موزون مقفى دال على

معنى، ويكون أكثر من بيت».

بيتان فصاعدا^(١).

وقيل: الرجز^(٢) لا يسمى شعراً أصلاً^(٣).

وقيل: أقل ما يكون من الرجز شعراً أربعة أبيات، وليس ذلك في القرآن بحال^(٤).

الخامس: قال بعضهم: التحدي إنما وقع للإنس دون الجن؛ لأنهم ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه^(٥)، وإنما ذكروا في قوله [تعالى]^(٦): ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] تعظيماً لإعجازه؛ لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للأفراد، فإذا فرض اجتماع الثقلين فيه، وظاهر بعضهم بعضاً، وعجزوا عن المعارضة، كان الفريق الواحد أعجز^(٧).

وقال غيره: بل وقع للجن أيضاً والملائكة منويون في الآية؛ لأنهم لا يقدرّون أيضاً على الإتيان بمثل القرآن^(٨).

قال الكرمانى في غرائب التفسير: إنما اقتصر في الآية على ذلك الإنس والجن؛ لأنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة^(٩).

السادس: سئل الغزالي^(١٠).....

(١) نقلاً عن إعجاز القرآن للباقلاني: ٥٧ بتصرف.

(٢) سبق بياضه صفحة (...).

وهو أن الرجز نوع من الشعر ووزنه مستفعلن ست مرات، سمي لتقارب أجزائه وقلة حروفه. انظر: القاموس المحيط: ١٨٢/٢.

(٣) وهو قول الخليل. قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: ١٨٢/٢: «وزعم الخليل أنه - أي الرجز - ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث».

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني: ٥٨.

(٥) ورأى الباقلاني أن التحدي وقع للإنس والجن لأنه معجزة عامة عمت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجّة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد. انظر: إعجاز القرآن: ١٣.

(٦) زيادة من المؤلف.

(٧) نقله عن البرهان للزركشي: ١١١/٢. وانظر: معترك الأقران للسيوطي: ٦/١.

(٨) انظر: معترك الأقران للسيوطي: ٧/١.

(٩) انظر: معترك الأقران للسيوطي: ٧/١.

(١٠) هو: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي حجة الإسلام الفقيه الشافعي،

صاحب إحياء علوم الدين، ولد سنة (٤٥٠) وقيل: (٤٥١هـ)، وتوفي سنة (٥٠٥هـ).

عن معنى [قول الله تعالى] ^(١): ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فأجاب: الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه؛ بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن، ويقال ^(٢): هذا كلام مختلف، أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة، أو هو ^(٣) مختلف [الدعوى] ^(٤)، أي بعضه يدعو إلى الدين، وبعضه يدعو إلى الدنيا؛ وهو مختلف النظم، فبعضه على وزن الشعر، وبعضه منزح ^(٥)، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة ^(٦)، وبعضه على أسلوب يخالفه، وكلام الله منزه عن هذه الاختلافات؛ فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره، وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة، فليس يشتمل على الغث والسمين، ومسوق لمعنى واحد، وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى، وصرافهم عن الدنيا إلى الدين، وكلام الأدميين تنطبق عليه هذه الاختلافات، إذ كلام الشعراء إذا قيس عليه، وجد فيه اختلاف في منهاج النظم، ثم اختلاف درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة، حتى يشتمل على الغث والسمين ^(٧)، فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيقة، وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة؛ لأن الشعراء، والفصحاء في كل واد

= انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٩٤/٦، والبداية والنهاية: ١٨٧/١٢، وفيات الأعيان: ٢١٦/٤.

(١) في الإتيان: ٢٠/٤: «قوله تعالى».

(٢) في الإتيان: ٢٠/٤: «يقال» بدون الواو.

(٣) في (هـ) و(ح): «وهو» وما أثبتته من الإتيان: ٢٠/٤.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٢٠/٤.

(٥) منزح: أي فيه نقص عن الوزن، وفي القاموس المحيط: ١٥٢/٣: والزحاف،

ككتاب في الشعر: أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر.

(٦) الجزالة: ضد الركالة والمراد هنا السهولة والوضوح في الكلام. انظر: اللسان:

١٠٩/١١ مادة: (جزل).

(٧) في المصباح المنير: غث الشاة: عجفت أي ضعفت، وفي الكلام الغث والسمين:

الجيد والرديء، وأغث في كلامه: تكلم بما لا خير فيه. المصباح المنير لأحمد الفيومي:

٩٥/٢.

يهيمون، فتارة يمدحون الدنيا، وتارة يذمونها، وتارة يمدحون الجبن ويسمونهم
 حزمًا، وتارة يذمونهم ويسمونهم ضعفاءً، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونهم
 صارمة^(١)، وتارة يذمونهم ويسمونهم تهوراً؛ ولا ينفك كلام آدمي عن هذه
 الاختلافات؛ لأن منشأها اختلاف الأغراض والأحوال، والإنسان تختلف
 أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه، وتتعذر عليه عند
 الانقباض، وكذلك تختلف أغراضه، فيميل إلى الشيء مرة، ويميل عنه
 أخرى، فيوجب ذلك اختلافاً في كلامه بالضرورة، فلا يصادف إنسان يتكلم
 في ثلاث وعشرين سنة - وهي مدة نزول القرآن - فيتكلم على غرض واحد
 ومنهاج واحد ولقد كان النبي ﷺ بشراً تختلف أحواله، فلو كان هذا كلامه أو
 كلام غيره من البشر [لوجد فيه اختلاف كثير]^{(٢)(٣)}.

السابع: قال القاضي^(٤): فإن قيل: هل تقولون: إن غير القرآن من كلام الله
 معجز، كالتوراة والإنجيل؟

قلنا: ليس شيء من ذلك بمعجز في النظم والتأليف؛ وإن كان معجزاً
 كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار بالغيوب، وإنما لم يكن معجزاً لأن الله جل
 شأنه^(٥) لم يصفه بما وصف به القرآن، ولأننا قد علمنا لم يقع التحدي إليه،
 كما وقع في^(٦) القرآن، ولأن ذلك اللسان^(٧) لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة
 ما يقع فيه التفاضل الذي ينتهي إلا حد الإعجاز^(٨).

وقد ذكر ابن جني^(٩)

(١) جلدأ يقال: صرم فلان: كان جلدأ ماضياً في أمره. انظر: اللسان: ٣٣٥/١٢،
 والمعجم الوسيط: ٥١٦/١.

(٢) في الإتيان: ٢١/٤: «لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً».

(٣) نقلاً عن البرهان للزركشي: ٤٦/٢ - ٤٨، وانظر: معترك الأقران للسيوطي: ٨/١.

(٤) يعني القاضي أبو بكر الباقلاني، قاله في إعجاز القرآن: ٣٣.

(٥) في الإتيان: ٢١/٤: «تعالى» كما في الأصل: ٣٣.

(٦) في الأصل: «إلى» ٣٣.

(٧) في الأصل: «ولمعنى آخر وهو أن ذلك اللسان» ٣٤.

(٨) انتهى كلام القاضي الباقلاني في إعجاز القرآن: ٣٣، ٣٤.

(٩) هو: عثمان بن جني أبو الفتح النحوي، صاحب الخصائص وسر الصناعة، والكافي
 في شرح القوافي، توفي سنة (٥٣٩٢هـ).

في الخطاريات في قوله: [تعالى] (١): ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَن تَلْفِي وَإِنَّمَا أَن تَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْفَىٰ﴾ (طه: ٦٥): أن العدول عن قوله [تعالى] (٢): «وإما أن نلقي» لغرضين: أحدهما لفظي، وهو المزاججة لرؤوس الآي، والآخر معنوي، وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطالتهم على موسى [عليه السلام] (٣)، فجاء عنهم باللفظ أتم وأوفى منه في إسنادهم الفعل إليه.

ثم أورد سؤالاً، وهو: إنا نعلم أن السحرة لم يكونوا أهل لسان، فنذهب بهم هذا المذهب من صنعة الكلام؟

وأجاب: بأن جميع ما ورد في القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية إنما هو معرب عن معانيهم، وليس بحقيقة ألفاظهم، ولهذا لا يشك (٤) في أن قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِن هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ﴾ (طه: ٦٣)؛ أن هذه الفصاحة لم تجر على لغة العجم (٥).

الثامن: قال البارزي في أول كتابه «أنوار التحصيل في أسرار التنزيل»: اعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض؛ ولذلك كل واحد من جزأي الجملة، قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولا بد من استحضار معاني الجمل، أو استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال؛ وذلك عتيد حاصل في علم الله تعالى، فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه، وإن كان مشتملاً على الفصيح والأفصح، والمليح والأملح (٦)، ولذلك أمثلة، منها قوله تعالى: ﴿وَجَنَّ الْجَنَّةِ دَانَ﴾ [الرحمن: ٥٤]، لو قال مكانه: «وثمر الجنتين قريب»، لم يقيم مقامه من جهة الجناس

= انظر: بغية الوعاة: ٣٢٢، وشذرات الذهب: ١٤١/٣.

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) (هـ) و(ج): «لا نشك» وما أثبتته من الإتيان: ٢٢/٤.

(٥) انظر: معترك الأقران للسيوطي: ١٠/١.

(٦) كما اختار ذلك أبو نصر القشيري، وقد مضى. وانظر: الإتيان: ١٨/٤.

بين الجني والجنيتين، ومن جهة أن الثمر لا يشعر بمصيره إلى حال يجنى فيها، ومن جهة مؤاخاة الفواصل.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَلْبِهِ مِنْ كَيْبٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، أحسن من التعبير بـ«تقرأ» لثقله بالهمزة.

ومنها: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] أحسن من «لا شك فيه» لثقل الإدغام، ولهذا كثر ذكر الريب.

(ومنها)^(١): ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أحسن من «ولا تضعفوا» [لخفته، و]^(٢) ﴿وَهَذَا الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ١٣٩] أحسن من «ضعف»؛ لأن الفتحة أخف من الضمة.

ومنها: ﴿ءَامَنَ﴾ [البقرة: ٦٢] أخف من «صدق»، ولذا كان ذكره أكثر من ذكر التصديق.

و﴿ءَاثَرَكَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٩١] أخف من «فضلك».

و﴿وَأَنَا﴾ [البقرة: ١٧٧] أخف من «أعطى».

و﴿أَنْذِرْ﴾ [الأحقاف: ٢١] أخف من «خوف». و﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤] أخف من «أفضل لكم». والمصدر في نحو: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ١١]، ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، أخف من «مخلوق» و«الغائب». [﴿تَنْكِحَ﴾ [البقرة: ٢٣] أخف من «تنزوج»]^(٣)؛ لأن «تفعل» أخف من «تفعل»، ولهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر.

وأجل التخفيف والاختصار، استعمل لفظ الرحمة والغضب والرضا والحب والمقت في أوصاف الله تعالى، مع أنه لا يوصف بها حقيقة؛ لأنه لو عبر عن ذلك بالفاظ الحقيقة لطلال الكلام، كأن يقال: يعامله معاملة المحب والماقت، فالمجاز في مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره، وابتناؤه على التشبيه البليغ، فإن قوله [تعالى]^(٤): ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْفَمْنَا مِنْهُمُ﴾ [الزخرف: ٥٥]، أحسن من «فلما عاملونا معاملة الغضب» أو «فلما أتوا إلينا بما يأتيه

(١) في الإتيان: ٢٢/٤: «منها» بدون الواو.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٢٢/٤.

(٣) في (هـ) و(ح): «نكح» وما أثبتته من الإتيان: ٢٣/٤، وهو الصواب.

(٤) زيادة من المؤلف.

المغضب: (١). انتهى.

التاسع: قال الرماني: فإن قال قائل: [فلفل السور القصار] (٢) [تمكن] (٣) فيها المعارضة؟ قيل: لا يجوز فيها ذلك من قبل [أن] (٤) التحدي وقع بها، فظهر العجز عنها في قوله [تعالى] (٥) ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ [يونس: ٣٨]، فلم يخص بذلك الطوال دون القصار.

فإن قال [قائل] (٦): فإنه يمكن في القصار أن تغير الفواصل، فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم مقامها، فهل يكون ذلك معارضة؟ قيل له: لا، من قبل أن المفحم (٧) يمكنه أن ينشئ بيتاً واحداً، ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزن، فلو أن مفحماً رام (٨) أن يجعل بدل قوافي قصيدة رؤية (٩):

وقاتم الأعماق خاوي المخترق (١٠) مشتبه الأعلام لماع الخفق (١١)
بكل وفد الريح من حيث انخرق (١٢)

(١) انتهى كلام البارزي.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٢٣/٤.

(٣) في الإتيان: ٢٣/٤: «يمكن» بالياء.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٢٣/٤.

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) ساقط من (ح) والإتيان: ٢٣/٤.

(٧) المفحم: أي الذي أسكت بالحجة في الخصومة من قولهم: فحم الصبي إذا بكى حتى انقطع صوته.

(٨) رام: قصد وطلب. انظر: اللسان: ٢٥٨/١٢ مادة: (روم).

(٩) هو: رؤية بن العجاج أبو محمد البصري التميمي هو وأبوه راجزان مشهوران، له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز، توفي سنة (١٤٥هـ).

انظر: لسان الميزان: ٤٦٤/٢، وخزانة الأدب للبغدادي: ٧٨/١، ووفيات الأعيان: ٣٠٢/٢.

(١٠) المخترق: مكان هبوب الريح. انظر: اللسان: ٧٣/١٠ مادة: (خرق).

(١١) الخفق: هو الحركة. وفي اللسان: ٨٠/١٠ مادة: (خفق). الخفق: اضطراب الشيء العريض. يقال: راياتهم تخفق وتخفق، وتسمى الأعلام الخوافق والخافقات.

(١٢) قائله رؤية بن العجاج. انظر: ديوانه: مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤية بن العجاج، ترتيب وليم بن الورد البروسي: ١٠٤. وانظر: خزانة الأدب: ٧٨/١.

فجعل بدل المخترق «الممزق» وبدل الخفق «الشفق»، وبدل انخرق
«انطلق»، [لأمكنه]^(١) ذلك ولم يثبت له به قول الشعر، ولا معارضة رؤية في
هذه القصيدة عند أحد له [أدنى]^(٢) معرفة، فكذلك سبيل من غير الفواصل^(٣).
انتهى^(٤).

(١) في (هـ) و(ح): «لا يمكنه» والصواب ما أثبتته كما في الإتيان: ٢٣/٤.

(٢) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٢٣/٤.

(٣) انتهى كلام الرماني.

(٤) انتهى النقل عن الإتيان: ٢٣ - ٣/٤.

النوع السابع والعشرون بعد المائة

علم مفردات القرآن العزيز



النوع السابع والعشرون بعد المائة

علم مفردات القرآن العزيز

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - في الإتيان^(١): أخرج السلفي^(٢) في المختار من الطيورات، عن الشعبي^(٣) قال: لقي عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - ركبا في سفر، فيهم ابن مسعود^(٤)، فأمر رجلاً يناديهم: من أين القوم؟ قالوا: أقبلنا من الفج^(٥) العميق^(٦)، نريد البيت العتيق^(٧)، فقال عمر: إن فيهم لعالمًا، وأمر رجلاً أن يناديهم: أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله^(٨): ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: نادهم: أي القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠]، قال: نادهم: أي القرآن أجمع؟ فقال:

(١) الإتيان: النوع الرابع والسبعون في مفردات القرآن: ١٢٩/٤ - ١٣٦.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن أحمد أبو طاهر السلفي، صاحب معجم شيوخ أصبهان، ومعجم شيوخ بغداد، ومعجم لباقى البلاد سماه معجم السفر، توفي سنة (٥٧٦هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ١٢٩٨/٤، وطبقات الحفاظ: ٤٦٨، والشذرات: ٢٥٥/٤.

(٣) هو: عامر بن شراحيل أبو عمرو الشعبي الهمداني الكوفي التابعي، ولد سنة (١٧هـ)، وتوفي سنة (١٠٥هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٧٩/١، وتاريخ بغداد: ٢٩/١٢، وطبقات القراء: ٣٥٠/١، وشذرات الذهب: ١٢٦/١.

(٤) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الهذلي، توفي سنة (٣٢) وقيل: (٣٣هـ). انظر: تهذيب التهذيب: ٣٥٦/٣.

(٥) الفج: الطريق الواسع بين جبلين. وفي اللسان: ٣٣٩/٢: «الفج الطريق الواسع في الجبل، وكل طريق بعد فهو فج».

(٦) العميق: البعيد. انظر: اللسان: ٣٧٠/١٠ مادة: (عمق).

(٧) العتيق: القديم. انظر: اللسان: ٢٣٦/١٠ مادة: (عتق).

(٨) يعني: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فقال: نادهم: أي القرآن أحزن؟ فقال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٣]، فقال: نادهم: أي القرآن أرجى؟ فقال: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، فقال: أفياكم ابن مسعود؟ قالوا: نعم. أخرجه عبد الرزاق^(١) في تفسيره بنحوه^(٢).

وأخرج عبد الرزاق أيضاً، عن ابن مسعود، قال: أعدل آية في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، وأحكم آية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) إلى آخرها^(٣).

وأخرج الحاكم عنه^(٤)، قال: إن أجمع آية في القرآن للخير والشر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]^(٥).

وأخرج [الطبراني]^(٦) عنه، قال: ما في القرآن آية أعظم فرحاً من آية في سورة (الغرف)^(٧): [الزمر: ٢٠] ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، وما في القرآن آية [أكثر]^(٨) تفويضاً من آية في سورة (النساء) القصرى^(٩) ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾ الآية [الطلاق: ٣]^(١٠).

(١) هو: عبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الحميري، صاحب المصنف، والتفسير المشهور، توفي سنة (٢١١هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ١/٣٦٤، وطبقات المفسرين: ١/٢٩٦، وشذرات الذهب: ٢/٢٧.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١٢٦ بنحوه وقال: رجاله رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف.

(٣) أورده القرطبي في تفسيره: ٢٠/١٥٢.

(٤) أي: عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) المستدرک للحاکم، کتاب التفسیر، تفسير سورة النحل: ٢/٣٥٦.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٦) ساقط من الإتيان: ٤/١٢٨.

(٧) هي سورة الزمر، سميت بذلك لقوله تعالى فيها: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّيْبُتَةٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَوَدَّ اللَّهُ لَا يُحِلِّفَ اللَّهُ أَلَمِيعًا﴾ (٧). انظر: الإتيان: ٢/١٥٧.

(٨) في (هـ): «كثر» وما أثبتته من (ح) كما في الإتيان: ٤/١٢٩، وهو الصواب.

(٩) هي سورة الطلاق، سميت بذلك لما فيها من أحكام النساء. انظر: الإتيان: ١/١٥٨.

(١٠) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١٢٦ بنحوه، وقال: رواه الطبراني ورجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف.

وأخرج أبو ذر الهروي^(١) في فضائل القرآن^(٢) من طريق يحيى بن يعمر^(٣)، عن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أعظم آية في القرآن: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأعدل آية في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ [النحل: ٩٠] إلى آخرها، وأخوف آية في القرآن: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٨، ٧]، وأرجى آية في القرآن: ﴿قُلْ يَعْجِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ...﴾ [الزمر: ٥٣] إلى آخرها^(٤).

وقد اختلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولاً:
أحدها: آية (الزمر) [٥٣].

والثاني: ﴿أَوَلَمْ تَوْنِمَنَّ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أخرجه الحاكم في المستدرک^(٥) وأبو عبيد^(٦)، عن صفوان بن سليم^(٧)، قالوا: التقى ابن عباس

(١) هو: عبد الله بن أحمد بن عبد الله أبو ذر الهروي المعروف بابن البناء شيخ الحرم، صاحب المسند الصحيح المجرد على البخاري ومسلم، وفضائل القرآن، ولد سنة (٣٥٥هـ) تقريباً، وتوفي سنة (٤٣٤هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ١١٠٣/٣، وطبقات الحفاظ: ٤٢٥، وتاريخ بغداد: ١١/١٤١، وطبقات المفسرين: ١/٣٦٦.
(٢) لم أعر عليه.

(٣) هو: يحيى بن يعمر أبو سليمان التابعي النحوي البصري، توفي سنة (١٢٩هـ).
انظر: بغية الوعاة: ٤١٧، وفيات الأعيان: ١٧٣/٦.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١/٣٢٢ بمعناه برواية أبي بن كعب.

(٥) المستدرک، كتاب الإيمان، باب أي آية في كتاب الله أرجى: ١/٦٠، وكتاب التوبة والإنابة، باب فضيلة ذكر الله: ٤/٢٦٠.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ولكن استدرک عليه الذهبي وقال: فيه انقطاع.

(٦) هو: القاسم بن سلام أبو عبيد، صاحب الغريب المصنف، والمقصود والممدود في القراءات وغيرها، وقيل: إنه أول من صنف في غريب الحديث، توفي سنة (٢٢٤هـ).
انظر: طبقات القراء: ١٧/٢، وبغية الوعاة: ٣٧، وفيات الأعيان: ٤/٦٠.

(٧) هو: صفوان بن سليم أبو عبد الله المدني الزهري. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث عابداً، توفي سنة (١٢٤هـ) وقيل: سنة (١٣٢هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ١/١٣٤، وتهذيب التهذيب: ٥/٤٢٥، وطبقات الحفاظ: ٥٤.

وابن عمر ^(١) رضي الله عنه ^(٢)، فقال ابن عباس: أي آية في كتاب الله أرجى؟ فقال عبد الله بن عمر: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، فقال ابن عباس، لكن قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمَّةٌ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّا يُظْمِنَنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قال: فرضي منه بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾، قال: فهذا لما يعترض في الصدر مما يوسوس به الشيطان ^(٣).

الثالث: ما أخرجه أبو نعيم ^(٤) في الحلية عن علي بن أبي طالب ^(٥) - [كرم الله وجهه ورضي الله عنه] ^(٦) أنه قال: إنكم يا معشر أهل العراق تقولون: أرجى آية في القرآن: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾ الآية [الزمر: ٥٣] الآية، لكننا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ^(٧) [الضحى: ٥]، وهي الشفاعة ^(٧).

الرابع: ما أخرجه الواحدي ^(٨) عن علي بن الحسين ^(٩)، قال: أشد آية على

-
- (١) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل أبو عبد الرحمن القرشي المكي، ولد سنة (٣) من النبوة، وتوفي سنة (٥٧٣هـ).
- انظر: تهذيب التهذيب: ٣٢٩/٥، والإصابة: ٢٤٧/٢، وأسد الغابة: ٢٢٧/٣.
- (٢) زيادة من المؤلف.
- (٣) رواه ابن جرير في تفسيره: ٣٤/٣، وذكره ابن كثير في تفسيره: ٥٦٠/١.
- (٤) هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني الحافظ صاحب كتاب «الحلية» و«المستخرج على البخاري» وغيرهما، توفي سنة (٤٣٠هـ).
- انظر: تذكرة الحفاظ: ١٠٩٢/٣، وطبقات الحفاظ: ٤٢٣، وشذرات الذهب: ٢٤٥/٣.
- (٥) هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو الحسن الهاشمي ابن عم الرسول ﷺ، توفي سنة (٤٠هـ).
- انظر: تذكرة الحفاظ: ١٠/١، وطبقات الحفاظ: ٤، وتهذيب التهذيب: ٣٣٧/٧.
- (٦) زيادة من المؤلف.
- (٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٦١/٦.
- (٨) هو: علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحدي النيسابوري، صاحب أسباب النزول والتفاسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز وغيرها، توفي سنة (٤٦٨هـ).
- انظر: طبقات المفسرين: ٣٨٧/١، وطبقات القراء: ٥٢٣/١، وشذرات الذهب: ٣٣٠/٣.
- (٩) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو الحسن المقلب بزین العابدين، ولد سنة (٣٨هـ)، وتوفي سنة (٩٤هـ).
- انظر: طبقات ابن سعد: ١٥٦/٥، وفيات الأعيان: ٣٢٠/١.

أهل النار: ﴿تَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠]، وأرجى آية في القرآن لأهل التوحيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾ الآية [النساء: ٤٨]^(١).

وأخرج الترمذي^(٢) وحسنه عن علي [كرم الله وجهه]^(٣) قال: أحب آية إلي في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾ الآية^(٤).

الخامس: ما أخرجه مسلم^(٥) في صحيحه، عن ابن المبارك^(٦)، أن أرجى آية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَّا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]^(٧).

السادس: ما أخرجه ابن أبي الدنيا^(٨) في كتاب «التوبة» عن أبي عثمان^(٩)

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٢٠/٧ برواية ابن أبي حاتم عن الحسن، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٠٨/٦ برواية عبد بن حميد.

(٢) هو: محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك أبو عيسى الترمذي، صاحب الجامع «سنن الترمذي» والعلل، ولد سنة (٢٠٩هـ)، وتوفي سنة (٢٧٩هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٦٣٣/٢، وتهذيب التهذيب: ٣٨٧/٩، وطبقات الحفاظ: ٢٧٨، وشذرات الذهب: ١٧٤/٢.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في سننه، أبواب التفسير، باب: ومن سورة النساء: ٥/٢٤٧، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٥) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري الإمام الحافظ، صاحب «الصحيح»، توفي سنة (٢٦١هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٥٨٨/٢، وطبقات الحفاظ: ٢٦٠، وشذرات الذهب: ١٤٤/٢.

(٦) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبد الرحمن الحنظلي التميمي، صاحب كتاب السنن، والزهد، توفي سنة (١٨١هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٢٧٤/١، وطبقات الحفاظ: ١١٧، وطبقات المفسرين للداودي: ٢٤٣/١، وشذرات الذهب: ٢٩٥/١.

(٧) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة الفاذف: ١١٧/٨.

(٨) هو: عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا أبو بكر القرشي المحدث الأموي، ولد سنة (٢٠٨هـ)، وتوفي سنة (٢٨١هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٦٧٧/١، وطبقات الحفاظ: ٢٩٤.

(٩) هو: عبد الرحمن بن مل بن عمرو أبو عثمان النهدي الكوفي، أدرك في حياة النبوة ولم يره، توفي سنة مائة أو بعدها بقليل.

انظر: تذكرة الحفاظ: ٦٥/١، وتهذيب التهذيب: ٢٧٧/٦، وطبقات الحفاظ: ٢٥.

النهدي^(١)، قال: ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله: ﴿وَأَخْرُوجُكُمْ مِّنْهَا وَيُؤْتِيَهُم مَّا فِيهَا مِنْهُم مَّن لَّا يَرْجُو الْغَيْثَ وَلَا يَخَفُ السَّاعَةَ﴾ [التوبة: ١٠٢] ^(٢).

السابع والثامن: قال أبو جعفر النحاس^(٣): في قوله [تعالى] ^(٤): ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] إن هذه الآية عندي أرجى آية في القرآن؛ إلا أن ابن عباس قال: أرجى آية في القرآن: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقَرٍّ يَخَلُّكَ عَلَى ظِلِّهِمْ﴾ [الرعد: ٦]، وكذا حكاه عنه مكي^(٥)، ولم يقل «على إحسانهم».

التاسع: روى الهروي^(٦) في مناقب الشافعي [رحمه الله تعالى] ^(٧) عن ابن عبد الحكم^(٨)، قال: سألت الشافعي^(٩): أي آية أرجى؟ قال: قوله: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ ^(١٠) أَوْ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ^(١١) [البلد: ١٥، ١٦]، قال: وسألته عن أرجى حديث للمؤمن، قال: إذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل مسلم رجل من

(١) في (ج): «النهدي».

(٢) لم أشر على كتاب ابن أبي الدنيا.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر النحاس النحوي المصري، صاحب إعراب القرآن، ومعاني القرآن، توفي سنة (٣٣٧هـ) وقيل: (٣٣٨هـ). طبقات المفسرين للداودي: ٦٧/١، وفيات الأعيان: ٩٩/١.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) هو: مكي بن أبي طالب بن هبوس أبو محمد المقرئ القرطبي، أستاذ القراء والمجودين، صاحب التبصرة في القراءات، ولد سنة (٣٥٥هـ)، وتوفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: طبقات القراء: ٣٠٩/٢، ومعرفة القراء الكبار: ٣٩٤/١، وفيات الأعيان: ٥/٢٧٤، وشذرات الذهب: ٢٦٠/٣.

(٦) هو: إسماعيل بن إبراهيم بن محمد أبو محمد السرخسي الهروي الشافعي المعروف بابن القراب، من تصانيفه: الجمع بين الصحيحين والبخاري ومسلم، والشافعي في القراءات، ومناقب الشافعي، ولد بعد سنة (٣٣٠هـ)، وتوفي سنة (٤١٤هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١١٥/٣، وطبقات القراء: ١٦٠/١، وهدية العارفين: ٢٠٩/٢.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) هو: محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الفقيه المصري، توفي سنة (٢٦٨هـ). انظر: تذكرة الحفاظ: ٥٤٦/٢، وتهذيب التهذيب: ٢٦/٩، والشذرات: ١٥٤/٢.

(٩) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن شافع أبو عبد الله الإمام الشافعي وقدة الأمة، ولد سنة (١٥٠هـ)، وتوفي سنة (٢٠٤هـ).

انظر: مناقب الشافعي لليهقي: ٧١/١، وطبقات الحفاظ: ١٥٣، والشذرات: ٩/٢.

الكفار فداؤه^(١).

العاشر: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

الحادي عشر: [قوله تعالى]^(٢): ﴿وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبا: ١٧].

الثاني عشر: [قوله تعالى]^(٣): ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [١٨] طه: ٤٨، حكاة الكرمانى فى كتاب^(٤) العجائب.

الثالث عشر: [قوله تعالى]^(٥): ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

حكى هذه الأقوال الأربعة^(٦) النووي^(٧) فى [رؤوس المسائل]^(٨)، والأخير ثابت عن علي [كرم الله وجهه ورضي الله عنه]^(٩).

ففى مسند [الإمام]^(١٠) أحمد عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى، حدثنا بها رسول ﷺ؟. ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وسأفسرها لك يا علي: «ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فيما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثني العقوبة، وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفو»^(١١).

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب التوبة: ٨/١٠٤.

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) ساقط من الإتيان: ٤/١٣١.

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) من العاشر إلى الثالث عشر.

(٧) هو: يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا النووي الشافعي، صاحب الروضة، وشرح صحيح مسلم، ولد سنة (٦٣١هـ)، وتوفى سنة (٦٧٦هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٧٠، وطبقات الحفاظ: ٥١٠، وطبقات الشافعية للسبكي: ٨/٣٩٥، وشذرات الذهب: ٥/٣٤٥.

(٨) فى (هـ): «رؤوس الآي»، وما أثبتته من الإتيان: ٤/١٣١ كما فى (ج)، وفى كشف الظنون: ١/٩١٥: «رؤوس المسائل، للإمام النووي».

(٩) زيادة من المؤلف.

(١٠) ساقط من الإتيان: ٤/١٣١.

(١١) مسند الإمام أحمد: ١/٨٥.

الرابع عشر: [قوله تعالى] (١): ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

قال الشبلي (٢): إذا كان الله [جل شأنه] (٣) أذن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة، افتراه يخرج الداخل فيها (٤) والمقيم عليها؟.

الخامس عشر: آية الدين (٥)، ووجهه: أن الله أرشد عباده إلى مصالحتهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحتهم إلى أمرهم بكتابة الدين الكثير والحقير فمقتضى ذلك ترجى عفوه عنهم؛ لظهور العناية العظيمة بهم.

[قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى -] (٦): ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذر (٧)، عن ابن مسعود، أنه ذكر عنده بنو إسرائيل، وما فضلهم الله به، فقال: كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً أصبح وقد كتبت كفارته على أسكفة (٨) يابه، وجعلت كفارة ذنوبكم قولاً تقولونه؛ [تستغفرون الله] (٩) فيغفر لكم، والذي نفسي بيده لقد أعطانا الله آية لهي أحب إلي من الدنيا وما فيها: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ...﴾ الآية [آل عمران: ١٣٥] (١٠).

وما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة عن ابن عباس قال: ثمانى آيات نزلت

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) هو: دلف بن جحد وقيل: جعفر بن يونس أبو بكر المعروف بالشبلي الخراساني، توفي سنة (٣٣٤هـ). وفيات الأعيان: ٢/٢٧٣.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) في (هـ) و(ح): «يخرج الكافر الداخل فيها»، وفي الإتيان: ١٣١/٤: «يخرج الداخل فيها» وهي أنسب للمقام.

(٥) سورة البقرة: الآية (٢٨٢) وهي أطول آية في القرآن.

(٦) في الإتيان: ١٣١/٤: «قلت».

(٧) هو: محمد بن إبراهيم بن المنذر أبو بكر النيسابوري الحافظ الثقة الأوحى، صاحب الأشراف في اختلاف العلماء، توفي سنة (٣١٨هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/٧٨٢، وطبقات الحفاظ للسبكي: ٣/١٠٢، وطبقات الحفاظ: ٣٢٨، وشذرات الذهب: ٢/٢٨٠.

(٨) وفي اللسان: ٩/١٥٦ مادة: (سكف)، ١/٥٧٦ مادة: (عتب).

الأسكفة والأسكوفة: عتبة الباب التي يوطأ عليها، وقيل: الخشبة التي فوق الأعلى الحاجب.

(٩) في (هـ) و(ح): «يستغفرونها الله» والصواب ما أثبتته كما في الإتيان: ١٣١/٤.

(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢/٧٧.

في سورة (النساء)، هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت: أولهن ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَنَّ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [٢٦].
 والثانية: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ [٢٧]،
 والثالثة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ...﴾ الآية [٢٨]، والرابعة: ﴿إِنْ جَحْتَبُوا كَبَابًا مَا نُثَبِّتْ عَنْهُ...﴾ الآية [٣١]، والخامسة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ الآية [٤١]، والسادسة: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ...﴾ الآية [١١٠]، والسابعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾ [٤٨]،
 والثامنة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ...﴾ الآية [١٥٢] (١).

وما أخرجه ابن أبي حاتم (٢) عن عكرمة (٣) قال: سئل ابن عباس: أي آية أرخص في كتاب الله قال: قوله [تعالى] (٤): ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠] (٥).

وما أخرجه ابن راهويه (٦)، في مسنده، أنبأنا أبو عمر العقدي (٧)، أنبأنا عبد الجليل بن عطية (٨)، عن محمد بن المنتشر (٩)، قال: قال رجل لعمر بن

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ١٤٣/٢.

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم أبو محمد الإمام الحافظ الناقد الرازي، صاحب الجرح والتعديل، والتفسير المسند ومناقب الشافعي، توفي سنة (٣٢٧هـ).
 انظر: تذكرة الحفاظ: ٨٢٩/٣، وطبقات الحفاظ: ٣٤٥، وطبقات المفسرين للداودي: ٢٧٩/١، وشذرات الذهب: ٣٠٨/٢.

(٣) هو: عكرمة بن عبد الله أبو عبد الله مولى ابن عباس البربري، توفي سنة (١٠٧هـ)، وقيل غير ذلك.

انظر: تذكرة الحفاظ: ٩٥/١، ووفيات الأعيان: ٢٦٥/٣، والشذرات: ١٣٠/١.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره: ١٧٣/٦.

(٦) هو: إسحاق بن إبراهيم بن راهويه أبو يعقوب الحنظلي المروزي، صاحب المسند، والسنن والتفسير، ولد سنة (١٦٦هـ)، وتوفي سنة (٢٣٨هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٤٣٣/٢، وطبقات الحفاظ: ١٨٨، وطبقات المفسرين للداودي: ١٠٢/١، وشذرات الذهب: ٨٩/٢.

(٧) لم أعثر عليه.

(٨) لم أعثر عليه.

(٩) لم أعثر عليه.

الخطاب [ﷺ] (١): إني [لأعرف] (٢) أشد آية في كتاب الله تعالى، فأهوى عمر فضربه بالدرّة (٣)، وقال: مَالِكٌ نَقَبْتُ عَنْهَا (٤) حتى علمتها؟ ما هي؟ قال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فما منا أحد يعمل سوءاً إلا جزي به، فقال عمر [ﷺ] (٥) لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله [جل شأنه] (٦) بعد ذلك ورخص ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] (٧).

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن، قال: سألت أبا برزة الأسلمي (٨)، عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار، فقال: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠] (٩).

وفي «صحيح البخاري» عن سفيان (١٠)، قال: ما في القرآن آية أشد علي من [قوله تعالى] (١١): ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) في (هـ) و(ح): «لا أعرف» وما أثبتته من الإتيان: ١٣٢/٤ وهو الصواب.

(٣) وفي اللسان ٢٨٢/٤ مادة: (درر).

والدر: بالكسر، التي يضرب بها وهي درة السلطان.

(٤) وفي اللسان: ٧٦٨/١ مادة: (نقب) ونقب عن الأخبار وغيرها: بحث، وقيل: نقب

عن الأخبار: أخبر بها، والثاني هو المراد.

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) ساقط من الإتيان: ١٣٢/٤.

(٧) لم أعر عليه.

(٨) هو: نضلة بن عبيد بن الحارث أبو برزة الأسلمي الصحابي الجليل، واختلف في

اسمه، مدني، بصري، توفي سنة (٦٥هـ).

انظر: تهذيب التهذيب: ٤٤٦/١٠، والاستيعاب: ٥٤٢/٣.

(٩) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٢٠٠/٧ وفي إسناده جسر بن فرقد. قال ابن كثير عنه:

جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية.

(١٠) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري الكوفي الإمام الفقه الحافظ،

صاحب التفسير المشهور، ولد سنة (٩٧هـ)، وتوفي سنة (١٦١هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٢٠٣/١، وتهذيب التهذيب: ١١١/٤، وطبقات المفسرين

لداودي: ١٨٦/١، وشذرات الذهب: ٢٥٠/١.

(١١) زيادة من المؤلف.

مِنْ رَبِّكُمْ ﴿المائدة: ٦٨﴾^(١).

وأخرج ابن جرير^(٢) عن ابن عباس، قال: ما في القرآن أشد توبيخاً من هذه الآية، [وهي قوله تعالى]^(٣): ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيْنُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمَا أَكَلْتُمُ السُّحَّتَ...﴾ الآية [المائدة: ٦٣]^(٤).

وأخرج ابن المبارك^(٥) في كتاب الزهد عن الضحاك^(٦) بن مزاحم، [قرأ]^(٧) في قول الله [تعالى]^(٨): ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيْنُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمَا أَكَلْتُمُ السُّحَّتَ...﴾ [المائدة: ٣٦] قال: والله ما في القرآن^(٩) آية أخوف عندي منها^(١٠).

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن، قال: ما أنزلت على النبي ﷺ آية كانت أشد عليه من قوله [تعالى]^(١١): ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ...﴾ الآية^(١٢) [الأحزاب: ٣٧]^(١٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة: ١٨٥/٥.

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، شيخ المفسرين، صاحب جامع البيان عن تأويل القرآن، وتاريخ الرسل والملوك وغيرهما، ولد سنة (٢٢٤هـ)، وتوفي سنة (٣١٠هـ).

طبقات المفسرين للداودي: ١٠٦/٢، وطبقات الحفاظ: ٣٠٧/١، وشذرات الذهب: ٢٦٠/٢.

(٣) ساقط من الإتقان: ١٢٣/٤.

(٤) تفسير ابن جرير: ١٩٣/٦.

(٥) في (هـ) و(ح) زيادة: «عن» هكذا: «وأخرج عن ابن المبارك» والصواب ما في الإتقان: ٦٥٤/٤.

(٦) هو: الضحاك بن مزاحم أبو القاسم الخراساني الهلالي التابعي، توفي سنة (١٠٥هـ).

انظر: طبقات القراء: ٣٣٧/١، وطبقات المفسرين للداودي: ٢١٦/١.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتقان: ١٣٣/٤.

(٨) زيادة من المؤلف.

(٩) في الإتقان: ١٣٣/٤ «ما لله ما في القرآن»، وهو خطأ مطبعي.

(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٩٦/٢.

(١١) زيادة من المؤلف.

(١٢) وشذتها عليه لقوله تعالى فيها: ﴿وَتُخْفَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

(١٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٠٢/٥.

وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين^(١) [رحمه الله تعالى]^(٢) لم يكن شيء عندهم أخوف من هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَإِلَىٰ رَبِّهِ أَخِيرٌ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]^(٣).

وعن أبي حنيفة^(٤) [رحمه الله تعالى]^(٥) أخوف آية في القرآن ﴿وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]^(٦).

وقال غيره: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، ولهذا قال بعضهم: لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم.

وفي «النوادر» لأبي زيد^(٧)، قال مالك^(٨) [رحمه الله تعالى]^(٩) أشد آية على أهل الأهواء قوله [تعالى]^(١٠): ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾ الآية [آل عمران: ١٠٦]، فتأويلها على أهل الأهواء^(١١). انتهى.

(١) هو: محمد بن سيرين بن أبي عمرة أبو بكر البصري مولى أنس بن مالك إمام البصرة مع الحسن، توفي سنة (١١٠هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٧٧/١، وطبقات القراء: ١٥١/٢، وشذرات الذهب: ١٣٨/١.

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٩/١.

(٤) هو: النعمان بن ثابت بن زوطا الإمام أبو حنيفة الكوفي، توفي سنة (١٥٠هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ١٦٨/١، وطبقات القراء: ٣٤٢/٢، وشذرات الذهب: ٢٢٧/١.

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) لم أعثر عليه.

(٧) هو: سعيد بن أوس بن ثابت أبو زياد الأنصاري النحوي، صاحب النوادر، ولد سنة (١٢٠هـ)، وتوفي سنة (٢١٥هـ).

انظر: طبقات القراء: ٣٠٥/١، وبغية الوعاة: ٢٥٤، وتهذيب التهذيب: ٤/٤، وفيات الأعيان: ٣٧٨/٢.

(٨) هو: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبغي، عالم المدينة ومحدثها، توفي سنة (١٧٩هـ).

طبقات الفقهاء للشيرازي: ٦٧، وتذكرة الحفاظ: ٢٠٧/١، وحلية الأولياء: ٣١٦/٦، وفيات الأعيان: ١٣٥/٤، وطبقات الحفاظ: ٨٩.

(٩) زيادة من المؤلف.

(١٠) زيادة من المؤلف.

(١١) لم أعثر عليه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية^(١)، قال: آتان في كتاب الله، ما أشدهما على من يجادل فيه [قوله تعالى]^(٢): ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]^(٣).

وقال السعيدى: سورة (الحج) من أعاجيب القرآن، فيها مكى ومدنى، وحضري وسفري، وليلى ونهاري، وحربي وسلمي، وناسخ ومنسوخ، فالمكى من رأس الثلاثين إلى آخرها، والمدنى من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين^(٤)، والليلى خمس آيات من أولها والنهاري من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتى عشرة، والحضري إلى رأس العشرين^(٥).

قلت^(٦): والسفري أولها، والناسخ [قوله تعالى]^(٧): ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ...﴾ الآية [الحج: ٣٩]، والمنسوخ [قوله تعالى]^(٨): ﴿اللَّهُ يَخْكُمُ بَيْنَكُمْ...﴾ الآية [الحج: ٦٩]، نسختها آية السيف^(٩)، وقوله [تعالى]^(١٠):

(١) هو: رفيع بن مهران أبو العالية الرباحي البصري المقرئ التابعى، توفي سنة (٩٣هـ) على الأصح.

انظر: تهذيب التهذيب: ٢٨٤/٣، وطبقات المفسرين للدوادى: ١٧٢/١، وطبقات القراء: ٣٨٤/١.

(٢) ساقط من الإتقان: ١٣٤/٤.

(٣) أورده السيوطى فى الدر المنثور: ١٦٩/١.

(٤) قلت: اختلف أهل العلم هل هي مكية أو مدنية والقول الذي تظمن به النفس ما قاله القرطبي: قال الجمهور: إن السورة مختلطة، منها مكى، ومنها مدنى.

انظر: تفسير القرطبي، تفسير سورة الحج: ١/٦، وزاد المسير: ٤٠١/٥، وتفسير القاسمى: ٤/٢.

(٥) ذكره أبو القاسم ابن سلامة فى الناسخ والمنسوخ: ٦٥.

وانظر: معرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم بهامش تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٣٤٨.

(٦) ساقط من (ح) والقائل هو السيوطى.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) زيادة من المؤلف.

(٩) آية السيف فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذَرُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

(١٠) زيادة من المؤلف.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ الآية [الحج: ٥٢] نسختها [قوله تعالى] (١): ﴿سُنُّرُوكَ فَلَا تَمَسُّهُ﴾ [الأعلى: ٦] (٢).

وقال الكرمانى: ذكر المفسرون أن قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ...﴾ الآية [المائدة: ١٠٦]، من أشكال آية في القرآن حكماً ومعنى وإعراباً (٣).

وقال غيره: قوله تعالى: ﴿يَبْنِي مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الآية [الأعراف: ٣١] جمعت أصول أحكام الشريعة كلها: الأمر والنهي والإباحة والخبر.

وقال الكرمانى في «العجائب»: في قوله تعالى: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [الأعراف: ٣١] قيل: هو قصة (يوسف)، وسماها ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (٤) لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود (٥)، ومالك ومملوك (٦)، وشاهد ومشهود (٧)، وعاشق ومعشوق (٨)، وحبس وإطلاق (٩)، وسجن وخلص (١٠)، وخصب وجذب (١١)، وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق.

وقال: ذكر أبو عبيدة (١٢) عن رؤية: ما في القرآن أعرب من قوله

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) نقلاً عن الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم بن سلامة: ٦٦.

وانظر: معرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم بهامش تنوير المقباس من تفسير ابن عباس:

٣٤٨.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٤٦/٦.

(٤) في (هـ) و(ح): «وسما بأحسن القصص» وما أثبتته من الإتيان: ١٣٥/٤.

(٥) الحاسد: إخوة يوسف لأبيه، والمحسود يوسف وأخوه بنيامين.

(٦) المالك هم التجار الذين يأخذون يوسف من البئر ثم يبيعونه إلى عزيز مصر.

(٧) الشاهد من أهل امرأة العزيز، والمشهود يوسف ﷺ.

(٨) العاشق يعقوب ﷺ، والمعشوق يوسف ﷺ.

(٩) الحبس في البئر، وإطلاق منه.

(١٠) دخول يوسف ﷺ في السجن بدعائه فاراً من الفتنة.

(١١) الخطب والجذب الذين يعبر بهما يوسف ﷺ من رؤية ملك مصر حين ذاك.

(١٢) هو: معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي البصري النحوي صاحب مجاز القرآن،

واللغات وغيرهما، توفي سنة (٢٠٩هـ) وقيل غير ذلك.

انظر: بغية الوعاة: ٣٩٥، وطبقات المفسرين للداودي: ٣٢٦/٢.

[تعالى] ^(١): ﴿فَأَصَدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] ^(٢).

وقال ابن خالويه ^(٣) في كتاب «ليس» ^(٤): ليس في كلام العرب لفظ جمع لغات ما النافية إلا حرف واحد في القرآن، جمع اللغات الثلاث، وهو قوله [تعالى] ^(٥): ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢]، قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ بعضهم بالرفع ^(٦)، وقرأ ابن مسعود [رضي الله تعالى عنه] ^(٧) «ما هنّ بأمهاتهم» بالباء، قال: وليس في القرآن لفظ على «أفعوعل» إلا في قراءة ابن عباس [رضي الله تعالى عنهما] ^(٨): «ألا إنهم تشنوني» ^(٩) صدورهم» [هود: ٥].

وقال بعضهم: أطول سورة في القرآن (البقرة) ^(١٠)، وأقصرها (الكوثر) ^(١١)، وأطول آية فيه آية الدين، وأقصر آية فيه و(الضحى)، و(الفجر)، وأطول كلمة فيه رسماً ﴿فَأَسْفَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢].

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) لم أعر عليه.

(٣) هو: الحسين بن أحمد بن خالوية أبو عبد الله الهمداني النحوي، توفي سنة (٥٣٧٠هـ).

انظر: بغية الوعاة: ٢٣١، والشذرات: ٧١/٣.

(٤) عنوان الكتاب الكامل «ليس في كلام العرب» وهو مطبوع حققه أحمد عطار، والطبعة الثانية سنة (١٣٩٩هـ)، إلا أنني لم أجد هذا القول فيه.

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) قوله تعالى: «أمهاتهم» بكسر التاء على أنه خبر «ما»، وبضمها على اللغة التميمية.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) زيادة من المؤلف.

(٩) روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه يقرأ: «ألا إنهم تشنوني صدورهم» قال: سألتها عنها فقال أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك . . فيهم.

صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة هود، باب «ألا إنهم يشنون . . .»: ٥ / ١١٢، وهي قراءة شاذة، والقراءة المتواترة «يُشْنُونَ» والمعنى متقارب؛ أي تنطوي على بعضها.

تشنوني: قراءة شاذة قرأها ابن عباس، ومجاهد، ونصر بن عاصم. مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ٥٩.

(١٠) حيث إن آياتها بلغت (٢٨٦) آية.

(١١) وهي ثلاث آيات.

وفي القرآن آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم^(١): ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبُوءًا﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]، [وقوله تعالى]^(٢): ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلا في موضعين؛ قوله [تعالى]^(٣): ﴿وَلَا تَقْرَبُوا عِدَّةَ النِّكَاحِ حَتَّى...﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿لَا أَبْرِحُ حَتَّى...﴾ [الكهف: ٦٠]. ولا كافان كذلك إلا: ﴿سَائِبِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿مَا سَأَلَكُمُ﴾ [المدثر: ٤٢]. ولا غينان كذلك إلا [قوله تعالى]^(٤): ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ولا آية فيها ثلاثة وعشرون كافا إلا آية الدين. ولا آية فيها ثلاثة عشر وفقاً إلا آيتا المواريث. ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا و(العصر) إلى آخرها. ولا سورة إحدى وخمسون آية، فيها اثنان وخمسون وفقاً إلا^(٥) سورة (الرحمن)^(٦).

ذكر أكثر ذلك ابن خالويه^(٧).

وقال أبو عبد الله الخبازي المقرئ^(٨): أول ما وردت على السلطان^(٩) محمود بن ملكشاه [سألني كم في القرآن آية أولها غين؟]^(١٠) فقلت: ثلاثة: ﴿غَافِرِ الدُّنْيَا﴾ [غافر: ٣]، وآيتان بخلاف^(١١): ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ٢]،

(١) حروف المعجم هي حروف الهجاء؛ أي أن كل واحدة من هاتين الآيتين شملت حروف الهجاء الثمانية والعشرين كلها، فليس هناك حرف إلا وهو موجود في كل منهما.

(٢) ساقط من الإتيان: ١٣٥/٤.

(٣) ساقط من الإتيان: ١٣٥/٤.

(٤) ساقط من الإتيان: ١٣٥/٤.

(٥) في الإتيان: «إلى».

(٦) هذا الإحصاء خطأ فإن سورة (الرحمن) ثمانية وسبعون آية.

(٧) لم أجد هذا الكلام في كتاب «ليس في كلام العرب» لابن خالويه.

(٨) هو: محمد بن علي بن محمد بن حسن أبو عبد الله الخبازي مقرئ نيسابور، ولد

سنة (٣٧٢هـ)، وتوفي سنة (٤٤٩هـ).

انظر: طبقات القراء: ٢٠٧/٢، وشذرات الذهب: ٢٧٣/٣.

(٩) في الإتيان: ١٣٦/٤: «السلطان» وهو خطأ مطبعي.

(١٠) في الإتيان: ١٣٦/٤: «سألني عن آية أولها غين».

(١١) في الإتيان: ١٣٦/٤: «بخلف» أي مختلف فيهما، بعض العلماء عدّ كلاً منهما آية =

﴿عَبَّرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

قال الحافظ السيوطي [رحمه الله تعالى عليه]^(١): ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر^(٢): في القرآن أربع شدات متواليات^(٣) قوله تعالى^(٤):

﴿نَسِيًا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ [مريم: ٦٤، ٦٥].

﴿فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠].

﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨].

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ [الملك: ٥].

انتهى^(٥).

= مستقلة، فتكون الغين أول الآية، وبعضهم لم يعدها آية مستقلة، فليس حرف الغين فيها أول آية.

(١) من زيادة المؤلف بين كلام السيوطي.

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل العسقلاني المصري الشافعي إمام حافظ، صاحب فتح الباري في شرح صحيح البخاري وتهذيب التهذيب، ولد سنة (٧٧٣هـ)، وتوفي سنة (٨٥٢هـ).

انظر: طبقات الحفاظ: ٥٤٧، وذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الحسن بن الدمشقي: ٣٨٠، وشذرات الذهب: ٢٧٠/٧.

(٣) في الإتيان: ١٣٦/٤: «متوالية».

(٤) في الإتيان: ١٣٦/٤: «في قوله».

(٥) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن حجر. الإتيان: ١٣٦/٤.

النوع الثامن والعشرون بعد المائة

علم معرفة العلوم المستنبطة
من القرآن



النوع الثامن والعشرون بعد المائة

علم معرفة العلوم المستنبطة من القرآن^(١)

قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال [جل شأنه]^(٢): ﴿وَوَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال عليه السلام: «ستكون فتن». قيل: وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم» أخرجه الترمذي^(٣) وغيره. وأخرج ابن منصور^(٤) عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين. قال البيهقي: يعني أصول العلم.

أخرج البيهقي عن الحسن، قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان^(٥). وقال الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه -: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن^(٦).

وقال أيضاً: جميع ما حكم به النبي عليه السلام فهو ممّا فهمه من القرآن^(٧).

(١) هذا النوع منقول عن الإتقان: ٢٤/٤ - ٣٧، النوع الخامس والستين «في العلوم المستنبطة من القرآن».

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن: ١٧٢/٥. قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال.

(٤) هو: سعيد بن منصور بن شعبة أبو عثمان الخراساني صاحب كتاب السنن والزهد، توفي سنة (٢٢٧هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ٤١٦/٢، والتقريب لابن حجر: ٣٠٦/١، والشذرات لابن العماد: ٤٥/٢.

(٥) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي، مخطوط: ٣٥٦/٣.

(٦) لم أعثر عليه.

(٧) لم أعثر عليه، إلا في الإتقان، ومعتك الأقران للسيوطي: ١٤/١.

[قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى] ^(١) قلت: ويؤيد هذا قوله ﷺ: «إني لا أحل إلا ما أحل الله، ولا أحرّم إلا ما حرّم الله في كتابه» أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في الأم ^(٢) ^(٣).

وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله ^(٤).

وقال ابن مسعود: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى. أخرجهما ابن أبي حاتم.

وقال الشافعي أيضاً: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، فإن قيل: من الأحكام ما ثبت ابتداء بالسنة، قلنا: ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة؛ لأن كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ، وفرض علينا الأخذ بقوله.

وقال الشافعي [رحمه الله تعالى] ^(٥): سلوني عما شئتم أخبركم عنه في كتاب الله؛ فقل له: ما تقول في المحرم يقتل الزنبر ^(٦)؟ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ^(٧).

وحدثنا سفيان بن عيينة ^(٨)، عن عبد الملك بن عمير ^(٩)، عن ربعي بن

(١) زيادة من المؤلف بين كلام السيوطي.

(٢) في (ح): «في الإمام».

(٣) لم أعر عليه إلا في الإتيان، ومعتك الأقران للسيوطي: ١٥/١.

(٤) لم أعر عليه إلا في الإتيان، ومعتك الأقران للسيوطي: ١٥/١.

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) الزنبر: ضرب من الذباب لسّاع. اللسان: ٣٣١/٤ مادة: (زنبر).

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره: ١٧/١٨.

(٨) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون أبو محمد الحافظ الهلالي الكوفي،

صاحب التفسير، وجوابات القرآن، ولد سنة (١٠٧هـ)، وتوفي سنة (١٩٨هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١٩٠/١، وفيات الأعيان: ٣٩١/٢، وشذرات

الذهب: ٣٥٤/١.

(٩) هو: عبد الملك بن عمير بن سويد أبو عمر ويقال: أبو عمرو اللخمي الكوفي، من

مشاهير التابعين، توفي سنة (١٣٦هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ: ١٣٥/١، وتهذيب التهذيب: ٤١١/٦.

خراش^(١) عن حذيفة بن اليمان^(٢)، عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر^(٣) وعمر»^(٤).

وحدثنا سفيان، عن مسعر بن كدام^(٥)، عن قيس بن مسلم^(٦)، عن طارق بن شهاب^(٧) عن عمر بن الخطاب [رضي الله تعالى عنه]^(٨) أنه أمر بقتل المحرم الزنبور^(٩)(١٠).

وأخرج البخاري عن ابن مسعود [رضي الله تعالى عنه]^(١١) أنه قال: لعن الله

(١) هو: ربعي بن حراش بن جحش العبسي الكوفي التابعي. قال العجلي تابعي ثقة، توفي سنة (١٠٤هـ).

انظر: تهذيب التهذيب: ٢٣٦/٣، وحلية الأولياء: ٣٦٧/٤، وطبقات ابن سعد: ٦/١٢٧.

(٢) هو: حذيفة اليمان بن جابر حليف بني الأسهل، هرب إلى المدينة، صحابي جليل، من السابقين، توفي سنة (٣٦هـ) في أول خلافة علي.

تهذيب التهذيب: ٢١٩/٢، وتقريب التهذيب: ١٥٦/١.

(٣) هو: عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر الصديق، توفي سنة (١٣هـ).

انظر: طبقات ابن سعد: ١٦٩/٣، والشذرات: ٢٤/١.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر ﷺ: ٥/٦٠٩. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وابن ماجه في المقدمة، باب فضائل أبي بكر الصديق ﷺ: ٣٧/١.

(٥) هو: مسعر بن كدام بن ظهير أبو سلمة الرواسي الكوفي، توفي سنة (٥٣هـ)، وقيل: (٥٥هـ).

ومسعر: بكسر أوله وتخفيف ثانيه، وكدام: بكسر أوله وتخفيف ثانيه.

انظر: تذكرة الحفاظ: ١٨٨/١، وتهذيب التهذيب: ١١٣/١٠، وطبقات الحفاظ: ٨١.

(٦) هو: قيس بن مسلم أبو عمرو الجدلي الكوفي، رمي بالإرجاء، توفي سنة (١٢٠هـ).

انظر: تهذيب التهذيب: ٤٠٤/٨، وتقريب التهذيب: ١٣٠/٢، والشذرات: ١٥٧/١.

(٧) هو: طارق بن شهاب بن عبد شمس أبو عبد الله البجلي الكوفي، رأى النبي ﷺ، توفي سنة (٨٢هـ).

انظر: تهذيب التهذيب: ٣/٥، وتقريب التهذيب: ٣٧٦/١.

(٨) زيادة من المؤلف.

(٩) قلت: الحديث صحيح؛ لأن رجال إسناده ثقات.

(١٠) ذكره القرطبي في تفسيره: ١٨/١٨. وانظر: معترك الأقران: ١٥/١.

(١١) زيادة من المؤلف.

الواشحات والمتوشمات^(١). والمتنمصات، والمتفلجات للحسن^(٢)، المغيرات خلق الله تعالى؛ فبلغ ذلك امرأة من بني أسد^(٣)، فقالت له: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت^(٤)، فقال: وما لي^(٥) لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله [تعالى]^(٦). فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين^(٧) فما وجدت فيه ما تقول؛ قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدته، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه^(٨).

وحكى ابن سراقه في كتاب «الإعجاز» عن أبي بكر ابن مجاهد^(٩) أنه قال

(١) الواشحات: جمع واشمة وهي التي تشم. والمتوشمات: جمع متوشمة وهي التي تطلب الوشم. والوشم: أن يغرز في العضو إبرة أو نحوها حتى يسيل الدم، ثم يحشى بنورة أو غيرها فيخضر.

فتح الباري، كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، وباب المتنمصات: ٣١٦/١٠، ٣١٧.

(٢) في (هـ) و(ح) بدون الواو وما أثبتته من الإتيان: ٣٥/٤، كما في البخاري: ٨٢/٧. المتنمصات: جمع متنمصة هي التي تطلب النماص. والنماص: إزالة شعر الوجه بالمنقاش، وقيل: يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما.

والمتفلجات: جمع متفلجة وهي التي تطلب أو تصنعها. والفلج انفراج ما بين اثنتين، والتفلج: أن يفرج بين المتلاصقين بالمرد ونحوه، وهو مختص بالثنايا والرباعيات.

فتح الباري، كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، وباب المتنمصات: ٣١٦/١، ٣١٧.

(٣) واسمها: «أم أيوب» كما في البخاري: ٨٢/٧، وفي تهذيب التهذيب: ٤٨٣/١٢: «أم يعقوب امرأة من بني أسد روت عن ابن مسعود، وعنها عبد الرحمن بن عابس».

(٤) كيت وكيت: كناية عن كلام قيل.

(٥) في (هـ) و(ح) بدون الواو، وما أثبتته من الإتيان: ٣٥/٤، كما في البخاري: ٧/٨٢.

(٦) زيادة من المؤلف.

(٧) ما بين اللوحين: أي القرآن المكتوب ما بين دفتي المصحف.

(٨) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الحشر: ٥٨/٦، وكتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، وباب المتنمصات: ٨٢/٧، ٨٤.

وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمتوصلة: ١٦٥/٦.

(٩) هو: أحمد بن موسى بن مجاهد أبو بكر التميمي البغدادي المقرئ، كان ثقة بصيراً بالقراءات وعللها، وهو أول من سبغ السبعة، وشيخ الصنعة، توفي سنة (٣٢٤هـ).

انظر: طبقات القراء لابن الجزري: ١٣٩/١، والشذرات: ٣٠٢/٢.

يوماً: ما من شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله، فقليل له: فأين ذكر الخانات^(١) فيه؟ فقال في قوله [تعالى]^(٢): ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٩] فهي الخانات^(٣).

وقال ابن برجان^(٤): ما قال النبي ﷺ في شيء فهو في القرآن [به، أو فيه أصله، قرب أو بعد]،^(٥) فهمه من فهمه، وعمه عنه من عمه^(٦)، وكذا كل ما حكم أو قضي [به]^(٧) وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده، وبذل وسعه ومقدار فهمه.

وقال غيره: ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله، حتى أن بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثاً وستين سنة من قوله [تعالى]^(٨) في سورة (المنافقون): ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [١١] فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن^(٩) ليظهر التغابن في فقده^(١٠).

وقال ابن أبي الفضل المرسي^(١١) في تفسيره: جمع القرآن علوم الأولين

(١) وفي اللسان: ١٤٦/١٣ مادة: (خون).

الخان: الحانوت أو صاحب الحانوت، فارسي معرب، وقيل: الخان الذي للتجار أي الفندق.

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور من وجه آخر: ٣٩/٥.

(٤) هو: عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام أبو الحكم المعروف بابن برجان اللخمي المغربي، إمام في اللغة والنحو، توفي سنة (٦٢٧هـ).

انظر: بغية الوعاة: ٣٠٦، والشذرات: ١٢٤/٥.

(٥) في (هـ) و(ح): «أو فيه أصل قرب أو بعد» وما أثبتته من الإتيان: ٢٥/٤.

(٦) العمه في البصيرة كالعمى في البصر، يقال: رجل عمه عامه؛ أي يتردد متحيراً لا يهتدي لطريقه ومذهبه. انظر: اللسان: ٥١٩/١٣ مادة: (عمه).

(٧) ساقط من الإتيان: ٢٥/٤.

(٨) زيادة من المؤلف.

(٩) أي سورة التغابن، والتغابن البخس، سمي به يوم القيامة؛ لأنهم تبدو لهم الأشياء بخلاف مقاديرها في الدنيا، فيرى أهل النار في ذلك بخساً لهم. انظر: المفردات للراغب: ٣٥٨.

(١٠) انظر: روح البيان: ٥٤٢/٩. قلت: وهذا تعسف لا داعي له.

(١١) هو: محمد بن عبد الله ابن أبي الفضل أبو عبد الله السلمي المرسي، من تصانيفه: =

والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم بها، ثم رسول الله ﷺ، خلا ما استأثر به سبحانه [وتعالى] (١)؛ ثم ورث ذلك عنه معظم ذلك سادة الصحابة وأعلامهم، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس، حتى قال (٢): لو ضاع لي عقل بعير لوجدته في كتاب الله [تعالى] (٣)؛ ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضائل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حملة الصحابة والتابعون من علومه [وسائر] (٤) فنونه، فنوعوا فنونه وعلومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه، فاعتنى قوم بضبط لغاته، وتحضير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه وعددها، وعدد كلماته (٥) وآياته (٦) وسوره وأحزابه (٧)

= التفسير الكبير سماه «ري الظمان» والكافي في النحو، وُلِد سنة (٥٧٠هـ)، وتوفي سنة (٦٥٥هـ).

انظر: بغية الوعاة ٦٠، والشذرات: ٢٦٩/٥، وكشف الظنون: ٤٥٨/١.

(١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٢٦/٤.

(٢) لم أعر عليه إلا في الإتيان: ٢٦/٤، ومعترك الأقران: ١٧/١.

(٣) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٢٦/٤.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) وفي البرهان للزركشي: ٢٤٩/٢.

بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة، فجمعهم واختار منهم الحسن البصري، وأبا العالية، ونصر بن عاصم، وعاصماً الجحدري، ومالك بن دينار - رحمة الله عليهم - وقال: عدوا حروف القرآن؛ فبقوا أربعة أشهر يعدون بالشعير، فأجمعوا على أن كلماته: سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة، وأجمعوا على أن عدد حروفه: ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً.

(٦) وأما عدد آي القرآن فقد اتفق العادون على أن أنه ستة آلاف ومائتا آية وكسر، إلا أن هذا الكسر يختلف مبلغه باختلاف أعدادهم.

انظر: البرهان للزركشي: ٢٤٩/٢، ومناهل العرفان للزرقاني: ٣٣٦/١.

(٧) أخرج أحمد في مسنده: ٩/٤؛ عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم.

قلت: والحزب في بعض المصاحف كالمصحف الذي طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة يراد به نصف الجزء، وقد اشتهرت الأجزاء ثلاثين جزءاً.

وأنصافه^(١) وأرباعه^(٢)، وعدد سجدياته^(٣)، والتعليم عند كل عشر آيات، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهات، والآيات المتماثلة، من غير تعرض لمعانيه ولا تدبير لما أودع فيه، فسموا القراءة^(٤).

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال [والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال، واللازم والمتعدي]^(٥)، ورسوم خط الكلمات، وجميع ما يتعلق به حتى أن بعضهم أعرب عن مشكله^(٦)، وبعضهم أعربه كلمة كلمة^(٧).

واعتنى المفسرون بألفاظه، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد، ولفظاً يدل على معنيين، ولفظاً يدل على أكثر، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا المعنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح أحد احتمالات ذي المعنيين

(١) وفي البرهان للزركشي: ٢٥٣/٢. قال بعض القراء: إن القرآن العظيم له ثمانية أنصاف باعتبار آية.

نصفه بالحروف (النون) من قوله: ﴿نُكْرًا﴾ في سورة الكهف: الآية (٧٤)، والكاف من نصفه الثاني، ونصفه بالكلمات (الدال) من قوله: ﴿وَالْبَلُودُ﴾ في سورة الحج: الآية (٢٠)، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْلِكْ مِنْ حَبِيرٍ﴾ الآية: (٢١)، من نصفه الثاني، ونصفه بالآيات: ﴿يَأْفِكُونَ﴾ من سورة الشعراء: الآية (٤٥)، وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ السَّحْرَةُ﴾ سورة الشعراء: الآية (٤٦) من نصفه الثاني ونصفه على عدد السور، فالأول الحديد، والثاني من (المجادلة).

(٢) أرباع القرآن: فالربع الأول من أول من (الفاتحة) إلى آخر (الأنعام)، والثاني من أول (الأعراف) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [الكهف: ١٩]، والثالث من قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩] إلى آخر سورة (المؤمن)، والرابع من أول سورة (فصلت) إلى آخر القرآن. البرهان للزركشي: ٢٥٠/١.

(٣) وسجود القرآن أربع عشر سجدة، في سُورِهَا المعروفة.

(٤) القراء: جمع قارئ، وهو في اللغة اسم فاعل من قرأ، ويطلق في الاصطلاح على إمام من الأئمة المعروفين الذين تنسب إليهم القراءات. مناهل العرفان للزرقاني: ٤٤٩/١.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) والإلتقان: ٢٦/٤.

(٦) مثل: مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى (٤٣٧هـ) في كتاب «مشكل إعراب القرآن» وهو مطبوع بتحقيق ياسين محمد السواس سنة (١٣٩٤هـ).

(٧) مثل: أبي البقاء العكبري المتوفى (٦١٦هـ) في كتابه «التبيان في إعراب القرآن» مطبوع بتحقيق علي محمد الجاوي.

والمعاني، وأعمل كل منهم فكره، وقال بما اقتضاه نظره^(١).

واعتنى الأصوليون^(٢) بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَاءُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٣] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله، ووجوده، وبقائه، وقدمه، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به، وسموا هذا العلم بأصول الدين.

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه، فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص، إلى غير ذلك، فاستنبطوا منه أحكام اللغة^(٣)، من الحقيقة والمجاز، وتكلموا في التخصيص والإخبار، والنص والظاهر، والمجمل والمحكم والمتشابه، والأمر والنهي، والنسخ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال^(٤) والاستقراء^(٥)، وسموا هذا الفن أصول الفقه^(٦).

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر، فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام، فأسسوا أصوله، وفرعوا فروعه، وبسطوا القول في ذلك بسطاً حسناً، وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً.

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم، حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء،

(١) وأحسن المفسرين في توضيح المعاني الخفية، وترجيح أحد المحتملات أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان عن تأويل القرآن».

(٢) يراد بهم العلماء في أصول الدين مثل: الإمام أبو جعفر أحمد الطحاوي صاحب العقيدة الطحاوية.

(٣) في (هـ): «اللغات» وما أثبتته من الإتيان: ٢٧/٤.

(٤) الاستصحاب لغة: طلب الصحة، وكل شيء لازم شيئاً استصحابه، وسمي بذلك؛ لأن المستدل يجعل الحكم الثابت في الماضي مصاحباً للحال.

واصطلاحاً: ثبوت أمر في الزمان الثاني بناء على أنه كان ثابتاً في الزمان الأول. انظر: القاموس المحيط: ٩٥/١ مادة: (صحب)، والمستصفي من علم الأصول للإمام الغزالي: ٢٢٢/٢.

(٥) الاستقراء: التابع للنظر والاستدلال، من: استقرأ الجمل الناقية: تاركها لينظر ألحقت أم لا. انظر: القاموس المحيط: ٢٥/١ مادة: (قرأ).

(٦) في (هـ) و(ح): «بأصول الفقه»، وما أثبتته من الإتيان: ٢٧/٤.

وسموا ذلك بالتاريخ والقصص^(١).

وتنبه آخرون لما فيه من الحِكم والأمثال والمواعظ، التي تقلقل^(٢) قلوب الرجال، وتكاد تدكدك الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد، والتحذير والتبشير؛ وذكر الموت والمعاد، والنشر والحشر والحساب، والعقاب، والجنة والنار فصولاً من المواعظ، وأصولاً من الزواج، فسموا بذلك الخطباء والوعاظ.

واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير، مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السمان، وفي منامي صاحبي السجن، وفي رؤيا الشمس والقمر والنجوم ساجدة، وسموه تفسير الرؤيا^(٣).

واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب، فإن عز عليهم إخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب؛ فإن عسر فمن الحِكم والأمثال، ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم، وعرف عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله: ﴿وَأُمِرُّ بِالْعَرَفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وأخذ قوم مما في آية الموارد^(٤) - من ذكر السهام وأربابها، وغير ذلك - علم الفرائض، واستنبطوا منها ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثلث حساب الفرائض، ومسائل العول^(٥)، واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر، ومنازله، والنجوم والبروج وغير ذلك؛ فاستخرجوا منه: علم المواقيت.

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن

(١) فمن ذلك تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري المعروف بـ«تاريخ الطبري».

(٢) تقلقل قلوب الرجال: أي تحركها فتتحرك وتضطرب. وفي اللسان: ٥٦٦/١١ مادة: (قلل) وقلقل الشيء قلقله وقلقله وقلقله وقلقله؛ أي حركة فتحرك واضطراب.

(٣) في الإتيان: ٢٨/٤: «تعبير الرؤيا».

(٤) وهي الإتيان: ١١، ١٢ من سورة النساء.

(٥) العول في اللغة: الزيادة والارتفاع، وفي علم الفرائض: أن يزيد مجموع سهام أصحاب الفروض عن عدد أصل المسألة.

انظر: جوهرة الفرائض شرح مفتاح الفاض لمحمد الناظري: ٢٨٠.

السياق، والمبادئ والمقاطع والمخالص، والتلوين في الخطاب، والإطناب^(١) والإيجاز^(٢) وغير ذلك، فاستنبطوا منه المعاني^(٣) والبيان^(٤) والبدیع^(٥).
ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة، فلاح^(٦) لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاماً اصطلاحوا عليها، مثل الفناء^(٧)، والبقاء^(٨)، والحضور^(٩)، والخوف، والهيبة^(١٠)، والأنس^(١١)، والوحشة، والقبض^(١٢)،

(١) الإطناب: هو أداء المقصود بأكثر من عبارته، وفيه فوائد منها: التكرير لتأكيد الإنذار.

الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ٢٨٠، ٣٠٤.

(٢) الإيجاز: هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط.

مثال ذلك: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

المصدر السابق: ٢٨٠، ٢٨٧.

(٣) علم المعاني: هو الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اقتضاء الحال. جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي: ٤٥.

(٤) علم البيان: هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى. المصدر السابق: ٢٤٤.

(٥) علم البديع: هو علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة وتكسوه مطابقتها لمقتضى الحال. المصدر السابق: ٣٦٠.

(٦) لاح يلوح لوحاً ولووحاً: بان، ووضح، يقال: لاح لي أمرك إذا بان ووضح. انظر: اللسان: ٥٨٦/٢ مادة: (لوح).

(٧) الفناء عند الصوفية: الفناء هو أن تفنى عن المخالفات فلا تخطر لك ببال عصمة وحفظاً إلهياً. الفتوحات المكية لابن عربي: ٥١٢/٢ باختصار.

(٨) البقاء عند الصوفية: بقاء الطاعات، وقيل هو: بقاء رؤية العبد قيام الله على كل شيء، وقيل هو: بقاء بالحق. انظر: الفتوحات المكية: ٥١٥/٢.

(٩) الحضور عند الصوفية: هو الحضور مع الله - جلّ ثناؤه - مع الغيبة، فكل غائب حاضر وكل حاضر غائب؛ لأنه لا يتصور الحضور مع المجموع وإنما هو مع آحاد المجموع. المصدر السابق: ٥٤٣/٢.

(١٠) الهيبة عند الصوفية: إن الهيبة حالة للقلب يعطيها أثر تجلي جلال الجمال الإلهي لقلب العبد، وهي عظمة يجدها المتجلي له في قلبه إذا أفرطت تذهب حاله ونعته لا تزيل عينه. الفتوحات المكية: ٥٤٠/٢.

(١١) الأنس عند الصوفية: ما تقع به المباشطة من الحق للعبد، وقد تكون هذه المباشطة على الحجاب وعلى الكشف. المصدر السابق: ٥٤٠/٢.

(١٢) القبض عند الصوفية: هو عبارة عن حال الخوف في الوقت، فإن الأسف في =

والبسط^(١)، وما أشبه ذلك، هذه الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية منه .
وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطب، والجدل،
والهيئة، والهندسة، والجبر، والمقابلة، والنجامة وغير ذلك .

أما الطب: فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة؛ وذلك إنما
يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة، وقد جمع ذلك في آية
واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وعرفنا
فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله، وحدث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في
قوله تعالى: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، ثم زاد على طب الأجسام
بطب القلوب وشفاء الصدور .

وأما الهيئة: ففي تضاعيف سوره، من الآيات التي ذكر فيها ملكوت
السموات والأرض، وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخطوطات .
وأما الهندسة: ففي قوله [تعالى]^(٢): ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تِلْكَ
شُعَبٍ ۝۳۱﴾ . . . الآية [المرسلات] .

وأما الجدل: فقد حوت آياته من البراهين، والمقدمات، والنتائج، والقول
بالموجب^(٣) والمعارضة، وغير ذلك شيئاً كثيراً، ومناظرة إبراهيم [عليه السلام]^(٤)
نمرود ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم .

وأما الجبر والمقابلة، فقد قيل: إن أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام وأيام
لتواريخ أمم سالفه، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة [أيام]^(٥)
الدنيا، وما مضى وما بقى، مضروب بعضها في بعض^(٦) .

= الماضي والخوف والحذر في المستقبل والقبض للمعنى الحاصل في الوقت . المصدر السابق: ٥٠٩/٢ .

(١) والبسط عند الصوفية: عبارة عن حال الرجاء في الوقت . المصدر السابق: ٥٠٩/٢ .

(٢) زيادة من المؤلف .

(٣) هو رد دعوى الخصم من فجوى كلامه . انظر: الإتيان للسيوطي: ٥٥/٤ عن ابن

أبي الأصعب .

(٤) زيادة من المؤلف .

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٣٠/٤ .

(٦) استنباط لا أساس له من الصحة . انظر قول ابن كثير في: تفسيره: ٦٨/١ .

وأما النجامة ففي قوله [تعالى] ^(١): ﴿أَوْ أَتَنَزَّلَتْ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٤]، فقد فسره بذلك ابن عباس ^(٢) [ص: ٣].

وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها، كالخياطة في قوله [تعالى] ^(٤) ﴿وَطُفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْنَا﴾ [الأعراف: ٢٢].

والحدادة [في قوله تعالى] ^(٥): ﴿ءَأَتُونِي زُبَيْرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ الآية [سبأ: ١١].

والبناء في آيات ^(٦).

والنجارة [في قوله تعالى] ^(٧): ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

والغزل [في قوله تعالى] ^(٨): ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢].

والنسج [في قوله تعالى] ^(٩): ﴿كَمَثَلِ الْفَنَّكَرِثِ أَخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١].

والفلاحة [في قوله تعالى] ^(١٠): ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]... الآيات

[الواقعة: ٦٣].

= قلت: وقد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أول السور، والأسلم أن نقول: إنها من المتشابه التي استأثر الله بعلمها.

وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود - رضي الله عنهم أجمعين - وقول عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خبيتم. انظر: تفسير القرطبي: ١٥٤/١، وتفسير ابن كثير: ٦٤/١.

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) قال ابن عباس: ﴿أَوْ أَتَنَزَّلَتْ عَلَيَّ﴾ يعني الخط. انظر: تفسير القرطبي: ١٦/

١٧٩، وتفسير ابن كثير: ٢٧٥/٦ وغيرهما.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) ساقط من الإتيان: ٢٩/٤.

(٦) مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]. وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ بَيْنَ

مَرْصُورٍ﴾ [الصف: ٤].

(٧) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٨) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٩) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(١٠) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

والصيد في آيات^(١).

والغوص [في قوله تعالى]^(٢): ﴿كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، ﴿وَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ جِلْيَةً﴾ [النحل: ١٤].

والصياغة [في قوله تعالى]^(٣): ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا﴾ [الأعراف: ١٤٨].

والزجاجة [في قوله تعالى]^(٤): ﴿صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]، [وقوله]^(٥): ﴿أَلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

والفخاة [في قوله تعالى]^(٦): ﴿فَأَوْقَدَ لِي يَهْمَنَّ عَلَى الْطِينِ﴾ [القصص: ٣٨].

والملاحة [في قوله تعالى]^(٧): ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ...﴾ الآية [الكهف: ٧٩].

والكتاب [في قوله تعالى]^(٨): ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤].

والخبز [في قوله تعالى]^(٩): ﴿أَحْمِلْ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا﴾ [يوسف: ٣٦].

والطبخ [في قوله تعالى]^(١٠): ﴿جَاءَ بِعِجَلٍ حَنِيدٍ﴾ [هود: ٦٩].

والغسل والقصارة^(١١) [في قوله تعالى]^(١٢): ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ [المدثر: ٤] قال: الحواريون، هم القصارون^(١٣).

(١) وهي في سورة المائدة.

(٢) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٣) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٤) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٥) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٦) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٧) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٨) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٩) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(١٠) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(١١) القصارة: دق الثياب بالقطعة من الخشب. وفي اللسان: ١٠٤/٥ مادة: (قصر).

قصر الثوب قصارة؛ أي حوره ودقه، سمي القصار لأنه يدقه بالقصرة التي هي القطعة من الخشب، وحرفته: القصارة.

(١٢) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(١٣) وفي زاد المسير لابن الجوزي: ٣٩٤/١. قال الضحاك ومقاتل: الحواريون هم

القصارون. قال اليزيدي: ويقال للقصارين الحواريون؛ لأنهم يبيضون الثياب، ومنه سمي =

والجزارة [في قوله تعالى] ^(١): ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].
 والبيع والشراء في آيات ^(٢). والصبغ [في قوله تعالى] ^(٣): ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ﴾
 [البقرة: ١٣٨]، ﴿جُدُّهُ بَيْضٌ وَحُمْرٌ﴾ [فاطر: ٢٧].
 والحجارة [في قوله تعالى] ^(٤): ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩].
 والكيالة والوزن في آيات ^(٥).

والرمي [في قوله تعالى] ^(٦): ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾
 [الأنفال: ١٧]، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وفيه من أسماء الآلات، وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات
 وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله [تعالى] ^(٧): ﴿مَا قَرَطْنَا فِي
 الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. انتهى كلام المرسي ملخصاً ^(٨).

وقال ابن سرافة: من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله [جل شأنه] ^(٩)
 فيه من أعداد الحساب، والجمع، والقسمة، والضرب، والموافقة، والتأليف،
 والمناسبة، والتصنيف، والمضاعفة، ليعلم بذلك أهل الحساب أنه ﷺ صادق

= الدقيق الحوار، والعين الحوراء. وانظر: اللسان، مادة: (قصر): ١٠٤/٥، وتفسير
 الشوكاني: ٣٤٥/٥.

(١) ساقط من الإتيان: ٣٠/٤.

(٢) منها في البيع آيات البقرة: الآيات (٢٥٤، ٢٧٥، ٢٨٢)، والشراء في آية (١١١)
 من سورة التوبة، و(٢٠، ٢١) من سورة يوسف.

(٣) ساقط من الإتيان: ٣١/٤.

(٤) ساقط من الإتيان: ٣١/٤.

(٥) ذكرت الكيالة في: الأنعام: (١٥٢)، والأعراف: (٨٥)، وهود: (٨٤، ٨٥)، ويوسف:
 (٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٨٨)، والإسراء: (٣٥)، والشعراء: (١٨١)، والمطففين: (٢).

وذكر الوزن في: الأنعام: (١٥٢)، والأعراف: (٨، ٩، ٨٥)، وهود: (٨٤، ٨٥)،
 والحجر: (١٩)، والإسراء: (٣٥)، والكهف: (١٠٥)، والأنبياء: (٤٧)، والمؤمنون:
 (١٠٢، ١٠٣)، والشورى: (١٧)، والرحمن: (٧، ٨، ٩)، والحديد: (٢٥)، والقارعة:
 (٦، ٨).

(٦) ساقط الإتيان: ٣١/٤.

(٧) ساقط من الإتيان: ٣١/٤.

(٨) لم أعثر على تفسير أبي الفضل المرسي.

(٩) زيادة من المؤلف.

في قوله، وأن القرآن ليس من عنده؛ إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة، ولا تلقى^(١) الحساب وأهل الهندسة^(٢).

وقال الراغب: إن الله تعالى كما جعل نبوة النبيين بنينا محمد ﷺ مختمة، وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخة، ومن وجه مكملة متممة، جعل كتابه المنزل عليه متضمناً لثمرة كتبه التي أولاها أولئك، كما نبه عليه بقوله: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: ٢، ٣]، وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم بحيث تقصر الأبواب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية من استيفائه كما نبه عليه بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَةٌ وَالْبَحْرِ يَمْدٌ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدْتُ لَكُمْ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٧]، فهو وإن كان لا يخلو للناظر فيه من نور ما يريه ونفع ما يوليه:

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقباً
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغطي البلاد مشارقاً ومغارباً^(٣)

وأخرج نعيم وغيره، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم^(٤) قال: قيل لموسى ﷺ: يا موسى، إنما مثل كتاب أحمد في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن، كلما مخضته أخرجت زبدته^(٥).

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في قانون التأويل^(٦): علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم، وسبعة آلاف علم، وسبعون ألف علم، على

(١) في (هـ) و(ح): «ولا لقي» وما أثبتته من الإتيان: ٣١/٤.

(٢) لم أعثر على مرجع كلام ابن سراج.

(٣) لم أعثر على مرجع كلام الراغب.

(٤) هو: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أبو أيوب الشعباني الأفريقي قاضيها، توفي سنة (١٥٦هـ) وقيل قبل ذلك.

تهذيب التهذيب: ١٧٦/٦، وتقريب التهذيب: ٤٨٠/١.

(٥) الحديث في إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف. قاله ابن معين.

انظر: تهذيب التهذيب: ١٧٦/٦.

(٦) لم أعثر عليه، ونقله الزركشي في البرهان: ١٧/١.

قال صاحب كشف الظنون: ١٣١٠/٢: «قانون التأويل» للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله الأشبيلي المالكي، المعروف بابن العربي، الحافظ، المتوفى سنة (٥٤٦هـ) سنة وأربعين وخمسمائة هجرية.

عدد كلم القرآن، مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة ظهر وبطن، وحد ومطلع^(١)، وهذا مطلق دون اعتبار تركيب^(٢) وما بينها من روابط، وهذا ما لا يحصى، ولا يعلمه إلا الله [عَلَيْهِ السَّلَام] (٣)(٤).

قال: وأما علوم القرآن^(٥) فثلاثة: توحيد، وتذكير، وأحكام؛ فالتوحيد: يدخل فيه معرفة المخلوقات، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله. والتذكير: منه^(٦) الوعد والوعيد، والجنة والنار، وتصفية الظاهر والباطن. والأحكام: منها التكاليف كلها، وتبيين المنافع والمضار، والأمر والنهي والندب، ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن^(٧)؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة، وسورة (الإخلاص) [ثلثه]^{(٨)(٩)} لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة، وهو التوحيد^(١٠).

وقال ابن جرير: القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء: التوحيد، والأخبار، والديانات، ولهذا كانت سورة (الإخلاص) ثلثه^(١١)؛ لأنها تشتمل التوحيد كله^(١٢).

(١) في البرهان: ١٧/١: «ظاهر وباطن وحد ومقطع» ويأتي بيان معنى: ظهر وبطن وحد ومطلع، صفحة (٨٨٠).

(٢) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٣١/٤: «تركيب» وما أثبتته من البرهان: ١٧/١.

(٣) زيادة من البرهان: ١٧/١.

(٤) وهذا الكلام من ابن العربي فيه تكلف واضح.

(٥) في البرهان: ١٧/١: «وأم علوم القرآن».

(٦) في البرهان: ١٧/١: «ومنه» بالواو.

(٧) انظر: أوضح البرهان في تفسير أم القرآن لأبي عبد الكريم الخخندي: ٢٠.

(٨) ساقط من الإتقان: ٣٢/٤.

(٩) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: ١٠٥/٦.

(١٠) نقلاً عن البرهان: ١٧/١.

(١١) روى البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ﴾: ١٠٦/٦.

وروى الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص: ٤/

٢٤٣. قال: هذا حديث حسن صحيح.

(١٢) لم أعثر على مرجع كلام ابن جرير. ورد هذا الكلام بتمامه في كتاب الترتيب

الإدارية، نظام الحكومة النبوية للكتاني: ١٧٦. (المدقق)

وقال علي بن عيسى^(١): القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً: الإعلام، والتنبيه^(٢)، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، ووصف الجنة والنار، وتعليم الإقرار باسم الله^(٣)، وبصفاته [وأفعاله]^(٤) وتعليم الاعتراف بإنعامه، والاحتجاج على المخالفين، والرد على الملحدين، والبيان عن الرغبة والرغبة، والخير والشر، والحسن والقيح، ونعت الحكمة، وفضل المعرفة، ومدح الأبرار، وذم الفجار، والتسليم، والتحسين، والتوكيد، [والتوكل]^(٥) والتقريع، والبيان [عن ذم الإخلاق، وشرف الأداء]^(٦)^(٧).

وقال شاذل^(٨): وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها ابن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها، فإن القرآن لا يستدرك، ولا تحصى عجائبه^(٩).

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى -^(١٠) وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء؛ أما النوع المعلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وتحت الشرى، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرسل^(١١)

(١) هو: علي بن عيسى الروماني، وتقدمت ترجمته في صفحة (٢٦٢).

(٢) في (هـ) و(ح): «والتشبيه».

(٣) في البرهان: ١٨/١: «وتعليم الإقراء باسم الله».

(٤) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت من الإتيان: ٣٢/٤.

(٥) ساقط من الإتيان: ٣٢/٤، والبرهان: ١٨/١.

(٦) في (هـ) و(ح) والإتيان: ٣٢/٤: «عن ذم الأخلاق وشرف الآداب» وما أثبتته من

البرهان: ١٩/١.

(٧) نقلاً عن البرهان: ١٨/١، ١٩.

(٨) هو: عزيزي بن عبد الملك بن منصور أبو المعالي الجيلي الشافعي المعروف بشاذل

صاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن، توفي سنة (٤٩٤هـ).

انظر: كشف الظنون: ٢٤١/١، وطبقات الشافعية للسبكي: ٢٣٥/٥، وفيات الأعيان:

٢٥٥/٣، والشذرات: ٤٠١/٣.

(٩) نقلاً عن البرهان: ١٩/١.

(١٠) زيادة من المؤلف بين كلام السيوطي.

(١١) وقد بحثناهم بحثاً وافياً في النوع الواحد والثلاثين بعد المائة: «علم من ذكر من

الأنبياء»، والنوع الثاني والثلاثين بعد المائة: «علم تاريخ الأنبياء ومعرفة المتقدم

والمؤخر».

والملائكة^(١)، وعيون أخبار الأمم السالفة، كقصة آدم وإبليس - عليه اللعنة^(٢) - في إخراجهم من الجنة، وفي الولد الذي سماه وقصة عبد الحارث^(٣)، ورفع إدريس، وغرق قوم نوح، وقصة عاد الأولى والثانية^(٤)، وشمود والناقة، وقوم يونس، وقوم شعيب [الأولين]^(٥) والآخرين^(٦)، وقوم لوط، وقوم تبع، وأصحاب الرس، وقصة إبراهيم في مجادلة قومه^(٧) ومناظرته نمرود^(٨) ووضع [ابنه]^(٩) إسماعيل مع أمه بمكة، وبنائه البيت، وقصة الذبيح، وقصة يوسف وما أبسطها، وقصة موسى في ولادته وإلقائه في اليم^(١٠): [وقتلها]^(١١) القبطي، ومسيره إلى مدين وتزوجه بنت شعيب، وكلامه تعالى بجانب الطور، ومجيئه إلى فرعون، وخروجه وإغراق عدوه، وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم وأخذتم الصعقة، وقصة القليل وذبح (البقرة)، وقصته مع الخضر، وقصته في

(١) بحثنا لهم في النوع الثالث والثلاثين بعد المائة: «علم ما وقع في القرآن العظيم من الأسماء والكنى والألقاب.

(٢) ساقط من الإنشقاق: ٣٣/٤.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَسَّنْهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَفَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا صَلَاحًا فَجَعَلَا لَكُم شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيْنَاهُمَا فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠]. تفسير ابن كثير: ٢٦٣/٣.

(٤) ما ذكره المؤلف - رحمه الله تعالى - أن عاداً اثنتان عاد الأولى وعاد الثانية هذا الكلام خطأ، فإن عاداً واحداً وهم قوم هود ﴿﴾ فالمراد بالأولى أي الأولى في الإهلاك بعد الطوفان.

هذا وستأتي مناقشة هذه القضية في قصص الأنبياء، فليراجع إليها.

(٥) في الإنشقاق: ٣٣/٤: «والأولين» بالواو.

(٦) لعل المراد بقوم شعيب ﴿﴾ الأولين والآخرين هم أهل مدين وأصحاب الأيكة وهم أمتان أرسل الله شعيباً إليهم وهو قول قتادة وغيره، لكن هذا ضعيف، والصحيح أنهم أمة واحدة ورسولهم شعيب ﴿﴾.

انظر: ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٠٦/١.

(٧) انظر: سورة الأنبياء: الآيات (٥١ - ٦٩).

(٨) انظر: سورة البقرة: الآية (٢٥٧).

(٩) ساقط من الإنشقاق: ٣٣/٤.

(١٠) في الإنشقاق: ٣٣/٤: «وقتل»، وفي (ح): «وتزويجه».

(١١) في الإنشقاق: ٣٣/٤: «وقتل».

قتال الجبارين، وقصة القوم الذين ساروا في سرب من الأرض إلى الصين، وقصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته^(١)، وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وفتنته، وقصة القوم الذين خرجوا فراراً من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم، وقصة ذي القرنين، ومسيره إلى مغرب الشمس ومطلعها، وبناءه السد، وقصة أيوب، وذو الكفل، وإلياس، وقصة مريم، وولادتها عيسى ﷺ^(٢) وإرساله ورفع، وقصة زكريا وابنه يحيى، وقصة أصحاب الكهف^(٣)، وقصة بخت نصر، وقصة الرجلين الذين لأحدهما الجنة، [وقصة أصحاب الجنة]^(٤)، وقصة [مؤمن]^(٥) آل ليس، وقصة أصحاب الفيل.

وفيه من شأن النبي ﷺ دعوة إبراهيم به، وبشارة عيسى، وبعثه وهجرته، ومن غزواته: [سرية ابن الحضرمي]^(٦) في (البقرة)^(٧)، وغزوة بدر في سورة (الأنفال)، وأحد في (آل عمران)، وبدر الصغرى فيها، والخندق في (الأحزاب)، والحديبية في (الفتح)، والنضير في (الحشر)، وحنين وتبوك في (براءة)^(٨)، وحجة الوداع في (المائدة)^(٩)، [ونكاحه]^(١٠) زينب بنت

(١) أي فتنه داود ﷺ.

(٢) في الإتيان: ٣٣/٤: «ولادتها وعيسى» بالواو، والصواب بدونها. انظر: الآيات (١٦ - ٣٧) من سورة مريم.

(٣) في (هـ) و(ح): «وقصة الكهف»، وما أثبتته في الإتيان: ٣٣/٤ وقد ورد بعده في الإتيان: ٣٣/٤: «وقصة أصحاب الرقيم» وذلك يوحى بأنهما قصتان، ولكنهما في الواقع قصة واحدة لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبتته من الإتيان: ٣٣/٤ وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْمَنَةِ إِذْ أَسْتَوُوا لِيَصْرَفْنَاهَا مَصِيبِينَ﴾ [٧] إلى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْقَدَابُ وَالْقَوَاعِبُ الْأَجْرَةُ أَخْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٣]. [القلم: ١٧ - ٣٣].

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبتته من الإتيان: ٣٣/٤.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبتته من الإتيان: ٣٤/٤.

(٧) في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَقَالَ فِيهِ...﴾ [البقرة: ٢١٧]. انظر: ابن كثير في تفسيره: ٤٤٨/١.

(٨) في (هـ) و(ح): «البراءة» وما أثبتته من الإتيان: ٣٤/٤.

(٩) وذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [المائدة: ٣].

(١٠) في (هـ) و(ح): «نكاح» وما أثبتته من الإتيان: ٣٤/٤.

جحش^(١)، وتحريم سريره^(٢)، وتظاهر أزواجه عليه^(٣)، وقصة الإفك^(٤)، وقصة الإسراء^(٥)، وانشقاق القمر^(٦)، وسحر اليهود إياه^(٧).

وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته وكيفية الموت، وقبض الروح وما يفعل بها بعد، وصعودها إلى السماء، وفتح الباب للمؤمنة وإلقاء الكافرة، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقر الأرواح، وأشراط الساعة الكبرى: وهي نزول عيسى، وخروج الدجال، وبأجوج ومأجوج، والدابة، والدخان، ورفع القرآن، والخسف، وطلوع الشمس من مغربها، وغلق باب التوبة، وأحوال البعث من النفخات الثلاث، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام، والحشر والنشر، [وأحوال الموقف]^(٨)، وشدة حر الشمس، وظل العرش، والميزان والحوض، والصراط، والحساب لقوم ونجاة آخرين منه، وشهادة الأعضاء، وإتياء الكتب باليمين والشمال وخلف الظهر^(٩)، والشفاعة، والمقام المحمود، [والجنة وأبوابها وما فيها من الأنهار والأشجار والثمار والحلي والأواني والدرجات ورؤيته تعالى. والنار وأبوابها]^(١٠) وما فيها من

(١) هي: زينب بنت جحش بن رباب الأسدية أم المؤمنين، أمها أميمة بنت عبد المطلب عممة رسول الله ﷺ، تزوجها النبي ﷺ سنة (هـ٣) وقيل: (هـ٥) وكانت قبله عند زيد بن حارثة وهي التي نزل فيها ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وهي أول من مات من نساء النبي ﷺ، توفيت سنة (هـ٢٠).

انظر: تهذيب التهذيب: ٤٢٠/١٢، والتقريب: ٦٠٠/٢.

(٢) في (هـ) و(ح): «سرية» وما أثبتته من الإتيان: ٣٤/٤.

(٣) سورة التحريم: الآيات (١ - ٥).

(٤) سورة النور: الآيات (١١ - ٢٠).

(٥) سورة الإسراء: الآية (١).

(٦) سورة القمر: الآيتان: (١، ٢).

(٧) انظر القصة في: أسباب النزول للواحدي: ٣٤٦.

قال ابن كثير في تفسيره: ٤٢١/٧: الحديث فيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد. فقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر: ٢٩/٧، عن عائشة وذكر القصة بطولها.

(٨) في (هـ) و(ح): «وأحوال الموقف»، ما أثبتته من الإتيان ٣٤/٤.

(٩) في الإتيان: ٣٤/٤: «وإتيان الكتب بالإيمان والشمال وخلف الظهر».

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

الأودية وأنواع العقاب وألوان العذاب، والزقوم، والحميم.
 وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى كما ورد في حديث^(١)، ومن أسمائه
 مطلقاً ألف اسم، ومن أسماء النبي ﷺ جملة^(٢).
 وفيه من شعب الإيمان البضع والسبعون^(٣)، وشرائع الإسلام الثلاثمائة
 وخمسة عشر^(٤). وفيه أنواع الكبائر، وكثير من الصغائر.
 وفيه تصديق كل حديث ورد عن النبي ﷺ، إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه
 إلى مجلدات.

وقد أفرد الناس كتباً فيما تضمنه القرآن من الأحكام كالقاضي إسماعيل^(٥)،
 وبكر بن العلاء^(٦)، وأبي بكر الرازي^(٧)، والكنيا الهراسي^(٨)، وأبي بكر

(١) سنن الترمذي، كتاب، أبواب الدعوات: ١٩٢/٤. قال الترمذي: هذا حديث غريب
 ولا نعرف إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث.
 (٢) من أسمائه ﷺ: «أحمد» وذكر في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا يُبَشِّرُ بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِ أَسْمَاءِ أَحْمَدٍ﴾
 [الصف: ٦].

ومنها «محمد» ﷺ وذكر في القرآن أربع مرات.
 (٣) المشار إليها بالحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان،
 باب أمور الإيمان: ٨/١، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب عدد شعب
 الإيمان...: ٤٦/١.
 (٤) هذا الإحصاء فيه تكلف.

(٥) هو: إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل القاضي الأزدي البصري الفقيه
 المالكي، صاحب أحكام القرآن، ولد سنة (٢٠٠هـ)، وتوفي سنة (٢٨٢هـ).
 انظر: الديباج المذهب: ٢٨٢/١، وطبقات المفسرين للداودي: ١٠٥/١، والشذرات:
 ١٧٨/٢.

(٦) هو: بكر بن العلاء أبو الفضل القشيري الفقيه المالكي صاحب أحكام القرآن، توفي
 سنة (١٨٢هـ).
 الديباج المذهب: ٣١٣/١، وطبقات المفسرين للداودي: ١١٨/١، والشذرات: ٢/
 ٣٦٦.

(٧) هو: أحمد بن علي أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص الحنفي، صاحب أحكام
 القرآن، ولد سنة (٣٠٥هـ)، وتوفي سنة (٣٧٠هـ).
 انظر: أخبار أبي حنيفة وأصحابه لأبي عبد الله الصيمري: ١٦٦، وطبقات الفقهاء
 لمولانا طاش كيري: ٦٦، وطبقات المفسرين للداودي: ٥٥/١.

(٨) هو: علي بن محمد بن علي أبو الحسن الطبري المعروف بالكنيا الهراسي الفقيه =

العربي، وعبد المنعم بن الفرس^(١)، وابن خويز منداذ^(٢). وأفرد آخرون كتباً قيماً تضمنه من علم الباطن^(٣) وأفرد ابن برجان كتاباً^(٤) فيما تضمنه من معاضدة الأحاديث.

قال الحافظ السيوطي - رحمة الله تعالى عليه^(٥) -: وقد ألفت كتاباً سميته الإكليل في استنباط التنزيل^(٦) ذكرت فيه كل ما استنبط منه من مسألة فقهية أو أصلية، أو اعتقادية، وبعضاً مما سوى ذلك، كثير الفائدة جم العائدة، يجري مجرى الشرح لما أجملته في هذا النوع؛ فليراجعه من أراد الوقوف عليه.

فصل:

قال [الإمام]^(٧) الغزالي [رحمة الله تعالى عليه]^(٨) وغيره: آيات الأحكام

= الشافعي، صاحب أحكام القرآن، وشفاء المسترشدين، ولد سنة (٤٥٠هـ)، وتوفي سنة (٥٠٤هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٢٣١/٧، وفيات الأعيان: ٢٨٦/٣، والشذرات: ٨/٤.
(١) هو: عبد المنعم بن محمد بن فرس أبو عبد الله الغرناطي المعروف بابن الفرس المالكي، صاحب أحكام القرآن، توفي سنة (٥٩٩هـ).
انظر: الديباج المذهب: ١٣٣/٢، وطبقات المفسرين للداودي: ٣٥٦/٢، وكشف الظنون: ٢٠/١.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويز منداذ - بالخاء المعجمة والياء للتصغير والزاي على وزن فليس - أبو بكر المالكي، توفي سنة تسعين وثلاثمائة تقريباً للهجرة.
انظر: الديباج المذهب: ٢٢٩/٢، والوافي بالوفيات للصفدي: ٥٢/٢.
(٣) يعني به: تفاسير الصوفية، مثل: تفسير القرآن العظيم للتستري، ولطائف الإشارات للقشيري.

(٤) المسمى بـ«الإرشاد في تفسير القرآن».

قال في كشف الظنون: ٧٠/١: «الإرشاد في تفسير القرآن» للشيخ الإمام أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان اللخمي الإشبيلي، المتوفى سنة سبع وعشرين وستمائة، وهو تفسير كبير في مجلدات.

(٥) زيادة من المؤلف بين كلام السيوطي.

(٦) وهو مطبوع في مجلد بدار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، طبعة أولى عام (١٤٠١هـ).

(٧) ساقط من الإتيان: ٣٥/٤.

(٨) زيادة من المؤلف.

خمسمائة آية^(١). وقال بعضهم: مائة [آية]^(٢) وخمسون، قيل: ولعل مرادهم المصرح به: فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يستنبط منها كثير من الأحكام.

قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في كتاب «الإمام في أدلة الأحكام»^(٣): معظم آي القرآن لا يخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة، وأخلاق جميلة، ثم من الآيات ما صرح فيه بالأحكام، فمنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط؛ [إما بلا ضم]^(٤) إلى آية أخرى كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى^(٥): ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾﴾ [المسد: ٤]، وصحة صوم الجنب من قوله [تعالى]^(٦): ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٧]، إلى قوله [تعالى]^(٧): ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ...﴾ الآية [البقرة: ١٨٧]، وإما به^(٨) كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله [تعالى]^(٩): ﴿وَفَصَلِّ فِي عَمَزَيْنِ ﴿١٠﴾﴾، قال: ويستدل على الأحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر، وتارة بالإخبار^(١١) مثل [قوله تعالى]^(١٢): ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]، وتارة بما رتب عليها في العاجل أو الآجل من خير أو شر، أو نفع أو ضرر، وقد نوع

(١) نقلاً عن البرهان: ٤/٢.

(٢) ساقط من الإتيان: ٣٥/٤.

(٣) لم أعثر عليه، وفي كشف الظنون: ١٦٦/١: «الإمام في أدلة الأحكام» للشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي، المتوفى سنة (٦٦٠هـ).

(٤) في (هـ) و(ح): «بالأضم»، وما أثبتته من الإتيان: ٣٥/٤.

(٥) ساقط من الإتيان: ٣٥/٤.

(٦) زيادة من المؤلف.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) أي بضم إلى آية أخرى.

(٩) زيادة من المؤلف.

(١٠) سورة لقمان: الآية (١٤)، أي مع قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُمْ وَفَصَلِّ تَلْتُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، والفصال: مدة الرضاع.

(١١) في (هـ) و(ح): «ياخبار» وما أثبتته من الإتيان: ٣٥/٤.

(١٢) ساقط من الإتيان: ٣٥/٤.

(١٣) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت من الإتيان: ٣٥/٤.

الشارع ذلك^(١) أنواعاً كثيرة، ترغيباً لعباده، وترهيباً وتقريباً إلى أفهامهم، فكل فعل عظمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو أحبه أو أحب فاعله، أو رضي به أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالاستقامة^(٢)، أو البركة أو الطيب، أو أقسم به أو بفاعله كالأقسام بالشفع والوتر، وبخيل المجاهدين، وبالنفس اللوامة، أو نصبه سبباً لذكره لعبده أو لمحبهته أو لثوب عاجل أو آجل، أو لشكره له، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيئاته أو لقبوله، أو لنصرة فاعله، أو بشارته، أو وصف فاعله بالطيب^(٣)، أو وصف الفعل بكونه معروفاً، أو نفي الحزن والخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نصب سبباً لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله، أو وصفه بكونه قرية، أو بصفة مدح: كالحياة والنور والشفاء، فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.

وكل فعل طلب الشارع تركه، أو ذمه أو ذم فاعله، أو عتب عليه، أو مقت فاعله^(٤)، أو لعنه، أو نفي محبته أو محبة فاعله، أو لرضا به أو عن فاعله، أو شبه فاعله بالبهايم أو بالشياطين، أو جعله مانعاً من الهدى أو من القبول، أو وصفه بسوء أو كراهية، أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضوه أو جعل سبباً لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل أو آجل، أو لدم أو لوم أو ضلالة أو معصية، أو وصف بخبث أو رجس أو نجس، أو بكونه فسقاً أو إثماً، أو سبباً لإثم أو رجس أو لعن أو غضب، أو زوال نعمة، أو حلول نقمة، أو حد من الحدود، أو قسوة، أو خزي أو ارتهان نفس، أو لعداوة الله ومحاربتة أو لاستهزائه أو سخريته^(٥)، أو جعله الله [جل شأنه] مسبباً لنسيانه فاعله، أو وصف نفسه بالصبر [عليه]^(٦) أو بالحلم، أو بالصفح عنه، أو دعا إلى التوبة منه، أو وصف فاعله بخبث أو احتقار، أو نسبة إلى عمل الشيطان، أو تزيينه، أو

(١) في (هـ) و(ح): «كذا» وما أثبتته من الإتيان: ٣٥/٤.

(٢) في (ح): «بالإقامة».

(٣) في (ح): «بالجميع».

(٤) في (ح): «فاعلية».

(٥) زيادة من المؤلف بين كلام السيوطي.

(٦) ساقط من (ح).

تولي الشيطان لفاعله، أو وصفه بصفة ذم ككونه ظلماً أو بغياً أو عدواناً أو
 إثماً أو مرضاً، أو تبرأ الأنبياء منه أو من فاعله، أو شكوا إلى الله من فاعله،
 أو جاهروا فاعله بالعداوة، أو نهوا عن الأسف والحزن عليه، أو نصب سبباً
 لخبية فاعله عاجلاً أو آجلاً، أو رتب عليه حرمان الجنة وما فيها، أو وصف
 فاعله بأنه عدو لله، أو بأن الله عدوه، أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله،
 أو حمل فاعله إثم غيره، أو قيل فيه: لا ينبغي هذا أو لا يكون، أو أمر
 بالتقوى عند السؤال عنه، أو أمر بفعل مضاده، أو بهجر فاعله، أو تلاعن
 فاعلوه في الآخرة، أو تبرأ بعضهم من بعض، أو دعا بعضهم على بعض، أو
 وصف فاعله بالضلالة، وأنه ليس من الله في شيء، أو ليس من الرسول
 وأصحابه، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح، أو جعله سبباً لإيقاع العداوة
 والبغضاء بين المسلمين، أو قيل: هل أنت منته، أو نهى الأنبياء عن الدعاء
 لفاعله، أو رتب عليه إبعاداً أو طرداً، أو لفظة (قتل من فعله) أو (قاتله الله)،
 أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله [تعالى]^(١) يوم القيامة، ولا ينظر إليه ولا
 يزيه، ولا يصلح عمله، ولا يهدي كيده أو لا يفلح، أو قبض له الشيطان،
 أو جعل سبباً لإزاعة قلب فاعله أو صرفه عن آياته الله وسؤاله عن علة الفعل؛
 فهو دليل على المنع من الفعل، ودلالته على التحريم أظهر من دلالته على
 مجرد الكراهة.

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال، ونفي الجناح والحرَج والإثم
 والمؤاخِذة، ومن الإذن فيه والعفو عنه، ومن الامتنان بما في الأعيان من
 المنافع، ومن السكوت عن التحريم، ومن الإنكار على من حرم الشيء من
 الإخبار بأنه خلق أو جعل لنا، والإخبار عن فعل من قبلنا من غير ذم لهم
 عليه. فإن اقترن بإخباره مدح، دل على مشروعيته وجوباً أو استحباباً. انتهى
 كلام الشيخ عز الدين.

وقال غيره: قد يستنبط من السكوت.

وقد استدل جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله - جل شأنه - ذكر
 الإنسان في ثمانية عشر موضعاً^(٢)، وقال: إنه مخلوق، وذكر القرآن في أربعة

(١) زيادة من المؤلف بين كلام السيوطي.

(٢) يريد به ذكر لفظ «الإنسان» مقروناً ب«خلق».

وخمسين موضعاً^(١)، [ولم يقل]^(٢) إنه مخلوق، ولما جمع بينهما غير، فقال:
﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١ - ٣]^(٣).

= وهذه المواضع هي: النساء: (٢٨)، والحجر: (٢٦)، والنحل: (٤)، ومريم: (٦٧)، والأنبياء: (٣٧)، والمؤمنون: (١٢)، والسجدة: (٧)، ويس: (٨)، وق: (١٦)، والرحمن: (٣، ١٤)، والمعارج: (١٩)، والإنسان: (٢)، والانفطار: (٦)، والطارق: (٥)، والبلد: (٤)، والتين: (٤)، والعلق: (٢).

(١) هذا الإحصاء خطأ فإن لفظ «القرآن» ذكر في المصحف سبعين موضعاً. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي مادة: (قرأ).

(٢) في (هـ) و(ح): «ولم يقال» وهو خطأ، وما أثبتته من الإتيان: ٣٧/٤.

(٣) انتهى النقل عن الإتيان: ٢٤/٤ - ٣٧.

النوع التاسع والعشرون بعد المائة

علم أقسام القرآن

النوع التاسع والعشرون بعد المائة

علم أقسام القرآن^(١)

أفرده ابن القيم^(٢) بالتصنيف في مجلد سماه «التبيان»^(٣)، والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده، حتى جعلوا مثل [قوله تعالى]^(٤): ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] قسماً؛ وإن كان فيه إخباراً بشهادة؛ لأنه لما جاء توكيداً للخبر سمي قسماً.

وقد قيل: ما معنى القسم منه تعالى؛ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد؟! وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً.

وأجاب أبو القاسم القشيري^(٥): بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها؛ وذلك أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة وإما بالقسم، فذكر [تعالى]^(٦) في

(١) هذا النوع منقول عن الإتيقان: ٤٦/٤ - ٥١. النوع السابع والستين «في أقسام القرآن».

(٢) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن عبد الله شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي، ولد سنة (٦٩١هـ)، وتوفي سنة (٧٥١هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ٤٤٧/٢، وطبقات المفسرين للداودي: ٩/٢، والشذرات: ١٦٨/٦.

(٣) هو: «التبيان في أقسام القرآن» وهو مطبوع الناشر، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك أبو القاسم القشيري الشافعي، من تصانيفه: لطائف الإشارات في التفسير، والرسالة القشيرية، ولد سنة (٣٧٦هـ)، وتوفي سنة (٤٦٥هـ).

انظر: طبقات الشافعية لابن القاضي: ٢٧٣/١، تاريخ بغداد: ٨٣/١١.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيقان: ٤٦/٤.

كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة، فقال [عز من قائل] (١): ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]. وقال [جل شأنه] (٢): ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٣﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣] صرخ وقال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين!؟.

ولا يكون القسم إلا باسم معظم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع: الآية المذكورة، بقوله (٣) جل شأنه (٤): ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ [يونس: ٥٣]. ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ﴾ [التغابن: ٧]. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم: ٦٨]. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٦﴾ [الحجر: ٩٢]. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥]. ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

والباقى كله قسم بمخلوقاته، كقوله [تعالى] (٥): ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ ﴿١﴾ [التين: ١]، ﴿وَالصَّفَافَاتِ﴾ [الصفافات]، ﴿وَالشَّمْسِ﴾ [الشمس]، ﴿وَاللَّيْلِ﴾ [الليل]، ﴿وَالضُّحَى﴾ ﴿١﴾ [الضحى]، ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحَسَنِ﴾ ﴿١٥﴾ [التكوير: ١٥].

فإن قيل: كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله (٦)؟. قلنا: أوجب عنه بأوجه:

أحدها: أنه على حذف مضاف؛ أي ورب التين [ورب الزيتون] (٧) ورب الشمس، وكذا الباقي.

الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء، وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفون (٨).

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) في (هـ) و(ج): «وقوله» وما أثبتته من الإتيان: ٤٦/٤.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) ساقط من (هـ) و(ج) مثبت من الإتيان: ٤٧/٤.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى: ٨٠/٥.

(٧) ساقط من الإتيان: ٤٧/٤.

(٨) إن هذا الوجه لا مسوغ له حيث إنه يعتمد على العادة وقد جاء النهي في الحديث المذكور عن الحلف بغير الله فالأحسن أن يقال: إن الله يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله. قاله الحسن البصري. انظر: الإتيان: ٤٧/٤.

الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه، والله تعالى [فوق كل شيء] ^(١)، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدل على باري وصانع.

[وقال] ^(٢) ابن أبي الأصبغ في أسرار الفواتح: [والقسم] ^(٣) بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل؛ إذ استحيل وجود مفعول بغير فاعل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن، قال: إن الله [تعالى] ^(٤) يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله.

وقال العلماء: أقسم الله جل شأنه ^(٥) بالنبى ﷺ في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: ٧٣] لتعرف الناس عظمته عند الله [تعالى] ^(٦) ومكانته لديه.

أخرج ابن مردويه ^(٧) عن ابن عباس [رضي الله عنهما] ^(٨)، قال: ما خلق الله تعالى ولا ذراً ^(٩) ولا برأ ^(١٠) نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وقال أبو القاسم القشيري: القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين، إما لفضيلة

= قال ابن القيم: وما أقسم عليه الرب فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس. التبيان في أقسام القرآن: ٣.

(١) في الإتيان: ٤٧/٤: «ليس فوقه شيء».

(٢) الواو ساقط من الإتيان: ٤٧/٤.

(٣) الواو ساقط من الإتيان: ٤٧/٤.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) في الإتيان: ٤٧/٤: «تعالى».

(٦) زيادة من المؤلف.

(٧) هو: أحمد بن محمد بن مردويه أبو بكر الأصفهاني أحد شيوخ السلفي، توفي سنة

ثمان وأربعمائة.

انظر: تذكرة الحفاظ: ١٢١٢/٤، وطبقات الحفاظ: ٤٤٦.

(٨) زيادة من المؤلف.

(٩) ذراً: خلق. وفي اللسان: ٧٩/١ مادة: (ذراً): ذراً في صفات الله ﷻ الذارئ وهو

الذي ذراً الخلق؛ أي خلقهم.

(١٠) برأ: خلق شيئاً بدون مثال. وفي اللسان: ٣١/١ مادة: (برأ): برأ الله الخلق

بيرؤهم برأ وبروأ: خلقهم.

أو لمنفعة^(١): فالفضيلة كقوله [تعالى] ^(٢): ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿١﴾ وَهَذَا أَلْبَدِ الْأَمِينِ ﴿٢﴾﴾ [التين: ٢، ٣]، والمنفعة نحو [قوله تعالى] ^(٣): ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ ﴿١﴾﴾ [التين: ١].

وقال غيره: أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء؛ بذاته كالأيات السابقة^(٤)، وبفعله نحو: [قوله تعالى] ^(٥): ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٥ - ٧]، وبمفعوله نحو: [قوله تعالى] ^(٦): ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَّابِ مَسْطُورٍ﴾ [الطور: ١، ٢].

والقسم إما ظاهر كالأيات السابقة، وإما مضمّر، وهو قسمان:
قسم: دلت عليه اللام نحو: [قوله تعالى] ^(٧): ﴿لَتَسْبُكُنَّ ﴿٨﴾ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقسم: دل عليه المعنى، نحو: [قوله تعالى] ^(٩): ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] تقديره: ﴿وَاللَّهِ﴾.

وقال أبو علي الفارسي^(١٠): الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان:
أحدهما: ما تكون كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم، فلا يجاب بجوابه كقوله [تعالى] ^(١١): ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨]، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُدُوءًا﴾ [البقرة: ٦٣]، ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨]، وهذا ونحوه يجوز أن يكون قسماً، وأن يكن حالاً لخلوه من الجواب.

(١) في (هـ) و(ح): «الفضيلته أو لمنفعته».

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) ساقط من الإتيان: ٤/٤٨.

(٤) المذكورة قريباً في سبعة مواضع. انظر صفحة (...).

(٥) ساقط من الإتيان: ٤/٤٨.

(٦) ساقط من الإتيان: ٤/٤٨.

(٧) ساقط من الإتيان: ٤/٤٨.

(٨) والتقدير: والله لتبلون.

(٩) ساقط من الإتيان: ٤/٤٨.

(١٠) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي النحوي، صاحب المقصور والممدود، والحجة على القراءات وغيرهما، ولد سنة (٢٨٨هـ)، وتوفي سنة (٣٧٧هـ).

انظر: إنباء الرواة: ١/٢٧٣، وتاريخ بغداد: ٧/٢٧٥، وفيات الأعيان: ٢/٨٠.

(١١) زيادة من المؤلف.

والثاني: ما يتلقي بجواب القسم، كقوله: [عز من قائل]^(١): ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرْتُمْ لَتَخْرُجُنَّ﴾ [النور: ٥٣].

وقال غيره: أكثر الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا يكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل، كقوله [تعالى]^(٢): ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [النور: ٥٣]، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٢]، ولا تجد الباء مع حذف الفعل، ومن ثم كان خطأ من جعل قسماً [قوله تعالى]^(٣): ﴿بِاللَّهِ إِنَّكَ أَلْشَرُّ لَطْمًا﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، ﴿بِحَقِّ إِنْ كُنْتَ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ [المائدة: ١١٦].

قال ابن القيم^(٤): اعلم أنه ﷺ يقسم بأمر على أمور، وإنما يقسم بنفسه [المقدسة]^(٥) الموصوفة بصفاته، وبآياته^(٦) المستلزمة لذاته وصفاته، وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم^(٧) [آياته]^(٨)، فالقسم إما على جملة خبرية - وهو الغالب -، كقوله [تعالى]^(٩): ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣]. وإما على جملة طلبية كقوله [عز من قائل]^(١٠): ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢]، مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه، فيكون من باب الخبر، وقد يراد به تحقيق القسم؛ فالمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك^(١١)، كالأمر الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها.

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) في كتابه «التيان في أقسام القرآن»: ٣ - ٤٣ مختصراً.

(٥) ساقط من التبيان لابن القيم: ٣.

(٦) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٤/٤٨: «أو بآياته» بأو، وما أثبتته من التبيان لابن القيم: ٣.

(٧) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٤/٤٩: «على أننا من عظم»، وما أثبتته من التبيان: ٣.

(٨) في (هـ): «ذاته» وما أثبتته من (ح) والإتقان: ٤/٤٩ والبيان لابن القيم: ٣.

(٩) ساقط من الإتقان: ٤/٤٩.

(١٠) ساقط من الإتقان: ٤/٤٩، وفي التبيان: ٢: «تعالى».

(١١) في (هـ) و(ح) والإتقان: ٤/٤٩ زيادة الواو هكذا «وذلك» والسياق يقتضي حذفها

لأن لفظ «ذلك» فاعل «يحسن».

فأما الأمور الظاهرة المشهورة^(١) كالشمس والقمر، والليل والنهار، والسماء والأرض، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها، وما أقسم عليه الربُّ فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس، وهو سبحانه [وتعالى]^(٢) يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب، ويحذفه أخرى^(٣)، كما يحذف جواب «لو» كثيراً للعلم به.

والقسم لما كان يكثر في الكلام، اختصر، فصار فعل القسم يحذف، ويكتفي بالباء، ثم عوض^(٤) من الباء الواو في الأسماء الظاهرة، والتاء في أسماء الله^(٥) [جل شأنه]^(٦)، كقوله [عز من قائل]^(٧): ﴿وَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَعُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

قال: ثم هو سبحانه [وتعالى]^(٨) يقسم على أصول الإيمان التي تجب على الخلق معرفتها؛ تارة يقسم على التوحيد، وتارة يقسم على أن القرآن حق، وتارة على أن الرسول حق، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد، وتارة يقسم على حال الإنسان.

فالأول: كقوله [تعالى]^(٩): ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَّحِدٌ﴾ [الصفات: ١ - ٤].

والثاني: كقوله [تعالى]^(١٠): ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ الْجُورِ﴾ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٧٧].

والثالث: كقوله: ﴿يَسَّ﴾ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لِنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾

-
- (١) في (هـ): «المشهودة الظاهرة» وما أثبتته من (ح) كما في التبيان في أقسام القرآن: ٣.
 - (٢) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٤٩/٤.
 - (٣) إن جواب القسم محذوف، والتقدير: والقرآن ذي الذكر لتبعثن، ونحو ذلك. انظر: التبيان في أقسام القرآن: ...، وفتح القدير: ٤١٩/٤.
 - (٤) في الإتيان: ٤٩/٤: «عرض».
 - (٥) في (هـ) و(ح) والإتيان: ٣٩/٤: «في اسم الله» وما أثبتته من التبيان: ٤.
 - (٦) في الإتيان: ٤٩/٤: «تعالى».
 - (٧) زيادة من المؤلف.
 - (٨) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٤٩/٤.
 - (٩) زيادة من المؤلف.
 - (١٠) زيادة من المؤلف.

[يس: ١ - ٣]، ﴿وَالنَّجْوَى إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾... الآية [النجم: ١ - ٥].

والرابع: كقوله [تعالى] ^(١): ﴿وَالذَّارِبَاتِ ذَرَوَا ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُتُ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات: ١ - ٦].

والخامس: كقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ الآية [الليل: ١ - ٤] ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات: ١ - ٦]، ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَبِيٍّ حَسِيرٍ ﴿٢﴾... إلى آخرها [العصر: ١، ٣] ^(٢)، ﴿وَاللَّيْلِ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾﴾... الآية [التين: ١ - ٨]، ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد: ١ - ٤].

قال: وأكثر ما يحذف الوجوب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه، فإن المقصود يحصل بذكره، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز كقوله [تعالى] ^(٣): ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾﴾ [ص: ١]، [فإن المقسم به من تعظيم القرآن] ^(٤)، ووصفه بأنه «ذو الذكر» المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه، والشرف، والقدر، ما يدل على المقسم عليه، وهو كونه حقاً من عند الله غير مفترى كما يقوله الكافرون، ولهذا قال كثيرون: إن تقدير الجواب (إن القرآن لحق)، وهذا مطرد [في كل ما شابه ذلك] ^(٥) كقوله [جل شأنه] ^(٦): ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ [ق: ١] وقوله [تعالى] ^(٧): ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾﴾ [القيامة: ١]، فإنه يتضمن إثبات المعاد، وقوله [جل شأنه] ^(٨): ﴿وَالْفَجْرِ...﴾ الآية [الفجر: ١]، فإنها أزمان ^(٩) تتضمن أفعالاً معظمة من المناسك وشعائر الحج

(١) زيادة من المؤلف.

(٢) ساقط من الإتيان: ٥٠/٤.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) في الإتيان: ٥٠/٤: «فإنه في القسم به من تعظيم القرآن».

(٥) في (هـ) و(ح): «في كل شأن ذلك» وما أثبتته من الإتيان: ٥١/٤.

(٦) زيادة من المؤلف.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) زيادة من المؤلف.

(٩) أي المذكورة في الآيات: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾﴾ وَيَا لَيْلٍ عَشْرِ ﴿١﴾﴾ فإنها العشر الأول من ذي =

التي هي عبودية محضة لله [تعالى] ^(١) وذل وخضوع لعظمته، وفي ذلك تعظيم ما جاء به محمد وإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام -، قال: ومن لطائف القسم [قوله] ^(٢) [عز من قائل] ^(٣): ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾...﴾ الآيات [الضحى: ١، ٢]، أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له؛ وذلك متضمن لتصديقه له، فهو قسم على النبوة والمعاد، وأقسم بأيّتين عظيمتين من آياته. وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: ودّع محمداً ربّه ^(٤)، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه ^{(٥)(٦)}.

= الحجة، وهو قول ابن عباس ومجاهد؛ لأنها أيام الاهتمام بنسك الحج. انظر: محاسن التأويل: ٦١٤٤/١٧.

(١) ساقط من (هـ) و(ح) وما أثبتته من الإتيان: ٥٠/٤.

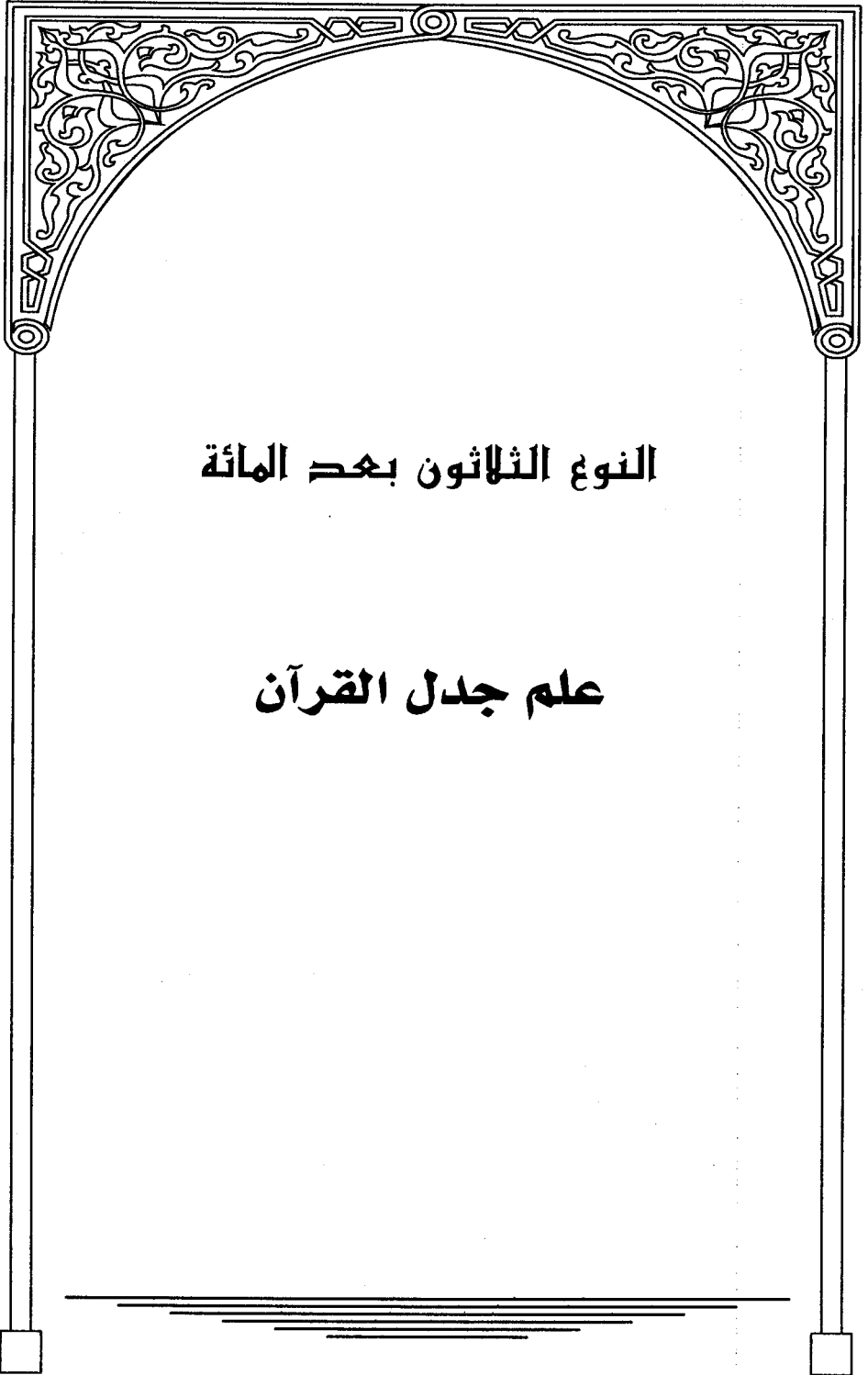
(٢) ساقط من (ح).

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) في تفسير ابن كثير: ٥٢٢/٤. قال العوفي عن ابن عباس: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً فتغير بذلك، فقال المشركون: ودعه ربه وقلاه، فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء.

(٥) انتهى النقل عن «البيان في أقسام القرآن» لابن القيم: ٣ - ٤٣ مختصراً.

(٦) وأيضاً انتهى نقل المؤلف عن الإتيان: ٤٦/٤ - ٥١.



النوع الثلاثون بعد المائة

علم جدل القرآن



النوع الثلاثون بعد المائة

علم جدل القرآن^(١)(٢)

أفرد هذا النوع^(٣) بالتصنيف نجم الدين الطوفي^(٤). قال العلماء^(٥): قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم [وتحذير - يُبَنَى^(٦) من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أوردته على عادة العرب، دون دقائق طرق المتكلمين، لأمرين: أحدهما: بسبب ما قاله [جل شأنه]^(٧): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانِ قَوْمِهِ يُبَيِّنُ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

والثاني: أن المائل إلى طريق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة [بالجلي]^(٨) من الكلام؛ فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخط^(٩) إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون؛ ولم يكن

(١) هذا النوع منقول عن الإتيقان: ٥٢/٤ - ٥٧ النوع الثامن والستين «في جدل القرآن». (٢) الجدل: من جَدَل يَجِدُلُ جَدَلًا والاسم الجَدَلُ وهو شدة الخصومة. من جدلت الحبل: أي أحكمت قتله.

انظر: مختار الصحاح: ٩٦، واللسان: ١٠٣/١١ مادة: (جدل)، والمفردات للراغب: ٨٩، ومناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر الألمعي: ١٩.

(٣) في الإتيقان: ٥٢/٤: «أفردته».

(٤) هو: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم أبو الربيع المعروف بنجم الدين الطوفي الشيعي صاحب مختصر الروضة، ولد سنة (٦٥٧هـ)، وتوفي سنة (٧١٦هـ).

انظر: الدرر الكامنة: ٢٤٩/٢، وذيل طبقات الحنابلة: ٣٦٦/٤.

(٥) قاله الزركشي في البرهان: ٢٤/٢.

(٦) في البرهان: ٢٤/٢: «وتحديد شيء».

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) في الإتيقان: ٥٢/٤، والبرهان: ٢٤/٢: «بالجليل» والجلي: الواضح.

(٩) في (هـ) و(ح) والإتيقان: ٥٢/٤: «لم ينحط» وما أثبتته من البرهان: ٢٤/٢.

ملغزاً^(١)، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في [أجل]^(٢) صورة، ليفهم العامة [من جليلها]^(٣) ما يقنعهم، وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء^(٤).

وقال ابن أبي الأصعب^(٥): زعم الجاحظ أن المذهب الكلامي^(٦) لا يوجد منه شيء في القرآن، وهو مشحون به، وتعريفه: أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام.

ومنه نوع منطقي تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن أول سورة (الحج) إلى قوله [تعالى]^(٧): ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات:

قوله: ﴿ذَلِكَ يَأْنَّ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦]؛ لأنه [قد]^(٨) ثبت عندنا بالخبر المتواتر^(٩) أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها، وذلك مقطوع بصحته؛ [لأنه خبر]^(١٠) أخبر به من ثبت صدقه عن ثبتت [قدرته]^(١١) منقول إلينا بالتواتر فهو حق، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا بالحق، فالله هو الحق.

وأخبر ﴿وَأَنَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦] لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى، ليشاهدوا تلك

(١) ملغزاً: من ألغز يلغز إلغازاً فهو ملغزاً يقال: ألغز الكلام وألغز فيه: عمى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره. انظر: اللسان: ٤٠٥/٥ مادة: (لغز).

(٢) في الإتيان: ٥٢/٤: «أجلى».

(٣) في (هـ) و(ح): «جليلتها»، وما أثبتته من الإتيان ٥٢/٤، والبرهان ٢٤/٢.

(٤) انتهى النقل من البرهان: ٢٤/٢.

(٥) في بديع القرآن: ٣٧، ٣٨.

(٦) المقصود بالمذهب الكلامي هو مذهب علماء المنطق.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت من الإتيان: ٥٣/٤.

(٩) الخبر المتواتر هو: ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أوله إلى

آخره. تدريب الراوي للسيوطي: ١٧٢/٢.

(١٠) في (ح): «لا خبر».

(١١) ساقط من (ح).

الأهوال التي [يعملها الله]^(١) من أجلهم، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء^(٢).
ومن الأشياء إحياء الموتى فهو يحيي الموتى.

وأخبر [تعالى]^(٣) أنه على كل شيء قدير لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين
ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو
على كل شيء قدير، [فهو على كل شيء قدير]^(٤).

وأخبر [جل شأنه]^(٥) ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: ٦] لأنه أخبر
بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب، إلى قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ
عِلْمِ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]. وضرب لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي ينزل عليها
الماء، فتتهز وتربو^(٦) وتنت من كل زوج بهيج^(٧)، ومن خلق الإنسان على ما
أخبر به فأوجده بالحق ثم أعدمه بالموت ثم يعيده بالبعث، وأوجد الأرض
بعد العدم فأحياها بالخلق، ثم أماتها بالمحل^(٨)، ثم أحياها بالخصب؛
وصدق خبره في ذلك كله - بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب؛ حتى
انقلب الخبر عياناً - صدق خبره في الإتيان بالساعة.

ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور؛ لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها
الأموات للمجازاة، فهي آتية لا ريب فيها، وهو ﴿يَبْعَثُ فِي الْقُبُورِ﴾^(٩).

(١) في (هـ) و(ح): «نقلها الله» وما أثبتته من الإتيان: ٥٣/٤.

(٢) في (هـ) زيادة كلمة «قدير» هكذا «أنه قادر على كل شيء قدير» والسياق يقتضي
حذفها كما في (ح) والإتيان: ٥٣/٤.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٥٣/٤.

(٥) ساقط من الإتيان: ٥٣/٤.

(٦) تربو: من ربا يربو ربوة إذا زاد وعلا وتربو؛ أي تزيد وتعلو.

انظر: المفردات للراغب: ١٨٧ مادة: (ربو).

(٧) بهيج: أي حسن اللون. وفي المفردات للراغب: ٦٣ مادة: (بهيج) البهجة: حسن
اللون وظهور السرور، وقد بهج فهو بهيج. قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾
[الحج: ٥].

(٨) والمحل: نقيض الخصب، وجمعه محول وأمحال وأيضاً المحل: الجذب وهو
انقطاع المطر ويسب الأرض من الكلاء. اللسان: ٦١٦/١١ مادة: (محل).

(٩) انتهى كلام ابن أبي الأصبع: ٣٧، ٣٨.

وقال غيره^(١): استدل^(٢) سبحانه [وتعالى]^(٣) على المعاد الجسماني

بضروب:

أحدها: قياس الإعادة على الابتداء، [كما]^(٤) قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥].

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى، قال [تعالى]^(٥): ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ...﴾ الآية [يس: ٨١].

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر.

وقد روى الحاكم وغيره أن أبي بن خلف^(٦) جاء يعظم فضته، فقال: أياحيي الله هذا بعدما بلي ورم! فأنزل الله [جل شأنه]^(٧): ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]^(٨)، فاستدل سبحانه [وتعالى]^(٩) برد النشأة الأخرى إلى الأولى، والجمع بينهما بعلة الحدوث. ثم زاد في [الاحتجاج]^(١٠) بقوله عز من قائل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠]، وهذا^(١١) في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض [عليهما]^(١٢).

(١) هو الزركشي. قاله في البرهان: ٢٦/٢.

(٢) وعبارة البرهان: «ومن ذلك الاستدلال على المعاد الجسماني بضروب».

(٣) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٥٣/٤.

(٤) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٥٣/٤.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٥٣/٤.

(٦) سيرة ابن هشام: ٣٨٧/١.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) لم أجد في المستدرک قصة أبي بن خلف ولكن وجدت قصة العاص بن وائل.

انظر: المستدرک، کتاب التفسیر، تفسیر سورة يس: ٤٢٩/٢.

(٩) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٥٤/٤.

(١٠) في الإتيان: ٥٤/٤: «الاحتجاج» كما في البرهان: ٢٦/٢.

(١١) في الإتيان: ٥٤/٤: «وهذه».

(١٢) في (هـ) و(ح): «عليها»، وما أثبتته من الإتيان: ٥٤/٤، والبرهان: ٢٦/٢.

خامسها: في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ بلى... ﴿[النحل: ٣٨، ٣٩] الآيتين وتقريرهما^(١) أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه؛ وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه، والحق في نفسه واحد، فلما ثبت أن هنا حقيقة موجودة لا محالة، وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف، ويرفع عنا الاختلاف، إذ كان الاختلاف مركزاً في فطرنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجبلية^(٢)، ونقلها إلى جبلية^(٣) غيرها، صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة، فيها يرتفع الخلاف والعناد، وهذه هي الحالة التي وعد الله [جل شأنه]^(٤) بالمصير إليها، فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ [الأعراف: ٤٣]، [حقد]^(٥) فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون. كذا قرره ابن السيد^{(٦)(٧)}.

ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد، بدلالة التمانع^(٨) المشار إليها في قوله [جل شأنه]^(٩): ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على إحكام، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما؛ وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته؛ فإما أن تنفذ إرادتهما فتتناقض

(١) في البرهان: ٢٧/٢: «وتقريرها».

(٢) الجبلية: الخلقفة. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالْجِبَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤]. اللسان: ٩٨/١١ مادة: (جبل).

(٣) في (هـ) و(ح) والإتقان: «صورة» وما أثبتته من البرهان: ٢٧/٢.

(٤) زيادة من المؤلف.

(٥) ساقط من (هـ) و(ح) والبرهان: ٢٧/٢ وما أثبتته من الإتقان: ٥٤/٤.

(٦) هو: عبد الله بن محمد ابن السيد أبو محمد البطوسي النحوي، من تصانيفه: المثلث والاقضاب، ولد سنة (٤٤٤هـ)، وتوفي سنة (٥٢١هـ). السيد: بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة، وهو من جملة أسماء الذئب. انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ٢٨٨، والديباج المذهب لابن فرحون: ٢٤١/١، والشذرات لابن العماد: ٦٤/٤.

(٧) نقلاً عن البرهان للزركشي: ٢٦/٢، ٢٧ بحذف قليل.

(٨) دلالة التمانع: وهي لو كان للعالم صانعان لفسد نظامه. انظر: شرح الطحاوية: ٣٢.

(٩) زيادة من المؤلف.

لاستحالة تجزيء الفعل إن فرض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف، وإما ألا تنفذ إرادتهما، فيؤدي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزاً^(١).

فصل:

من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل السبر^(٢) والتقسيم^(٣). ومن أمثله قوله (عز من قائل)^(٤): ﴿ثَمَنِيَّةٌ أَرْوَجُ مِنْ أَلْصَّانِ أَتْنِي . . .﴾ الآيتين [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤]، فإن الكفار [لما حرموا]^(٥) ذكور الأنعام تارة وإنائها أخرى، رد تعالى عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى، فمما جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي ما علته؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يُدرى له علة، وهي التعبدية، بأن أخذ ذلك عن الله [تعالى]^(٦)، والأخذ عن الله [تعالى]^(٧)، إما بوحى وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله [تعالى]^(٨): ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّلَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ [الأنعام: ١٤٤]، فهذه وجوه التحريم؛ لا تخرج عن واحد منها.

والأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً.

والثاني: يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً.

(١) نقلاً عن البرهان: ٢٥/٢.

(٢) وفي اللسان مادة: (سبر): ٣٤٠/٤.

السبر: التجربة، وسبر الشيء سبراً حزره وخبره، واسبر لي ما عنده؛ أي أعلمه.

(٣) هو: اتخاذ المجادل سبيلاً لإبطال دعوى من يجادله ويكون ذلك بحصر الأوصاف للموضوع الذي يجادل منه، ثم يبين أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصية تسوغ قبول الدعوى فيه، فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع. مناهج الجدل للدكتور زاهر الألمعي: ٦٨.

(٤) في الإتيان: ٥٥/٤: «تعالى».

(٥) في (هـ) و(ح): «حرمها» وما أثبتته من الإتيان: ٥٥/٤.

(٦) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت من الإتيان: ٥٥/٤.

(٧) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت من الإتيان: ٥٥/٤.

(٨) ساقط من الإتيان: ٥٥/٤.

والثالث: [يلزم]^(١) عليه تحريم الصنفين معاً، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة؛ لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله [جل شأنه]^(٢) بلا واسطة باطل ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك؛ لأنه لم يأت رسول قبل النبي ﷺ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال.

ومنها القول بالموجب، قال ابن أبي الأصبع: وحقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه^(٣).

وقال غيره: هو قسمان:

أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم، فيثبتها لغير ذلك الشيء كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ...﴾ الآية، ف«الأعز»^(٤) وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، و«الأذل» عن فريق المؤمنين، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله [جل شأنه]^(٥) في الرد عليهم صفة العز لغير فريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون، وكأنه قيل: صحيح ذلك، ليخرجن الأعز منها الأذل، لكن هم الأذل المخرج، والله ورسوله الأعز المخرج.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه، [قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ]^(٦): ولم أر من أورد له مثلاً من القرآن، وقد ظفرت بآية منه وهي قوله [تعالى]^(٧): ﴿وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ قُلُّ أذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١].

ومنها التسليم^(٨): وهو أن يفرض المحال، إما منفيّاً أو مشروطاً بحرف

(١) في الإتيان: ٥٥/٤: «يحرم» وهو خطأ.

(٢) زيادة من المؤلف.

(٣) فحوى كلامه: مضمونه ومرماه الذي يتجه إليه القائل. المعجم الوسيط: ٦٨٣/٢.

(٤) في (هـ) و(ح): «فالعزة» وما أثبتته من الإتيان: ٥٦/٤.

(٥) زيادة من المؤلف.

(٦) زيادة من المؤلف بين كلام السيوطي.

(٧) زيادة من المؤلف.

(٨) في (ح): «التقسيم».

الامتناع، لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جديلاً. وبدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه، كقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كُنَّا مَعَهُ مِنَ الْإِلَهِ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١]. المعنى: ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه [وتعالى] ^(١) إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم، ولا تنظم أحواله؛ والواقع خلاف ذلك، ففرض إليهن فصاعداً محال لما يلزم منه المحال.

ومنها الإسجال ^(٢): وهو الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به نحو: [قوله تعالى] ^(٣): ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، ﴿رَبَّنَا وَأَذِلَّهُمْ جَنَّتِ عَدْنِ الْآتَىٰ وَعَدَّتْهُمْ﴾ [غافر: ٨]، فإن في ذلك إسجالاً بالإتيان والإدخال حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده.

ومنها الانتقال ^(٤): هو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول، كما جاء في مناظرة الخليل [عليه السلام] مع ^(٥) الجبار لما قال له: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُعِينِي وَيُعِينُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فأجاب ^(٦) الجبار: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه، ومن لا يجب عليه [القتل] ^(٧) فقتله، فعلم الخليل [عليه السلام] ^(٨) أنه لم

(١) ساقط من (هـ) و(ح) مثبت في الإتيان: ٥٦/٤.

(٢) وهو أن تثبت على لسان خصمك ألفاظاً في سياق آخر تسجل به عليه ما كان عنده محل شبهة وإنكار. مناهج الجدل، د. زاهر الألمعي: ٨٢.

(٣) زيادة من المؤلف.

(٤) وهو: أن ينتقل المستدل من دليل إلى دليل، أو من مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول، أو عند فهمه وجه الدلالة ولكنه يقصد المغالطة فيأتي بدليل أو مثال آخر لا يجد الخصم معه مفراً دون الانقطاع أو التسليم. مناهج الجدل، د. زاهر الألمعي: ٨٢.

(٥) ساقط من الإتيان: ٥٦/٤.

(٦) في الإتيان: ٥٦/٤: «فقال».

(٧) ساقط من الإتيان: ٥٦/٤.

(٨) ساقط من الإتيان: ٥٦/٤.

يفهم معنى الإحياء والإماتة، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل فانتقل ﴿﴾ إلى استدلال لا يجد الجبار له وجهاً يتخلص به منه فقال: ﴿فَأَنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فانقطع الجبار وبهت، ولم يمكنه أن يقول: أنا الآتي بها من المشرق؛ لأن من هو أسن منه يكذبه.

ومنها المناقضة: [وهي^(١)] تعليق أمر على مستحيل، إشارة إلى استحالة وقوعه كقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]^(٢).

ومنها مجازاة الخصم ليعثر، بأن يسلم بعض مقدماته، حيث يراد تبكيته وإلزامه، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(٣) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ... ﴿ الآية [إبراهيم: ١٠، ١١].

فقولهم^(٤): ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾ الآية، فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس مراداً، بل هو من مجازاة الخصم ليعثر؛ فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق [لا ننكره]^(٥) ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة^(٦).

(١) في (هـ) و(ح): «وهو» وما أثبتته من الإتيان: ٥٦/٤.

(٢) سم الخياط: حرق الإبرة. وفي المفردات للراغب: ١٦١ مادة: (خيط). الخياط: الإبرة التي يخاط بها.

(٣) سلطان: حجة وبينة يريدون به دليل ملموس من خوارق العادات.

انظر: المفردات للراغب: ٢٣٨.. مادة: (سلط)، وتفسير السعدي: ١٢٨/٤.

(٤) في (ح): «فقولكم».

(٥) في (ح): «ننكره» بدون «لا».

(٦) انتهى النقل من الإتيان: ٥٢/٤ - ٥٧.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* النوع الرابع عشر بعد المائة: علم أحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل	٦
فصل في أحوال المفعول	٩
* النوع الخامس عشر بعد المائة: علم حصره واختصاصه	١٤
* النوع السادس عشر بعد المائة: علم خبره وإنشائه	٣٨
فصل: ومن أقسامه: «النهى»	٧٠
* النوع السابع عشر بعد المائة: علم فصله ووصله	٨٠
تذنيب	٩٥
* النوع الثامن عشر بعد المائة: علم إيجازه وإطنابه ومساواته	١٠٤
* النوع التاسع عشر بعد المائة: علم بديعه	١٧٨
الاستخدام	١٨٦
الالتفات	١٨٨
التوشيح	١٩٨
التهمك	١٩٩
التسليم	٢٠٠
التسهيم	٢٠١
حسن التعليل	٢٠٢
الاطراد	٢٠٤
الانسجام	٢٠٥
الإدماج	٢٠٧
الافتنان	٢٠٨
الاقتدار	٢٠٩
اتلاف اللفظ مع اللفظ واتلافه مع المعنى	٢٠٩

٢١٢ الاستدراك والاستثناء
٢١٢ الاقتصاص
٢١٣ الإبدال
٢١٤ تأكيد المدح بما يشبه الذم
٢١٥ التفويف
٢١٦ التقسيم
٢١٧ التدبيح
٢١٨ القول بالموجب
٢٢٠ التنكيت
٢٢١ التجريد
٢٢٣ التعديد
٢٢٣ الترتيب
٢٢٤ الترقى والتدلي
٢٢٤ التضمين
٢٢٦ الجناس
٢٣٣ الإثبات
٢٣٤ الترديد
٢٣٦ الترصيع
٢٣٧ المماثلة
٢٣٧ التزام ما لا يلزم
٢٣٨ التوزيع
٢٣٩ الجمع
٢٣٩ الجمع والتفريق
٢٤٠ الجمع والتقسيم
٢٤٠ الجمع مع التفريق والتقسيم
٢٤٠ جمع المؤنث والمختلف
٢٤١ حسن النسق
٢٤٢ عتاب المرء [لنفسه]

٢٤٣	العكس
٢٤٥	العنوان
٢٤٦	الفرائد
٢٤٨	القسم
٢٤٨	اللف والنشر
٢٥١	المشاكلة
٢٥٣	المزاوجة
٢٥٤	المبالغة
٢٥٩	المطابقة
٢٦٢	ترصيع الكلام
٢٦٢	المقابلة
٢٦٦	مراعاة النظر
٢٦٧	المواربة
٢٦٨	المراجعة
٢٦٩	النزاهة
٢٧٠	الإبداع
٢٧٦	* النوع العشرون بعد المائة: علم فواتح السور
٢٨٨	* النوع الحادي والعشرون بعد المائة: علم خواتم السور
٢٩٦	* النوع الثاني والعشرون بعد المائة: علم مناسبات الآيات والسور
٣٣٠	فوائد متشورة في المناسبات:
٣٣٦	* النوع الثالث والعشرون بعد المائة: علم الآيات المتشاكلات المتقاربات
٣٤٠	فصل في آخر الحروف الزوائد والنواقص
٣٥٠	* النوع الرابع والعشرون بعد المائة: علم لطائف القرآن وأسراره ونكته وفوائده
٣٦٨	* النوع الخامس والعشرون بعد المائة: علم أسرار تكرار قصص القرآن وبيان الحكمة والسر في ذلك
٣٧٨	* النوع السادس والعشرون بعد المائة: إعجاز القرآن
٤١٨	* النوع السابع والعشرون بعد المائة: علم مفردات القرآن العزيز

- * النوع الثامن والعشرون بعد المائة: علم معرفة العلوم المستنبطة من القرآن ٤٣٦
- * النوع التاسع والعشرون بعد المائة: علم أقسام القرآن ٤٦٤
- * النوع الثلاثون بعد المائة: علم جدل القرآن ٤٧٤
- * فهرس الموضوعات ٤٨٣